دار الكتب المصرية
القسم الأدبي

ديوان مهيار الديلمي

الجزء الأول

القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م

دار الكتب المصرية

القسم الأدبى

ديوان مهيار الديلمى

الجزء الأول

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ — ١٩٢٥ م

فهـــــرس

قوافى الجزء الأوّل من ديوان مهيـار

صحيفة

(ملحوظة) ليس للشاعر قواف من حروف الثاء والخاء والذال .

ترجمة مهيار

عن كتابَىْ

"وفَيات الأعيان" و"المنتظم، فى تواريخ الملوك والأمم"

جاء فى "وفيات الأعيان" لابن خلّكان ما نصّه :

هو "أبو الحُسَين"[1] مِهْيارُ بن مَرْزَوَيْه الكاتب الفارسىّ الديلمىّ الشاعر المشهور، كان مجوسيًّا فأسلم، ويقال : إنّ إسلامَه كان على يد الشريف الرضىّ أبى الحسن محمّد الموسوىّ وهو شيخه وعليه تخرَّجَ فى نظم الشعر، وقد وازن مهيارُ كثيرا من قصائده، وكان شاعرا جزلَ القول مقدّما على أهل وقته وله ديوانُ شعرٍ كبيرٌ، وهو رقيقُ الحاشية طويلُ النَّفَسِ فى قصائده، وقد ذَكَرَه "أبو الحسَن الباخَرْزِىّ"[2] فى كتابه المسمَّى "دُمية القَصْر" فقال فى حقّه :

" هو شاعر، له فى مَناسك الفضل مَشاعر، وكاتب، تحت كلّ كلمةٍ من كلماته كاعب، وما فى قصائده بيت، يُتَحكَّم عليه بلوْ وليت، وهى مصبوبةٌ فى قوالب القلوب، وبمثلها يعتذر الدهرُ المذنبُ عن الذنوب "

---

(١) ننّبه القارئ الى أن كنية مهيار فى كتاب وفيات الأعيان "أبو الحسين" وفى كتاب "المنتظم" "أبو الحسن" وبهذه الرواية الأخيرة وردت كنيته مرّاتٍ عديدة فى ديوانه ، وهو النسخة الفتوغرافيّة المحفوظة بدار الكتب المصريّة — والتى نقل منها هذا الجزء — تحت رقم ٤٢٣٩ (أدب) فليتنبّه القارئ الى ذلك إذ ليس من حقّنا الفصل أو الترجيح فى هذا الخلاف الخاص باسم ابنه. (٢) هو أبو الحسن علىّ بن الحسن الباخرزىّ الشاعر المشهور، صنّف كتابَ "دمية القصر، وعصرة أهل العصر" وهو ذيل "يتيمة الدهر" للثعالبىّ، وقد قُتل "بباخَرْز" فى ذى القعدة سنة سبع وستين وأربعمائة ؛ و"باخَرْز" هذه ناحيةٌ من نواحى "نيسابور" تشتمل على قُرًى ومزارع .

وذكره "أبو الحسن علىّ بن بَسَّـام" فى كتابه المسمَّى "الذخيره، فى محاسن أهل الجزيره" وبالغ فى الثناء عليه، وذَكَر شيئا من شعره

وتُوُفِّىَ مِهيارُ ليـلة الأحد لخمس خلون من جُمادَى الآخرة سنة ثمـان وعشرين وأربعمائة هجريّة . انتهى

* * *

وجاء فى "المنتظم، فى تواريخ الملوك والأمم"[1] للإمام أبى الفَـرج الجَوْزىّ ما نصّه :

مِهْيار بن مَرْزَوَيْه أبو الحسَن الكاتب الفارسىّ

"كان مجوسيًّا فأسلم سنة أربع وتسعين وثلثمائة وصار رافضيًّا غاليًا، وفى شعره لطفٌ، إلا أنه يذْكُر الصحابةَ بمـا لا يصلح

قال له "أبو القاسم بن برهان" : يا مهيار، انتقلتَ بإسلامك فى النار من زاويةٍ الى زاوية، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنك كنتَ مجوسيًّا فأسلمتَ فصرتَ تسبُّ الصحابة

وكانت آمرأةٌ تخدمُه ، فكنَست الغرفةَ، فوجدتْ خيطا فجَرّتْه فاذا هو خيطُ هِمْيان[2] فيـه مالٌ، وكان قد ترك الدارَ قومٌ من الخراسانيّة الحاجّ، فأخبرتْهُ فلم يتغيّر، وقال لها : قد تعبتُ حتى خبأتُه فلمـاذا نبشتيه ؟ وكان فيـه ألفا دينار، وسُعِىَ به الى "جلال الدولة"[3] فقبض عليه ثم أطلقه، وتوفّى فى جمادى الآخرة من هذه السنة .

انتهى

---

(١) نسخة فتوغرافيّة محفوظة بدار الكتب المصريّة تحت رقم ١٢٩٦ (تاريخ) ومانقلناه منها عن مهيار فى الجزء السابع من هذه النسخة : فيمن توفّوا سـنة ٤٢٨ هجريّة . (٢) الهميان : الكيس .

(٣) جلال الدولة : أحد الملوك من " بنى بُوَيه " الذين آختصّهم ووزراءَهم مهيارُ بطائفـة كبيرة من مدائحه فى هذا الجزء والجزءين التاليين ونخصّ بالذكر من أولئك الوزراء " أبا سعد بن عبد الرحيم " الملقب " بعميد الدولة " ، لكثرة ما آمتدحه به مهيار من القصائد .

كيف صُحِّحَ هذا الجزء

نُقِلَ هذا الجزءُ من النسخة الفتوغرافيّة المحفوظة بدار الكتب المصريّة تحت رقم ٤٢٣٩ (أدب) وخطها من خطوط أوائل القرن السابع .

وقد عانينا كثيرا من المشاقّ فى قراءة هذه النسخة وٱستجلاء غامضها وٱستكناه عويصها ، حتى ٱضطُررنا الى تصحيف كثيرٍ من الألفاظ التى ذهب إعجامها أو وُضعَ خطأً فى غير محلّه . وبعض هــذه الألفاظ قد يحتمل تصحيفا آخر ولكنا راعينا فيما رجّحناه موقع الكلمة من ٱنسجامها مع أخواتها حتى يأخذ بعضها برقاب بعض ، كقوله :

وأنعمٌ " تأتيــه "　　　مع الربيع جُــدُدُ

المقصود فى هذا البيت كلمة "تأتيه" وهى فضلا عن بعدها عما يقتضيه السياق وعن عدم ٱتزان البيت بها فإنها توجب أن تكون القافية منصوبةً ، فصحّفناها الى " نابتة " والى " ثابتة " ورجّحنا الأولى لٱلتئامها مع قوله " الربيع " وقوله "جُدُد" وهى لا تخفى على أهل الذوق ، ومن الواضح أن الشعر ذو وجوه ومناحٍ وكثيرا ما يُختلف على البيت الواحد وكلّ ٱختلاف له وجهٌ من الظن وناحيةٌ من الرأى . والواقع ، أنه لو أُطلق لنا العنان لنجرى وراء الأهواء سامعين لكل مُدْلٍ برأيه فيما صحفناه أو حورناه أو رجحناه لوقفنا فى وسط المضمار ولأعيانا الشوط وضاقت صحف هــذا الجزء عن ٱستيعاب الألفاظ التى توافق كل هوى .

وٱضطُررنا أيضا الى تحوير كثيرٍ من الكلمات التى لا تتفق ومعنى البيت ، والى زيادة طائفةٍ أخرى من الكلمات التى نقصتها الأبياتُ لتحل محــل المفقود وراعينا فى ذلك ما يرمى اليه الشاعر غير جازمين بأنها هى بعينها إذ قد تختلف هذه الكلمات

فيما لو وجدت نسخة أخرى، ولكنا زدناها لتعطى صورة تكميلية فحسب لهذه الابيات فى آتزانها ومعناها . وسنضع أمثلة لكل ما توهنا عنه ناقلين صفحتين كاملتين من النسخة الفتوغرافيّة ليكونا مثالا لباقيها ودليلا على ما عانيناه من التفكير الطويل فى القراءة حتى كادت تزهق النفس مما نكابده من السأم والملل، وبدهىّ أن جهدَ القارئ أقلُّ بكثير من جهد المصحِّح، وما أسهلَ القراءةَ بعد ما يتمّ تصحيحُ الإنشاء، وبخاصّةٍ أنه لم يكن تحت أيدينا نسخةٌ أخرى للمراجعة عليها حتىَ نستأنسَ بها وتخفف عنا مؤونةَ البحث والتفكير، اللهمّ إلا تلك النسخة المطبوعة سنة ١٣٠٦ وهى على آنتهائها بحرف "الدال" مشحونةٌ بالأخطاء حتى صرنا لا نعوّل عليها عند المراجعة .

وقد شرحنا جملةً من الكلمات التى خلناها مغلَقةً فى معناها وآتبعنا فى ذلك وضعَ شرح الكلمة فى أسفل الصحيفة فلا نعود اليهُ إلا عند ضرورةٍ تلجئنا الى إعادة الشرح .

وقد لفت نظرَنا بعضٌ من العلماء والأدباء الى قلّة الشكل ، والى شرح كلماتِ كلِّ صحيفةٍ على حِدَتها حتى لا يتكلَّفَ القارئُ البحثَ عنها فى صحُفٍ سبق فيها شرحُها، وهو رأىٌ وجيهٌ سنأخذ به، متقبّلين مع الشكر كلَّ ما يعنّ لأولى العلم والأدب حتى نقوم باتباعه فى الجزءين التاليين [وهما كالأول تحريفا وطمسا وغموضا]، وندعو الله أن يوفّقنا بهدايته .

ومما هو جديرٌ بالذكر والتنويه تلك العناية السامية والهمّة العالية اللتين بذلهما حضرة العالم القانونىّ عبد الحميد بك أبى هيف مدير دار الكتب المصريّة فى إنجاز طبع هذا الجزء ، فقد كان حفظه الله يتفضّل بالآختلاف الينا من حينٍ الى حين، مطّلعا بنفسه على ما نقوم به من العمل، مسديا الينا أدقَّ الآراء، مفيضا علينا من علمه الجمّ وآطلاعه الواسع ، حاثًّا لنا على المثابرة ، مما كان يبعث فى نفوسنا النشاط

ويبعد عنها الكلل والضجر، فليس ببدع اذا خصصناه بالذكر على هـذا الفضل، مهدين اليه أبلغ آيات الثناء .

وما ننس لا ننس حضرتى صاحب العزة الشاعر الأشهر حافظ بك إبراهيم والأستاذ الأديب النابه الشيخ أحمد زكى العِدْوِى فى مشاركتهما لنا فى ٱستجلاء ما كان يشكل علينا فى كلّ صفحةٍ، سواءٌ أكان من ناحية اللفظ أم من جهة المعنى وٱنسجام الأسلوب، ممـا جعلنا مقرّين لهما بالحمد والشكر، ناسجين لهما بردين من سناءٍ وفخر ما

"أحمد نسيم"
بالقسم الأدبى بدار الكتب المصريّة

أمثلـــــة

من كلماتٍ صُحِّفتْ خطأً أو ذَهبَ إعجامُها

صحيفة	سطر	
		الأصل : علىَّ ضوافٍ من سوالِفِ طَولهِ يجرِّر أذيالَ السحابِ "شَحوبُها"
٤٧	٥	صوابه : علىَّ ضوافٍ من سوالِفِ طَولهِ يجرِّر أذيالَ السحابِ "سَحوبُها"
		الأصل : وفى التُّرب مما آستصحب الطيفُ فعمةٌ يراوح قلبى "بِشـرُها" المتغرِّبُ
٥١	١٦	صوابه : وفى التُّرب مما آستصحب الطيفُ فعمةٌ يراوح قلبى "نَشـرُها" المتغرِّبُ
		الأصل : لئن دَرَست منها "الحظوظُ" فإنّه لَيبقَى طويلا عَرفُها فى المساحبِ
٥٦	٦	صوابه : لئن دَرَست منها "الخطوطُ" فإنّه لَيبقَى طويلا عَرفُها فى المساحبِ
		الأصل : فألسنهم غيظا "بوارد طمه" وأكبادهـم خلف الضلوع حِرارُ
٣٨٦	٤	صوابه : فألسنهم غيظا "بوارد رطبة" وأكبادهـم خلف الضلوع حِرارُ
		الأصل : فى ليـلةٍ ... "بث" غيـرَ حـديثِها سُمّـارُها
٣٩٩	١٣	صوابه : فى ليـلةٍ [لم] "يَنْثُ" غيـرَ حـديثِها سُمّـارُها
		الأصل : ولقـد ظننت بهـا وراء لثـامها خيرا فكشَّفَ "فتحها" "الأشفارُ"
٤٢٤	١٥	صوابه : ولقـد ظننت بهـا وراء لثـامها خيرا فكشَّفَ "قُبحَها" "الإسفارُ"

أمثلـــــة

من كلمـاتٍ محـرَّفة

صحيفة	سطر	
		الأصل : على "شرطِ" عِزٍّ لا تحولُ رسومُهُ وسرحِ نعـيمٍ لا تُـراعُ سُروبُهُ
١٣٦	٩	صوابه : علىِ "صَرحِ" عِزٍّ لا تحولُ رسومُهُ وسرحِ نعـيمٍ لا تُـراعُ سُروبُهُ

سطر

الأصل : ومثلك أسرَى لا يُسامُ فـداؤها   هوانا "وقلبى" لا تُساقُ دياتُها

١٠ صوابه : ومثلك أسرَى لا يُسامُ فـداؤها   هوانا "وقَتلَى" لا تُساقُ دياتُها

الأصل : وفيحاءَ من "دُونِهـم" زرتُها   وأخلقْ بها جنّـةً أن تُزارا

٦ صوابه : وفيحاءَ من "دُورِهم" زرتُها   وأخلقْ بها جنّـةً أن تُزارا

الأصل : ولم أدرِ والشـك "يلق" اليقين   الى أىّ شـقَّىْ طريقٍ أصـيرُ

١٥ صوابه : ولم أدرِ والشـك "ينفى" اليقين   الى أىّ شـقَّىْ طريقٍ أصـيرُ

الأصل : يملأون الحُبَا جلوسا فإن ثا   روا ملأتَ "الفضلَ" بيضًا وسُمْرا

١٢ صوابه : يملأون الحُبَا جلوسا فإن ثا   روا ملأتَ "الفضاءَ" بيضًا وسُمْرا

أمثـلة

من أبياتٍ سقطَ بعضُ ألفاظها

الأصل : حرامٌ وإن أمحضتَ ... ... مطعمٍ   علىّ ، اذْا أدّاه أخبثُ مكسبِ

١١ صوابه : حرامٌ وإن أمحضتَ [أطيبُ] مطعمٍ   علىّ ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ

الأصل : بك انتصر الملوك ... ... فيما   دعَوك لنصـره نِعم النصـيرُ

٥ صوابه : بك انتصر الملوك [وأنت] فيما   دعَوك لنصـره نِعم النصـيرُ

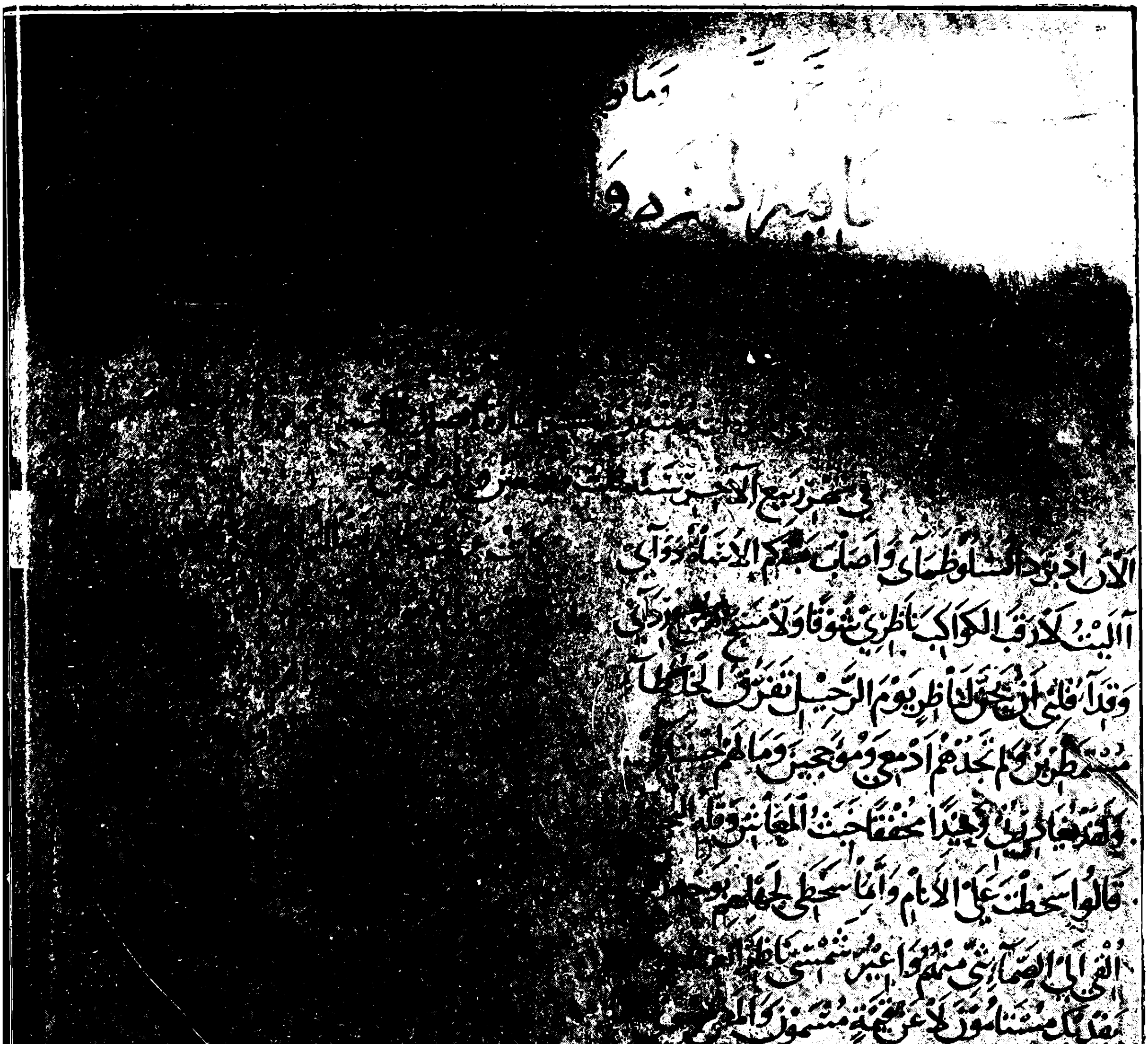
الأصل : وأشارك النُّـوَّاحَ فيـك بأننى   ... ... فالتأبين نوح الشاعرِ

١٢ صوابه : وأشارك النُّـوَّاحَ فيـك بأننى   [أرثيك] فالتأبين نوح الشاعرِ

صحيفة	سطر	
		الأصل : عريت من ظبائها الأنس ... ... وٱعتاضت الظبـاءَ العُفْرا
٤٠٧	٤	صوابه : عريت من ظبائها [الآنساتِ الـ بيضِ] وٱعتاضت الظبـاءَ العُفْرا
		الأصل : طاعنا فى السنين تطوى عليهـ نَّ ... ... السنين عصرا فعصرا
٤١١	١٢	صوابه : طاعنا فى السنين تطوى عليهـ نَّ [طوالَ] السنين عصرا فعصرا

وما الى ذلك كثيرٌ غير الذى تجاوزنا عن ذكره لكثرته بالأصل مما يحتاج الى مجلّدٍ على حدته وسيلمُّ القارئُ ببعض ما نوّهنا عنه فى أماكنه من هذا الجزء .

"أحمد نسيم"



نموذج من صحف الأصل الفتوغرافى [صفحة (١) يقابلها صفحة (١ — ٣) من هذه الطبعة]

... ما حال الحاني انظارها
[illegible] اعيارها
السمر ان في قفل استنعم منارها
[illegible] العيون تضادفت ابصارها
[illegible] من لذة راحت على عشارها
[illegible] اني دون ما تمنى به اخبارها
[illegible] عليه [illegible] بابل اثمارها
[illegible] ان نحن بها قولوها نارها
[illegible] وابت لذة تمنى وسنى عارها
[illegible] سنا الى اي يدنس عوارها
[illegible] ساعي ضيمها قوما دونهم انصارها
[illegible] بفقرها الذي الاوتم كسارها
[illegible] مغامرون اذا الكماة نواكلت اعمارها
[illegible] الاوان المعالي منهم وتجارها
[illegible] عفيفة مجدهم سلس القياد ثمارها
[illegible] العزيمة ان خطي صغر النفوس قرارها
[illegible] نقد تسعى على افواهه افرازها
لا تعجبن فانه امضى النصول طرارها
[illegible] علن الرياسة معصما فيها وانت سوارها
[illegible] كرت كواكبها ولست كبيرة اقمارها
[illegible] ادحيها تحاسن ما اصلت ابصارها
كم من يد لك كالغمام وكالسحاب غزارها
صفوا عن ذيولها وتضمني ازرارها

طابت [illegible] اثنان المها وعذارها
نطق الربيع يجيد بقوله اوتارها
ولو انها بضلوعي العوجا تذكي نارها
ويقوي بيدي يشب مغارزي اعذارها
وقضية في الحب لم تملل على حبارها
بانت وذكرى ظبيا دون الفراش شعارها
غالي بها السانون وانتعل البدو نجارها
ما كنت كمن مديرها على هوى بدارها
ما للرجال تروم اشواط الطوال قصارها
وحمى بني عبد الرحيم حوطها وجوارها
الهضبة الملساء تمنع ان يداس خبارها
لولا تقى سو الهلال لاستهونت اعمارها
غرب الاكف تمنهم من فارس احرارها
طاروا بمجدهم وقصر بالنجوم مطارها
لا تستباح صلاته وابو المعالي جارها
حمال الوية السيادة تبنها صبارها
محبوا وقد لفا الجياد الى المدى مضمارها
لعلا الكواكب في المنازل والعيون صغارها
في خير اهل زمانها بيتا وانت خيارها
بك عمّ ودق سحابها جوداً وتم نجارها
وخلا بقى لك الهوى لك بافيا سمارها
تروى بها حالي وبدرك من زماني ثارها
ولطيفة باتت وقد خفي الذي اتا زها

(حمى) [illegible] لا بصر بمعنى الابية زارها
[illegible] الى البكران ما تخاف ما اخبارها
ان بمض [illegible] الخطوب قوابي واسمارها
فلرب نظرة عبشمي صفوها ونضارها
وصقيلة الايمان تشرب حلو اسارها
وسلافة كرم الغزال تخال مسكا فارها
في بيت نصر ابنه باسم المسيح عبارها
لما حلت [illegible] لم يحل اوزارها
اخفيت [illegible] جيادها ولوى اعمارها
فاذا دراهم [illegible] حولة وجارها
والدوحة العيناء تخلو اللجناة ثمارها
حلما والكلم الفوادح مغضب عوارها
سالت انامله وسالت انفس وعارها
ركب الصعاب من ابهم ركاضها مغوارها
يقظان [illegible] اذا ذكر العيوب حذارها
سبق الكهول وسنه ما استنزعت اشفارها
ان الفوارج اخرت وتقدمت امهارها
هي دوحة المجد التي لا تخلف استثمارها
ان السماء اذا سرت معدودة انوارها
وتسنت عنطا باعناق العداة شفارها
شقت قلوب الحاسدين ومالتن غبارها
وحصينة من حسن رايك لا تقض جدارها
اعيت اصابتها وان لم يعيني اكثارها

نموذج آخر من الأصل الفتوغرافي [صفحة (١٦٢) يقابلها صفحة (٤٠٠ — ٤٠١) من هذه الطبعة]

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقى إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب .

قافية الهمزة والألف (١)

قال الأستاذ أبو الحسن مِهْيار بن مَرْزَوَيْه الكاتب رحمه الله تعالى وكتب بها الى صديقٍ له يشكره على جميلٍ بَلَغه عنه، ورغبةٍ فى المودة أتته منه، ويذكر أمارة اتصال ذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة

الآن إذ بَرَدَ[1] السلوُّ ظَمائى[2] ... وأصاب بَعدكم الأُساةُ[3] دوائى
كانت عزيمةُ حازمٍ أضللتُها ... فى قربكم فأصبتُها فى النائى
آليتُ لا رَقَبَ الكواكبَ ناظرى ... شوقا ولا مَسَحَ الدموعَ ردائى
أمسُ من الأهواء عَفَّى رسمَه ... بيدِ النُّهى يومٌ من الآراءِ
وقَذاءُ قلبى، أن يحنّ لناظرٍ ... —يومَ الرحيل— تفرّقَ الخُلَطاءِ
دعهم ومَنْ حَمَلَتْه حُمْرُ جِمالهم ... للبين مِن حمراءَ فى بيضاءِ
مستمطِرين ولم تَجُدهم أدمعى ... ومؤجِّجين وما لهم أحشائى

---

(١) يقال : بَرَدَه وبرَّده : جعله باردا . (٢) الظَّماء : أشدّالعطش . (٣) الأُساة جمع آسٍ وهو الطبيب .

ملاحظة : الأرقام المكتوبة فى مثل هذه العلبة ( ) على الهوامش الخارجيّة تدلّ على رقم الصفحة فى النسخة الأصليّة المنقولة بالتصوير الشمسىّ .

كانوا النواظـرَ عِزّةً لكنهم — غَـدروا فـلم تُطبِق على الأقذاءِ (١)
ولقـد يغـادرنى وحيـدا مخفقا — خَبَثُ المعـاش وقِـلّةُ النجباءِ
أظمى ورِيِّى فى السؤال فلا يفى — حَرُّ المبــذلّة لى بــبَرْد المـاءِ
قالوا سخِطتَ على الأنام وإنمـا — سخطى لجهلهمُ بوجه رضـائى
صُورٌ تَصَرَّفُ أنفسُ الأمواتِ فى — أجسامها بجـوارح الأحيـاءِ
ألـقِى الى الصَّـمّاء بثّىَ منهُـمُ — وأُعـير شمسىَ ناظـرَ العَشْـواءِ (٢)
بأبى غريبٌ بينهـــم فى داره — متوحِّـــدٌ بتعـــدّد النُّظَـراءِ
يَفـديك مستامون لا عن قيـمةٍ (٣) — مُسمَّوْن والمعنَى سوى الأسمـاءِ
يتطاولون ليبلُغوك ولم يكن — ليضمَّهـم وعلاك خـطٌّ سـواءِ
واذا جريتَ على الرِّهان وبُهْمَهـم — لاقٍ (٤) الخَـلوقُ (٥) بجبهـة الغـرّاءِ
والشامةُ البيضـاءُ تنعَت نفْسَهـا — بوضوحها فى الجِـلدة السـوداءِ
عَجَـزتْ قرائحُهـم، وأغدرُ غادرٍ — يومَ الخصام (٦) — الفاءُ بالفأفـاءِ (٧)
لبِّيـك عِـــدّةَ ما أتانى غافـلا — عنـــك الرواةُ بطيِّب الأنبـاءِ
وغلوتَ فى وصفى، فقلتُ سجيّةٌ — ما زلتُ أعرفها من الكرماءِ
عمِىَ الورى عن وجهها فرأيتُـه — — وهو البعيد — بناظرىْ زرقاءِ (٨)
قد كنتُ أُظهرها وتَخـفَى بينهـم — ما للغِـنى أثرٌ عــلى البخـلاءِ
لا ٱرتعتُ إذ أُعطيتُ منك مودّةً — ماذا أسرّ النـاسُ من بَغضائى

(١) الأقذاء جمع القذى وهو ما يقع فى العين وما ترمى به من غَمَص ورَمَص. (٢) العشواء: الناقة لا تبصر أمامها. (٣) يقال: آستام بالسلعة وعليها: غالى، فقوله: مستامون أى مغالون. (٤) لاق: عَلِق. (٥) الخَلوق: ضرب من الطِّيب. (٦) الخصام: الجَدَل. (٧) الفأفاء: الذى يردد الفاء فى كلامه. (٨) زرقاء: يريد زرقاء اليمامة وهى آمرأة من جديس كانت تبصر مسيرة ثلاثة أيام.

وصـداقتى للفاضلين شهـادةٌ   بالنقص ثابتـةٌ عـلى أعـدائى
نسبٌ، مُزِجنا، لا تمـيّز بيننا   فيـــه، ٱمتزاجَ المـاءِ بالصهباءِ
ومودّة الأبنـاء أحسنُ ما تُرَى   موروثةً عن نِسـبة الآباءِ

***

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبـد الرحيم رحمه الله، يهنئه بعيد النحر من هذه السنة

يا عينِ لو أغضيتِ يومَ النوى   ما كان يوما حَسَنًا أن يُرَى ٢
كلَّفتِ أجفـانَكِ ما لو جرى   برمل يَبْرِينَ[١] شـكا أو جرى
جنـايةً عرَّضتِ قلبى لهـا   فٱحتملى، أَولَى بها مَنْ جنى
سَــلْ ظبياتٍ بالحِمى رُتَّعـا   خُضَرَ مِنهِنّ بياضُ الحمى
نَشَـدتكنّ اللهَ، ما حيـلةٌ   صاد بهـا الأُسْدَ عيونُ المها[٢]؟
إن تك سِحْـرا أو لهـا فعـلُه   فالسحر يشفى منه طِبُّ الرُّقَى[٣]
فيكنّ مَن حشوُ جلابيبـه   أهيفُ راوى الرِّدف ظامى الحشا
قلبى له مَرْعًى وصـدرى كَلًا[٤]   ليت كَلًا ظبيُ الحِمى ما رعى
يا بأبى غضبانَ لو أنه   يرضى بغـير القتل نال الرضـا
أَغَصُّ بالمـاء حِفاظـا لِمـا   فارقتُـه فى فمـه من لَمَى[٥]
ما لدماء الحبِّ مطـلولةً   أهكذا فيهنّ دِين الدُّمى[٦]؟

---

(١) يبرين : بلدة من أصقاع البحرين و بها الرمل الموصوف بالكثرة . (٢) المَها جمع مهاة وهى البقرة الوحشيّة . (٣) الرقى جمع رقية وهى العُوذة يتعوّذ بها الإنسان من السحر . (٤) الكلأ : رطب العشب و يابسه ، وحذفت الهمزة للضرورة . (٥) اللمى مثلثة اللام : سمرة فى الشفة . (٦) الدمى جمع دُمْية وهى الصورة المنقّشة من الرخام .

إن كانت الأعراضُ مَجزيّةً … فعاقبَ اللهُ الهوى بالهوى
لله قلبُ حسنٍ صبرُه … ما سُئل الذِّلّة إلا أَبَى
وصاحب كالسيف ما صادفت … ضَرْبتُه غَرْباهُ (١) إلا مضى
يركب فى الحاجات أخطارَها … إمّا خساً (٢) فيها وإما زَكا (٣)
يَقيل إن هَجَّر فى ظلّه … ويحسب الليلَ البهيمَ الضُّحى
كأنه فى الخطب بالحظّ أو … بدرِ بنى عبد الرحيم اهتدى
فداء من يُحْسِن أن يوسع الـ … إحسانَ قومٌ خُلقوا للفِدى
جاد على الأملاك واستظهروا … بالمنع بُخْلا فى زمان الغنى
تبعث أحشاؤهم غيظَه … الى حلوقٍ حسبْته الشَّجا (٤)
أراهُمُ عجزُهُمُ ناهضٌ … بالثقل ما استَضوِئ إلا وَرَى
من معشرٍ تَضْمَنُ تيجانُهم … صُوعَ (٥) المعالى وعِيابَ (٦) النُّهى
تُرفَع منهم عن جباهٍ بها … أُبّهةُ الملْكِ عفا أو سطا
للعزِّ حَشْدٌ دون أبوابهم … يُشعِرك الخوفَ ولمّا يُرى
اذا أحبّوا غايةً حَرَّموا … دون مداها أن تُحَلَّ الحُبَى (٧)
قل "للحسين بن علىّ" وما … نماك أصل الخير حتى نما
أدّيت عنهم، فاحتبت (٨) روضةٌ … تنبت بالنضرة فضلَ الحيا
مناقبٌ يجمعنا مجدها … جمعَ العُرَى فى عُقَدات الرِّشا (٩)

---

(١) كذا بالأصل ولعلها "حَرْبَاءَ" وهى مسمار الدرع . (٢) الخسا : الفرد . (٣) الزكا : الشفع من العدد . (٤) الشجا : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه . (٥و٦) صوع : جمع صاع وهو مكيال يكال به ، وعياب جمع عيبة وهى زبيل من أدم ، وكلاهما من باب الاستعارة . (٧) الحبى : جمع حبوة وهى أن يضمّ الإنسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره و يشدّه عليه ، وقد تكون باليدين عوض الثوب . (٨) احتبت : اشتملت . (٩) الرشاء بوزن كساء : الحبل وحذفت الهمزة للضرورة .

لذاك ما ظُلِّل لى واسعٌ — أرتعُ منه آمنًا فى حِمَى
كأننى فى دُوركم منكمُ — فى غير ما يُحْظَر أو يُحْتَمى
فى نعمةٍ منكم اذا آستُكْثِرَتْ — منها الفُرادَى، أعقبتها الثِّنَى(١)
يحسدنى الناسُ عليها ولو — قطَّعنى حاسدُها ما آعتدى
نشرتُها شكرا ولو أننى — طويتُها نَمَّتْ نسيمَ الصَّبا
فلتبقَ لى أنت، فحقًّا اذا — وجدت قولى، لا عدمتُ المُنَى
فى نعمةٍ ليست بعاريَّةٍ(٢) — تُضْمَن، أو مقروضةٍ تُقْتَضَى
يَعضُد فيها العامُ ما قبلَهُ — ويفضُل اليومَ أخوه غدا
فى كلّ يومٍ لك عيدٌ، فما — يغرب فى عينيك عيدٌ أتى
وخذ من الأضحى بسهميك من — حظَّين فى آخرة أو دُنًى(٣)
أجرك مذخورٌ لهَاذَاكَ وال — نَّيروزُ موفورٌ على حفظِ ذا
ما طِيفَ بالأستار فى مثلِهِ — ودامتِ المَروةُ أختَ الصَّفا(٤)

* * *

وقال يمدح العمدة ذا النباهتين آبن الصاحب، ذا السياستين أبا محمد بن مكْرَم رحمهم الله، ويذكِّره بقديم ما بينه و بينه من الخلطة، و يهنئه بعيد النحر من هذه السنة

مالكُمُ لا تغضبون للهوى — وتعرفون الغدرَ فيه والوفا؟
إن كنتُمُ من أهله فانتصروا — من ظالمى أو فاخرجوا منه بُرَا(٥)
أما تَرَوْن كيف نام وحَمَى — عينى الكرى، فلم ينم ظبيُ الحِمى؟

(١) الثنى بالكسر والقصر : الأمر يعاد مرتين. (٢) العارية مشـدّدة وقد تخفف : ماتدوول. (٣) دنى جمع دنيا. (٤) المروة والصفا : جبلان بين بطحاء مكة والمسجد. (٥) يريد براء : جمع برىء.

وكيف خلّانى بطيئا قدَمى … عنــه ومرّ سابقا مع الونى؟(١)
غضبانُ يالهفى كم أرضيتُه … لو كان يرضى المتجنّى بالرّضا (٣)
ما لدليلٍ نصلَتْ(٢) ركابُه … من الدجى، حاملةً شمسَ الضحى
ضلَّ؟ ولو كان له قلبى آهتدى … بناره، أو شام(٣) جفنىَّ سقى
قالوا الغضا، ثم تنفّستُ لهم، … فهم يدوسون الحصا جَمْرَ الغضا
بين الحُدوج(٤) مُترَفٌ(٥) يُزعِجُه … لينُ مِهادٍ ورفيقاتُ الخُطا
عارضنى يُذْكِرُنى الغصنَ به … وأين منه ما آستقام وآنثنى؟
حىِّ وقرِّبْ بالكثيب(٦) طارقا … من طيف حسناءَ على الخوف سرى
ءاتَبَ عنها واصفًا مودّةً … ما أسأرتْ(٧) إلا عُلالاتِ(٨) الكرى
أضمُّ جفنىَّ عليه فَرَقًا(٩) … من الصباح، وعلى ذاك آنجلى
كأننى عُجْبًا به وشَعَفًا … محبةُ "العمدةِ" فى حُبِّ العلا
شَمَّرَ للمجدِ، وما تشمَّرتْ … له السنونَ، يافعٌ كهلُ الحجا
وقام بالرأى، فكان أوّلُ … من رأيه وآخرُ الحزمِ سَوَا
سما الى الغاية حتى بلغتْ … همّتُه به السماءَ وسما
فابن الملوك بالملوك يَقتدى … وآبن البحار بالبحار يُبْتَغَى
سكنتموها فاضحين جُودَها … مُبَخِّليها بالسماحِ والنَّدَى
نشأتم المُلكَ وقد تهجَّمتْ … سائلةٌ بلَّغت الماءَ الزُّبى(١٠)

(١) الونى : التعب . (٢) نصلت : خرجت . (٣) شام ، يقال شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر . (٤) الحدوج جمع حدج وهو مركب للنساء . (٥) المترف : المتنعم الذى لا يُمنع من تنعُّمه . (٦) الكثيب : التلّ من الرمل . (٧) أسأرت : أبقت . (٨) علالات جمع علالة وهى البقية من كل شىء . (٩) فرقا : فزعا . (١٠) الزبى جمع زبية وهى الرابية لا يعلوها ماء .

وآعترضت وجهَ الطريق حيّــةٌ صمّاءُ ، لا تُصغي لِخِدْعاتِ الرُّقَى
أنكر فيها المَلْكُ مجرى تاجِهِ وقام عن سريره وقد نبا
لفّتْ على العراق شطرًا وآنثنت لفارسٍ، فدبَّ سمٌّ وسرى
لم تدرِ أنَّ "عُمانَ" حاويًا ما خَرَزاتُ سحرِهِ إلا الظُّبا
يتركها، تَفْحَصُ عن نيوبها، درداءَ (١) تستافُ (٢) الترابَ باللَّها (٣)
سَبْقًا أتتك، وحَمَتْك حُمَّرا عن هذه الدولة هاذاك العَشا
مهلا بنى مُكْرَمٍ، من سماحِكم قد أثمر المصفرُّ وآخضرَّ الثرى
إن كنتم الغيثَ تبارون به فحسبكم ، ما يفعل الغيثُ كذا
يا نجمُ، كانت مقلتى تنظُرُه حتى آستنار بدرَ تمٍّ وآستوى
صحبتُهُ ريحانةً فلم يزل دُعاىَ، حتى طال غصنا ونما
أُذْكُرْ ــ ذَكَرتَ الخيرَ ــ ما لم تنسَهُ من صحبتى، ذِكرَك أيامَ الصِّبا
وحُرمةً شروطُها مكتوبةٌ على جبين المجدِ، راعوا حقَّ ذا
ما نعمةٌ تَقسِمُها إلا أنا بها أحقُّ من جميع مَنْ تَرى
أيُّ جمالٍ زِنتنى اليومَ به زانك بين الناس من مدحى غدا
لا تعدَمِ الأيامُ أو عبيدُكم نعماءَ منكم تُحْتَذَى وتُجْتَدَى
ولا تزل أنتَ مدَى الدهرِ لنا كهفا الى أن لا ترى الدهرَ مَدَى
كلُّ صباحٍ واجهتْك شمسُهُ عيدٌ، وكلُّ ليلةٍ ليلُ مِنًى
إن نحروا فَرْضًا، فقم نافلةً (٤) فآنحر عداك حَسَدًا بلا مُدَى
وآبقَ على ما قد أحلَّ مُحرِمٌ وما دعا عند الطوافِ وسعى

(١) الدرداء : التى ذهبت أسنانها . (٢) تستاف : تشمّ . (٣) اللها جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق أو ما بين منقطع أصل اللسان الى منقطع القلب من أعلى الفم . (٤) النافلة : كل ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه .

* * *

وقال فى اللوح

ما مُكْرَمٌ هيِّنُ الآباء يكرمه … أبناءُ قومٍ ويَرضَى عنــه آباءُ؟
صِينَ لدى الله بٱسمٍ واحدٍ وغَدَا … مُشَهَّرًا فيه بين النـاس أسماءُ
تَلْقَى به شِقَّةً عيناك، وهو غدًا … فيـه شـقاءٌ لأقوامٍ ونَعْـماءُ
اذا وسمت علاماتٍ به فبدت … تلوح، فهى له سِــتْرٌ وإخفاءُ
فإن كسته ثيــابَ العزِّ ناسجةٌ … يدٌ صَناعٌ(١)، نَفَتْهـا عنـه خَرقاءُ

* * *

وقال فى النيلوفر

ساهِرةُ الليلِ نؤومُ الضُّحَى … ريَّانةٌ، والأرضُ تشكو الظَّمَا
رائحةٌ فى السِّربِ لم تُقْتَنَصْ … ظبـاؤه إلا بأمرِ الدُّجَى
مُلتئمٌ فوها، وإن لم يكن … فى شفتيهـا ما لهـا من لَمَى
حَيَّـةُ ماءٍ، ناقـعٌ سُمُّهـا … وناقـعٌ سمُّ أفاعى الصَّــفا
تعطيـك منهـا أَلْسُــنًا عِدَّةً … مجتمعاتٍ كلُّهـا فى لَهَـا

* * *

قافيـــة البـاء

وقال وهى من أول قوله فى غرضٍ له

أيهـا العـاتبُ ما ذا … لك وما أعرِفُ ذنبى؟
أتظُنُّ الدمعَ دَيْنًـا … نتقـاضـاه بعتـبى؟

---

(١) صناع : حاذقة .

إن تكن أنكرتَ حِفظى لك وآرتبتَ بحُبّى
فبعينِ الله، يا ظا لمُ، عيناى وقلبى

٭٭٭

وقال وكتب بها الى أبى الحسين هليل (١) بن المحسِّن بن إبراهيم الصابئ الكاتب، وقد عتب عليه فى مودة بينهما عتاباً فى غير مكانه، ونسبه الى هجرٍ كان أبو الحسين جانيَهُ، وذلك فى ذى القَعدة من هذه السنة

عَذيرِىَ مِن باغٍ علىّ أُحبُّهُ ولم أَرَ بغيًا قبلَه جرّه الحبُّ
يعاتبنى فى الهجرِ، والهجرُ دِينُه وقد كان حُلوًا لو حلا ودُّه العَتْبُ
وأسلك طُرْقَ الوصلِ وهو مجَنَّبٌ فإن ضلّ حقٌّ بيننا فله الذنبُ
بعثتَ نُدوبًا (٢) من تجنّيك يا "أبا الحسين" سهامًا لا يقوم لها قلبُ
أذِكرًا بما سرّ الوشاةَ، وتُهمةً لعهدى، وقولًا فىَّ أسهلُهُ صعبُ
وذَمًّا، ولو ما جاء غيرُك خاطبًا جزاءً به منى، لقد سَهُلَ الخطبُ
وكم جُرِّعتْ منى رجالٌ، بجورها كئوسُ آنتقامٍ، مُرّها فى فمى عَذْبُ
بأىّ وفاءٍ خلتنى حُلتُ عن هوًى ومثلىَ لا يسلو، وفى الأرض مَن يصبو
تصفّحْ صِحابَ الخير والشرّ وآنتقد بقلبك، تحرُزْنى اذا نُبِذَ الصَّحْبُ
ولا تُمكّنْ من يقينك رِيبةً فتنبو، فإنّ الصارمَ العضبَ (٣) لا ينبو
سلمتُ من الحسّادِ فيك فإنهم اذا مُكّنوا من نارِ فتنتهم شَبُّوا
ولا أطفأتْ منك الليالى بجَوْرها على العبد، رأيًا كان يقدحُهُ القلبُ

---

(١) كذا بالأصل وفى آبن خلّكان وشذرات الذهب "هلال".
(٢) ندوب جمع نَدْبة وهي أثر الجرح.
(٣) العضب: القاطع.

* * *

وقال وكتب بها الى أبى القاسم سعد بن أحمد بن الوزير الكافى مع قصيدة أنفذها الى أبيه الوزير الكافى أبى العباس الضبّى وأنفذهما معًا فى هذا التاريخ

حَمــامَ اللّوَى رفقًــا به، فهو لُبُّــهُ   جوادًا رِهانٍ نوحُكنّ ونَحْبُــهُ

قَراكُنّ(١) من لا يَنقَعُ الطــيرَ ماؤه   ولا يُشبِعُ النُّوقَ السواغبَ(٢) عُشْبُهُ

وطِرنَ حيث القانصُ ٱمتدّ حَبلُهُ   وطالت، فلم تعدُ القوادمَ(٣)، قُضْبُهُ(٤)

أعمــدًا تُهيّجن ٱمرأً بانَ(٥) أُنسُــه   وأسلَمــهُ حتى أخــوه وصَحْبُــهُ؟

أمرّ ومُهرى مُغرَمَين على اللّوى   فأسأله أو(٦) كاد ينطــق تُربُهُ

من الحىّ تنتقُّ العِرَضْنَةَ(٧) عِيسُــهُ(٨)   إزاءكَ، حتى ٱمتــدّ كالسطر رَكْبُهُ

وفى الظُّعنِ(٩) محسودُ الحواضر مُترَفٌ   تُلاثُ(١٠) على خــدّ الغــزالة نُقْبُــهُ(١١)

تطولُ على الصَّوّاغِ حين يمدّها   خَلاخيــلُهُ المَلأَى، وتقصرُ حُقْبُهُ(١٢)

جَهِدنا، فلم نُدرِكْ، على أنّ خيلَنــا   سواءٌ عليهــا سهلُ سيرٍ وصَعْبُهُ

وقــد فَطِنتْ للشوق، فهى تسرّعا   تكاد تعــدّ الســيرَ يومَ تغبُّــهُ

أكُلُّ ظَمائى، غائضٌ ما يَبُــلُّه؟   وكلّ سَقامى، مُعوِزٌ مَنْ يُطُبُّــهُ؟

تلاعبتَ بى يادهرُ حتى تركتنى   وسيّانِ عندى جِدّ خطبٍ ولَعْبُــهُ

وأبعدتَ مَنْ أهوَى فإن كنتَ مزمعا   لتسلبنى عنهــم "فســعدٌ" وقربُهُ

---

(١) قراكنّ : ضافكنّ .   (٢) السواغب : الجياع .   (٣) القوادم : ريشات فى مقدّم الجناح، الواحدة قادمة .   (٤) القضب : جمع قضيب وهو الدقيق من السهام .   (٥) بان : غاب .
(٦) أو : بمعنى حتى .   (٧) العرضنة : الأعتراض فى السير من النشاط ، أو العدو فى ٱشتقاق .
(٨) العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة .   (٩) الظعن جمع ظعينــة وهى الهودج .
(١٠) تلاث : تلفّ .   (١١) نقب جمع نِقاب وهو معلوم .   (١٢) حقب جمع حِقاب وهو شىء تعلّق به المرأة الحلىَ وتشدّه فى وسطها .

بودّى، وهل يغنى عن المرء ودُّه … وأشـياعُهُ فيما يحاول حِزبُهُ؟
سلكتُ مجازَ العزّ بينى وبينه … تُحطُّ روابيه وتُهتَكُ حُجْبُهُ
ولو أنّ أرضا مَهلكا، هان قطعُها … ولو أنّ ماءً من دمٍ، ساغ شربُهُ
الى قمرٍ، طرفى تعلّلَ دونه … وكم قمرٍ غطّته دونِى سُحْبُهُ
"أبا القاسم": المَرْعَى مَريٌّ نباتُه … يَبيسٌ، وحلوُ العيش عندك رَطْبُهُ
أقول، وما داجتك زُورًا محبّتى … وقد يُفرط الإنسانُ فيمن يُحبُّهُ:
زكا غُصُنٌ من "آل ضَبّة" أصلُهُ … أبوك له فرعٌ، وإنك عَقْبُهُ
علاءٌ، تملّتْ منه بالودّ عُجْمُهُ … لصحبتها، وآستبقتِ العزَّ عُربُهُ
رأى بك ما أنسى آبنَ غيلٍ شُبولَهُ … نخيرا بخيرٍ أو فشرّا يذبُّهُ
قليلا، على حكم النجابة، شِبهُهُ … كثيرا، على ما توجب السنُّ، تِربُهُ(١)
لئن أخّرتْنى عن فِنائكما التى … عتبتُ لها دهرى، فلم يُجدِ عَتْبُهُ
وسوّفنى رؤياكما فألطَّ بى(٢) … فعادتُهُ فى أخذ حقِّىَ غصبُهُ
فيا ليته أدنَى مَزارِىَ منكما … وأهلِىَ مَرعاه ودارِىَ نَهبُهُ
وما أنا من تُصبيه أوطانُ بيته … لعاجلِ أمرٍ سَرَّ، والعارُ غِبُّهُ
اذا أنا أبغضتُ الهوانَ وداره … فأهوَنُ ما فارقتُهُ مَن أُحبُّهُ
صِلونا، فإنا مُجدِبون بمنزلٍ … يضيْق على الايام بالحُرّ رَحبُهُ
سواءٌ به يا "آل ضبّة" ليثُهُ … اذا سار يبغى الرزق فيه، وضَبُّهُ
وكانوا عِيارًا(٣)، ربما جاد بعضهم … فأعدَى صحاحَ السَّرحِ يا "سعدُ" جُربُهُ

---

(١) التِرب: من ولد معك وأكثر ما يستعمل فى المؤنث، يقال: هذه ترب فلانة. (٢) ألطّ بي أي منعني حقي. (٣) عيار جمع عير وهو الحمار أيا كان أهليا أو وحشيا وغلب على الوحشي.

يعـزّ عليكم، كيف يَرجِعُ مُرمِلا (١) غلامٌ من الآداب والمجـد كسبُهُ؟
تقـدّمنى قـومٌ، وما ذاك ضائرى لديكم، اذا ما أخلص الزُّبدَ وَطْبُهُ (٢)
أبانَهُـمُ تلفيقُ جهـلٍ يَرُبُّهُـم وأخملنى تحقيـقُ فضـلٍ أُرَبُّهُ
تحلَّ بهـا يا "سعدُ" فهى قلادةٌ يُزيِّنُ فيهـا فاخرَ الدرّ ثَقْبُـهُ
هـديّةُ خِلٍّ، إن جعلتَ ودادك الـ ـصَّداقَ لهـا مع فقره، فهو حسبُهُ
يرفِّعـهُ عن بذلة البعـد عتبُـهُ وهمّتـه العليـا الى النـاس ذنبُـهُ
ولى أختُهـا عنـد الوزير تلوح فى دجى الليل، أو تبدو فتخجلُ شُهبُهُ
يلذُّ لهـا مَـدُّ النشـيد ولينُـه ويُزهَى بهـا رفعُ الكلامِ ونصبُهُ
لهـا حُسْـنُها، لكن أريدك شافعًا وخيرُ شـفيعٍ لى الى الجسم قلبُـهُ

* * *

وقال وقد أنعم الله تعالى عليه بالإسلام، ووفّقه لما كان يتردّد فى نفسه من الاستنصار بلطفه وفضله، وذلك فى سنة أربع وتسعين وثلاثمائة، يذكر ذاك ويُهجّن قومَه بسَفَهِ ما هم عليه ومعايبه، وكتب بها الى الكافى الأوحد يبشّره ويمدحه

٦ دواعى الهوى لك أن لا تجيبا هَجَـرْنا تُقًى ما وَصَلْنا ذُنوبا
قَفَوْنا (٣) غرورَك حتى انجلتْ أمـورٌ أَرَيْنَ العيونَ العيوبا
نَصِبْنا لهـا أو بلَغنـا بهـا نُهًى لم تدعْ لك فينا نصيبا
وهبنا الزمانَ لهـا مقبلا وغصنَ الشبيبة غضًّـا قشيبا
فقـل لمخوّفنـا أن يحـول صِبًا هَرَمًا وشـبابٌ مَشيبا:

(١) المرمل : الذى نفد زاده . (٢) الوطب : سقاء اللبن . (٣) قفونا : تبعنا .

وِدِدْنـا لعفّتِنـا أننـا ... وُلِدنا اذا كُرِهَ الشَّيْبُ شِيبا
وبلّغ أخا صحبتى عن أخيـك ... عشـيرته نائيـا أو قريبـا
تبـدّلتُ من ناركم رَبَّهـا ... وخُبثِ مواقـدِها الخُلدَ طِيبا
حَبستُ عنـانِى مستبصرا ... بأيّةِ يسـتبقون الذُّنوبا
نصحتكُمُ لو وجدتُ المُصيخ (١) ... وناديتكم لو دعوتُ المجيبـا
أفيئوا فقـد وعـد الله فى ... ضـلالة مثلكُمُ أن يتـوبا
وإلا هلمّـوا أُباهيـكُمُ ... فمن قامَ والفَخْرَ، قام المصيبا
أمثـل محمـدٍ المصـطفَى ... اذا الحكم وُلِّيتُموه لبيبـا
بعـدلٍ مكانَ يكون القسيمَ ... وفصـلٍ مكانَ يكون الخطيبا
وثَبْتٍ (٢) اذا الأصلُ خان الفروعَ ... وفضلٍ اذا النقصُ عاب الحسيبا
وصـدْقٍ بإقـرار أعـدائه ... اذا نافق الأوليـاءُ الكذوبا
أبان لنـا اللهُ نَهجَ السبيل ... ببعثتـه وأرانا الغيـوبا
لئن كنتُ منكم فإنّ الهجيـ ... ـن يُخرِجُ (٣) فى الفَلَتاتِ النجيبا
أَلِكْنِى (٤) الى مَلِكٍ بالجبـا ... ل يدفعُ دفعَ الجبالِ الخطوبا
فتًى يطرُقُ المدحُ من بابه ... قِرًى كافيـا وجنابًا رحيبـا
قوافىَّ تلك وَرَدْنَ النميـ ... ـرَ من جوده ورَعَيْنَ الخصيبا
عوارىَ تُكسَى ابتساماته ... وفى القول ما يستحقُّ القُطوبا
ومن "آل ضَبَّةَ" غصنٌ يهـزُّ ... جَنِيًّا، ويغمزُ عُودًا صَليبـا (٥)
وكانوا اذا فتنـةٌ أظلمتْ ... وأعوزهم مَنْ يُجلِّى الكروبا

(١) المصيخ : المصغى . (٢) الثبت : الثابت . (٣) الهجين : الذى ولد من أَمَةٍ وأبوه عربىّ أو من أبوه خير من أمه . (٤) ألكني : أرسلنى . (٥) صليبا : شديدا .

تداعوه : يا أوحـدًا كافيـا   لنـا مستخَصًّا الينـا حبيبا
فكان لنـا قمرا ما دجتْ   وماءً اذا هى شُبَّتْ لهيبـا
أرى مُلْكَ "آلِ بُوَيْه" ٱرتدَى   عَواراً بأن راح منـه سليبـا
فإن يُمسِ مَوضـعُه خاليـا   فمـا تُعْرَفُ الشمسُ حتى تغيبا
لك الخير مَوْلًى، رَمَيتُ المنى   رِشاءً اليـه، فروَّى قَليبـا (١)
لحظِّىَ فى حبس سَـيْرِى اليـ   ـك رَأْىٌ سأنظُرُه أن يؤوبا
اذا قلت : ذا العامُ شافٍ بدت   قوارفُ (٢) منعٍ تُجِـدُّ النُّـدوبا
ولى عزمةٌ فى ضمـانِ القبولِ   سَتُدْرِكُ، إن ساعدتنى هُبوبا
وإلا فتحمِلُ شكرا اليــك   يشُوقُ الخلىَّ ويُغرِى الطروبا
وعذراءَ تُذْكِر نُعـماك بى   وإن كنتُ لستُ بها مستريبا
ستُنكـرُ لجـأةَ عُنوانهـا   اذا هو أعطاك وَسْمًـا غريبا
فوفِّ، فقـد جَعَلَ الدِّينُ ما   تنفَّلتَ فى الجودِ فرضا وُجوبا
وقد كنتُ عبدا قصيًّا وجُدتَ   فكيف وقد صرتُ خِلًّا نسيبا !

***

وقال وكتب بهـا الى أبى الحسين علىّ بن محمد البُندارىّ الكاتب خليفة الكافى الأوحد ، يشكره على كثرة وصفه إيّاه وإطرائه له ، وبلغه ذلك عنـه بلاغة يُرغَبُ مع مثلها فى المودّة

أخى فى الودّ فوق أخى النسيبِ   وخِلِّى دون كلِّ هـوًى حبيبى
ومـولاى البعيـدُ يقـول خيرا   قريبٌ قبـل مولاى القـريبِ

(١) القليب : البئر. (٢) قوارف : قواشر، من قولهم : قرف القرحة أى قشرها بعد يبسها .

(٧)

وما دحى المصرح شاهدًا لى … فداءٌ للمعرِّض فى مَغيبى
فلا تتطلَّبى غَلَطاتِ شوقى … فما إن زلتُ ذا شوقٍ مصيبِ
أَرَدْتِيني ليملكنى نفاقا … سليمُ الوجه ذو ظَهرٍ مريبِ
وألسنةٌ تظاهرنى صِحاحًا … وأعلمها بطائنَ للعيوب
قد اعتذر الزمانُ بودّ خِلٍّ … محا ما كان أسلفَ من ذُنوبِ
أتتنى — طاب ما أتتِ ابتداءً … بلا حقٍّ عليه ولا وُجوبِ —
يدٌ منه وَفَتْ بيد الغمام الـ … ـمصيب، همتْ على العام الجديبِ
فمثَّله التصوُّرُ لى بقلبٍ … يَرَى بالظنّ من خَلَلِ الغيوبِ
"أبا حسنٍ" بدأتَ بها فتمّم … وإن لم تعطنى إلا نصيبى
صفاتُك وهى تكشف عن قريضى … يمينُ القَيْن يشحذ عن قضيبِ
بنا ظمأٌ وعندكُمُ قَليبٌ … وأنت رِشاءُ هاذاك القَليبِ
"أبو العباس" موئلنا و"سعدٌ" … فقل فى الطود، أو قل فى الكثيبِ
رضيتك ثمَّ لى ذخرا لنشر الـ … ـسليم الطىّ أو نشر المَعيبِ
وغيرك مَنْ سَكَنتُ اليه كُرهًا … كما سكَن العِذارُ الى المشيبِ
متى سالمتنى سلِمتْ صَفاتى … على ما دسَّ قومٌ من ذنوبى
اذا نَظَر الحبيبُ بعينِ عَطفٍ … فأهونُ ناظرٍ عينُ الرقيب

* * *

وقال بعد عوده من حضرة الكافى الأوحد، وقد تأخّر كتابه ورسومُه له، لغلبة الأشغال عليه، وكتب اليه يعاتبه بهذه القصيدة وأنفذها اليه

شفى الله نفسا لا تَذِلُّ لمَطْلَب … وصبرا متى يسمعْ به الدهرُ يَعجبِ
وصدرًا، اذا ضاقت صدورٌ رحيبةٌ … لخطبٍ، تلقّاه بأهلٍ ومَرحبِ

بعيـدا من الأفكار ماكُنَّ حطَّةً ... فإن تك فى كسب المكارمِ تقـرُبِ
تمرَّنْ بأخلاقى، فتى الحىّ، إن تكن ... رفيقـا، فإمّا عاذرى أو مؤنبى
تبغَّضْ اذا كنتَ الفقيرَ وإن تكن ... غنيًّـا فطامِنْ للغنَى وتحبَّبِ
اذا لم تَجِدْ ما يُعظمونك رغبـةً ... وأردت النَّصْف منهـم فأرهبِ (١)
فإنك ما لم تُرْجَ أو تُخْشَ فيهـمُ ... وتقعدْ مع الوُسطَى تدُسْك فَتعْطَبِ
أفق يا زمانى، ربمـا أنا صـائر ... الى سهلِ ما أرجو بفـرطِ تصعُّبى
أغرَّك فى ثوب العفافِ تزمُّـلى ... وأخـذى مكانَ الآمل المترقّبِ؟
اذا أنا طـالت وقفـتى فتـوقَّنى ... فإنّ لهـا لا بدّ وثبـةَ مُنجِبِ
ويا صاحبى، والذلّ للرزق موردٌ ... أضَنُّ بنفسى عنـه وهى تجودُ بى
خذ النفسَ عنى والمطامعَ إنهـا ... قد ٱستوطأتْ من ظهرها غيرَ مركبى
حرامٌ وإن أمحضتَ مطـعم (٢) ... عـلىّ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ
أأنت على هجـر اللئـام معنِّفى؟ ... نعم أنا ثَمَّ، فارض عنّى أوِ ٱغضبِ
أألقَى البخيـلَ أجتـديه بمدحةٍ ... خصمان فيهـا شاهـدى ومغيَّبى
وأكذِبُ عنـه فى عبـارةِ صادقٍ ... كثيرٌ إذًا، فى حيث أصدقُ، مُكذِبى
تعـودّته خُلْقًـا، ثنـائى لمحسنٍ ... أقول بمـا فيـه، وذمّى لمذنبِ

(١) هكذا بالأصل وهومختل الوزن وقد ورد فى بعض النسخ المطبوعة هكذا :

إذا لم تجد ما يعظمونك رغبة * ورمتُهم أن ينصفوك فرهِّب

وهو مختلف عن الأصل فى لفظه ، ومع المحافظة على ألفاظ الأصل لعله يكون هكذا :

اذا لم تجد ما يُعظمونك رغبـةً * به وأردت النَّصْف منهم فأرهبِ

بزيادة "به" فى أوّل الشطر الثانى .

(٢) كذا بالأصل ولعله * حرامٌ – وإن أمحضتَ – أطيبُ مطعمٍ *

فما سرّنى فى الحقّ أنّى مع العدا ... ولا عابَ أنّى فى المحال على أبى

وحاجةِ نفسٍ دبّر الحزمُ صدرَها ... فأُبتُ بها محمودةً فى المُعَقَّبِ

أريدُ بها "الكافى" بقلبٍ معذَّبٍ ... مُرادَ "ٱبن حُجْرٍ" قبلها "أمَّ جُنْدَبِ" (١)

وليلِ تِمامٍ (٢) قد قليتُ نجومَه ... اليه، يُردنَ الشرقَ، يَذهبن مَذهبى

وما لٱنفرادى مالها من تجمُّعٍ ... ولكن بقلبى ما بها من تلهُّبِ

وطودٍ تخال الراسياتِ وِهادَه ... متى يَبْغِ ظنُّ العينِ أُخراه يُكْذَبِ

تراه — ولم تظفر مُحلِّقةٌ به — الـ ... عُقابُ بعينَىْ عاجزٍ فى تهيُّبِ

سَلكتُ فأدّانى بقلبٍ ملفّحٍ ... عظائمَ ما ألقى، وجسمٍ مجرَّبِ

إرادةُ حظٍّ أَتعبَتْنى، ومن تكن ... له حاجةٌ فى ذمّةِ الشمسِ يَتْعَبِ

فِدَى الأوحد "الكافى" جبانٌ، لسانُهُ ... شجاعٌ، بحيث القولُ غير مصوَّبِ ٨

بخيلٌ، لو ٱنَّ البحرَ بين بنانه ... وفرّقها عن قَطرِهِ لم تَسرَّبِ

يساميه تغريرا برأيٍ مُشعَّثٍ (٣) ... يكدُّ ولا يُجدى، وعِرضٍ مشعَّبِ (٤)

ومنتسبٌ يومَ التفاخر مُسفِرٌ، ... اذا ٱنتسب "الضبّىُّ" قيلَ: تنقّبِ

أيا ساريا، إمّا ركبتَ فلا تُنخْ ... مُريحا، وإمّا ماشيا كنتَ فٱركبِ

لعلك تأتى شِرعةَ الجودِ سابقا ... بهاذاك، مع فرط التزاحم تَشربِ

وقل: يا "أبا العباس" بل يا أبا الورى ... فكلّهُمُ فيما مَلكتَ بنو أبِ

أنا ذاك، لم تكفِ ٱشتياقى زَورةٌ، ... بَلَى، زادنى بالبعدِ شَجْوًا تقرُّبى

اذا كنتَ تهوى الشيءَ إمّا رأيتَه ... وأحببتَ أن تَشقَى، فزرْ ثمَّ جَنِّبِ

---

(١) يشير الشاعر هنا الى قول ٱمرئ القيس بن حجر

خليلَّ مرّا بى على أمّ جُنْـدَبِ ... لنقضىَ لُبانات الفؤادِ المعذَّبِ

(٢) ليل التمام بكسر التاء: أطول ليالى الشتاء. (٣) مشعّث: مفرّق. (٤) مشعّب: مصدّع.

أحنّ اذا الوفدُ آستقلّوا لقصـدكم حنينَ الفتى العُـذرىّ مَرَّ بربربِ
ووالله لم أهجـركم العـامَ عن قِلًى ولا أنّ سـيرًا نحوكم كان مُنْصِبى
وما صـاحبى قلبٌ بظنٍّ مُرَجَّمٍ الى غـيركم فى العالمين مُقلَّبِ
اذا أَطربَ الإبْلَ الحُـداءُ فإننى اليكم متى غنّيتُ فالجـودُ مُطربى
ونفسى لكم، تلك التى لودادها ولو أُغْضِبتْ فى واجبٍ ألفُ مُوجِبِ
أأمدحُ منهـا ما آختبرتم! وإنمـا يُظَنُّ بعتق السيفِ ما لم يُجرَّبِ
هجـرتُ لك الأقـوامَ حبًّا فوفِّنى يَبِنْ بِى الى جدوى يديك تحـزُّبى
وأشمتُّهـم ذا العامَ أنك جُرتَ بى ومَذهَبُك العدلُ الصحيحُ ومَذهَبى
لئن عَتَبوا أنى تفـرّدتُ دونهـم بمدحك، فاشهدْ أننى غـيرُ مُعتِبِ
فإن خَبُثَتْ أيديهُمُ لِى وأَسْهَكَتْ (١) فـرُبَّ نوالٍ طاهـرٍ لك طيّبِ

* * *

وقال وأنشدها الأميرَ سندَ الدولة أبا الحسَن بن مَزْيَد فى داره بالنيل، وقد لقيَهُ بها فى شهر ربيع الأوّل سنة ثمانى وتسعين وثلاثمائة

هَبْ من زمانِكَ بعضَ الجِـدّ للّعبِ وآهجرْ الى راحةٍ شيئاً من التعبِ
ما كلُّ ما فات من حظٍّ بليّتُـهُ عجـزٌ، ولا كلُّ ما يأتى بمُجتلَبِ
لا تحسَبِ الهمّةَ العَلياءَ مُوجِبـةً رزقًا على قِسـمة الأقـدارِ لم يجبِ (٢)
لو كان أفضلُ مَنْ فى الناس أَسْعَدَهم ما آنحطّتِ الشمسُ عن عالٍ من الشُّهُبِ (٣)
أو كان أَسْـيَرُ ما فى الأُفْق أَسْلَمَهم دام الهـلالُ فلم يُمْحَـقْ ولم يَغبِ
يا سـائقَ الرَّكْبِ غَرْبياً وراءك لى قلبٌ الى غـير نجـدٍ غيرُ مُنقلِبِ

---

(١) أسهكت: أتت فى عَرَقِها بريح خبيثة. (٢) فى الأصل: لم تجب. (٣) فى الأصل: مِنْ.

تلفُّتًا، فخِلال الضَّيقِ مُتَّسَعٌ — ورُبَّ منجذبٍ فى زىِّ مجتنبِ
قِفْ نادِ يا "آل بكر" فى بيوتكُمُ — بيضاءُ يُطرِبها فى حُسنها حَرَبى
لما رأت أُدْمَةً[(1)] نُكْرًا وغائرةً — شهباءَ[(2)] راكضةً فى الدُّهم[(3)] من قُضُبِ[(4)]
لوتْ ـ وقد أضحكتْ رأسى الخطوبُ لها ـ — وجهًا الى الصدّ يُبكينى ويَضحَك بى
لا تعجبى اليومَ من بيضائها نظرًا — الى سِنيّ، فمن سودائها عجبى
ما زلتُ ـ علمًا بأنَّ الهمّ مخترِمٌ — عُمرَ الشبيبةِ ـ أبكيها ولم أَشِبِ
وسُومُ شَيْبٍ، فإن حقَّقتِ ناظرةً — فإنهنّ وسُومٌ فىَّ للنُّوَبِ
تُرَى نداماىَ ما بين الرُّصافةِ فال — بَيْضاءِ[(5)] راوين من خمرٍ ومن طربِ؟
أو عالمين ـ وقد بُدِّلتُ بَعدَهُمُ ـ — ما دارُ أنسى وما كأسى وما نشبى؟
فارقتهم، فكأنى ـ ذاكرًا لهمُ ـ — نضوٌ تلاقت عليه عضّتا قتبِ
سقَى رضاىَ عن الأيام بينهمُ — غيثٌ، وبان عليها بَعدَهم غضبى
إذ نَسكُب الماءَ بُغضًا للمزاج به — ونطعمُ الشُّهدَ إبقاءً على العنبِ
يمشى السّقاة علينا بين منتظِرٍ — بلوغَ كأسٍ ووثّابٍ فمستلِبِ
كأنما قولنا للبابلىّ : أدر — حلاوةٌ، قولنا للمَزْيَدِىّ : هَبِ
فِدًى علىٍّ جبانُ الكفِّ مقتصرٌ — من الفخار على الموروث بالنسبِ
يُرَى أبوه ولا تُرْضَى مكارمُه — الأرضُ صحّت وأودى الداءُ بالعُشُبِ
ومُشْبَعون من الدنيا وجارُهمُ — بادى الطَّوَى ضامرُ الجنبين بالسَّغَبِ

(١) الأدمة : السمرة فى الإنسان، ولون مشرَبٌ سوادا فى الإبل . (٢) الشهباء : البيضاء يصدعها سواد . (٣) الدهم جمع أدهم وهو الأسود . (٤) القضبُ جمع قضيب وهى الناقة التى لم تُرَض، وكلّ ألفاظ البيت من باب الاستعارة يصف بها ما أصاب وجهه من التلويح وما أصاب رأسه من الشيب كما يتضح من الأبيات التالية . (٥) الرصافة والبيضاء : اسما بلدتين .

قـــل للأمير، ولو قلت : السماءُ به مفضوحةُ الجَـودِ(١)، لم تَظْلِمْ ولم تَحُبِ(٢):
أعطيتَ مالَك، حـتى رُبَّ حادثةٍ أردتَ فيهـا الذى تُعطِى فلم تُصِبِ
لو سُمتَ نفسَـك أن ترتاضَ تجرِبةً بحفـظ ذاتِ يدٍ يومين لم تَطِبِ
كأنّ مالَكَ داءٌ أنت ضامنُـه فمـا يُصِحُّك إلا عـلّةُ النشبِ
لو كان يُنصفك العـافون لاَحتشموا بعضَ السؤالِ ، فكفُّوا أيسرَ الطلبِ
يا بدرَ عَوْفٍ، وعوفُ الشمسُ فى أَسَدٍ وأَسَـدٌ(٣) شامةٌ بيضاءُ فى العـربِ
أنـتُمْ أولو البأسِ والنعماءِ، طارفـةٌ(٤) أخبارُكُم، وعُلًى تِـلْدٌ(٥) من الحِقَبِ
أحـلَى القـديم حديثًا جاهليَّتُكُمْ وقُصُّ أسلافِكم من رتبـة الكتُبِ
ما كنتمُ مذ جلا الإسـلامُ صفحتَهُ إلا سـيوفَ نبىٍّ أو وصىِّ نبى
بكم "بِصِـفِّينَ" سـدَّ الدِّينُ مَسكنَهُ و "آلُ حَرْبٍ" له تحتال فى الحُرَبِ
وقام "بالبَصْرة" الإيمـانُ منتصِـبًا والكفرُ فى "ضَبَّةٍ" جاثٍ على الرُّكَبِ
حـتى تقيَّلتَهـا إرثًا، وأفضـلُ ما نقلتَ دينَك شَرْعًا عن أبٍ فأبِ
اذا رأيتَ نجيبًا صحّ مـذهبُـهُ فاقطع بخـيرٍ على أبنـائه النُّجُبِ
لا ضاع، بل لم يضعْ يومَ آنتصرتَ به وأنت كالوِرْدِ، والأعداءُ كالقَـرَبِ(٦)
وقـد أتوكَ براياتٍ مكـرَّرةٍ لم تدر قبلك ما آسمُ الفرّ والهـربِ
تمشِى بهـم ضُمَّـرٌ، أَدْمَى روادفَها غرورُ فـرسانهـا بالفـارسِ الذَّرِبِ
لمـا دعوتَ "عليًّا" بينهـم، ضَمِنتْ لك الولايةَ فيهـم سـاعدُ العطبِ
حكت رءوسُ القنا فيـه رءوسَهمُ حـتى تموّهتِ الأعناقُ بالعَـذَبِ(٧)

(١) الجود: المطر. (٢) لم تحب: لم تأثم، وفى الأصل "لم تخب" وهو تحريف. (٣) كلمة "وأسد" فى هذا الشطر يدخلها "الخَبْلُ" وهو ما حُذِفَ ثانيه ورابعه الساكنان. (٤) الطارفة: الحديثة. (٥) التلد جمع تليد وهو القديم. (٦) القَرَبُ: سير الليل لورد الغد. (٧) العَذَبُ جمع عَذَبة وهى خرقة تشدّ على رأس الرمح ، وهى أيضا ما سدل بين الكتفين من العمامة .

وطامعٌ فى معاليـــك ٱرتقَى فهوى — وهل يَصِحُّ مكانُ الرأسِ للذنَبِ؟
ما كان أحوجَ فضــلا تمّ فيك الى — عيبٍ يعــوِّذُه من أعينِ النُّوَبِ
أحببتكم ، وبعيــدٌ بين دَوْحتنا(١) — فكنتُ بالحبِّ منكــم أىَّ مقترَبِ!
وودُّ "سَلْمانَ" أعطاه قرابتَــهُ — يوما ، ولم تُغنِ قُربَى عن أبى لَهَبِ
ورفَّــعَ الصونُ إلا عن مناقبكم — أسبابَ مدحِىَ فى شِعرى وفى خُطَبِي
فمــا ترانِىَ أبوابُ الملوك مــع الـ — ـزِّحام فيهــا على الأمــوال والرُّتبِ
قَناعــةٌ رَغِبتْ بى عن زيارة مسـ — ـدولِ الســتورِ وعن تأميلِ محتجبِ
ولى عوائدُ جُودٍ منــك لو طَرَقت — تَســتامُ مُلكَكَ لم تُحــرَمْ ولم تخِبِ
ملأتْ بالشكر قلبَ الحافظ الغزِلِ الـ — ـفؤادِ منهــا وأُذنَ السامعِ الطَّــرِبِ
فـــرأىُ جُودِك فى أمثالهــا لفــتًى — أتاك بالحرمتين الدِّينِ والأدبِ
ومَنْ توسَّلَ فى أمرٍ فمــا سـببٌ — اليــك أوكدُ فى الأمرين من سببى

⁂

وقال وكَتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم ، وقد ورد من فارس يهنّئه بخِلَعٍ أُفيضت عليه بها ، وتَكرِمةٍ لحقتْه فيها ، وبسلامته وبالمِهْرَجان(٢) ، ويقتضيه حاجةً كانت له

رعَى اللهُ فى الحاجاتِ كلَّ نجيبِ — سميعٍ عــلى بُعــدِ الدعاءِ مُجيبِ
وطهَّــرَ فِتْيانا من الذمِّ طهَّــروا — غيوبهــمُ(٣) أن تُنْتَحَى بعيــوبِ
ســواءٌ على عُسرِى ويُسرِى وفاؤهم — وألســنُهم فى مَشــهَدِى ومَغيبِى
أحبُّوا المعــالى وهى مُنصِبةٌ لهــم — فمــا قَنعوا من وصــلها بنصيبِ

(١) الدوحة : الشجرة العظيمة الباســقة .

(٢) المِهْرَجانُ : عيــد الفرس ، وهى كلمة مركّبة من "مِهْر" و "جان" ومعناها : محبّةُ الروح .

(٣) فى الأصل : عيوبهم .

لجارِهِمُ من دارهم مثــلُ ما لَهم … على راحـةٍ من عيشهم ولُغـوبِ (١)
اذا جئتَهــم مستصرِخا ثارَ مجدُهم … بكلِّ مُجيبٍ فى الخطــوب مَهيبِ
وكـرّم عيشى عنــدهم وأعاده … بما فاض من حُسْنٍ عليــه وطِيبِ
تعــيّرنى "لَيْـلَى" الوفاءَ بعهـدِهم … عـلى بُعــدِهم، أنّبتِ غـيرَ مُنيبِ!
خُلِقْتُ رقيق القلب، صـعبًا تقلُّبى … أَرَى لبعيــدٍ ما أَرَى لقــريبِ
وما زلتُ أهـوَى كلَّ شيء ألفتُــه … وصاحبْتُهُ حــتى ألفتُ مَشــيبى
وتُنْكِر أضــفارى (٢)، كأنْ لم تَر الصِّبا … ســقَى وَرَقى يومًا وهزَّ قضـيبى
ولم ألقَ أشراكـا فأَثنِى حبالَهـا … على ما آشـتهتْ من أعينٍ وقلوبِ
فمـا زال مُمسِىَّ الزمانُ ومُصْبِحى … بأسمـاله (٣) حتى آســتردَّ قشــيبى
فداءُ بنى "عبــد الرحيم" ودِّهم … هوى كـلِّ ممذوق الوداد مُريبِ
ولا بَرِحتْ، تسقِى "الحسينَ" وعَرْضَهُ … بملآنَ من فَيض الثناء سَكوبِ
مجلجِــلةُ الأرجاءِ، صادقُ برقِهـا … حَلوبٌ لمـاء الشِّــعرِ غـيرُ خَلوبِ
مَرَتْها (٤) رياحُ الشــكر حتى تلاحمتْ … بمـا نســجَتْها من صَبًا وجَنوبِ (٥)
فصابت، فعمَّت ماسقته، فأخصبتْ، … عــلى أنها لم تُسْــقِ غَيرَ خَصيبِ
وجازاه ملكا فى الجــزاء فضــيلةً … وأدّى ثوابَ الشـكر حـقَّ مُثيبِ
أخى، وأخى الموروثُ غــيرُ موافِقٍ … ومولاى (٦)، وآبنُ العمّ غـيرُ نسيبِ
ضميرٌ على حكم اللسانِ، وبعضُهم … أخـــو مَلَقٍ يُبــلَى أخــوه بذيبِ
وعن حفظ غَيبِ المُلكِ نُصحا اذا طغى … به غَلّ (٧) أسرارٍ وعينُ غيــوبِ

(١) اللغوب: التعب. (٢) أضفار: جمع ضَفْرٍ وهى كلّ خصــلة على حدتها كالضفيرة. (٣) الأسمال جمع سَمَلٍ وهو الثوب الخَلَق. (٤) مرتها: آستخرجتها. (٥) الصَّبا: الريح الشرقية، والجنوب: ريح تقابل الشَّمال. (٦) المولى: ابن العم. (٧) الغَلّ: الماء جرى بين الأشجار.

فكم غمّــة عَمياء أعضـــلَ داؤها رماها برأيٍ من نُهـاهُ طبيبِ
وشاهـدةٍ (١) بالفخر أوفتْ صـفاتُهـا على كلّ معـــنًى فى الجمـال عجيبِ
أتت شَرَفًا من سيّدٍ، وكأنهـا أتت من محبٍّ تُحفــةً لحبيبِ
صَفَتْ وَضَفَت حتى آستطالت جُنوبها بوافٍ، ومــدَّتْ باعَهـا برحيبِ
ونيطتْ بأخرَى مثلِهـا فتظاهـــرا على ظهــر طَودٍ فى قميص قضيبِ
ومنحولةٍ (٢) جسمَ الهـــواءِ نحيـــلةٍ كأنّــ الهوى فيهـا رَمَى بمصيب
من الريح، لولا أن ""يَذْبُلَ"" تحتهـا وقارُك، مرّتْ عنـك مرَّ هُبوبِ
اذا دقَّ مسًّـا وقْعُـها جلَّ رفعُــها الى منصِبٍ فى القَـــريتين (٣) حسيبِ
وذى شيبتين (٤) آستوْقف الصبحَ والدجى على ناصـلٍ من لونه وخضيبِ
كأنّــ السحابَ جَوْنَها وبياضَها تفــرّعَ من صـافٍ به ومَشوبِ (٥)
تشبَّثَتِ الأبصـارُ حــتى تمكّــنتْ وقــد كرَّ من هادٍ (٦) له وسَبِيبِ (٧)
توقّى الأذى من عُرْفه بخميـــلةٍ وحَكَّ الحصى من ذيله بعَسيبِ (٨)
وأعجبَـــه فى رِدفـه ووشـاحـه ملابسُ تكسو منـــه كلَّ سليبِ
نصيبٌ من الدنيا أتاك ففُـزْ به ولا تنسَ من فضـــلِ العطاء نصيبى
كفى المِهرَجان مُـذْكِرا وذريعـــةً الى مُحسِـنٍ فى المكـرُماتِ مُطيبِ
بقـاؤك أَلْفًـا مثــلَه فى كفالتى دعوتُ، ومَنَّـ اللهُ فيـــك مُجيبى
فما زال فيـكم كلُّ خيرٍ طلبتُــه قُضى لِىَ فى إدراكـه وعُـنِى بى

---

(١) يقصد بقوله ""وشاهدة"" خلعة ضافية . (٢) منحولة : معطاة . (٣) القريتين : اسم بلد . (٤) يصف جوادا . (٥) فى الأصل ""شُبوب"" وهو خطأ . (٦) الهادى : العنق . (٧) السبيب : شعر الذنب والعرف والناصية من الفرس . (٨) العسيب : عظم الذنب أو منبت الشعر منه .

*
* *

وقال وكتب بها الى الرئيس أبى الحسَن الهُمَانىّ فى عيد النحر، وقد حصل ببغداد يهنّئه ويُعرِّضُ بذكر عدوّ له توثّب على ولايته بالعناية دون الكفاية

أَستنجِدُ الصبرَ فيكم وهو مغلوبُ   وأسألُ النومَ عنكم وهو مسلوبُ
وأبتغى عندكم قلبًا سمحتُ به،   وكيف يرجِعُ شيءٌ وهو موهوبُ؟
ما كنتُ أعرِفُ مامقدارُ وصلِكُمُ   حتى هجرتم، وبعضُ الهجرِ تأديبُ
أستودع اللهَ فى أبياتكم قمرًا   تراه بالشوق عينى وهو محجوبُ
أَرضَى وأسخطُ أو أرضَى تلوُّنَه   وكلُّ ما يفعلُ المحبوبُ محبوبُ
أمّا وواشيه مردودٌ بلا ظَفَرٍ   وهل يُجابُ وبذلُ النفسِ مطلوبُ؟
لو كان يُنصِفُ ماقال: ٱنتظرْ صِلَةً   تأتى غدًا، وٱنتظارُ الشيء تعذيبُ
وكان فى الحبِّ إسعادٌ ومُنعطَفٌ   منه، كما فيه تعنيفٌ وتأنيبُ
يا لَلَّواتى بَغضنَ الشَّيْبَ وهو الى   خدودهنَّ من الألوانِ منسوبُ
تأبَى البياضَ وتأبَى أن أسوِّده   بصبغةٍ وكلَا اللونَيْنِ غِربيبُ (١)
ما أنكرتْ أمسِ منه ناصلًا يقَقًا (٢)   ما تُنكر اليومَ منه وهو مخضوبُ (١١)
ليتَ الهوى صان قلبى عن مَطامعه   فلم يكن قطّ يستدنيه مرغوبُ
إنى لأسغَبُ (٣) زهدًا والثرى عَمَمٌ (٤)   نبتًا، وأظما وغَرْبُ (٥) الغيثِ مسكوبُ
ولا أَرِقُّ لِحِرصٍ خابَ صاحبُه   سعيًا، ويعلم أنّ الرزقَ مكسوبُ

(١) الغربيب: الشديد السواد، يريد أن كلا اللونين فى الشعر وهما الأبيض الناصل والمخضوب، أسود فى لونه لأن كليهما لا ترضاه العين، وقد قال المتنبى

ابعدْ بعدت بياضًا لا بياضَ له   لأنتَ أسودُ فى عينى من الظُّلَمِ

(٢) اليقق: الأبيض. (٣) أسغب: أجوع. (٤) العمم: اسم لكل ما ٱجتمع وكثر.
(٥) الغرب: الدلو العظيمة.

عُقبَى الطاعــة فى مالٍ يمنّ به ... عِصارةٌ لا يُغطّى خُبثَها الطِّيبُ
طَهِّـر خلالَك من خِلٍ تعابُ به ... وآسلم وحيدًا فما فى الناس مصحوبُ
إنى بُليت بمضطرٍّ رفيقُهُـمُ، ... والماءُ يملُحُ وقتًا وهـو مشروبُ
كم يوعد(١) الدهرُ آمالى، ويُخلفُهـا ... أخًا أُسَرُّ به، والدهرُ عُرقوبُ(٢)
أسعَى لمثل سَجايَا فى "أبى حَسَنٍ" ... وهـل يبلِّغنى الجوزاءَ تقريبُ(٣)!
فـدَى محمـدٍ المنسىّ نائـلُهُ ... مُراجِعٌ، نيلُه المنزورُ محسوبُ
حالٌ تحـدّثه الأحلامَ جاهـلةً ... لحاقَهُ، وأخو الأحلامِ مكذوبُ
إن قدّم الحـظُّ قومًا غالطًا بِهِـمُ ... أو بَيَّنَتهـمْ عناياتٌ وتقـريبُ
فالسـيفُ يُخْـبَرُ قَطْعًا وهو مدّخرٌ ... والطِّرْفُ يكرُمُ طبعًا وهو مجنـوبُ(٤)
حذارِ من حَدَثِ النَّعماء مؤتنِفٍ(٥)، ... علاؤه بشَـفيعِ الوجـه مجلوبُ
تسوءه سائلا : مِن أين سؤددُه؟ ... إنّ اللئـيم بمـا قد ساد مسبوبُ
أأنت أنت وفى الدنيا "أبو حَسَنٍ"؟ ... صدقتَ إن لفى الدنيا أعاجيبُ
اذا رأيتَ ذيولَ السَّرح آمنـةً ... لم يَحْمِها، فلأمرٍ يحـلمُ الذيبُ
يا مُلبسى الشيمةَ الغـرّاءَ ضافيةً ... علىَّ، إن قَلَصتْ عنّى الجلابيبُ
عَلِقْتُ منـك بعهدٍ لا مَواثِقُـهُ ... تُنسَى، ولا حبلُه بالغدر مقضوبُ
وأحمدَتْك آختباراتى وقد سَبَرتْ ... غَوْرَ الرجال وكدَّتهـا التجاريبُ
فلتجزِينَّـك عنّى كـلُّ غاديةٍ ... لهـا من الكَلِمِ الفيَّاضِ شُؤبوبُ(٦)
اذا وَسَمتُ حَيَاها باسمك آنحدرتْ ... له الرُّبَى وأطاعتـه المصاعيبُ

(١) فى الأصل "يعد" (٢) عرقوب : اسم رجل كان أكذب أهل زمانه ويضرب به المثل فى الخلف . (٣) التقريب : ضربٌ من العدو . (٤) فى الأصل "محبوب" وهو خطأ والمجنوب من الخيل الذى تقوده الى جنبك . (٥) حدث النعماء مؤتنف : حديث النعمة جديد العهد بها . (٦) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

فاسلم لهنّ ولى ، ما طاف مستلمٌ سَبْعا ، وعَلَّق بالأسـتارِ مكروبُ
تُرجَى وتُخشَى فَسيحَ الباب ممتنِعًا إنـ الكريمَ لمرجُوٌّ ومرهوبُ

***

وقال وقد أُنفِذَ الصاحبُ أبو القاسم بن عبد الرحيم الى حضرته بفارس فى رسالة ، عقيب موت الملك بهاء الدولة رحمه الله ، فأحسن البلاغَ وأحسن السّفارةَ وٱستقلَّ بقضاء الحاجة ، فأفيض عليه خِلَعٌ جميلةٌ وكرمٌ ، فكتب اليه وقد عاد الى العراق يهنّئه ويستوحشُ لسابق بُعدِه ويذكُرُ المسرَّة بقُربِهِ

أَفلحَ قومٌ اذا دُعوا وَثَبُــوا لا يرهبون الأخطارَ إن ركبوا
تَسبِقُ نهْضاتُهُــم عزائِمَهُــمْ أن تُستشارَ(١) العاداتُ والعُقُبُ(٢)
سارُون لا يسألون : ما حَبَسَ الـ ـفجرَ ولا كيف مالت الشُّهُبُ
عوّدهم هجرُهــم مُطالَبَــةَ الـ ـراحةِ أن يظفَروا بمـا طلبوا
وخاب راضٍ بالعجز يَصبِر للـ ـأوزار مستسلمـا ويَحتسِبُ
إنـ فاته حظُّ غــيرِهِ فله منه ٱغتيابٌ يشفيه أو عجبُ
لا تستريح العلى الى سكنٍ إلا غـلامًا يريحــه التعبُ
تَضمَّنَ السيرُ صدرَ حاجتِـه والثِّقتان التقــريبُ والخَبَبُ(٣)
من مبلغُ البينِ يومَ دلَّهنى : آبَ ، بمـا سرَّ بَعدَك ، الغيَبُ(٤)
رُدَّ شبابِى من "الحسينِ" كما كان ، وعادت أيامِىَ القُشُبُ(٥)
يا قادما أُتهِــمُ البشِــيرَ به من فرحٍ ، أنَّ صِــدْقَه كَذِبُ
سِرتَ ، ونفسى تودُّ فى وطنى بَعْــدَك أنّ المقــيمَ مغترِبُ

(١) يريد : مخافة أن تستشار . (٢) العقب جمع العاقبة وهى آخر كلّ شىء . (٣) الخبب : ضربٌ من العدو . (٤) الغَيَبُ : جمع غائب . (٥) القشب جمع قشيب وهو الجديد .

(١٢)

أحتشم البدرَ أن أراه فأل ـحاظِيَ عنه بالدمع تحتجبُ
وكم تصدَّى عمــدًا ليخدَعَني يَســفِر عن غيهبٍ وينتقبُ
فــلم أزده على مسارقة الـ ـجفن ولحظٍ بالكره يُستلبُ
وعَــبْرةٍ رِيُّه (١) وَحِليتُــه، يُشرَبُ من مائها ويُختضَبُ
ويومِ بينٍ صَبَرْتُ قبلَك، أن يفوتَني الحزمُ فيــه والأربُ
حَمَلتُــهُ ثابتَ الحشا ذكَرَ الـ ـقلبِ، وموجُ الحُمولِ مضطرِبُ
سلوانَ أَجزِى بالصدّ جانيَــه بملْك رأسى إن أظلم الغضبُ
ونظــرةٍ حُلوةٍ رَدَدْتُ عن الـ ـبيتِ وفيه الجمــالُ والحسبُ
بسُــنَّة غير ما ٱقتضَى أدبُ الـ ـحبِّ حِفاظًا، وللهوى أدبُ
وٱنقدتُ طوعا فى حبل (٢) ظالعة (٣) تَجْنُبُــنى أو يقــالَ : مُجتنَبُ
بيضاءَ تُقلَى بُغضًا وأعهــدُها ســوداءَ تُرضَى حبًّا وتُنتخبُ
صاحتْ وراءَ المزاحِ واعظةً: لا يَلتــقِ الأربعونَ واللعبُ
أَعدَى بها الشَّيبُ وهى واحدةٌ ألفًا، ويُعدِى الصحائحَ الجُرُبُ (٤)
يا ساكنًا ثائر العــزيمة مـ ـسَّ الصِّلِّ من تحت لينه يثبُ
قد عَلِمَ الملكُ اذ دعاك وحبـ ـلُ الرأيِ واهٍ والشملُ منشعبُ
أنّ قلوبا غِشــا، تميل مع الـ ـدولة أهــواؤُها وتنقلبُ
وأنّ سِرًّا متى ٱصــطفاك له أخلصَ ما فى إنائِه الذهَبُ
لمــا تجلّى وجهُ الحــذارِ وليـ ـمَ ٱبنٌ على غدره وخِيفَ أبُ

---

(١) فى الأصل : زيّه . (٢) الحبل : الرسن . (٣) يريد بقوله "ظالعة" : شعرة فى رأسه شائبة تجنبه مجالس أنسه ولهوه وقد شبهها بالناقة الظالعة وهي التى تغمز فى مشيها . (٤) الجــرب جمع أجرب وهو غير الصحيح .

رَمَى بك القصدُ سهمَ مُنجِحةٍ   يسبِقُ حِرصا حديدَه العَقِبُ
لم يَثنِ فألَ الشهورِ عزمتَـــه   لا صَفَرٌ عائقٌ ولا رجبُ
جَرَتْ عليه أو مرّت الريح تلقـ   ـاها بوجه أديمُــه كَرِبُ(١)
فَلَيْــلَةُ الجَرْيِ وهي جامدةٌ   له كيوم الجوزاءِ يلتهِبُ
سفرتَ فيها سَفارةَ الليثِ لا   يرجعُ إلا في كفِّه الطلبُ
لسـعيه ما أهمَّه الدمُ والـ   ـلحم ولكن لغيرِه السَّلَبُ
حتى آستقامت على تأوّدها(٢)   وآنتظمتْ في رءوسها العَذَبُ
جزاك حسنَى ما آسطاع إن وَزَنَتْ   فعــلَك تلك الأقدامُ والرتبُ
أعطاك ما لم تنل يدانِ ولا آمـ   ـتدّ الى مَطرَحِ المُنَى سببُ
وضافياتٍ تطول في مذهب الـ   ـملك اذا شُمِّرتْ وتَنسَحبُ
أُهدِيَ، من مُزنة السماء لهـا   ماءٌ، ومن نور شمسها لهبُ
اذا علتْ مَنكِباً علاَ، فعيو   نُ الدهرِ زُورٌ(٣) عن أفقه نُكُبُ(٤)
أوكيتَ(٥) رأسًا منهـا مُوافِيَهُ(٦)   فكلُّ رأسٍ لمجدِه ذَنَبُ
وصافناتٍ(٧) بين المواكب كُثـ   ـبانٌ(٨) وفي الروع ضُمَّرٌ قُضُبُ
ضاقت مكانَ الحصور وآتسعتْ   أضالعًا لا تُقِلُّها الأُهُبُ(٩)

---

(١) قد ورد هذا البيت في نسخة مطبوعة هكذا :

عليه إن مرّت الرياح تلقـ   ـاها بوجه أديمــه كربُ

والكَرَبُ أصول السعف الغلاظ .

(٢) التأوّد : الأعوجاج . (٣) زور: جمع أزور وهو المائل . (٤) نكب جمع أنكب وهو المائل أيضا. (٥) أوكى : يقال أوكى القربة أى شدّ رأسها بالوكاء وهو الرباط. (٦) فى الأصل : يوافيه . (٧) الصافنات : الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . (٨) الكثبان جمع كثيب وهو التلّ من الرمل . (٩) الاهب جمع أُهْبة وهي العدّة .

تَغيبُ فى جريها قوائمُها فما تُرَى أذرعٌ ولا رُكَبُ
من كلِّ دهماءَ أُنسُها الليلُ تعـ ـزوه الى لونها وتَنتسِبُ
ثارت فطارت فخاضت الأُفُقَ الـ ـعُلوِىَّ تجتاحه وتَنتقبُ
فَمِنْ ثُريّاه أو مَجرّته لجامُها العسجدىُّ واللَّببُ(١)
مواهبٌ لا يُرِبهُنَّ أبٌ إلا شفيقٌ على العلا حَدِبُ(٢)
من معشرٍ لا يُجارُ مَنْ طَرَدوا ولا يَطيبُ البقاءُ إن غضبوا
مُثْرِينَ مجدًا ومُقْترِينَ لُهًى(٣) والمجدُ طَبْعٌ والمالُ مكتسَبُ
فُرسانُ يومِ الطعانِ إن طَعَنوا بالألسنِ المشكلاتِ أو ضَرَبوا
لا يَرجِعُونَ الكلامَ كَرًّا من الـ ـعِيِّ ولا يعرفون ما كَتبوا
دعا فؤادى شوقى اليك على الـ ـبعدِ، فلبّيكَ والمَدَى كَثَبُ(٤)
جواب من لا يُرام جانبُهُ منذُ غَدَا وهو جارُكَ الجُنُبُ(٥)
ولا يُبالى اذا سلِمتَ له ما حَصَدتْ من نباتها الحِقَبُ
حَمَلْتَ دُنيايَ فآسترحتُ، وقد طال عناءُ الآمالِ والتعبُ
وقُمتُ مذ قادنى هُداكَ على مَحَجَّةٍ لا تدوسها النُّوَبُ
فليحمدنّى فى كلّ قافيةٍ تزيدُ حسنًا فى دُرِّها الثُّقَبُ
أمسحُها(٦) فيك أو تَقِرَّ وقد أوغل(٧) فى أمّ رأسها الشَّغَبُ(٨)
حُلًى من المعدن الصريحِ، اذا غشَّ تِجارُ الأسعارِ ما جلَبوا

(١٣)

---

(١) اللبب : ما يشد من سيور السرج فى اللبة من صدر الدابة ليمنع آستئخار الرحل . (٢) الحدِب : المتعطف . (٣) لهى جمع لهوة وهى أعظم العطايا وأجزلها . (٤) كثب : قريب . (٥) الجار الجنب : جارك من غير قومك . (٦) أمسحها : أحسّنها . (٧) أوغل : يقال أوغل فى الشىء : اذا ذهب فيه وأبعد (٨) الشغب : الكلام يؤدّى الى الشر .

تَشكُرُها الفُرْسُ فى مديحك لد ـمعَنى، وترَضَى لسانَها العَرَبُ
يُظهِرُ منها السرورَ حاسـدُها ضرورةَ الحقِّ وهـو مكتئبُ
يُطرِبه البيتُ وهو يُحـزِنُهُ ومن أنين الحمامةِ الطَّرِبُ
يا آل "عبد الرحيم" لا تزل الـ ـدنيـا رحًى، أنتمُ لهـا قُطُبُ
إن تفضُلوا الناسَ والحسينُ لكم ومنكُمُ، فافضلوا، فلا عَجَبُ!
فـدَاكُمُ خاملون لو كاثُرُوا الـ ـرملَ بأعدادهم لمـا حُسِـبوا
لا يَخلُقُ العَـدلُ فى خلائقهم لينًا، ولا يُكرَمُونَ إن شربوا
أخَّرَ أقدامَهـم وقدّمكـم أنّهُـمُ يحسبون ما كَتَبوا

* * *

وقال وكَتَب بها الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب رحمه الله تعالى

قالوا رَضيتَ قلتُ ما أجدَى الغَضَبْ ما غالبَ الدهرُ فتًى إلا غَلَبْ
كيف أبالى قُبْحَ ما خيَّبنى؟ اذا علمتُمْ كيفَ أجملتُ الطلَبْ
اذا آجتهـدتُ لم يَعبْنى فعلُهُ ما لم يَجِبْ، وما قَضَيتُ ما وَجَبْ
يلومنى عـلى الهُـزال راتعٌ يحسَبُ ما أسمنَهُ ممـا آكتسبْ
ومن يَرَأْ[1] مِن بِلَّةِ الخصْبِ دَرَى أنّ الحظوظَ منحـةٌ بلا سَـبَبْ
لله ما أبصـرَنى بزَمَـنِى! لو سَـلِمَ المَجلومُ[2] من عَيْبِ الأزبّْ[3]
جَنباىَ للحَمْـلِ، وجاء لائمـا أملسُ لم يَقْمِص[4] لعضَّات القَتَبْ
جَرِّبْ كما جرَّبتُ فى النـاس تجِدْ أصدقَ ظنِّك الذى فيهـم كذبْ
تستحفل الضَّرعَ فإن لامستَه عاد بَكِيئًا[5] جلدُه بلا حلَبْ

(١) يَرَأْ: يمتلئ من الطعام، وفى الأصل: يرا. (٢) المجلوم: المحلوق. (٣) الأزبّ: كثير شعر الوجه والعثنون. (٤) يقمص: يثب. (٥) البكيء: الناقة قل لبنها وفى الأصل "بكيّا".

إنك ما ٱستعففتَ أنتَ المُجتبَى — وما تطفت (١) فأنتَ المُجتَنَبْ
نذيرةٌ فلو قبلتَ نُصحَها — تَوقَّ مَن تأمنُ وٱهجرْ مَن تُحِبّْ
كم من أخٍ ملأتُ كَفَّىَّ به — أحسبُ فى الوفاء غيرَ ما حسبْ
حَمَلتُه أطوى حياءً عيبَهُ — كما حملت جلديك الجرب (٢)
وحالياتٍ من جَمالٍ ونَسَبْ — نفَّرهُنّ عَطَلى من النشب (٣)
بَكَرْنَ إشفاقاً يعبنَ مَقعَدى — على الخمول : ما لهـذا لا يثبْ؟
نراه تحتًا ونرى مَنْ تحتَه — فى الفضل فَوْقًا، يا لَهَذا مِن عَجَبْ!
أَمَا جَنَى خيرا له آدابُهُ، — أعاذكُنَّ اللهُ مِن شرِّ الأدبْ
هو الذى أخَّرنى مَشَارِفَ (٤) الـ — ـسبق، فأظمَا شفتى على القَرَبْ
لا تغْتَرِنَ بابن أيوبَ اذا — أُعْجِبَ منه بالصفايا (٥) والنُّخَبْ
فإنه مِمَّن ترينَ واحدٌ — وليس كلُّ معدنٍ عرقَ الذهبْ
يطلبه قومٌ، وما ٱجتهادهم — فى حلبةٍ مُدركُ رأسٍ بذَنَبْ
أكُلُّ من تشجَّرتْ نسبَتُه — صَحَّ له البطنانِ من خالٍ وأبْ!
وساعدَتْه يدُه ونفسُهُ — بالفضل والبذل فسادَ ووَهَبْ
تزحزحوا — فليس من أوطانكم — للأُسد الوَرْدِ (٦) عن الغاب الأَشِبْ (٧)
ولا يروقَنَّكُمُ تشادُقٌ — فتحسبون كلَّ مَن قالَ خَطَبْ

(١) كذا بالأصل ولعلها : تطفَّلتَ . (٢) كذا بالأصل وهو مكسور وفى بعض النسخ ورد هكذا ولعله الصواب

* حزما كما حَمَّلتَ جلدِيك الجَرَبْ *

(٣) النشب : المال والعقار . (٤) المشارف : الأعالى من الأرض وقد ٱستعاره هنا للسبق .
(٥) الصفايا والنخب جمع صفىّ ونخبة وهما ما يُصطَفى ويُنتَخَب . (٦) الورد : الأحمر الضارب الى الصفرة . (٧) الأشب : الملتف من الشجر.

دَعُوا قنا الأقلامِ إن نكصتمُ ... لحاذقِ الطعنِ اذا شاء كَتَبْ
من تاركى السيوفِ وهى زُبَرٌ(١) ... شدائدٌ أسرى بجزّارِ القَصَبْ
قومٌ اذا نار الوغى شَبَّتْ لهم ... كتائبا فَلُّوا شَباها بالكُتُبْ
إن شووِروا لم يَعجلوا أو سُئلوا ... لم يقفوا تلفُّتًا الى العُقُبْ
لا ظَهرُهم لِغيبةٍ إن ذُكروا ... يوما، ولا مِلحهُم على الرُّكَبْ(٢)
وقَصَّ(٣) آثارَهُم محمدٌ ... شهادةٌ، إنَّ النجيبَ ٱبنُ النُّجُبْ
فلا تَزَلْ نوافذٌ صوائبٌ ... يُصمَى بها الحاسدُ أو يَرضَى المحبّْ
(١٤) ما شُكِرتْ صنيعةٌ أو ظَهَرتْ ... مودّةٌ خالصةٌ من الرِّيَبْ
وٱختلف النيروزُ والعيدُ، وما ... توافقا فى بُعدٍ ولا قُرُبْ
تأخذ ما تشاء من حظّيْهما ... مقترحًا محتكما وتَنتَصِبْ
وزائراتٍ طَيَّبَتْ(٤) أعطافَها ... منك بذكرٍ لو عَداك لم تَطِبْ
جَواريًا مع الرياح بالذى ... أوليتَ، أو سَواريًا مع السُّحُبْ
كلُّ فتاةٍ قرّ لى شِمَاسُها(٥) ... وذَلَّ فى فودىَّ منها ما صَعُبْ
تلقاك نفسا حرّةً من فارسٍ ... بنتَ الملوكِ، وفمًا من العَرَبْ
تُرْوَى، فلو أطربَ شيءٌ نفسَهُ ... لقد سمعتَ من قوافيها الطرَبْ
أَضحَى وراحَ حاسدى إن قلتُها ... وحاسدوك إن علوتَ فى تَعَبْ

---

(١) الزبر جمع زُبْرة وهى القطعة الضخمة من الحديد . (٢) يقال : ملحه على ركبتيه أى لا وفاء له وفى الأساس : "فلان ملحه موضوع على ركبتيه" أى هو كثير الخصومات كأن طول مجاثاته ومصاكّته للركب قرّح ركبتيه فهو يضع الملحَ عليهما يداويهما به . (٣) قَصَّ : ٱقتفى . (٤) يريد بقوله "وزائرات" قصائده . (٥) الشماس : الأمتناع والإباء .

*
* *

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى طالب بن أيّوب أيضا

أَصَبتُ لو أَحْمَدْتُ أن أُصيبا　　وفزتُ لو كان الحجا المطلوبا
وراضَ منّى الدهرُ ظَهْرا لم يكن　　لو أَنْصَفَ الحظُّ له مركوبا
أقسَمَ لا آزددتُ به فضيلةً　　دهرىَ إلا زادنى تعذيبا
فكلّما آنستُ منه بأذى　　بَقّاهُ وآستأنف لى غريبا
رَميتُ حظّى بوجوهِ حِيَلى　　فلم أُصِبْ ولم أقَعْ قريبا
تنزّهٌ يُعابُ أو محاسنٌ　　محسودةٌ محسوبةٌ ذُنوبا
أُنظر الى الأقسام (١) ما تأتى به　　متى أردتَ أن تَرى عجيبا
تَجْمَعُ بين الماءِ والنارِ يدٌ　　وما جَمَعْتَ الرزقَ والأديبا (٢)
ليتَ كفانى الدهرُ مَعْ تخلُّصى　　مكروهَهُ كما كَفَى المحبوبا
أو ليتَ أعدَى خُلُقِى جنونُهُ　　فكنتُ لا سَمْحًا ولا لبيبا
يا صاحبَ الزمانِ مغترًّا به　　أنتَ دمٌ فآحذرْ عليك الذيبا
تبعثُ ألحاظُك من وفائه　　بارقةً صيفيَّةً خَلوبا (٣)
سَلْنِى به وقِسْ علىَّ مَعَهُ　　فقد قتلتُ أهلَه تجريبا
بَعدَ عنائى وآجتهادى كلِّه　　بالأرض حتى وَلَدَتْ نجيبا
جاءت به بعد التراخى غَلَطًا　　ثم نَوتْ من بعدُ أن تتوبا

---

(١) الأقسام : الحظوظ . (٢) يقول : أن تجمع اليد بين الضدّين الماءِ والنارِ أصعب من الجمع بين الحظ فى الرزق والفهم ، ولعله من قول المتنبى

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى　　بأصعبَ من أن أجمع الجَدَّ والفهما

(٣) فى الأصل "حلوبا" وهو تحريف .

أبلجَ بسّـامَ العشىّ واضحـا ريّانَ مخضرّ الثرى رطيبا
تصفو المدامُ وتروقُ ما ٱنتمتْ حُسْـنًا الى أخلاقه وطيبا
للمجد قومٌ وقليـلٌ ما هُـمُ وفى القليـل تجِـدُ المطلوبا
كالنجم للباعِ المديد بُعْـدُه وللعيون أن يُرَى قريبـا
لا تشكُرنَّ من فتًى فضيلةً وليس فيهـا معْـرِقا نسـيبا
فإنما أَعطَى "ٱبنَ أيّوبَ" المَدَى فى الشرف ٱقتفـاؤه "أيّوبا"
يا لابسَ الكمال غـيرَ مُعْجَبٍ تركـتَ كلَّ لابسٍ سليبـا
إن غادرِ الشكرُ لسـانًا ناكلا (١) وكان سيفا قبله مذروبا (٢)
فقد عَقَـدتَ لَسَنِى (٣) وقُدتنى بالطَّـوْلِ فى حبـاله جنيبا (٤)
حَسبتُ أعداد الحصى ولم أُطِقْ عدَّ الذى أوليتنى محســوبا
فى كلّ يومٍ شارقٍ معـونةٌ تبردُ حرَّ جَوْرِه المشـبوبا
ونعمةٌ تســير فى نُضوحها خَرْقَ (٥) الجديب فيُرَى خصيبـا
يُخجلنى ٱستقبالُها فتحسَب الـ ـعينُ ٱبتسامى نحوَها قُطوبا
لو شئتُ لٱسترحتُ من أثقالها إن كنتُ من مَكرُمةٍ متعوبا
كنتُ أخًا ، فلم تزل تَسبُغنى باللّطفِ حـتى خِلتُنى حبيبا
فإن قَضَى الثناءُ حقَّ نعمةٍ أو كاد أن يقضِيَها تقريبا
وأَقنعَ الميســورُ فاحبِسْ شُرَّدًا تَسأَلُ عنهـا الشمأَلُ الجَنوبا
يَعلَقُ بالعِـرضِ الكريمِ نَشرُها وهى به طائرةٌ هُبـوبا

(١) ناكلا : ناكصا . (٢) المذروب : المحدود . (٣) اللسن : الفصاحة . (٤) الجنيب : يقال جنبه أى قاده الى جنبه فهو جنيب . (٥) الخرق : القفر .

اذا بنيتُ البيتَ منها ودّتِ الـ ـأسماعُ لو كانت له طُنُـــوبا (١)
يَخْـــلُدُ مسموعا ويُغنِي كلّمـا عَوَّضتَ مُهْدًى عنه أوموهوبا
عُدَّ السنينَ صومَها وفطرَها نُتحَفُ مَقـروءا به مكتوبا

* * *

وقال وكتب بها الى مؤيّد السلطان أبى القاسم بن الأوحد ذى السياستين أبى محمد آبن مُكْرَم ، يشكره على ملاطفةٍ جميلةٍ لاطفه بها، ودنانيرَ حملها اليه سنيةٍ، وجوابٍ أجاب به عن كتبه، يشكر مناله ويصف فيها السفينةَ، وقبيحَ وساطةِ غلامٍ أُنفِذت الهــديّةُ على يده، وتعرُّضَه لهـا وآستبدادَه ببعضها، ويذمُّ الغــلامَ ويسأل الغرامة، وأنفذها فى صفر سنة تسع وأربعمائة

(١٥)

سَلَا دارَ البخيلةِ "بالجنابِ" (٢) متى عَرِيَتْ رُباكِ من القِبابِ ؟
وكيفَ تشعَّبَ الأظعانُ صبحا بدائدَ (٣) بين وُهْدِك (٤) والشِّـعابِ ؟
بطالعـةِ (٥) الهلال على "ضُميرٍ" (٦) وغاربةٍ كمنقَضِّ الشِّهاب
حَمَلْنَ رشائقًا ومبـــدَّناتٍ رماحَ الخَطِّ تَنبُتُ فى الرَّوابى
وأين رضاكِ عن سُقيَا دموعى ربوعَك من رضاكِ عن السحابِ
بكيتُكِ للفـراقِ ونحنُ سَـفْرٌ (٧) وعُــدْتُ اليومَ أبكى للإياب
وأمسحُ فيكِ أحشائى بكفٍّ قريبٍ عهدُها بحشا "الرَّباب"
لهـا أَرَجٌ بمـا أبقاه فيهـا الـ ـتصافحُ بعدُ من ريح الخضابَ
أمفصِحةٌ فأطمعَ فى جوابٍ وكيف يُجيبُ رَسمٌ فى كتابِ ؟

---

(١) الطنوب جمع طنب بضم الطاء والنون وهو الحبل يشدّ به سرادق البيت . (٢) الجناب : اسم واد . (٣) بدائد : متفرقة . (٤) الوُهد جمع وَهْدٍ وهو ما آنخفض من الأرض . (٥) فى الأصل : "بطالعه" وهو تحريف . (٦) ضمير : اسم بلدة . (٧) السفر : جماعة المسافرين .

نَحَلتِ ففى ترابِك منـك رَسمٌ كما أنى خَيالٌ فى ثيـابى
وفى الأحداج مُتعبـةُ المَطَايَا تُلينُ عرائكَ الإبلِ الصِّعاب
بَعيـدَةُ مَسقِطِ القُرطينِ تُقْرَا خُطوطُ ذؤابتَيْها فى التراب
تَجَمَّع فى الأسـاورِ مِعصَماها ويَقلَقُ خصرُها لكَ فى الحِقَاب
تَعيبُ على الوفاءِ نحولَ جسمى ، ألا بالغـــدرِ أجدرُ أن تُعابى !
وما بِكِ أن نَحَلتُ سوى نُصولٍ من السنواتِ أسرعَ فى خِضابى
جزِعت له كأنَّ الشَّيبَ منـه يَسُلُّ عليـكِ نَصْلاً من قِراب
فما ذنبى اذا وقَعتْ عُقـابٌ من الأيّام طار لها غرابى ؟
وقد كنتُ الحبيبَ وذا نحولى وهـــذا فى العريكة حدٌّ نابى
ليالىَ لِى من الحاجاتِ حُكْمِى وليس وسيلةٌ بسوى شـبابى

* * *

ألا لله قلبُــكَ من حَمولٍ على عِلاَّتِ وَصْـلٍ واجتناب
وحبُّـكَ من وَفِىٍّ العـهدِ باقٍ على بُعْــدٍ يُحِيـلُ أو اقترابِ
هوًى لكَ فى جبالِ "أبانَ" ثاوٍ وأنتَ على جبالِ(١) "عُمانَ" صابى
وكان المجدُ أعودَ حين يَهوِى عليـكَ من المُهفهَفة الكَعاب
وإن وراء بحر "عُمانَ" مُلْكًا رطيبَ الظلِّ فَضفاضَ الرِّحاب
رقيـــقٌ عيشُـــهُ عَطِرٌ ثراهُ بِطُرَّاقِ الفضائلِ غـــيرُ نابى
متى تنزِلْ به تنزِلْ بوادٍ من المعروفِ مَرعِىِّ الجنابِ
يدبّره من الأمراء خِرقٌ(٢) يَذِلُّ لعـــزّه غُلْبُ(٣) الرِّقاب

(١) كلمتا "جبال" الواردتان فى هذا البيت وردتا فى الأصل "حبال"، وأبان: اسم جبل، وعمان: بلد باليمن . (٢) الخِرقُ : السخىّ والفتى الحسن الكريم الخليقة . (٣) الغلب جمع أغلب وهو الذى غلظت عنقه .

وَفَى ذُو المجدِ سَبَّاقا فوافَى ... يحلِّق عُرْفُه والنجمُ كابِى
وقامَ بنفسِه يسعَى ففاقَتْ ... غريزةُ نفسه شَرَفَ النِّصابِ (١)
وبانَ به لعينِ أبيهِ بَوْنٌ ... أراه الشِّبلَ أغلبَ ليثَ غابِ
على زَمَنِ الحَداثةِ لم يُفتهُ ... تقدُّمُ شِيبِهم قَدَمَ الشَّبابِ
سَمَا لمكانِهم وهُمُ شموسٌ ... فطال الطودُ أعناقَ الهِضابِ
وسيِّدُ قومِهِ من سوّدوه ... بلا عَصَبيّةٍ وبلا مُحابى (١٦)
وقُدِّم بالفِراسةِ وهو طِفلٌ ... تُحَلَّلُ عنه أَنشِطةُ السِّخابِ (٢) (٣)
وما تَركُ الشريفِ على بنيه ... وهم منه، تَجَاوُزَه بعابِ
وإن كان الفتى لأبيه فَرْعًا ... فإن الغيثَ فَرْعٌ للسحابِ
بَلَوْهُ وجرّبوا يوميه نُعمَى ... وبأسًا فى السكينةِ والوِثابِ
فما ظَهَروا مُخَاطَبةً بوانٍ ... وما ظَفِروا مُضارَبَةً بنابى
ولا عدِموا به لَسَنًا وقَطْعًا (٤) ... عمائقَ فى الإصابةِ والصوابِ
لذلك جاوروا بالبحرِ بحرًا ... كِلَا كرميهما طاغى العُبابِ
يقول لِىَ الغنَى ورأى قُعودى ... عن السعى المموِّلِ والطِّلابِ
وعفةَ مذهبى ظَلِفًا (٥) ومَيْلِى ... الى العيش المُرَمَّقِ (٦) وٱنصبابى :
أرى لك فىّ لو خاطرتَ مَرْعًى ... يبدِّلُ صحّةً أُهُبَ الجِرابِ (٧)
أما لكَ فى بحارِ "عمانَ" مالٌ ... يسُدُّ مَفاقِرَ الحاجِ الصِّعابِ ؟
ومولًى يوسعُ الحُرُماتِ رَعْيًا ... ويَعمُرُ دارسَ الأملِ الخرابِ

(١) النصاب : الأصل . (٢) أنشطة : يريد بها جمع أنشوطة وهى عقدة يسهل حلّها مثل عقدة التكة .
(٣) السخاب بوزن كتّاب : قلادة من سُكّ وقرنفل ومحاب بلا جوهر ، والسُّكّ : طيب يعجن ويقرّص ويترك يومين ثم يثقب بمسلة وينظم فى خيط قُنّب وكلما عَتُقَ طابت رائحته . (٤) اللَّسَن : البيان .
(٥) الظَّلِف : النَّزِه (٦) المرمَّق : الذى يُتَبَلّغ به (٧) أهب جمع إهاب والجراب جمع أجرب .

لعلّ "مؤيَّدَ السلطانِ" تحنو ... عواطفُ فضله بعدَ آجتنابِ
قفلتُ ودونه متــلاطماتٌ ... زَواخرهنَّ كالأُسْــدِ الغِضابِ
صَواعدُ كالجبال اذا أحسَّتْ ... نســيمًا، أو نوازلُ كالجَوابي (١)
وأخضرُ لا يروق العينَ يُطْوَى ... عــلى بيضاءَ سوداءِ الإهابِ (٢)
تجـاذبه الأزمَّةُ من حديدٍ ... فَيَقمِصُ أو يُقطِّر فى الجذابِ (٣)
اذا خُوصُ الرِّكاب شكون ظمْأً (٤) ... شكى رُكبانُهـا شَرَقَ الرِّكابِ
يروعُ حُـداءُ أحبُشِها النَّواتِى (٥) ... اذا شاقتــك حاديةُ العِرابِ (٦)
اذا عثرتْ فليس تُقالُ ذنبـا ... وإن صدَعتْ فليست لأنشعابِ
ولستُ بسابحٍ فأقولُ : أنجـو ... عسى إن ظهــرُها يوما كَبَا بى
اذا حَلَمَتْ بها فى النوم عينى ... طفِقتُ أُجُسُّ هل رَطِبتْ ثيابى ؟
ومالى والخطارَ وقــد سَقَتْنى ... سماءُ يديهِ من غــير آغــترابِ
وجاءتنى مَواهبُــهُ بعيــدا ... بأفضـلِ ما يجىءُ مع آقترابِ
رغائبُ من يديه فاجأتنى ... وَفَيْنَ رِضًا بآمالى الرِّغابِ
وزِدنَ على حساب مُناىَ لكن ... "وِشَاحٌ" (٧) لم يكُنْ لى فى حِسابى
ندًى وَصَلَ السماحَ به ولكن ... تولَّى عنــه حاجبُه حجابى
أمرتَ بها (٨) كعِرضك لم يُدنَّسْ ... بلا غِشٍّ يشوبُ ولا آرتيابِ
من الذهب الصريح فصار ممّا ... يُبَــدَّلُ فى يديه الى الذَّهابِ

(١) الجوابى جمع جابية وهى الحوض الضخم . (٢) يصف بقوله "وأخضر" البحر و بقوله "بيضاء سوداء الإهاب" سفينة مطليّة الجِرْم بالجير والقار . (٣) يقطّر : يُلقَى على قُطره أى جانبه . (٤) خوص جمع خوصاء وهى التى غارت عينها . (٥) النواتى : جمع نوتىّ وهو ملّاح السفينة . (٦) العراب : الإبل المنسوبة للعرب ، وفى الأصل "الغراب" . (٧) وشاح : اسم غلام الأمير الذي ناوأ الشاعر على جوائزه . (٨) يريد بقوله "أمرت بها" الصلة أو الجائزة .

وقاسَمَنى مُناصَفةً عليه   وجاحَدَنى ليحبسه كتابى (١)
وقال ولم يهبكَ ولم يَصُنّى :   كذلكَ فيكَ منذُ سنينَ دابى
اذا حُمِّلتُ رِفْدا أو كتابًا   اليكَ لواه نَهْبِى وٱغتصابى
مَكارمُ سقتهنّ الى محبٍّ   ففاز بها مُغيرٌ لم يُحاب
بعثتَ بها الحئون، فضاع سِرْبٌ   أمِنتَ عليه غائرةَ الذئاب
ولولا أنّ خدمتَه وَقَتْه   وحُرمةَ عزِّ بابك والجناب
لَمَا سَلِمَ البعوضُ على عُقاب   ولا عُضَّ الهِزَبْرُ بشرّ ناب
أَدَلَّ بكم فأحمَنى، وكانت   نواحيه مآ كلَ للسِّباب
فجَلَّ عن الهجاء بذاك عندى   وقَلَّ بما أتاه عن العتاب
سُلِبْتُ نداك فى ناديك ظلما   بغارةِ صاحبٍ لك فى الصحاب
ثلاثَ سنينَ حَوْلا بعدَ حَوْلٍ   بكفِّ "وِشاحَ" مُقتَسَمٌ نِهابى
وأنتَ خفيرُ مالِكَ أو يؤدَّى   الىَّ ولو بمنقطع التراب
اذا أنصفْتَنى فعليك دَيْنًا   غَرامةُ ما تجمَّع فى الحساب
أعدْ نظرًا فكم أغنيتَ فقرًا   به وجَبَرتَ كَسْرًا من مُصاب
وكم نوديتَ يا بحرَ العطايا   فجاء البحرُ بالعجبِ العُجاب
وَفَتْ فيك المنى وقضتْ نُذُورى   فَوَفِّ عُلاكَ حقّ تُرضِها بى
وفى يدك الغنى فابعث أمينا   الىَّ به وصيِّره جوابى ١٧
ولا تُحوِجْ ظَماىَ الى قَليبٍ   سواك على مُقامى وٱنقلابى
أُذكِّرك الذى ما كنتَ تنسَى   سُفورى تحتَ ظلِّك وٱنتقابى
وإنى إن بلغتُ النجمَ يومًا   لكان الى صنيعتك ٱنتسابى

---

(١) يريد وجاحدنى كتابى ليحبس عنى الذهب.

*
* *

وقال فى معنًى عَرَضَ له

مَنْ بِسَلْعٍ مُطَالِـعٌ لى ... قمــرا طال مَغيبُــهْ ؟
وأصيــلا بالحِمَى نُغْـ ... ـصَ بالعاذل طِيبُــهْ
كلُّ شىءٍ حَسَنٍ حا ... شاك فالعين تُصيبهْ (١)
عنَّفوا القلبَ على قَا ... تِلِه وهو حبيبُــهْ
كلُّ جُرْمٍ لك إلا الـ ... ـغَدْرَ (٢) فالقلب وَهُوبُهْ
وأقلُّ الناس ذَنْبًــا ... قادرٌ عُدَّتْ ذنوبُهْ

*
* *

وقال وقد أوجب عليه بعض الرؤساء المشهورين وهو أبو الحسين أحمد بن عبدالله الكاتب رحمه الله حقًّا أكّده بقصده إيّاه فى علّةٍ نالته، عائدا عِدّةَ دفعاتٍ من غير أن يكون سَبَق اليه بمعرفةٍ، ولاجرى بينهما لقاءٌ إلا بالذّكر والصفة من الأستاذ أبى الحسَن المختار بن عبد الله الذهبىّ، وواصَلَ تفقُّدَه تبرُّعا وآبتـداءَ ما يوجب الشكر ويُعرَفُ مثلُه من أمثاله فى هــذا الوقت، وكتب بها اليه يشكره ويعتمد بفعله، وأنفـذها فى رجب سنة آثنتى عشرة وأربعمائة

هَوًى لى، وأهواءُ النفوسِ ضُروبُ ... تَجَانُبُ "قُوسَى" (٣) أن تَهُبَّ جَنوبُ
يدُلُّ عليهـا الريفُ أين مكانُهُ ... ويُخبِرها بالمُـزْنِ كيفَ يصوبُ

(١) ورد هذا البيت كما هو فى النسخة المطبوعة، وورد فى الأصل هكذا
كلّ شىء حسن ... فى العين تصيبه
وهو مختل وزنا ومعنى، ولو حافظنا على الأصل لعله يكون هكذا
كل شىء حسنٍ فى الـ ... ـعين فالعين تصيبه

(٢) فى الأصل: "العزر". (٣) قوسى: اسم بلدة، ومعنى البيت: أن هواه على آختلاف أهواء النفوس فى أن يجانب "قوسى" وهى البلدة التى بها محبوبه مخافة أن تهبّ عليها ريح الجنوب وهى ريح حارة تخالف الشمال، وقد كنى بها عن زفراته فى حرّها.

وَنَمشِى على روضِ الحِمَى ثم نلتقى فيبلغُنى منها الغداةَ هبوبُ
أمانِى بعيدٍ لو رآها لسرَّها مكانَ الحيا من مقلتيه غُروبُ
ودَمْع إذا غالطتُ عنه تشاهدَتْ قَوارفُ فى خدّى له ونُدوبُ
عَلَى أنّ ذِكْرا لا تزال سهامُهُ تَرَى مَقْتَلا من مهجتى فتُصيبُ
إذا قيل "مَىٌّ" لم يَرُعْنى بحلمه حياءٌ، ولم يحبس بكاىَ رقيبُ
أُعِيرُ المنادى باسمها السمعَ كلّه على علمه أنى بذاك مريبُ
وكم لِىَ فى ليل الحِمَى من إصاخةٍ الى خَبَرِ الأحلامِ وهو كذوبُ
توقَّرُ منها ثم تسفَهُ أضلعى ويجمُدُ فيها الدمعُ ثم يذوبُ
وما حبُّ "مىٍّ" غيرُ بُرْدٍ طويتُهُ على الكُرهِ طىَّ الرَّثِّ (١) وهو قشيبُ (٢)
رأتْ شَعَراتٍ غَيَّرَ البينُ لونَها فأمست بما تُطريه أمسِ تَعيبُ
أساءكِ أن قالوا: أخٌ لكِ شائبٌ؟ فأسوأُ منه أن يُقالَ: خَضيبُ
ومن عجبٍ أنَّ البياضَ ولونَه اليكِ بغيضٌ وهو منكِ حبيبُ!
أحينَ عَسَا (٣) غُصْنى طرحتِ حبائلى الىّ، فهلّا ذاك وهو رطيبُ؟
تُظنّينَهُ من كَبْرةٍ فرطَ ما انحنَى كأنْ ليس فى هذا الزمان خُطوبُ!
فعُدّى سِنيهِ، (٤) إنما العهدُ بالصِّبا وإن خانه صِبغُ العِذارِ قريبُ
وفى خَطَلِ (٥) الرمح انحناءٌ، وإنما تُعَدُّ أنابيبٌ له وكعوبُ
همومِىَ من قبل اكتهالى تَكَهُّلٌ وغدرُكِ من قبل المَشيبِ مَشيبُ
وما كان وجهٌ يوقَدُ الهمُّ تحته لتُنكَرَ فيه شَيْبةٌ وشُحوبُ (٦)
لوَ انّ دَمِى حالتْ صَبيغةُ لونِهِ مُبيَّضَةً ما قلتُ: ذاكَ عجيبُ!

(١) الرث: البالى. (٢) القشيب: الجديد. (٣) عسا: كبر. (٤) فى الأصل: "تعدّي" وهو تحريف. (٥) الخطل: الاضطراب. (٦) الشحوب: تغيّر اللون.

ألم تعلمى أنَّ الليالى جحافلٌ ... وأنَّ مُداراةَ الزمانِ حروبُ ؟
وأنَّ النفوسَ العارفاتِ بليّةٌ ... وحمل السجايا العالياتِ لُغوبُ (١)
يُسيغ الفتى أيّامَهُ وهو جاهلٌ ... ويغتصُّ بالساعاتِ وهو لبيبُ
وبعضُ مودّاتِ الرجالِ عقاربٌ ... لها تحت ظلماء العُقوقِ دبيبُ
تواصَوا على حبِّ النفاقِ، ودينُهُ ... بأنْ يتنافَى مَشْهدٌ ومَغيبُ
فما أكثرَ الإخوانَ بل ما أقلَّهم ... على نائباتِ الدهرِ حين تنوبُ !
وقبلَ ٱبنِ عبدِ الله ماخلتُ أنه ... يُرَى فى بنى الدنيا الوَلودِ نجيبُ
ألا إن بانى المجدِ يَخلُصُ طينُهُ ... وكلّ الذى فوق التراب مَشوبُ
سقى الله نفسا مذ رعت قُلَّةَ العُلا ... فكلُّ مَراعيها أعمُّ خصيبُ
وحَيًّا على رغمِ الغزالةِ غُرّةً ... إذا طلعتْ لم تَدْجُ حين تغيبُ
وحصَّنَ صدرا قلبُ "أحمدَ" تحته ... يضيق ذراعُ الدهرِ وهو رحيبُ
من القوم بسّامون والجوُّ عابسٌ ... وراضون واليومُ الأصمّ (٢) غضوبُ
رأوا بابنهم ليثَ الشرى وهو ساربٌ ... لحاجته، والبحرَ وهو وهوبُ
فتًى سوّدته نفسُهُ قبل خَطِّه (٣) ... وشابت عُلاه وهو بَعْدُ ربيبُ
وقدّمه ــ أن يعلَقَ الناسُ عَقْبَهُ ــ ... سماحٌ مع الريحِ العَصوفِ ذَهوبُ
ورأىٌ على ظَهرِ العواقبِ طالعٌ ... إذا أخطأ المقدارُ فهو مصيبُ
إذا ظنَّ أمرًا فاليقينُ وراءه ... ويصدُقُ ظنٌّ تارةً ويحوبُ (٤)
وخُلْقٌ كريمٌ لم يرُضْهُ مؤدِّبٌ ... تمطّقَ (٥) فُوه الثَّدْىَ وهو أديبُ

(١) فى الأصل : "الغالبات" . (٢) اليوم الأصمّ : العصيب الشديد . (٣) قوله : "قبل خطّه" أى قبل نبت عذاره من قولهم : خَطَّ الغلامُ إذا نبت عذاره . (٤) يحوب : يأثم .
(٥) تمطّق : تذوّق .

تحمَّـــل أعباءَ الرياســةِ ناهضا بهـا قاعداً والحـادثاتُ وُثوبُ
وصاحتْ به الجُلَّى لسدّ فُروجها فأقدَمَ فيها والزمانُ هَيوبُ
وكم عَجَمتْهُ النائبـاتُ فردَّهـا رِداداً وعاد النَّبعُ(١) وهو صليبُ
هناك آتفاقُ النـاسِ أنك واحدٌ إذا كان للبـدر المنـير ضريبُ
وأعجبُ ما في الجودِ أنك سالبٌ به كلَّ ذي فضل وأنتَ سَليبُ !
أأنسَى لك النُّعمى التي تركَتْ فمي يُصَـعِّدُ يبغِي شُكرَها ويَصوبُ ؟
ملكتَ فؤادي عنـد أوّل نظرةٍ كما صـاد عُذريًّا(٢) أغنُّ ربيبُ
وكنتُ أخاف البـابلِيَّ وسِحـرَهُ ولم أدر أن الواسطيَّ(٣) خَلوبُ
وغَنَّـاك أقوامٌ بوصـفِ مَناقبي فَرُنِّحَ نَشْـوانٌ وحَنَّ طروبُ
رفعتَ مَنـارَ الفخرِ لي بزيارةٍ وَسَمْتَ بها مَغْناىَ وهو جديبُ
وكنتَ لداءٍ جئتني منـه عائدا شفاءً، وبعضُ العائدين طبيبُ
وأنهلتَنى من خُلْقك العذبِ شربةً حَلَتْ لي، وما كلُّ الدواء يطيبُ
ولمـا جلا لي حُسنَ وجهك بِشْرُهُ تبـيَّنَ في وجه السَّـقام قُطوبُ
أجبتَ وقد ناديتُ غيرَك شاكيا وذو المجـد يُدعَى غيرُهُ فيُجيبُ
فَطِنتَ لهـا أُكْرومةً(٤) نام غَفْلَةً من النـاس عنها مائقٌ وأريبُ
ذهبتَ بها في الفضل ذكراً بصوته سبقتَ، فلم يقدر عليك طَلوبُ
لئن كان في قِسْم المكارم شَطرُها فللدِّين فيهـا والولاءِ نصيبُ
وإن أكُ من "كِسْرَى" وأنت لغيره فإني في حبّ "الوصيّ" نسيبُ
ســتَعلمُ أنَّ الصُّنع ليس بضائعٍ عليّ، ولا الغَرسُ الزكيُّ يخيبُ

(١) النبع: شجر تعمل منه القسيّ والسهام. (٢) عذريًّا: رجلا من بني عُذرة وهم قوم مشهورون بالعشق. (٣) البابليّ والواسطيّ نسبة الى بابل وواسط. (٤) الأكرومة: فعل الكرم.

وتحمَـدُ منّى ما سـعيتَ لكسبِهِ ... وما كلّ ساعٍ فى العَلاء كسوبُ
ومهما يُثِبْك الشـعرُ شكرا مخلَّدا ... عليها، فإنّ الله قبلُ يُثيبُ
وتَسمعُ فى نادى النَّدى أىَّ فِقْرةٍ(١) ... يقوم بهـا فى الوافدين خطيبُ
متى آمتدّ بى عُمرٌ وطالت مودّةٌ ... فربعك حُسنٌ من ثَناىَ وطِيبُ
ودونك منى ضَيغمٌ، فُوهُ فاغِرٌ(٢) ... متى ما دنا من سَرْحِ عِرضك ذيبُ
محاسنُ قَومٍ وَسِمةٌ فى جباههـم ... ولى حسـناتٌ سِرّهن غُيوبُ
وما الحُسنُ ما تُثنِى به العينُ وحدَها ... ولكنَّ ما تُثنِى عليـه قلوبُ
لقد عَقَلَتْ دنياك مذ قيَّضتْك لى ... وراح عليها الحِـلمُ وهو غريبُ
أظنُّ زمانى إن زجرتَ صروفَه ... سـيرجع عمّـا ساءنى ويتوبُ
تخاتِلنى الأخبارُ ـ أخلبَ برقُها ـ ... بأنك يا بـدرَ الـكمال تغيبُ
فأُمسكُ قبلَ البين أحشاءَ مُوجَع ... لهـا بين أثناء الحـذار وجيبُ
بأىّ فؤادٍ أحمل البعدَ، والهوى ... جديدٌ، وذا وجدى وأنتَ قريبُ
فلا تصـدَع الأيّامُ شملَ محاسنٍ ... تُسـافر مصحوبا بهـا وتؤوبُ
ولا تعـدَم الدنيا بقاءَك وحدَه ... فإنك فى هذا الزمان غريبُ

(١٩)

* * *

وقال يمدح سيّد الوزراء مؤيَّدَ الملك أبا علىٍّ الرُّخّجىَّ، ويشكر إنعامَه فى تقديمـه وإكرامِه، وتطوّلَهُ فى تحسين وصفه وتقريظه، ويعتدّ لإحسانه بعاداتٍ مُواصِـلة فى القول والفـعل، عَقِيبَ تقلّدِهِ الوزارةَ بعـد آمتناعِهِ من الدخول فيها، ومدافعتِهِ بالتلبّس بها، وذَكَر ذلك فى القصيدة وماظهر من آثاره فى النظر، بعد نكولَ من سبقَ من الوزراء، وأنشدها بحضرته فى الدار بباب الشعير

(١) الفقرة : أجود بيت فى القصيدة . (٢) فاغر : مفتوح .

إذا عمّ "صحراءَ الغُمَيرِ" جُدوبُها ... كفى دارَ "هندٍ" أنَّ جفني يصوبُها
وقفتُ بها والطَّرفُ ـ مما توحَّشتْ ـ ... طريدُ رباها ، والفؤادُ جَذيبُها
وقد دَرَسَتْ ، إلا نشايا(١) عواصفٌ ... من الريح لم يَفطُنْ لهنّ هُبوبُها
خليليَّ ، هذى دار أنسى ، وربما ... يَبينُ بمشهودِ الأمورِ غُيوبُها
قِفَا نتطوّعْ للوفاء بوقفةٍ ... لعلّ المُجازِى بالوفاء يُثيبُها
فلا دارَ إلا أدمعٌ ووكيفُها ... ولا "هندَ" إلا أضلعٌ ووَجيبُها
وعَيَّرتُماني زفرةً خَفَّ وَقدُها ... مَليًّا ، وعينًا أمسِ جفَّتْ غُروبُها
فإن تك نفسى أمسِ فى سلوةٍ جَنَتْ ... فقد رجع اليومَ الهوى يَستتيبُها
وإن يُفْنِ يومُ البين جُمَّةَ أدمعى ... فعند جُنونى للديار نصيبُها
تكلِّفنى "هندٌ" ـ إذا ٱلتحتُ(٢) ظامئًا ـ ... أمانىَّ لم تَنْهَزْ لِرِىٍّ ذَنوبُها(٣)
وأطلبُ أقصى وِدّها أن أنالَهُ ... غلابًا ، وقد أعيي الرجالَ غَلوبُها
بمنعطف الجِزعَيْن لَمْياءُ لو دَعَتْ ... "بمدينَ" رُهبانًا صَبَتْ وصليبُها
إذا نهض الجاراتُ أَبطأَ دِعصُها(٤) ... بنهضتها ، حتى يخفَّ قضيبُها
تَبَسَّمُ عن بِيضٍ صوادعَ فى الدجى ... رِقاقٍ ثناياها ، عِذابٍ غُروبُها
إذا عادتِ المسواكَ كان تحيَّةً(٥) ... كأنّ الذى مسّ المساويكَ طِيبُها
وكم دون "هندٍ" رُضْتُ من ظَهرِ ليلةٍ ... أشدَّ من الأخطارِ فيها ركوبُها
فنادمتُها والخوفَ ، تُرْوِى عظامَها الـ ... ـمدامُ ، ويُرْوَى بالبكاء شَريبُها

---

(١) نشايا جمع نشيّة وهى الرائحة . (٢) التحتُ : عطشتُ . (٣) الذَّنوب : الدلو .

(٤) الدعص : قطعة من الرمل مستديرة . (٥) يشير الشاعر هنا الى عادة من عادات العرب فى أعيادهم وهى أنهم كانوا اذا حيّوا يقدّمون الريحان تحيّةً وكان ذلك فى يوم من أيامهم آسمه "يوم السباسب" وفيه يقول النابغة : رقاق النعال طيّب حجزاتهم ... يحيّون بالريحان يومَ السباسب

فيكون معنى بيت مهيار : أنها اذا آستاكت فسوا كها يكون ريحانة يحيّي بها لما ناله من نكهتها .

إذا شربتْ كأسـا سَـقَتْنى بمثلها من الدمع ، حتى غاض دمعى وكُوبُها (١)
حَمَى اللهُ بالوادى وجوها كواسـيا إذا أوجهٌ لم يُكْسَ حُسْنا سَليبُها
بَوادىَ وَدَّ الحاضرون لو ٱنها مَواقِـعُ ما أَلقتْ عليه طُنوبُهـا
إذا وصَفَ الحُسْنَ البياضُ تطاَّعتْ سَوَاهِمُ (٢) يُفْـدَى بالبياضِ شُحُوبُهـا
ولله نفسٌ ، مِن نُهـاها عذولُهـا ومِن صَونِها ــ يومَ العُذَيْبِ ــ رقيبُها
لكلِّ محبٍّ يومَ يظفَرُ رِيبـةٌ ، فَسَلْ خَلَواتى : هل رأت ما يريبُها ؟
إذا ٱختلطت لَذَّاتُ حُبٍّ بعاره فأنعَمُها عنـدى الذى لا أُصيبُها
وسـاء الغوانى اليومَ إخلاقُ لِمَّتى (٣) فهـل كان ممّـا سَرَّهنّ قشيبُها ؟
سواءٌ عليهـا كَثُّها (٤) ونَسيلُهـا (٥) وناصِلُها (٦) من عِفَّـتى وخضيبُهـا
وتعجَبُ أن حُصَّتْ (٧) قوادمُ مَفرِقى (٨) وأكثرُ أفعـالِ الزمانِ عجيبُهـا !
ومن لم تغـيّره الليـالى بعـدّه طِوالَ سِنِيهـا غَـيَّرته خُطوبُهـا
إذا سُلَّ سيفُ الدهرِ والمرءُ حاسرٌ (٩) فأهون ما يَلْقَى (١٠) الرءوسَ مَشيبُهـا
يعـدِّد أقـوامٌ ذُنوبَ زمانهم فمَن لِى بأيّامٍ تُعَـدُّ ذُنوبُهـا
يقولون : دارِ الناسَ تَرْطُبْ أكفُّهم ومَنْ ذا يدارِى صخـرةً ويُذيبُهـا ؟ ٣٠
وما أطمَعَتْنى أوجهٌ بٱبتسـامها فيُؤْيِسَـنى ممّـا لديهـا قُطوبُهـا
وفى الأرض أوراقُ الغنى لو جَذَبتُها لَرَفَّ على أيدى النوال رطيبُهـا
إذا إِبِلِى أمستْ تُمـاطَلُ رَعْيَهـا فهـل يَنفعَنّى من بلادٍ خَصيبُهـا ؟

(١) الكوبُ : كوز لا عروة له . (٢) سواهم : متغيرات . (٣) اللـة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٤) الكث : كثرة شعر اللحية . (٥) النسيل : ما يسقط من الشعر والريش . (٦) الناصل : الخارج من الخضاب . (٧) فى الأصل "خصّت" وهو تحريف ، وحُصَّتْ من قولهم : رجلٌ أحصّ أى قليل شعر الرأس . (٨) المفرق : وسط الرأس وهو الذى يفرق فيه الشعر . (٩) الحاسر : من لا مغفر له ولا درع أو لا جُنَّة له . (١٠) فى الأصل "تاق" .

عَذيرىَ من باغٍ يودّ لنفسِــهِ نزاهــةَ أخلاقى، ويُمسى يَعيبُهـا
إذا قَصَّرتْ عنِّى خُطاه أَدَبَّ لى عقاربَ كيدٍ غيرُ جِلْدى نَسيبُهـا
ومن أَمَلِى فى سـيّد الوزراء لى مطاعمُ يُغْنى عن سواها كَسوبُهـا
إذا ما حَمَى مـؤيَّدُ المُلْكِ حَوزةً من الصُّمِّ لم يقـدِرْ عليها طَلوبُهـا
علىَّ ضوافٍ من سوالفِ طَوْلِهِ يجرِّرُ أذيالَ السـحاب سَحوبُهـا (١)
وعَذراءَ عنـدى من نداهُ وثيِّبٍ إذا جُليَتْ زانَ العُـقودَ تَريبُهـا (٢)
عوارفُ تأتى هــذه إثرَ هــذه كما رافدَتْ أعلَى القنـاةِ كُعوبُهـا
إذا عُدّدَ المجــدُ ٱنبرَيْنَ فوائتـا عُقودَ البنانِ، أَن يَعُـدَّ حسيبُهـا
حلفتُ بمُسْتَنِّ البطاحِ وما حَوتْ أسابيعُها (٣) من مَنْسَــكٍ وحَصيبُهـا
وبالبُــدْنِ (٤) مُهداةً، تُقادُ رقابُهـا مُوَقَّفَــةً (٥)، أو واجباتٍ (٦) جُنوبُهـا
لقام الى الدنيا، فقام بأمرهـا — على فترة — جَلْدُ الحصا وصليبُها
وغَيْرانُ لا يُرضيه إصلاحُ جسمه بدارٍ إذا كان الفسـادُ يشوبُهـا
وقَاها من الأطماع حتى لو آنه جرى الدَّمُ فوق الأرض ما شَمَّ ذيبُها
ومدّ عليهـا حامياً يَدَ مُشْــبِلٍ (٧) له عصـبةٌ بعـــدَ النذيرِ وُثوبُها
يَذُّ كلَّ ريحٍ تمترِى ماءَ مُزْنِهـا فـا ضرّها ألّا تهُبَّ جَنوبُهـا
أرى شِبهَهُ الأيّامَ عادتْ بصـيرةً ومُذنِبهـا قد جاءَ وهو مُنيبُهـا
وذلّتْ فأعطاها يَدَ الصفحِ ماجدٌ إذا سِـيلَ (٨) تَرّاكُ الذُّحولِ (٩) وَهُوبُها

(١) فى الأصل ''سُحُوبها'' وهو تحريف . (٢) يريد بالتريب : الترائب وهى عظام الصدر .
(٣) الأسابيع : يريد أسابيع أشهر الحج . (٤) البدن جمع بَدَنةٍ وهى من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تُهدَى الى مكة . (٥) فى الأصل : ''موفقة'' وهو تحريف . (٦) واجبات : ساقطات ، وفى القرآن الكريم : (فإذا وَجَبَتْ جُنوبُها فكُلوا منها) . (٧) فى الاصل : ''مسبل'' وهو تحريف ، والمشبل : ذو الأشبال وهى أجراء الأسد . (٨) سيل : سُئِلَ . (٩) الذحول جمع ذَحْل وهو الثأر أو العداوة والحقد .

لكَ اللهُ راعى دولةٍ رِيعَ سَرْحُها … وراح أمام الطاردين عَزِيبُها[١]

طوتْ حُسنَها ــ والماءُ تحت شفاهها ــ … غِراثًا، وأدنى الأرضِ منها عَشيبُها

إذا ما تراغت[٢] تقتضى نصرَ ربِّها … فليس سوى أصدائها ما يُجيبُها

وقد غَلَب الطَّالِينَ عَرٌّ[٣] جلودها … وفاتت أكفَّ المُلحِمينَ نُقُوبُها[٤]

لها كلَّ يومٍ ناشدٌ غير واحدٍ … تَقَفَّى المُنَى آثارَها فيُخيبُها

ومُطَّلِعٌ يَفْلِى[٥] طريقَ خلاصِها … فيعمَى عليه سهلُها وحَزِيبُها[٦]

نفضتَ وِفاضَ الرأى حتى ٱنتقدتَها[٧] … وما كلُّ آراءِ الرجالِ مُصيبُها

مُحمَّلةً من ثِقْلِ مَنِّكَ أَوْسُقًا … ينوء بها مركوبُها وجَنيبُها

فعطفًا عليها الآنَ تَصْفُ حِياضُها … وتُبْقِلْ مَراعيها وتُدْمَلْ نُدوبُها

فما رَأَمَتْ أَبْواءَها[٨] عند مالكٍ … سواك ولا حنَّتْ لغيرك نِيبُها[٩]

تَسربلْ بأثوابِ الوزارة إنها … لك ٱنتُصِحتْ[١٠] أردانُها وجيوبُها

وقد طالما منَّيْتَها الوصلَ مُعرِضًا … وباعدتَها من حيث أنتَ قريبُها

ومَن يك مولاها الغريبَ وجارَها … فأنت أخوها دِنْيَةً[١١] ونسيبُها

بلطفِك فى التدبير شابَ غلامُها … على السيرة المُثلَى وشَبَّ رَبيبُها

وقد ضامها قبلَ الولاةُ وقصَّرتْ … قبائلُها عن نصرها وشُعوبُها

فداكَ ــ وقد كانوا فداءَكَ ــ منهمُ … جبانُ يدِ التدبيرِ فينا غَريبُها

(١) العزيب : من الإبل والشاء التى تعزب عن أهلها فى المرعى ، وفى الأصل : ''غريبها'' .

(٢) تراغت : صوّتت فضجّت . (٣) العرّ : الجرب . (٤) نقوب جمع نَقْب وهو قرحة تخرج بالجنب . (٥) يفلى : يتدبّر . (٦) الحزيب : الأمر الشديد، وفى الأصل ''وحَزوبها'' .

(٧) فى الأصل ''اتقدتها'' وهو تحريف . (٨) أبواء جمع بوّ وهو جلد الحوار يُحشى تبنا ويقرّب من أمّ الفصيل فترأمه وتعطف عليه فتدرّ . (٩) النيب جمع ناب وهى الناقة المسنة . (١٠) انتُصحتْ : خِيطَتْ . (١١) الدنية : يقال : هو ٱبن عمى دنية بمعنى هو ٱبن عمى لحًّا أى لاصق النسب .

رمَى بك فى صدر الأمور ولم يخفْ … فلولَ نيوبِ الليثِ مَن يستنيبُها
حَملتَ له الأثقالَ والأرضُ تحتَه … وراعيتَه لما عَلَتْه جُنوبُها (١)
وآخرُ أرخَى للنعيم عِنانَهُ … أخو الهزلِ مِمْراحُ العشايا لَعُوبُها

* * *

تزخرفتِ الدنيا له فصَبا لها … مُقارِضةً يَخشَى غدًا ما ينوبُها
وكان فتى أيامِه وابنَ لينها … وأنت أبوها المتَّقَى ومَهيبُها
وقاسٍ كأنَّ الجمرَ فلذةُ كبدِه … يَرَى بالدماءِ نَحْلَةً يستذيبُها (٢)
مَخُوفُ نواحى الخُلْقِ، عُجْمٌ طباعُه … إذا عوجلت، مُرٌّ اللحاظِ مُريبُها
إذا همَّ فى أمرٍ بعاجلِ فتكةٍ … على غَرَرٍ (٣) لم يلتفتْ ما عَقيبُها

* * *

وذو لُوثةٍ (٤)، مَنّاهُ سلطانُ رأيه … مُنًى غَرَّهُ مِحداجُها (٥) وكَذوبُها
ولم يك ذا خيرٍ فشاورَ شرَّهُ … وما الشرُّ إلا أرضُ تيهٍ يجوبُها (٢١)
يواثب من ظَهْر الوزارة رَيِّضًا (٦) … زلوقًا (٧) وقد أعيا الرجالَ رُكوبُها
ومدّ بكفِّ العنفِ فَضلَ عِنانِها … فعادتْ له أفعَى حِداداً نُيوبُها
رَمى الناسَ عن قوسٍ وأعجبُ مَنْ رمى … يدٌ أرسلتْ سهما فعادَ يُصيبُها
تَوقَّ خُطًا لم تدرِ أين عِثارُها … فكم قَدَمٍ تسعَى الى ما يَعيبُها
ولا تحسبَنْ كلَّ السحابِ مَطيرةً … لخاصبُها من حيث يُرجَى صبيبُها

---

(١) فى الأصل "عليه". (٢) يستذيبها : يطلب ذوبها وهو العسل، وفى الأصل "يستديبها". (٣) الغرر : الخطر. (٤) اللُّوثة : الحُمق. (٥) المحداج : الصيفة قلّ مطرها. (٦) يقال : ناقة رَيِّضٌ : أوّل ما ريضت وهى صعبة بعدُ. (٧) الزلوق : الناقة السريعة، وفى الأصل : "زليقا" ومعناها : الولد السقط للناقة اذا أسقطت وهذا لا يتفق ومعنى البيت.

وكم أَصْرَمَتْ(١) تحت العصائبِ لِقحةٌ(٢) ... ودرَّتْ لغـير العاصبين(٣) حُلوبُهـا
أَبَى اللهُ أن يُشـقِى بك اللهُ أمةً ... أردتَ بهـا سُـقْما وأنت طبيبُهـا

* * *

تَطَأْطَأْ لِمَنْ لو قمتَ نالك جالسًـا ... فمـا كلُّ أولادِ الظنون نجيبُهـا(٤)
فقــد دانت الدنيـا لربِّ محاسنٍ ... محاسنُ قومٍ آخرين عيوبُهـا
فيا ناظمًا عِقــدَ الكلام(٥) تمــلَّه ... ويا ناشر النعماءِ حيَّـاكَ طِيبُهـا
إذا الأنفس اختُصَّتْ بحبِّ فضيلةٍ ... سموتَ بنفسٍ كلُّ فضلٍ حبيبُهـا
توافَقَ فيك الناسُ حُبًّا وأَمطَرتْ ... بشكرك سُحبُ القولِ حتى خَلوبُها
ملكتَ مكانَ الودّ من كلّ مهجةٍ ... كأنك لُطفًا فى النفوس قلوبُهـا
إذا الشمس لم تطلُعْ علينا ، وأمرُنا ... بكفّك معقودٌ ، فدامَ مَغيبُهـا
أنا العبــدُ أعطتــك الكرامةُ رِقَّهُ ... وجاءت به عفوا اليك ضُروبُهـا
رفعتَ بأوصــافى طريفًا وتالدًا ... كواكبَ لى عمَّ البــلادَ ثقوبُهـا(٦)
وميّزتَنى حتَّى ملكتُ بوَحْـدَتى ... نواصىَ هذا القولِ يضفو سبيبُهـا(٧)
وكم أملٍ أسـلفتُ نفسى ودعوةٍ ... قنطتُ لهـا ، واللهُ فيك مجيبُهـا
بلغتُ الأمانى فيك ، فابلغ بِىَ التى ... تُنَفِّسُ نَفْسًا ، ملءُ صدرى كُروبُها
وللدهرِ فى حالِى جُروحٌ وإنه ... بلحظك إن لاحظتَ يُوسَى رغيبُها(٨)
ومهما تُعِرْ من نعمةٍ فجزاؤها ... على الله ، ثُمَّ الشــعرُ عنى يُثيبُهـا
بكلّ شَرودٍ يَقطعُ الريحَ شَوطُها ... ويَسرِى أمامَ الغاسـقات دُبوبُها
تَزِمُّ(٩) لِىَ الأصــواتُ يومَ بلاغِها ... إذا ما علا أعوادَ شِعرٍ خطيبُهـا

(١) أصرمت : انقطع لبنها . (٢) اللقحة : الناقة الغزيرة اللبن . (٣) العاصب : الذى يشدّ بالعصابة فخذى الناقة لتدرّ . (٤) فى الأصل : "يخبيها" . (٥) كذا بالأصل وفى النسخة المطبوعة "الكمال" . (٦) ثقوبها : ضوءها . (٧) السبيب : شعر الناصية . (٨) رغيبها : واسعها . (٩) تزمّ : تصوّت .

يروقُكَ منها جَزلُها وحَميسُها … إذا راقَ من أبياتِ أُخرَى نسيبُها
ترى الناسَ خلفى يلقُطون بَديدَها (١) … ويُعجِبهم من غير كدٍّ غُصُوبُها
جواهرُ،لى تصديفُها من بحورها … صِحاحًا، وللعادِى المُغير ثُقُوبُها
يَمُرُّ بها لا بائعا يستحلُّها … بِملكٍ ولا مستوهبا يستطيبُها
بَقيتَ لها مستخدِما حِبَراتِها … ومنتقِدًا ما حُرُّها وجَليبُها
موسَّعةً أيّامُ مُلكِكَ، مُعوِزًا … على الحادثاتِ أن يَضيقَ رَحيبُها
وأعداكَ من شمسِ النهار خُلُوُّها … وإشراقُها، لكن عَداك غُروبُها

✤
✤ ✤

وقال يمدح الوزير تاجَ المُلْك أبا غالب الحسن بن منصور ويهنّئه بالوزارة، وأنفذها اليه وهو بواسط، بعد ظَفره بأبى محمد بن سَهْلانَ، وعرَّض بذكر الحرب التى جرت بينهما، وحصولِه فى رِبْقَته، وذلك فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

قضى دَينَ "سُعدَى" طيفُها المتأوِّبُ (٢) … ونَوَّل إلا ما أَبَى المتحَوِّبُ (٣)
سَرَى فأراناها على عهد ساعةٍ … ومن دونها عَرضُ "الغُوير" "فَغُرَّبُ" (٤)
فمثَّلها لا عِطْفُها متشمِّسٌ … ولا مسُّها تحت الكرى متصعِّبُ
تحيِّى نَشاوَى من سُرى الليل ألصقوا … جُنوبا بجِلدِ الأرضِ ما تتقلَّبُ
إذا أَنِسوا بالليل جاذَبَ هامَهم … حوافرُ قَطْعِ الليل، والنومُ أطيبُ
وفى التُّرب مما استصحبَ الطيفُ فَعمةٌ (٥) … يُرواح قلبى نَشْرُها (٦) المتغرِّبُ
فَعَرَّفنى (٧) بين الركاب كأنما … حقيبةُ رَحلى باقِيَ الليلِ مَسْحَبُ

(١) فى الأصل: يطلقون. (٢) المتأوِّب: الطارق أول الليل. (٣) المتحوب: المتعبد الذى يلقى الحوب عن نفسه. (٤) الغوير كزُبير، وغُرَّب كسكَّر: اسما موضعين. (٥) فعمة: نَفْحة. (٦) فى الأصل "بشرها" وهو تحريف. (٧) فعرّفنى: فطيبنى بعرفِه.

ألا ربما أعطتــك صـادِقَةَ المُـنَى ... مصـادَفَةُ الأحلامِ من حيثُ تكذبُ

ويومٍ كظلِّ السـيفِ طال قصـيرُهُ ... على حاجةٍ من جانبِ "الرَّملِ" تُطلَبُ ٣٢

بعثتُ لهـا الوَجناءَ(١) تقـفو طريقَها ... أمامَ المطـايا تسـتقيمُ وتَنكُبُ

فمـالت على حكم الصَّبا "لمحجَّرٍ"(٢) ... وللسـير فى أُخرَى مَظَنٌّ ومَحْسَبُ

أعِدْ نظَـرًا وٱسـتأنِ يا طرفُ ربمـا ... تكون التى تهوَى التى تتجنَّبُ

فمـا كلُّ دارٍ أقفـرتْ "دارةُ الحِمَى" ... ولا كلّ بيضـاءِ الترائبِ "زَينبُ"

عجبتُ لقلبي كيف يسـتقبل الهوى ... ويزجو شبابَ الحيّ والرأسُ أشيبُ

تَضُمُّ حِبـالَ الوصل من "أمِّ سالمٍ" ... وحبلُكَ بعـد الأربعـين مُقَضَّبُ(٣)

وليس لسوداءِ اللحاظِ ـ ولو دنا ... بها سببٌ ـ فى أبيض الرأس مَطْرَبُ

ولائمـةٍ فى الحظّ تحسَـبُ أنّه ... بفضلِ ٱحتيالِ المرءِ والسـعيِ يُجلَبُ

رأت شَـعَثًا غطّى عليـه تَصَـوُّنى ... وعيشـا بغيضـا وهو عنـدى محبَّبُ

وقد كنتُ ذا مالٍ مع الليـل سارحٍ ... علىّ، لو ٱنّ المـالَ بالفضلِ يُكسَبُ

ولكنه بالعِـرضِ يُشرَى خِيـارُه ... ويَنمِي على قَدرِ السـؤالِ ويَخصِبُ

وما ماءُ وجهى لى إذا ما تركتُهُ ... يُراقُ على ذلِّ الطِّـلابِ ويَنضُبُ

وإنكِ لا تدرين، واليـومُ حاضرٌ ... بحـالِ ٱختـلالى، ما غدًا لِى مغيَّبُ

لعـلّ بعيــدًا ماطَلَتْ دونه المُـنَى ... سيحكُمُ "تاجُ المُلْكِ" فيـه فيقـرُبُ

فمـا فوقه مَرمًى لظـنٍّ موسَّــعٍ ... ولا عنـه للحقّ المضَــيَّعِ مَذْهَبُ

وإن فاتنى مِن جودِهِ وٱصـطفائِهِ ... الى اليــوم ماتُسْنِي(٤) يداه ويوهَبُ

وأيبَسَ رَبعِى وحـدَه من سَحـابةٍ ... تبيتُ لمثـلى من عَطـاياه تَسْكُبُ

فرِجْلِىَ كانت دون ذاك قصــيرةً ... وحظِّىَ فيما جازنى(٥) منـه مُذْنِبُ

(١) الوجناء: الناقة المسرعة . (٢) محجّر: كُمعظَّم ومُحدِّث اسم لجملة مواضع . (٣) المقضّب: المقطّع . (٤) تسنى: ترفع . (٥) فى الأصل "حازنى" .

ولا لومَ أَن لم يأتني البحرُ، إنما … على قدر ما أسعى الى البحرِ أشربُ
حَمَى بيْضةَ الإسلامِ ليثٌ تناذرتْ … ذئابُ الأعادي الطُّلْسُ (١) عما يُذَبِّبُ (٢)
وزانت جبينَ المُلك دُرَّةُ تاجِهِ … فما ضرّه أيُّ العمائم يُسْلَبُ
وَفَى بالمعالى مستقلًّا بحملها … متينٌ إذا خارت قُوَى العزمِ صُلَّبُ
تريه خَفِيّاتِ الشَّوا كلِ فكرةٌ … بصيرٌ بها مِن خَطْفةِ النجم أثقبُ
إذا آستقبل الأمرَ البطيءَ برأيه … تبيّنَ من أُولاهُ ما يَتعقَّبُ
ومُزلِقةِ المتنين تَمنعُ سرجَها … وتُسأَلُ قُوسُ (٣) النُّجمِ: من أين تُصحَبُ
أَبَتْ أن يُطيف الرائضون بجنْبها … فقوَّدتَها مملوكةَ الظَّهرِ تُركَبُ
ويومٍ بلون المشرفيَّةِ أبيضٍ … ولكنه مما يُفَجَّرُ أَصهبُ (٤)
إذا أسفرتْ ساعاتُه تحت نَقْعهِ … عن الموتِ ظلّت شمسُه تَتنقَّبُ
صبَرتَ له نَفْسًا حبيبًا بقاؤها … الى المجدِ حتّى جئتَ بالنصرِ يُجْنَبُ
كواسِطَ، والأنبارُ أمسِ كواسطٍ … ومن إيّما يوميْك لا أتعجَّبُ
وكم دولةٍ شاختْ وأنتَ لها أخٌ … وأُخرى تُربِّيها وأنتَ لها أبُ
ينام عزيزا كهلُها وغلامُها … وأنت عليها المُشْبِلُ المتحدِّبُ
أرَى الوزراءَ الدارجين تطلّبوا … على فضلهم ما نلتَه فتخيّبوا
تباطَوْا عن الأمر الذى قمت آخذا … بأعجازه وآستبعدوا ما تُقَرِّبُ
فلو لحقَتْ أيامُهم بك خلتَهم … بهَدْيك ساروا أو عليك تأدّبوا
نَهيتُ الذى جاراك راكبَ بغيِه … الى حَيْنه، والبغيُ للحَينِ مَركَبُ
وقلتُ: تَفلَّلْ (٥)، إنما أنت حابِلٌ (٦) … على جنبك الواهي تَحُشُّ وتَحطُبُ

(١) الطلس جمع أطلس وهو الأمعط من الذئاب. (٢) يذبّبُ: يدافع. (٣) قُوس جمع أقوس وهو المحنيّ. (٤) أصهب: أحمر. (٥) تفلّلْ: انهزِمْ. (٦) الحابل: الذى معه حبله.

دعِ الرأسَ واْقنـع بالوسـيطةِ ناجيًا ... بنفسك، إن الرأسَ بالتّـاج أنسبُ
وإن ولىّ الأمرِ دونك ناهضُ الـ ... ـبصـــيرةِ طَبٌّ (١) بالخطـوب مدرَّبُ
وأهيبُ فينـا من قُطـوبك بِشْرُه ... وما كـلّ وجــهٍ كالحٍ يُتَهيَّبُ
بفعلك سُـدْ، إن الأسامِي (٢) مُعـارةٌ ... وبالنفس فاخرْ لا بمن قمتَ تَنْسُبُ
تمنَّوْكَ "تاجَ الملكِ" أن يتعلّقوا ... غُبارَك، وٱبنُ الريح فى السَّبق أنجبُ
فظنّــوا تكاليفَ الوزارة سهـلةً ... ومنكِبُ"رَضوى (٣)"فى العريكةِ يَصعبُ
فلا زلتَ تلقَ النصرَ حيث طلبتَـه ... بجَـدّك يعـلو أو بسـيفك يَضرِبُ
تَمُدُّ لك الدنيـا مَطَاها (٤) ذايـلةً ... فَترَكَبُ منهـا ما تشـاءُ وتُركِبُ
الى أن ترى ظهرَ البسـيطةِ قبضـةً ... بكفّيـك يَلْقَ مَشرِقًا منـه مغـرِبُ (٢٣)
وقُيِّضَ لى من حُسنِ رأيك سـاعةٌ ... يُسـاعف فيهـا حظِّىَ المتجنِّبُ
فتُمطِرنى من عدْلِ جودك ديمـةٌ ... تبـلُّ ثرى حالى بمـا أنا مُجـدِبُ
لعـل خَفيًّـا كامنـا من محاسـنى ... تبـوحُ به نُعماك عنّى وتُعـرِبُ
ومَن لِىَ لو أنّى على العجـز ماثلٌ ... بناديك يُصـغِى المُفحَمون وأخُطبُ؟
فتشهـد أَنى ما عـدمتُ فضـيلةً ... الى مثلكم مثـلى بهـا يتقـرَّبُ
وتَعــلم منّى كيفَ أمـدحُ ناظمًا ... فإنـك تدرِى ناثرا كيف أكتُبُ

* * *

وقال وقد تُوُفِّىَ أبو الحسين أحمد بن عبد الله، وكان من معادن الفتوّة الغريبـة، ومظانّ الكرم العجيبة، وجامعا للدين والمروءة والفضل والرياسة، واتفقَ قبل موته بسنين قلائل ٱنتساجُ مودّةٍ بينه وبينه سبقَ خبرُها، بدأ أبو الحسين بِخِطْبتِها، وقصدَهُ

(١) الطبّ: البصير بالأمر والحاذق الماهر. (٢) الأسامى: الأسماء. (٣) رضوى: اسم جبل. (٤) المطا: الظهر.

راغبا فيها، وتبرّع بضروب من التفقّد وأصنافٍ من الرّعاية، تبعُدُ على كثيرٍ من أبناء الزمانِ الفطنةُ لها، فعمل هذه القصيدةَ يرثيه، وتُوُفِّيَ بواسطٍ فى شوّال سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

نعم! هــذه يا دهرُ أمُّ المصائبِ … فلا تُوعِدَنِّى بعـــدَها بالنـوائبِ

هتكتَ بهـا سِـتر التجامُلِ بيننـا … ولم تلتفت فينـا لِبُقْيَا(١) المُـراقِبِ

وما زلت ترمى صفحتى بين عاصدٍ(٢) … ومنحـرِفٍ حتى رَمَيْتَ بصـائبِ

فرأيَكَ فى قَوْدى، فقد ذلَّ مِسْحَلى(٣) … وشأنَكَ فى غمزِى، فقد لان جانبى

ولا تحسَـبَنِّى باســطا يدَ دافِعٍ … ولا فاتحا من بعـــدها فَمَ عاتبِ

ولا مُســبِغا فَضفاضــةً(٤) أبتغى بها … شَـبَا(٥) طاعنٍ من حادثاتك ضاربِ

لهـا كنتُ أستبقى الحياةَ وأحتمى … وأجمعُ بُرْدِى من أكُفِّ الجواذبِ

وَلجتَ رُواقَ العـزّ حتى ٱقتحمتَهُ … بلا وازعٍ عنــه ولا ردِّ حاجبِ

وأنشبتَ فى صمّـاءَ عهـدى بمتنها … صفيقَ المَطَـا زَلِيقــة بالمخـالبِ

سددتَ طريقَ الفضلِ من كلِّ وِجهةٍ … وملتَ على العليـاء من كلّ جانبِ

فـلا سَنَنٌ(٦) إلا محجَّــةُ تائِهٍ … ولا أمـلٌ إلا مطيَّـــةُ خائبِ

أبعدَ ٱبنِ "عبدِ اللهِ" أحظَى براجعٍ … من العيش، أو آسَى على إثْرِ ذاهبِ؟

وأُرسِـلُ طَـرفى رائدا فى خميـــلةٍ … من النـاسِ أبغى نُجعــةً لمَطـالبى؟

وأقدحُ زَندا واريًا من هَوَى أخٍ … وأكشفُ عن ودٍّ خبيئةَ صاحبِ؟

وأدفعُ فى صــدرِ الليـالى بمثـلِهِ … فترجِعَ عنّى داميـاتِ المنـاكبِ؟

(١) فى الأصل: "كِبُقْيَا". (٢) العاصد: السهم الملتوى. (٣) المسحل كمنبر: اللجام.
(٤) الفضفاضة: الدرع. (٥) شبا جمع شباة وهى حدّ كلّ شىء. (٦) السنن: الطريق.

أَبَى ذاك قلبٌ عنه غـيرُ مُغالِطٍ ... برجمٍ(١)، وحِلمٌ بعـدَهُ غـيرُ عازبِ
وأنَّ خُروقَ المجـدِ ليستْ لراقعٍ ... سواه، وصدعَ الجودِ ليس لشاعبِ
طَوَى الموتُ منه بُردةً فى دُروجها ... بقيّـةُ أيامِ الكرامِ الأطايبِ
مُحَـبَّرةً، سَـدَّى(٢) وألحمَ وَشْيَها ... صَـناعٌ بحَوْكِ المكرماتِ الرغائبِ
كسا اللهُ عِطفَ الدهرِ حِيناً جمالَها ... فلما طغى قِيضتْ لها يَدُ سالبِ
لئن دَرَسَتْ منها الخُطوطُ(٣) فإنه ... لَيَبْقَى طويلا عَرفُها فى المَساحبِ
وجوهرةً فى النـاس كانت يتيمةً ... وهل من أخٍ للبدرِ بين الكواكبِ
أَبَى الحسْنُ أن يحبى بها عِقـدُ ناظِمٍ ... فتُسلَكَ، أو يسمو لها تاجُ عاصبِ
فمُـدَّتْ اليها بالردى يَدُ كاسرٍ ... وكان يقيها المجـدُ من يدِ ثاقبِ
سل الموتَ: هل أودعتَه من ضغينةٍ ... تَنَـقَّمَ منها فهو بالوِتْرِ(٤) طالبى ؟
له كلَّ يومٍ حـولَ سَرحِىَ غارةٌ ... يشرِّد فيها بالصـفايا النجائبِ
سُـلافةُ إخوانى وصـفوةُ إخوتى ... ونُخبـةُ أحبابى وجُـلُّ قرائبى ٢٤
فلَيتَ عفا عن "أحمدٍ" فادياً له ... بمُصرِمـةٍ(٥) ممـا اقتنيتُ وحالبِ
أألآن لمّا اشـتدّ مَتْـنِى بودّه ... وردّتْ ملاءً من نَداه حَقـائبى!
وجَمَّتْ لآمالى العطاشِ حِياضُـهُ ... وكانت تُخَلَّى(٦) عن نِطافِ المَشـاربِ!
فُجِعتُ به غَضَّ الهوى حاضرَ الجَدَى ... جديدَ قميصِ الودّ سَهْلَ المَجاذبِ
كأنى على العهدِ القريبِ اعتلقتُـهُ ... بطُولِ اختبـارى أو قديمِ تجاربى
سَـدَدتُ فَمَ النـاعِى بكفِّى تطيرًا ... ولوَّيتُ وجهى عنـه لَىَّ مُغاضِبِ

(١) الرجم: الظن. (٢) سَدَّى وألحم أى أقام سَدَاها ولُحمَتَها. (٣) فى الأصل: "الحظوظ" وهو تحريف ويريد بها خطوط البردة التى كسا الله بها عطف الدهر. (٤) الوتر: الثأر أو الحقد. (٥) المصرمة: الناقة التى كُوِىَ ضَرعها فانقطع لبنها. (٦) نطاف جمع نُطفة وهى الماء الصافى أو البقية منه.

وقلتُ : تبيَّنْ ما تقولُ لعلَّها … تكون كتلك الطائراتِ الكواذبِ !

فكم غامَ من أخباره ثم أقشعتْ … سحابتُه عن صالحِ الحالِ ثائبِ

فلمّا بدا لِى الشرُّ فى كَرِّ قوله … ربطتُ نَوازِى أضلعِى بالرواجِبِ (١)

ومِلتُ الى ظِلٍّ من الصبر قالِصٍ … قصيرٍ ، وظَنٍّ بالتجمُّلِ كاذبِ

ونفْسٍ شَعاعٍ (٢) قد أخلَّ وقارُها … بعادتِه فى النازلاتِ الصعائبِ

وعينٍ هَفَا الحزنُ الغريبُ بجفنها … فطاحَ ضياعا فى الدموعِ الغرائبِ

أُسائلُ عنه المجدَ وهو معطَّلٌ … سؤالَ الأجبِّ (٣) عن سَنامٍ (٤) وغاربِ (٥)

وأستروحُ الأخبارَ وهى تسوءنى … علائقَ منها فى ذيولِ الجنائبِ (٦)

فيُفصِحُ لى ما كان عنه مُجَمْجِماً … ويصدُقُنى ما كان عنه مُوارِبى

فَقيدٌ «بميْسانَ» (٧) آستوت فى آفتقاده … مَشارقُ آفاق العُلا بالمغاربِ

وقِيدَ الحياءُ والسماحُ فأُرْجِلَا … عَقيرَيْنِ فى تُرْبٍ له مُتراكِبِ

تُنافِثُ عن جمرِ الغضا نادِباتُه … كأنّ فؤادى فى حُلوقِ النَّوادبِ

بكتْ أدمعا بِيضًا ودمَّتْ جِباهَها … فتحسَبُها تَبكِى دَمًا بالحواجبِ

دوتْ هَضْبةُ المجدِ التليدِ وعُطِّلتْ … رسومُ الندَى وآنقضَّ نجمُ الكواكبِ

ورُدَّتْ رِكابُ المُخمِسين (٨) بِظِمئِها … تكدّ الدلاءَ (٩) فى رَكايا (١٠) نواضبِ (١١)

(١) الرواجب جمع راجبة وهى المفاصل التى تلى الأنامل . (٢) شعاع : متفرقة .
(٣) الأجبّ : مقطوع السنام . (٤) السنام : الحدبة فى ظهر البعير . (٥) الغارب : الكاهل .
(٦) الجنائب : جمع جنوب وهى ريح تخالف الشمال . (٧) ميسان : اسم كورة واسعة بين البصرة وواسط . (٨) المخمسين : الذين ترد إبلهم خمْسا ، والخمس بكسر الخاء : من أظماء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترِد الرابع . (٩) الدلاء جمع دلو ودو معروف . (١٠) الركايا جمع ركيّة وهي حفرة يجتمع فيها الماء . (١١) نواضب : غوائر .

وَمَنْ يستبلُّ المُسنِتون[1] بسيبهِ[2] فيَرجِعَ خُضْرًا بالسـنين الأشاهبِ ؟[3]
ومولًى كشفتَ الضيمَ عنه وقد هَوى به الذلُّ فى عَمياءَ ذاتِ غَياهبِ
فلما رآكَ آستشعرَ النَّصْفَ وآستوتْ به رِجـلُه فى واضحٍ مُتلاحبِ[4]
وفيمن يُصاغُ الشعرُ بعدَك ناظمًا عقـودَ الثنـاءِ حاظيًا بالمَنـاقبِ !
وأين أخوكَ الجودُ من كفِّ راغبٍ إذا لم تكن قَسَّامَ تلك الرغائبِ ؟
ومن ذا يعى صوتى ويعتدّ نُصرتى جهادا، وودّى من وشيج[5] المَناسبِ[6] ؟
برغمِىَ أنْ هبَّ النيامُ وأننى دعوتُكَ وجهَ الصبح غيرَ مُجاوِبِ
وأن لا تُرَى مُستعرِضا حاجَ رُفقةٍ ولا سائلًا : من أين مَقْدَمُ راكبِ ؟
وكنتُ إذا ما الدهرُ شلَّ مَعاطنى دعوتُك فاستنقذتَ منه سَلائبى
ذخيرةُ أنسى يومَ يوحشنى أخى و بابى اذا سُدّتْ علىَّ مَذاهبى
وكم من أخٍ بَرٍّ وإن أنا لم أجِدْ كأنْتَ أخًا فى أُسرتى والأجانبِ
سَرَى الموتُ من أوطانه فى مآلفى ونقَّبَ من أخلافِهِ[7] عن حبائبى
عجبتُ لهذى الأرضِ كيف تلُمُّنا لتَصدَعنا ، والأرضُ أمُّ العجائبِ
نطارِدُ عن أرواحِنا برماحِنا ونَطرُبُ من أيامنا للحرائبِ
وتَسحَرنا الدنيا بشَبعةِ طاعمٍ هى السَّقَمُ المُرْدِى، ونَهلةِ شاربِ
أُحدّثُ نفسى خاليًا[8] بخلودها فأين أبِى الأدنَى وأين أقاربى ؟
ولا كنتُ إلا واحدا من عشيرةٍ ولا باقيا فى الناس إلا آبن ذاهبِ

---

(١) المسنتون : المجدبون . (٢) السيب : العطاء والعرف . (٣) الأشاهب : يقال سنة شهباء أى لا خضرة فيها أو لا مطر . (٤) يريد بقوله متلاحب : واضح وهو من باب التوكيد لقوله "واضح" قبلها . (٥) الوشيج : اشتباك القرابة . (٦) المناسب : القرابات . (٧) الأخلاف جمع خَلْف وهو البقية من الناس، وفى الأصل "أخلاقه" . (٨) فى الاصل : "حاليا" .

فهل أنا أَجْبَى من مَقَاوِلِ ‹‹حِمْـيَرٍ››[١] وأمنعُ ظَهرا من مُشـيَّد ‹‹مَأْرِب››[٢] ؟

وهل أخَذتْ عهدَ ‹‹السموءلِ›› لى يدٌ من الموتِ أو عندى حَنيَّةُ ‹‹حاجبِ››[٣] ؟

أردّ شـفارا عن نحورِ صَحابةٍ كأنىَ دَفَّاعٌ لهـا عن ترائبى

ولا عِلمَ لى من أىّ شِـقٍّ مصرَعى وفى أيِّـا أرضٍ يُخَطُّ لجانبى

إذا كان سهمُ الموتِ لابدّ واقعا فياليتنى المرمىُّ من قبـلِ صاحبى

ويا ليتَ مقبورا ‹‹بكوفان›› شاهدٌ جوایَ ، وإن كانت شهادةَ غائبِ

ولَيتَ بِساطَ الأرض بينى وبينـه طوتْه على الأعضادِ أيدى الركائبِ

فَعُجْتُ عليـه واقفًا فمسلِّمـا وإن هُوَ لم يَفقهْ حديثَ المُخـاطِبِ

ولَيتَ طريفَ الودّ بينى وبينـه ـ وإن طابَ يومًا ـ لم يكن من مكاسبى

سـلامٌ على الأفراح بعـدَك إنها ـ وإن عشتُ ـ ليست إربةً من مآربى

إذا دنَّس الحـزنَ السـلوُّ غسلتُـهُ فعاد جـديدا بالدموعِ السواكبِ

وإن أحدثَتْ عندى يدُ الدهرِ نعمةً ذكرتُك فيها فاغتدتْ من مَصائبى

أُدارِى عيـونَ الشـامتين تجـلُّدا وأبسِمُ منهـم فى الوجوهِ القواطبِ

أُرِيهـم بأنى ثابتُ الريش ناهضٌ وتحت جَناحى جانفـاتُ المخـالبِ

سَـقَتكَ بمعتادِ الدموع مُرِشَّـةً أفاويقُ[٤] لم تُخْـدِج[٥] بلمعـةِ خالبِ

يلوث خطـافُ البرقِ فى جَنَباتِهـا بهامِ الهضابِ السودِ حُمرَ العصائبِ

لهـا فوق مَتنِ الأرضِ ـ وهى رفيقةٌ بما صافحت ـ وَخْدُ القرومِ المصاعب

---

(١) المقاول جمع مِقول وهو الملك من حِميَر . (٢) مارب : يريد ‹‹مأرب›› كمنزل : موضع باليمن ، وقيـل اسم قصرها . (٣) يريد حاجب بن زرارة حين وفد على كسرى وأرهنه قوسه ضمانا له بوفاء العرب . (٤) الأفاويق : ما اجتمع فى السحاب من ماء فهو يمطر ساعة بعد ساعة . (٥) لم تخدج أى لم يقلّ مطرها .

تَرَى كلَّ تُربٍ كان يَعتاضُ لينًا لها، وغلامًا كلَّ أشمطَ شائبِ (١)
إذا عُمِّمتْ جَلْحاءُ (٢) أرضٍ بوبلها غدتْ روضةً وفراءَ ذات ذوائبِ
وإن كان بحرٌ فى ضريحك غانيا بجُمَّاتِه عن قاطراتِ السحائبِ

* * *

قال وكتب بها إلى الصّاحبِ أبى القاسِم بنِ عبدِ الرّحيم رحمهُ الله، يهنّئه بمقدَمِه من واسطٍ، ويَستبشِرُ به، ويذْكُر خلاصَه من النَّبْوَةِ التى لحقتْه بها، وذلك فى صفر سنة أربع عشرة وأربعمائة

تزِلُّ الليالى مرَّةً وتصيبُ ويعزُبُ حِلمُ الدهرِ ثمَّ يثوبُ
وتَستلقِحُ الآمالُ بعدَ حِيالها (٣) أوانًا وينأَى الحظُّ ثم يؤوبُ
ولولا قُفولُ الشمس بعد أُفولِها هوتْ معَها الأرواحُ حين تغيبُ
تَنظَّرْ وإن ضاقت بصدرٍ رِحابُهُ فُروجَ صَلاحٍ ذَرعُهنّ رحيبُ
فما كلُّ عينٍ خالجتْك مريضةٌ وخطفةُ برقٍ خالستْك خَلوبُ
قَضتْ ظُلُماتُ البُعدِ فيك قَضاءَها فصُبحًا (٤)، فهذا الفجرُ منك قريبُ
بدَتْ أوجُه الأيّام غُرًّا ضواحكا وكنَّ وفِى ٱستبشارِهنّ قُطوبُ
وطارحْننى عُذرَ البرىءِ وربما سَبقنَ وفى أعذارهنّ ذُنوبُ
أَرى كَبِدى قد أَثلجتْ فى ضلوعها وكانت على جمرِ الفراقِ تذوبُ
وراحت إليها بعدَ طُول ٱلتياحِها صَبًا قَرَّةٌ تَندَى لها وتطيبُ
سَرَى الفضلُ من مَيسانَ يُشرِقُ بعدما أطال دُجَى "الزَّوراءِ" منه غروبُ

(١) يريد بقوله "وغلاما كل أشمط شائب" أن الأرض ترعرعت وآخضرت وعاد اليها لينها بعد يبسها وأن كل شائب عاد غلاما مترعرعا مما حلّ به من الخصب الذى أعاد للارض لينها وللشائب نضرته بما عاد عليه من ترف العيش ورفاهته. (٢) الجلحاء: الأرض التى لا نبات فيها. (٣) الحيال: عدم حمل الناقة. (٤) يريد فآنتظر صبحا.

وهبّت رياح الجودِ بُشرى بقربِهِ لها سالفٌ(١) من نشرِها وجنيبُ
وما خِلتُ أن البدرَ يطلُعُ مُصعِدا ولا أنَّ ريحَ المكرماتِ جَنوبُ
تزاحمتِ الأيّامُ قبلَ لقائه بجنبيَّ من ذَنب الفراقِ تتوبُ،
وتُقسِمُ لى أَيْمانَ صدقٍ بأنْ غدًا تراه، وبعضُ المُقسِمين كذوبُ
وقد زادنى شكرا — لحُسْنِ وفائها بما وعَدَتْ — أنَّ الوفاءَ غريبُ
كفَى البين، أنى لِنْتُ تحتَ عِراكِه وخُرتُ وعُودى فى الخطوبِ صليبُ
وقاربتُ من خَطوى رِضًا بقضائِهِ ولى بين أحداثِ الزمانِ وُثوبُ
حَملتُ وُسوقَ البُعدِ فوق أضالعٍ من الثِّقْلِ عَضَّاتٌ بها ونُدوبُ
أَخُبُّ حِذارَ الشامتينَ تجلُّدا بهنّ وما تحتَ الحِبالِ(٢) نَجيبُ
فإن تُعقبِ الأيّامُ حُسْنَى تسوءُها فللصبرِ أُخرَى حُلوةٌ وعَقيبُ
سَمَتْ أعينٌ مغضوضةٌ، وتراجَعتْ الى أُنسِها بعد النفورِ قُلوبُ
وعادت تسرّ الرائدينَ خميلةٌ تَعاوَرَها بَعدَ "الحسَين" جُدوبُ
فماءُ الندى عَذبُ اللِّصابِ(٣) مُرَقْرَقٌ وغصنُ المُنَى وَحْفُ(٤) النباتِ رطيبُ
سيُلقِى عصاهُ وادعًا كلُّ خابطٍ على الرزقِ يطوِى أرضَه ويجوبُ
وهل ينفُضُ الجوَّ العريضَ لنُجعةٍ أريبٌ، وواديه أغمُّ خصيبُ ؟
أقولُ لآمالى وهنّ رواقدٌ : خذى أُهبةَ اليقظانِ، حانَ هُبوبُ
إذا الصاحبُ آستقبلتِ غرّةَ وجهِهِ بدا قمرٌ وافٍ وماسَ قضيبُ
ولم تَفْتحِى الأجفانَ عن طَرْفِ لافتٍ الى نائباتِ الدهرِ حين تنوبُ
سلامٌ! وحيّا اللهُ والمجدُ سُنّةً لها فى دُجُنّاتِ الظلامِ ثُقوبُ

(١) السالف : السابق . (٢) الحبال : الكَلّ . (٣) اللصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادى . (٤) الوحف : الكثير الملتفّ .

(٢٦)

وزادت عَلاءً فى الزمان وبَسْطَةً ... يَدٌ تُصرِمُ الأنواءُ(١) وهى حَــلُوب
لآثارِهــا فى كلِّ شهباءَ(٢) روضــةٌ ... وفى كلِّ عَميــاءِ المياهِ(٣) قليبُ
حمى مجــدَهُ وافى الحمــائل سيفُهُ ... غيورٌ اذا ما المجــدُ ضِيمَ غَضوبُ
له كلَّ يَومٍ نهضةٌ دون عِرضــهِ ... اذا نام حُبــا للبقاءِ حَسيبُ
قليلةُ أُنسِ الجفنِ بالغُمْضِ عينــهُ ... وللعــارِ مَسرًى نحــوه ودبيبُ
إذا سال وادى اللُّؤمِ حَلَّتْ بيوتُهُ ... بأرعنَ(٤) لا ترقَى إليــه عُيــوبُ
وقامَ بأمرِ المُلك يَحسِــمُ داءَهُ ... بصــيرٌ بأدواءِ الزمانِ طبيبُ
له مَــدَدٌ من سـيفِهِ ولسانِهِ ... قؤولٌ إذا ضاقَ المَجــالُ ضَروبُ
إذا يَبستْ أقلامُــهُ أو تصامتتْ ... فصارمُهُ رَطْبُ اللسانِ خَطيبُ
يُرَى كلَّ يومٍ لا بسًا دَمَ قارنٍ(٥) ... له جَسَــدٌ فــوق الترابِ سَليبُ
ولم أرَ مثلَ السيف عُريانَ كاسيًا ... ولا أمرَدَ الخــدَّين وهْو خضيبُ
وقد جرّبوه عاطــلًا ومقــلَّدا ... وقادوه يَعْصِى حبــلَهُ ويُجيبُ
فمــا وَجَدُوا مَعْ طُولِ ما اجتهدوا له ... فتًى عنــه فى جُلَّى تنوبُ ينوبُ
فعادوا فعــاذوا ناهضين بعــاجزٍ(٦) ... حضورهُــمُ ما أخّروه مَغيبُ
أمينٌ على ما ضــيّعوا من حقوقه ... سليمٌ، وودّ الغــادرين مَشوبُ
من البيِض، إلا أن يُحلِّى وجوهَهُم ... ــإذا هُجِروا خَلْفَ الترابِ ــ شُحوبُ
صِبَاحٌ، نجومُ العزِّ فوق جِباههم ... طوالعُ غُــرٌ، والنجــومُ تغيبُ

---

(١) الأنواء جمع نوء وهو المطر . (٢) يريد بالشهباء : السنة المجدبة . (٣) يريد بعمياء المياه : المفازة التى لا ماء فيها . (٤) الأرعن : الجبل . (٥) القارن : الذى معه سيف ونبل أو رمح وجعبة . (٦) العاجز : السابق ، مأخوذ من قولهم : عاجزه فعجزه فهو عاجز بمعنى سابقه فسبقه فهو سابق .

عصائبُ تيجانِ الملوك سِماتُهم ... ويومُهُمُ تحتَ الرِّماح عَصيبُ
إذا حِيزَ بيتُ الفخرِ حَلَّق منهُمُ ... عليه شَبابٌ طيِّبونَ وشِيبُ
لهم كلُّ مقرورٍ عن الحِلم، ظَنُّهُ ... يقينٌ، وَهَافِي(١) عزمتيه لبيبُ
تَغيضُ أكفُّ الواجدين وكَفُّهُ ... على العُدْمِ تَهمِى مرّةً وتصوبُ
تكادُ من الإشراق(٢) جِلدةُ خدّهِ ... تَغَصُّ بماءِ البِشر وهْو مَهيبُ
يقيكَ الردَى غُمْرٌ(٣) يُجاريك فى النَّدَى ... فيعقِلُ عِيٌّ رُسْغَهُ ولُغُوبُ
إذا قمتَ فى النادى بريئًا من الخنا ... تلفَّتَ من جنبيهِ وهْو مريبُ
تَتبَّعَ يقفو الخيرَ منكَ بشرِّهِ ... خِداعًا، كما قَصَّ المَشَمَّةَ ذيبُ
تنبَّهَ مشروفًا بغلطةِ دهرِهِ ... وبِتَّ بمجدٍ أنتَ فيهِ نسيبُ
وقد يُنهِضُ الحظُّ الفتى وهْو عاجزٌ ... لحاجاتهِ حتى يقالَ: نجيبُ
أنا الحافظُ الذوّادُ عنك وبيننا ... وَشائعُ(٤) من بُسْطِ الفلا وسُهوبُ(٥)
شَهَرْتُ لسانًا فى ودادك، جُرحُهُ ... ـ إذا حَزَّ فى جِلد النفاقِ ـ رَغيبُ
لك الجُمَّةُ الوطفاءُ(٦) من ماءِ غَربِهِ ... وعند العِدَا حَرٌّ له ولهيبُ
يَسرُّك مكتوبا وشخصُك نازحٌ ... ويرضيك مسموعًا وأنتَ قريبُ
وكيف تَرَوْنى قاعدا عن فريضةٍ ... قيامى بها حقٌّ لكم ووُجوبُ
وفيكم نما غُصني وطالت أراكتي ... وغُودرَ عيشى الرثُّ وهو قشيبُ
شَوَىً(٧) كلُّ سهمٍ طاحَ لى فى سواكُمُ ... ولى شُعبةٌ من رأيكم ونصيبُ
ولى بَعْدُ فيكم ذَروةٌ ستنالُها ... يدى، ومُنًى فى قولها ستُصيبُ

(١) الهافى: الزَّالُّ. (٢) فى الأصل: "الأشواق". (٣) الغمر: الجاهل.
(٤) الوشائع جمع وشيعة وهى الطريقة فى البُرْد. (٥) سهوب جمع سهب وهو ناحية الفلاة التى لا مسلك فيها. (٦) الوطفاء: السحابة الدائمة السَّحّ. (٧) الشوى: الأطراف، ويقال شواه فأشواه أى أصاب شواه ولم يصب مقتله ثم استُعمِلَ فى كلّ من أخطأ غرضًا.

متى تذكروا حـقِّى أَبِتْ بوفائكم | وظَهْرُ العـلى العاصِى علىَّ رَكوبُ
طَرِبتُ وقد جاء البشـــيرُ بقربكم | وذوالشوقعندآسم الحبيبِطَروبُ
وقمتُ إليــه راشــفًا من ترابِهِ | ثَرًى لك يحـلو رشـفُهُ ويطيبُ
فـلا كانَ يا شمسَ الزمانِ وبَدْرَهُ | لسعدِك من بعـدِ الطلوعِ مَغيبُ
ولا زلتَ مطلوبًا تفوتُ، ومُدرِكًا | أواخرَ ما تبـــغِى وأنتَ طَلوبُ
كأنك من حَبِّ القلوبِ مصوَّرٌ | فأنتَ إلى كلِّ النفوسِ حبيبُ

❖

(٢٧) وقال يفخر

أَعْجَبَتْ بى بين نادى قومِهـا | "أمُّ سعدٍ" فمضَتْ تسألُ بى
سَرَّهـا ما عَلِمتْ من خُلُقى | فأرادتْ عِلمَهـا ما حَسَـبِى
لا تخـالى نَسَــبا يخفِضُنى | أنا مَن يُرضيكِ عنـد النسبِ
قَوْمِىَ آستولَوْا على الدهرِ فتًى | ومَشَــوْا فوق رءوسِ الحِقَبِ
عمَّموا بالشـمسِ هاماتِهِـــمُ | وبنَــوْا أبياتَهـمْ بالشهُبِ
وأَبِى "كِسرَى" على إيوانِه، | أين فى النـاسِ أبٌ مثلُ أبى ؟
سَـوْرةُ الملكِ القُـدامَى وعَلَى | شَرَفِ الإسـلامِ لِى والأدبِ
قد قبَستُ المجدَ من خيرِ أبٍ | وقبَستُ الدينَ من خـيرِ نبى
وضَممتُ الفخرَ من أطـرافِهِ | سوددَ الفرسِ ودينَ العـرب

❖

وقال يمدح مؤيِّد الملك سيِّدَ الوزراء أبا علىٍّ، وأنشدها فى المِهرَجان الواقع فى رجب سنة أربع عشرة وأربعمائة

أَجِدَّكَ(١) بعدَ أن ضَمَّ "الكثيبُ"(٢) … هـل الأطلالُ إن سُئلتْ تُجيبُ ؟
وهل عَهدُ "اللِّوى" "بَزَرودَ"(٣) يُطفِى … أُوامَكَ(٤) ؟ إنه عهـدٌ قـريبُ !
أعِـدْ نظـرًا فـلا خنساءَ جارٌ … ولا "ذو الأثل" منك ولا "الجَنوبُ"(٥)
إذا وطَنٌ عن الأحبابِ عَزَّى … فلا دارٌ "بنجـدَ" ولا حبيب
يمـانيـةٌ، تلوذُ "بذى رُعَينٍ"(٦) … قبائلُها المنيعـةُ والشـعوب
حمتها أن أزورَ(٧) نوًى شَطُونٌ(٨) … براكبها، وراحلـةٌ شَبوبُ
مُلَمْلَمَـةٌ تضـيقُ العينُ عنها … إذا شرِقتْ بجُمَّتِها السُّـهوبُ
ومُعجَـلةٌ عن الإلجام قُبٌّ(٩) … أعنَّتُها الى الفـزع السبيبُ
وإنك "بالعـراقِ" وذِكرَ حىٍّ … على "صنعاءَ" لَلحُـلُمُ الكذوبُ
لعـلَّ البانَ مطلولًا "بنجـد" … ووجهَ البدرِ عن "هندٍ" ينوبُ
ألا يا صاحـبيَّ تطلَّعـا لى … "أُشَيَّ"(١٠) هل اكتسى الأيكُ السليبُ ؟
وهل فى "الشِّرب" من سُقْيا فإنى … أرى فى "الشِّعبِ"(١١) أفئدةً تَلوبُ
أُكفكفُ بالحمى نزَواتِ عينى … وقد غَصَّتْ بأدمعها الغُـروبُ(١٢)
وأحـلُمُ والمطـايا يقتضـيها … دُوَينَ حنينها الحـادِى الطَّروبُ
فمَنْ يجهـلْ به أو يَطْغَ شـوقٌ … فشـوقى لا أبا لكما لبيبُ
وبِيـضٍ راعهنّ بيـاضُ رأسى … فكلُّ محبَّبٍ مـنّى مَعيبُ

(١) أجِدَّكَ معناه : أجِدًّا منك، أو أبجِدٍّ هذا منك . (٢) الكثيب : اسم موضع بالبحرين .
(٣) اللوى وزرود : موضعان . (٤) الأوام : حَرُّ العطش . (٥) ذو الأثل والجنوب : موضعان . (٦) ذو رعين : ملك من ملوك اليمن . (٧) فى الأصل : "أز" فرجحنا كلمة "أزور" . (٨) الشطون : البعيدة . (٩) القُب : جمع قَبَّاء وهى الفرس الدقيقة الخصر .
(١٠) أشىّ : اسم واد . (١١) الشِّربُ والشِّعب : موضعان، وتلوب : تحوم على الماء .
(١٢) الغروب جمع غرْب وهو مُقدِمُ العين ومؤْخِرُها .

عَددنَ ـ مذ ٱلتثمتُ به ـ ذُنوبى وقبـلَ الشَّيبِ أُحْبِطتِ الذنوبُ
يُجِـدُّ المـرءُ لِبْسـتَهُ ويُبـلِى وآخِرُ لِبْسـةِ الرأسِ المَشيبُ
وكنتُ إذا عتبتُ على الليـالى وفى وجهى لهـا لونٌ نسيبُ
أطـاعَ شبابُهـا حِفظًـا شَبَابى فجـاءت من إساءتهـا تُنيبُ
فمـا بالى أرى الأيّامَ تُنحِى عــلىَّ مع المشيبِ وهنّ شيبُ
عَذيرِى من سَحيـلِ الودّ (١)، تحوِى حقيبـةَ رحـلهِ مَرَسٌ (٢) تُخيبُ (٣)
وَفَى لِى وهو مَحْصُوصٌ (٤) وأضحى غداةَ ٱرتاش وهــو علىَّ ذِيبُ
ومحسـودٍ علىَّ تضـيقُ عـنّى خلائقُـهُ وجانبُـهُ رَحيبُ
لَطِيتُ (٥) له فغُـرَّ بلينِ مسّى وربَّ كمينـةٍ ولهـا دبيبُ
تَوَقَّ عِضاضَ مختـمرٍ (٦) أُخيفَتْ جوانبُـهُ وفى فيـه نُيـوبُ
فإنَّ الصِّلَّ يُحـذَرُ مستميتًا وتحتَ قُبوعِـهِ أبدًا وُثوبُ
ولا تُثْـلِمْ ودادَكَ لى بغَـدرٍ فقـد يتثلَّمُ النسبُ القـريبُ
أنلنى بعضَ ما يُرضى فـلو ما غضِبتُ حَمانِىَ الأنُفُ الغَضوبُ
ومَنْ هـذا يردّ عِنـانَ طِـرْفِى اليك، إنِ ٱستمرّ بِىَ الرُّكوبُ؟
سـتَرمِى عنـكَ بى إبلى بعيـدًا وتنتظـرُ الإيابَ فـلا أؤوبُ
وربَّتمـا أتاكَ بنشرِ صـيتى وواسـعِ حالِىَ النبأُ العجيبُ
أُخـوَّفُ بالخيـانةِ من زمانى وقد مَرَنَتْ على القتَبِ النُّدوبُ
وما وادعتُـهُ منـذ ٱحتربنـا على سِلْمٍ، فتوحشَنى الحـروبُ!

٢٨

---

(١) السحيل: الخيط غير المفتول ويراد به الضعيف. (٢) المرس: الحبال واحدها مَرَسَةٌ.
(٣) أى تخيب من يتعلق بها. (٤) المحصوص: الذى لا ريش له. (٥) لطيت له: من لَطِىَ بالارض: لصق بها، كناية عن الخضوع. (٦) المختمر: لابس الخمار.

وكيف يُريبنى منه بيومٍ — زمانٌ كلُّه يومٌ مريبُ؟
وإنى مذ غدت هممى سيوفا — لأَعلَمُ أننى أبدا ضريبُ
وما جنتِ الذى يجنيه قلبى — على جسمى العُداةُ ولا الخُطوبُ
لئن أبصرتنى رَثًّا معاشى — أُطوِّفُ حولَ حظّى أو أجوبُ
فَتَحْتَ خصاصتى نفسٌ عزوفٌ (١) — وحَشوَ معاوِزِى (٢) كَرَمٌ قشيبُ
سلى بيدى الطُّروسَ وعن لسانى — فَوارِكَ (٣) لا يلامسها خطيبُ
لها وطنُ المقيم بكلِّ سمعٍ — تمرّ به، وسائرُها غريبُ
بوالغُ فى مَدَى العلياءِ لو ما — أعانَ رُكودَها يوما هُبوبُ
لئن خَفَّتْ على قومٍ ودقَّتْ — فما يُدعَى بها منهم مُجيبُ
ونَفَّرها رِجالٌ لم يُرَوَّحْ — على أفهامهم منها عَزيبُ (٤)
فعند "مؤيِّدِ المُلكِ" اطمأنَّتْ — وضمَّ شَعاعَها المرعَى الخصيبُ
فكم حقٍّ به وَجَدَ انتصافًا — وظَنٍّ فى نداه لا يخيبُ
وواسعة الذراعِ (٥)، يَغُضُّ فيها — عيونَ العيسِ رقّاصٌ (٦) خَلوبُ
اذا استافَ (٧) الدليلُ بنا ثراها — أرابَ شميمَه التُّربُ الغريبُ
تُخَفِّضُنا وتَرفَعُنا ضلالًا — كما خَبَّتْ براكبِها الجَنوبُ
اذا غَنَّتْ لنا الأرواحُ فيها — تطاربتِ العمائمُ والجيوبُ
عمائمُ زانها الإخلاقُ لِيثَتْ — على سُنَنٍ وَضاءتُها الشُّحوبُ
قطعناها اليك على يقينٍ — بأنَّ الحظَّ رائدُه اللُّغوبُ

---

(١) عزوف : زاهدة . (٢) معاوز جمع مِعوز وهو الثوب الخلَق الذى يُبتذل لأنه لباس المعوزين . (٣) الفوارك : النواشز من أزواجهن ، ويشير الشاعر بذلك الى استعصاء قصائده على كلّ خطيب . (٤) فى الأصل : "غريب" وهو تحريف وقد مر تفسير العزيب . (٥) يريد "بواسعة الذراع" : الصحراء . (٦) يريد "بالرقّاص الخلوب" : السراب . (٧) استاف : شمّ .

تَرَى(١) ما لا تَرَى الأبصارُ منهـا كأنَّ عيونَهـا فيهـا قلوبُ
الى مَلِكٍ مُخضَّــرةٍ رُباهُ جَمـادُ الرزقِ من يدِهِ يذوبُ
يَغيضُ بنـا ويمْلُحُ كلُّ ماءٍ وماءُ بنـانه عِـــدٌّ(٢) شَــروبُ
تنـاهتْ عنـه أقدامُ الأعادى كأنّ رُواقَـه الغـابُ الأشيبُ(٣)
اذا ركب السريرَ عَــلَا فأوْفَى عــلى مَرْباتِهِ(٤) أَقْـنَى(٥) رَقـوبُ
يعـولُ الأرضَ ما كسبَتْ يَدَاهُ وما كلُّ آبنِ مَرْقَبَةٍ كسوبُ
متينُ قُـوَى العزيمـةِ أَلْمعِيٌّ اذا ما آرتابَ بالفِـكرِ الأريبُ
يريه أمسِ ما فى اليــومِ رأىٌ تُمِـــلُّ على شهـادته الغيوبُ
بِذَبِّك مِن وراء المُـلكِ قامت دعائم منـــه وآلتأمتْ شُعوبُ
حملتَ له بقلبـك ما تركتَ الـ ـجبـالَ به تُفـاخِرهـا القلوبُ
تَضَرَّمُ فِتْنَـــةٌ وتضــيقُ حالٌ وصـدرك فيهـما ثَلِجٌ رحيبُ
وكم أَشْــفَى(٦) به داءٌ عُضالٌ وصـنعُ اللهِ فيــك له طبيبُ
طلعتَ على البــلادِ، وكلُّ شمس تضىء قد آستبدَّ بهـا الغــروبُ
وقد قَنِطَ الثرى وخوتْ أصولُ الـ ـعِضاهِ وصَوَّحَ العُشبُ الرطيبُ
ونارُ الجَــورِ عاليـــةٌ تَلَظَّى وداءُ العجـــزِ منتشِرٌ ذَبوبُ
فكنتَ الروضَ تُجلِبـه(٧) النُّعـامَى(٨) وماءَ المزنِ منهـمرا يصـوبُ

---

(١) فاعل "ترى" ضمير يعود الى العيس فى قوله السابق

* عيونَ العيس رقّاص خلوبُ *

(٢) العدّ: الماء الجارى الذى لا ينقطع . (٣) الأشيب: الشجر الملتفّ . (٤) المربأة: المرقبة وسُهّلت الهمزة للضرورة . (٥) الأقنى: الذى آرتفع وسط قصبة أنفه مع ضيق المنخرين وهو من صفات المدح فى البازى والصقر . (٦) أشفى به: أودى به . (٧) تجلبه: تجعله ذا جلبة . (٨) النعامى: ريح الجنوب .

كأنك غُرَّةُ الإقبالِ لاحت ... بعقبِ اليأسِ، والفرجُ القريبُ
هنا(١) أُمَّ الوزارةِ أَن أتاها ... على الإعقامِ منك ٱبنٌ نجيبُ
وأنك سيّد الوزراءِ معنًى ... به سُمِّيتَ، والألقابُ حُوبُ
ولو أتتِ السماءُ بمثلك ٱبنًا ... لَمَا كانت طوالعها تغيبُ
بك ٱجتمعتْ بدائدُها، ولانت ... مَعاطفُها، ومَعْجَمُها صليبُ
فلا تتجاذب الحسّادُ منها ... عُرًى يَعيا بِمِرَّتها(٢) الجذيبُ
ولا يستروحوا نفحاتِ عَرفٍ ... لها، بثيابِ غيرك لا تَطيبُ
نصحتُ لهم لو ٱنّ النصحَ أجدَى ... ولم يكنِ المشاورُ يستريبُ
وقلتُ: دعوا لمالكها المعالى ... ففى أيديكُمُ منها غُصوبُ
خذوا جُمَّاتِه(٣) الأُولَى وخلُّوا ... أقاصِيَ لا يخابطها ذَنوبٌ(٤) (٢٩)
فكم من شرقةٍ بالماء تُردِى ... وإن كانت به تُشْفَى الكروبُ
لك اليومانِ تَكتُبُ أو تَشُبُّ الـ ... ـوغى، وكلاهما يومٌ عصيبُ
فيومُك جالسا قلمٌ خطيبٌ ... ويومُك راكبا سيفٌ خضيبُ
جمعتَ كفايةً بهما وفتكا ... ومَجمعُ ذينِ فى رجلٍ عجيبُ
وضيِّقةِ المجالِ(٥) لها وميضٌ ... قِطارُ سمائه العَلَقُ الصبيبُ
وقفتَ له، حسامُك مستبيحٌ ... مَحارمَها، وعفوُك مستثيبُ
ومسودِّ اللِّثاتِ(٦) له لُعابٌ ... يَجِدُّ الخطبُ وهو به لَعوبُ
يُخالُ على الطروس شُجاعَ(٧) رملٍ ... اذا ما عضَّ لم يُرْقَ اللسيبُ(٨)

---

(١) هنا: أصلها هنأ وسهّلت الهمزة. (٢) المرّة: القوّة. (٣) جُمّات جمع جُمّة وهى مجتمع ماء البئر. (٤) الذنوب: الدلو. (٥) يريد بضيّقة المجال: الوغى. (٦) يريد بمسودّ اللثات: القلم. (٧) الشجاع: الحيّة أو الذكر منها. (٨) اللسيب: الملدوغ.

تَغاغــلُ منـــه فى مهج الأعادى جَوائفُ[١] جُرحُهـا أبدا رغيبُ[٢]
اذا مَــلَكَ الرقابَ به آمترينـا مضى قـلمٌ بكفّك أم قضيبُ؟
ومضْطَهَدٍ طردتَ الدهرَ عنـه وقد فَغـرتْ لتفرِسَه شَـعوبُ[٣]
اذا عُصرت من الظـمأ الأَداوَى[٤] على الإعيـاء أو رُكب الجنيبُ
فنِـعم مُنـاخَ طالعــةٍ[٥] وسَــقْيًا ذَراك الرحبُ أو يدُك الحلوبُ[٦]
عُلًا "رُنْجِيَّـةٌ"[٧] الأبياتِ خُطّتْ على شمـاءَ ينصفها "عسيبُ"[٨]
لهـا عَمَــدٌ على صــدر الليالى وفوق أوائل الدنيـا طُنُــوبُ
صفا حَلَبُ الزمان لهـا، وقامت لدعوتهـا الممـالكُ تسـتجيبُ
وما مِن دولةٍ قَدُمت وعزت وإلّا ذكرُهـا بكُمُ يطيبُ
ومنـــكم فى سـياستها رجالٌ فُحُــولٌ أو لكم فيهـا نصيبُ
كرامٌ تُسـنَد الحسـناتُ عنهم وتَزلَقُ عن صَفاتهـــم العيوبُ
مضَــوا طَلَقًا بأعــداد المساعى وجئتَ ففتَّ ما يُحصِى الحسيبُ
قنـاةٌ، أنت عاملُها شزوعا الى نحـــر السما وهم الكعوبُ
وخـيرُ قبيــلةٍ شرفًا مــلوكٌ لمجــدك منهمُ عِرقٌ ضَروبُ
فلا وضَحَ النهـارُ ولستَ شمسا ولا أَزرَى بمَطلِعـك المغيبُ
ولا برحتْ بك الدنيـا فتـاةً تُرَبُّ[٩] كما اكتسى الورقَ القضيبُ

---

(١) جوائف جمع جائفة وهى طعنة تبلغ الجوف ، وفى الأصــل " خوائف " وهو تحريف .
(٢) الرغيب : الواسع . (٣) شعوب : اسم المنية . (٤) الأداوى جمع إداوة وهى إناء صغير من جلد . (٥) فى الأصل : " طالعة " . (٦) فى الأصل : " الجلوب " وهو تحريف .
(٧) رُنْجِيَّة : وردت هذه النسبة فى صحيفة (٤٤) سطر (١٥) عند قوله " وقال يمدح سيّد الوزراء أبا علىّ الرُّنْجِىّ " وقد أثبتناها كما وردت بالأصل وبالبحث عنها لم نجد غير " رُنَّج " والوزن هنا يقتضى أن تكون كما وردت بالأصل . (٨) عسيب : اسم جبل . (٩) تُرَبُّ : تُرَبَّى وتُنَمَّى .

اذا ما حزتها آنتفضت عِطارا (١) سوالفُها بعدلك والتريبُ
ومات الدهرُ وآنطوتِ الليالى وملكُك لا يموتُ ولا يشيبُ
وقام المِهرَجانُ فقال مثلَ الـ ـذى قلنا وآبَ كما نؤوبُ
وعادكَ زائرا ما كرَّ ليلٌ لسعدك بين أنجمه ثقُوبُ
بك آستظللتُ من أيَّامِ دهرى ومن رَمضائها فوقِى لهيبُ
كفيتنِىَ السؤالَ فما أبالى سواك مَن المنوعُ أو الوهوبُ
وغرتَ على الكمال فصنتَ وجهى فليس لمائه الطامِى نُضوبُ
مكارمُ خضَّرتْ عُودى وروَّتْ ثراه وقد تَعاوَره الجُدوبُ
تُواصِلنى مَثانِىَ أو وِحادا كما يَتناصر القَطْرُ السَّكوبُ
فما أشكو سوى أنّى بعيدٌ وغيرى يومَ ناديكم قريبُ
أفوِّقُ عزمتى شوقا اليكم ويَقبِضُنى الحياءُ فلا أصيبُ
أصدُّ وضِمنَ دَستِك لى حبيبٌ عليه من جلالته رقيبُ
اذا آمتلأتْ لحاظى منك نورا نَزَا قلبى فطارَ به الوجيبُ (٢)
يُميلُ اليك بِشرُك لحظَ عينى ويَحبِسُ عنك مَجلسُك المَهيبُ
ولو أنى بُسِطتُ لكان سعىٌ وبَلَّ بِلالَه الشوقُ الغَلوبُ
أبيتُ فما أُجيبُ سواك داعٍ ولكنّى دعاءَكُمُ أجيبُ
فإن يكن انقباضى أمسِ ذَنْبا فمنذ اليومِ أُقلِعُ أو أتوبُ
وتحضُرُ نابياتٌ (٣) عن لسانى فواقرُ (٤) ربهّا عبدٌ منيبُ

---

(١) هكذا بالنسخة المطبوعة وفى الأصل * اذا ما أخللتنا آنتقضت عطارا * وهو غير متّزنٍ ومحرّف . (٢) الوجيب : الخفقان . (٣) نابيات : شاردات . (٤) فواقر جمع فاقرة وهى التى تثقب الخرز أو الدر للنظم ويريد أن قصائده ستأتى الممدوح ثاقبة درَّ مديحه .

أوانسُ فى فمى متيسِّراتٌ　　اذا ذُعِرتْ من الكَلِم السُّروبُ
اذا أعيتْ على الشعراء قِيدتْ　　الىَّ وظهــرُ ريِّضها رَكوبُ
بقِيتُ وليس لى فيها ضريبٌ　　ولا لك فى الجزاءِ بها ضريبُ (١)
تُصاغ لها الحماسةُ من معانى　　علاك، ومن محاسنِك النسيبُ (٣٠)
رعَيتُ بهنّ من أمَلِي سميناً　　لديك، وحاسدى غيظا يذوبُ
وهل أظمَا، وهذا الشِّعرُ سَجْلٌ (٢)　　أمــدُّ به، وراحتك القَليبُ؟

***

وقال يعــزِّى أبا الحسين بن رَوْح النِّهَروانىّ عن آبنتين له تُوُفِّيَتا فى مدّةٍ قريبةٍ، ويتوجّع له لحرمةِ الصداقة بينهما

على أىّ أخلاق الزمان أعاتبُــهْ　　وما هــو إلا صَرفه ونوائبُــهْ
تَفــرَّى (٣) أديمى وهو بترٌ شِــفاره　　وجافت (٤) جروحى وهــو صمٌّ (٥) مخالبُــهْ
نُدوبٌ تُقفِّى هــذهِ عقْبَ هــذهِ　　وداءٌ اذا ما باخ (٦) أَوقَــدَ صاحبُهْ
شغَلتُ يدى حينا بعــدّ ذنوبِهِ　　وزِدن فقــد تاركتُه لا أحاسبُهْ
طرحتُ سلاحى وآنترعتُ تمائمى　　وضاربُه يُنحِى عــلىَّ وسالبُــهْ
ببِيضٍ من الأيام هنّ سُــيوفُه　　وسودٍ من الليلاتِ هنّ عقاربُهْ
أُداجِــه (٧) حتّى يرانِىَ راضــيا　　مِرارا، وأَعصِى مرَّة فأغاضبُهْ
فلا هو إن أطريتُــه قابضٌ يدًا　　ولا خائفٌ عارا بما أنا عائبُــهْ
نصحتُك لا تُخدَعْ بسنَّةِ وجهِــهِ　　فشاهــده حُسْنٌ تَشَــوَّهَ غائبُــهْ

---

(١) الضريب : المثيل . (٢) السجل : الدلو . (٣) تفرَّى أديمى : انشق جلدى .
(٤) جافت : بَلَغَت الجوف . (٥) صُمّ جمع أصمّ وهو الصلب المتين . (٦) باخ : خمد .
(٧) أداجه : أوافقه .

ولا تتمهَّدْ قِعدة فوقَ ظهرهِ ... فما هو إلا ضيغمٌ أنت راكبُهْ
تَردَّى رجالٌ قبلنا وتقطَّرت(١) ... بِهِمْ شُهبهُ دون المَدِىِّ(٢) وشاهبُهْ(٣)
وصَرَّحَ عمّا ساءهم طولُ مَحضهِ ... خبائثَ جرّتها عليهم أطايبُهْ
حبائلُ مكتوبٌ لها نصرُ كيدها ... من الله، لا يُمحَى الذى هو كاتبُهْ
فمن مغلَقٍ مستعجَلٍ أو مؤخَّرٍ ... مُراخيهِ يوما لا مَحالةَ جاذبُهْ
تصاممتُ عن داعى المنونِ مغالطا ... وإنّى على طول السكوت مُجاوبُهْ
وقدَّمتُ غيرى جُنّةً أتّقِى بها ... ومن يوقَ من راميه لا بدّ صائبُهْ
أخلَّاى، أيمُ اللهِ أَطلب ثأرَكم ... من الدهر، لو قد أَدركَ الثأرَ طالبُهْ
أفى كلّ يومٍ لى قضيبٌ مُخالَسٌ(٤) ... وذخرٌ نفيسٌ منكم الموتُ غاصبُهْ ؟
وكاسٍ من العلياء والحسنِ، يعتدى ... — سليما على سيفى وسَوطِىَ — سالبُهْ
تَطيحُ به زَندِى، وجَهدُ تحفُّظى ... بميثاقهِ فى الغيب أنّىَ نادبُهْ
وكم منكُمُ كالنجم رُعتُ به الدُّجَى ... زمانا، خبا بعد الإضاءةِ ثاقبُهْ
وآخَرُ لمّا سامَحَتْنى بأصله الـ ... ـمنايا ذَوتْ أغصانُهُ وشعائبُهْ
وأضحى بنوه غِبطةً وبناتُهُ ... تُسَلُّ بهم أنيابُهُ ورواجبُهُ
فينزو بلبّى شجوُهُ، وتُصيبنى ... بموضعه من سِرّ قلبى مَصائبُهْ
ألا يا أخى للودّ دنيًا(٥)، وكم أخٍ ... لأمّى بعيداتٍ علىّ قرائبُهْ
لحا الله خَطبا، شَلَّ(٦) سرحَك طردُهُ ... وجمّعَ فى إلهابِ قلبك حاطبُهْ
رمتْك يدُ الأيّام عن قوسِ قارنٍ ... اذا هو والى لم تخنه صوائبُهْ
سقتك بكفٍّ أَدهقتْ لك ثانيا ... ولمّا يُفِق من أوّلٍ بعدُ شاربُهْ

---

(١) تقطّرت بهم : ألقتهم. (٢) المدىُّ : الحوض لا تنصب حوله حجارة. (٣) الشاهب : من الخيل الذى غلب بياضه على سواده. (٤) مخالَس : مُعجَلٌ. (٥) يقال : هو ابن أخى أو ابن عمّى دِنيا أى لحًّا (٦) شلّ : أذهبَ.

فقرحٌ وقرحٌ لم تــلاحم ندوبه ... ودمعٌ ودمعٌ ما تعــلّق ساربه
ويا ليتـــه لمّــا تثـــنّى تعلّقت ... مقاديرهُ ، أو آستوين مراتبُه
ولكنّها كفٌّ هوتْ إثر إصبع ... وحارِكُ(١) ظهــرٍ بعــدهُ جُبّ غاربه
حصاتان من درٍّ حصانانِ(٢) لم تطرْ ... يدٌ بهــما ، مادنّس الدُّرّ ثاقبُــه
هما(٣) بيضــتا كِنٍّ بجــانب مُلبِس(٤) ... حمــاه الطروقَ تيهُــهُ وسَباسِــبُه(٥)
حرامٌ على السارى تضيعَ على القطا ... أفاحيصُـــهُ(٦) فى جــوّه ومساربُه
يحوطهما ما آسطاعَ وحفُ جَناحِهِ ... شِعارُهمــا دون التراب ترائبُــهْ
تراه يُصادى حاجبَ الشمسِ عنهما ... لو آنّ الردَى ما أحرز الشيءَ هائبُهْ
رزِئتَهما شمسيْنِ أَقسمَ فيهــما ... ظلامُ الأسَى ألّا تجَــلّى غياهبُــهْ
يعــدّون خُرْقا بالفــتى فى بنــاتِهِ ... اذا ما بكَى أو ذلَّ للحزنِ جانبُهْ
وكم من كــريم عَزَّهُ نجبــاؤه ... فعــزّ بمــا ساقت اليــه نجائبُــهْ
وبعضُ البناتِ مَن بهــا يُنتَج العُلا ... وبعضُ بنى الإنسان فى الحىّ عائبُهْ
فإلّا تكونا صارمين خِـذْوتا(٧) ... حُسامٍ عتيقٍ لا تُفَــلُّ مَضارِبُهْ
أخى الحــلم لم يَمْلِك عليــه حياؤه ... ولا كذّبتْــهُ فى الزمان تجــاربُهْ
اذا وَلَدَ آســتذكرنَ حزمًا إناثُهُ(٨) ... كما ذُكِّرتْ أخــلاقهُ وضرائبُــهْ
تعزَّ آبنَ "رَوحٍ" إنما الموتُ مُدلجٌ ... الى أمــدٍ فيــه النفوسُ مَراكبُهْ
ومن أخّرتْه شمسُ يومٍ فــلم يمت ... يمتْ حـــولَه أحبــابُهُ وحبائبُهْ

(١) الحارك : أعلى الكاهل وعظم مشرف من جانبيه . (٢) حصانان : عفيفتان .
(٣) فى الأصل "وما" وهو تحريف . (٤) مُلبَس : مغَطًّى ويراد به : المكان المحجوب .
(٥) سباسب جمع سبسب وهى المفازة . (٦) أفاحيص جمع أفحوص وهو الموضع تفحص عنه القطا لبيضها . (٧) فى الأصل : "بحــدوتا" وهو تحريف والخِذوة : القطعة . (٨) فى الأصل : "أناتَهَ" وهو تحريف .

وأعجبُ من ذى خُــبرةٍ بزمانه   تنــكَّر منــه أن تَوالَى عجائبُــهْ
خُلِقنا لأمرٍ أرهقتنا صــدورُهُ   فيــاليت شــعرى ما تجرّ عواقبُهْ؟
غريمٌ مُلِطٌّ(١) لا يَمَــلُّ وطــالبٌ   بغــير تِراتٍ(٢) لا تنــامُ مَطالبُــهْ
وقد جربتْــك الحادثاتُ فلا تكن   ضعيفَ القُــوَى رِخوًا لهنّ مجاذِبُهْ
وغيرُك مغــلوبٌ على حُسنِ صــبرِهِ   ولا خَطبَ إلا أنتَ بالصبرِ غالبُهْ
برغمىَ أن يَسرِى غِزِىٌّ(٣) من الأسَى   اليــك ولم تُفــلَلْ بنصرى كتائبُــهْ
وإن كان خصما لا لسانى ينوشــه   ولا كلمــاتى الغاســقاتُ تواقبُــهْ
ويا لِدفاعى عنــك إن كان صارما   أصافحه أو كان ليثا أواثبُــهْ
ومَن لى لو آنّ الحزنَ يرعَى جوانحى   فدًى لك لو يرضَى بقلبِىَ ناصبُهْ
فمــا هى إلا مهجةٌ لك شــطرُها   وموهوبُ عيشٍ أنت ماعشتَ واهبُهْ
وإن كان يُطفِى حَرَّ لوعتِــك البكا   عــلى أنّه جاريه لا بدّ ناضبُهْ
فدونك دمــعى ســائلا ومعلَّقــا   بجامــدُهُ باقٍ عليــك وذائبُــهْ
عتبتُ على دهرى فسهَّلَ عذرُهُ   بأنّك باقٍ كلَّ ما هــو جالبُــهْ
اذا ســلِم البــدرُ التمــامُ فهيِّنٌ   على الليلِ أن تَهوِى صِغارا كواكبُهْ

* * *

وقال يمدح الوزير أبا القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ رحمه الله عند تقلُّدِه الوزارةَ، ويهنّئه بالنيروز، وأنشدها فى داره بباب الشعير فى سنة أربع عشرة وأربعمائة

هل عند عينيك على "غُرّبٍ"   غرامــةٌ بالعــارض الخُلَّبِ(٤)؟
نَعَمْ! دمــوعٌ يكتسِى تربُهُ   منهــا قميصَ البلدِ المعشِبِ

---

(١) الملطّ : جاحد الحق . (٢) التراث جمع تِرَة : وهى الذَّحل . (٣) الغزىّ : الغازى وفى الأصل "عزىّ" وهو تحريف . (٤) العارض : السحاب، والخلَّب : الذى يُرعِد ويُبرِق ولا مطرِ فيه، وفى الأصل "المخلب" يقال : ماءٌ مُخلِبٌ أى ذو خُلْبٍ وهو الطين، وهذا لا يتفق والمعنى .

سارِبةٌ[(١)]، تَركبُ أردافَها معلَّقـاتٌ بعـــدُ لم تَسرُبِ
ترضَى بهنّ الدارُ سَـقْيًا وإن قال لهـا نوءُ السِّماكِ : آغضبى
علامـــة أنّىَ لم أنتكِـكْ مَرائرَ[(٢)] العهــدِ ولم أَقضِبِ
يا سائقَ الأظعانِ لا صاغرا عُجْ عَوجَةً ثمّ آسـتقم وآذهبِ
دعِ المطـايا تلتفِتْ، إنهـا تلوبُ من جفنى على مَشربِ
لا والذى إن شاء لم أعتذرْ فى حبّـه من حيث لم أذنبِ
ما حدَرتْ ريحُ الصَّبا بعـدَه لثامَهـا عن نفَسٍ طيّبِ
ولا حلا البـذلُ ولا المنعُ لى مذ هُـوَ لم يرضَ ولم يَغضبِ
كم لى على "البيضاء" من دعوةٍ لولا آصطخابُ الحَلْيِ لم تُحجَبِ
وحاجـــةٍ لــولا بُقَيّاتُها فى النفس لم أطرَبْ ولم أرغَبِ
يا ماطلى بالدَّين ما ساءنى اليـــك ترديدُ المواعيـــدِ بى
إن كنتَ تقضِى ثمّ لا نلتقِى فدمْ على المطـلِ وعِد وآكذبِ
سال دمى يومَ الحِمَى من يدٍ لولا دمُ العشـاقِ لم تُخضَبِ
نبـــلُ رماةِ الحىّ مطـرورةٌ[(٣)] أَرفَقُ بى من أعينِ الربربِ
يا عاذلى قد جاءك الحزمُ بى أقادُ فاركبنىَ أو فاجنُبِ
قد سدّ شيبى ثُغَـرِى فى الهوى فكيف قَصّى أثَرَ المَهْـربِ
أَفـــلحَ إلا قانـــصٌ غادةً مـدّ بحبـلِ الشَّـعرِ الأشيبِ
ما لبنـاتِ العَشْرِ والعَشْرِ فى جِـــدّ بنى الخمسين من ملعبِ
شِـيَاتُ أفراسِ الهـوى كلُّهـا تُحمَـــدُ فيهنّ سوى الأشهبِ

(١) ساربة : جارية وفى الأصـل "سارية" وهو تحريف ويتعين ذلك لقوله : لم تسرب .
(٢) مرائر جمع مريرة وهي طاقة الحبل . (٣) مطرورة : محدودة .

أَمَا تَرَيْنى ضـاويًا عاريًا ... من وَرَقِ الملتحِفِ المُخصِبِ ؟
مُحتجِـزا أندبُ مِن أمسِىَ الـ ... ـماضى أخًا ماتَ ولم يُعقِبِ (٣٢)
فـلم يُثَـلِّمْ ظُبَــتَىْ عامـلى(١) ... ما حَطَمَ الساحبُ من أكعبى
يوعــدُنى الدهرُ بغَــدراته ... قعقِعْ لغــيرِ الليثِ أو هَبهِبِ
قد غمزتْ كفُّك فى مَروَتى(٢) ... فتحتَ أىِّ الغمزِ لم أصلُبِ
أمُفــزِعى أنتَ بفَوت الغنَى؟ ... تلك يدُ الطـالى على الأجربِ
دعْ ماءَ وجهى مالئًا حوضَه ... وكُلْ سمينا نَشَــبى وٱشربِ
إن أُغلَبِ الحـظَّ فلى عزفةٌ(٣) ... بالنفس لم تُقْـمَرْ ولم تُغلَبِ
ذمَّ الأحاظِى(٤) طـالبٌ لم يجِـدْ ... فكيف وِجــدانى ولم أَطلُبِ ؟
آه عــلى المالِ وما يُجتَـنَى ... منــهُ لو ٱنّ المـالَ لم يُوهَبِ
راخِ(٥) على الدينـا اذا عاسرتْ ... وإن أتَتْ مُسمِحةً فاجـذِبِ
ولا تَعَسَّفْ كـدَّ أخلافِها(٦) ... فربّمـا درَّت ولم تُعصَبِ
هذا أوانُ ٱستقبلَتْ رشدَهـا ... بوقفــةِ المعتــذِر المعتِبِ
وٱرتجعتْ ما ضــلَّ من حلمها ... من بين سَرحِ الذائدِ المعزَبِ
وربّمـا طالَـعَ وجـهُ المــنَى ... من شرفِ اليأسِ ولم يُحسَبِ
قل لذوِى الحـاجاتِ مطرودةً ... وٱبنِ السبيل الضيِّقِ المَذهبِ :
وقاعـدٍ يأكُلُ(٧) من لحمــه ... تنزُّهــا عن خَبَثِ المَكسَبِ :
قـــد رُفِعت فى "بابـلٍ" رايةٌ ... للمجـدِ من يَـلْقَ بهـا يَغلِبِ

---

(١) العامل : الرمح . (٢) المروة : حجر أبيض برّاق يورى النار . (٣) العزفة : الانصراف عن الشىء والزهد فيه . (٤) الأحاظى : الحظوظ . (٥) راخ : أى أرْخِ . (٦) فى الأصل "أخلاقها" وهو تحريف ، والأخلاف جمع خِلْف وهو ضرع الناقة . (٧) فى الأصل : " نأكل " .

يصيحُ داعى النصرِ من تحتها : يا خيلَ مُحيي الحسَناتِ ٱركبي
جاء بها اللهُ عــلى فَــترةٍ بآيــةٍ من يَرَهـا يعْجَبِ
هاجمــةِ الإقبالِ لم تُنْتَظـرْ بواسـع الظنِّ ولم تُرقَبِ
لم تألفِ الأبصارُ من قبلهـا أن تطلُعَ الشمسُ من المَغرِبِ
رِدوا فقــد زاركم البحــرُ لم يُخَض له الهـولُ ولم يُركَبِ
يشِفُّ للأعيُن عن دُرِّه الـ ـثمينِ صافى مائه الأعذبِ
فارتبِعوا بعــدَ مِطالِ الحَيـا وروِّضوا بعـدَ الثرى المُجدبِ
قد عادَ فى "طيءٍ" ندَى "حاتمٍ"(١) وقامَ "كَعْبٌ" سيِّدُ الأكعبِ
وعاش فى "غالبَ" "عَمرُو العُلا"(٢) يَهشِمُ فى عامهــم المُــلزِبِ(٣)
وٱرتجعتْ "قحطانُ" ما بَزَّها من ذى الكَلاعِ(٤) الدهرُ أو حَوشَبِ
ورُدَّ بيتٌ فى بنى "دارِمٍ"(٥) "زُرارةٌ"(٦) من حـولِه مُحتَـبِي
كلُّ كـريمٍ أو فتىً كاملٍ وفاعــلٍ أو قائـلٍ معْـرِبِ
فاليومَ شَكُّ السمعِ قد زال فى أخبـاره بالمنظَـر الأقــربِ
الى الوزير ٱعــترَقَتْ نَيَّها(٧) كلُّ أمـونٍ(٨) وَعرةِ المَجـذِبِ
تُعطِى الخشاشاتِ(٩) لَيـانا على أنفٍ لها غضـبانَ مستصعَبِ
مجنـونةُ الحـلمِ وما سُفِّهتْ بالسَّـوط ، خَرقاءُ ولم تُجنَبِ

---

(١) حاتم وكعب من أجواد العرب . (٢) عمرو العلا : هاشم بن عبد مناف أبو عبد المطلب وهو أوّل من هشم الثريد لقومه . (٣) الملزب : الشديد القحط . (٤) ذو الكلاع : أحد أذواء اليمن . وسُمِّى بذلك لأن حِمــيَر تكلّعوا على يده أى تجمّعوا وحوشب من مخاليف اليمن .

(٥) هو دارم بن مالك بن حنظلة أبو حىّ من تميم . (٦) هو زرارة بن أوفى أبو حىّ فى اليمن .

(٧) اعترقت نَيَّها : أكلت شحمها ، كناية عن هزالها . (٨) الأمون : الناقة الوثيقة الخَلق .

(٩) الخشاشات جمع خِشاش وهو ما يدخل فى أنف الناقة أو البعير من خشب ونحوه .

بيأسُ فحْلُ الشّولِ من ضربها (١) ... لعزّةِ النفْسِ ولم تُكْتَبِ (٢)
لو وَطِئتْ شَــوكَ القنا نابتاً ... فى طُرُق العليـاءِ لم تُنقَبِ (٣)
يَخطُّ فى الأرض لهـا مَنسِمٌ ... دامٍ متى يُمـلِ السُّرى يَكتُبِ
كأنَّ حاذيهـا (٤) على قاردٍ (٥) ... أحمشَ (٦) مسنونِ القَـرا (٧) أحقبِ (٨)
طامَنَ فى الرمل له قانصٌ ... أعجفُ (٩) لم يُحمِض (١٠) ولم يُرطِبِ (١١)
ذو وَفْضَــةٍ (١٢) يَشهدُ إخلاقُها ... بأنهـا عامينِ لم تُنكَبِ
مهـــما تَخَـــلَّلْهُ بُنيَّـاتُها (١٣) ... من "وَدَجٍ" أو "وَرَكٍ" (١٤) يُعطَبِ
فـــرَّ لم يَعطِفْ على "عانةٍ" (١٥) ... ذُعْرًا ولم يَرأَمْ على "تَوْلبِ" (١٦)
به خُـــدوشٌ يتعجَّلْنَـــهُ ... قدائمٌ من لاحقِ الأكلبِ (١٧)
بأىّ حِسٍّ ريعَ خِيلتْ له ... رنّةُ قـوسٍ أو شَـبا مِخلبِ
يَذرعُ أدراجَ الفيـافى بهـا ... كلُّ غريبِ الهمِّ والمطلبِ
يرمى بها ليــلُ جُمـادَى الى ... يومٍ من الجوزاءِ معصوصِبِ (١٨)
فى عَرْضِ غبراءَ رِياحيّــةٍ ... عجماءَ لم تُسمَرَ ولم تُنسَبِ

(١) الضرب : السِّفاد . (٢) لم تُكتب : لم تقيّد ولم يُختَم حَياؤها حتى لا يُنزَى عليها . (٣) لم تنقب : لم تصب بالنَّقَب وهى القُرَح . (٤) الحاذان : ما وقع عليه الذنب من أدبار الفخذين . (٥) القارد : المتجعّد الشعر . (٦) الأحمش : دقيق الساقين . (٧) القرا : الظهر . (٨) الأحقب : الحمار الوحشىّ . (٩) الأعجف : النحيل المهزول . (١٠) لم يحمِض : لم يصادف حَمضا . (١١) لم يرطب : لم يصادف رطبا . (١٢) الوفضة : خريطة الراعى لزاده وأداته . (١٣) بُنيّات الطريق : الطرق الصغار تتشعب من الجادّة . (١٤) ودج وورك : اسما موضعين . (١٥) العانة : اسم موضع ولغــةً القطيع من حُمُر الوحش . (١٦) التولب : اسم موضع ولغةً ولد الأتان من الوحش . (١٧) الأكلب جمع كَلب . (١٨) معصوصب : عصيب .

(٣٣)

يُشكِلُ مشهورُ الركايا(١) بهـا ... على مصانيف القطَا اللُّغَّبِ(٢)

حتى أُنيختْ وصـدوعُ السُّرَى ... بالنومِ فى الأجفانِ لم تُشعَبِ

وشَمْـلَةُ(٣) الظلمـاءِ مكفورةٌ(٤) ... تحت رِداء القَمـرِ المُذْهَبِ

الى ظليـلِ البيت رَطْبِ الثرى ... عالى الأثافِى حافِلِ المَحْلبِ

مختضِب الجفنـةِ ضخمِ القِـرى ... اذا يدُ الجـازرِ لم تُخْضَبِ

تُرفَـع بالمَنْـدَلِ نـيرانُهُ ... اذا إماءُ الحىِّ لم تحطِبِ

له مجـاويفُ عمـاقٌ اذا ... ما القِـدر لم تُوسع ولم تُرحَبِ

كلّ ربوضٍ(٥) عُنْقُها بارزٌ ... مثـلُ سَنام الجَمـلِ الأنصبِ

تُعجِلها زحمـةُ ضِـيفانِه ... أن نتأنَّى(٦) حطبَ المُلهِبِ

أبلج فى كلّ دجى شُبهةٍ ... لو سار فيهـا النجمُ لم تُثقَبِ

مُوَقَّر النادى ضحوكَ النـدَى ... يلقاك بالمُـرغِب والمُـرهِب

تَلحظُهُ الأبصـارُ شَزْرا وإن ... أكثرَ من أهلٍ ومن مَرحَبِ

مُرٌّ، وإن أجدَتْك أخلاقُهُ ... شمـائلَ الصهبـاءِ لم تَقطِبِ

يَحطُّ عنـه النـاسُ من فضلهم ... منحدَرَ الرِّدفِ عن المنكِبِ

أتعبَـهُ تغليسُـهُ(٧) فى العـلا، ... مَن طَلبَ الراحةَ فليتعَبِ

من معشرٍ لم يهتبِـلْ(٨) عزُّهم ... بغلَطِ الحـظِّ ولم يُجلَبِ

ولا عـلا آبُّ منهُـم طالعا ... من شَرَفٍ إلا وراءَ الأبِ

---

(١) الركايا جمع ركيّة وهى الحفرة يجتمع فيها الماء . (٢) اللغب جمع لاغب وهو المعيى، وفى الأصل "اللعب" . (٣) الشملة الكساء دون القطيفة . (٤) مكفورة : مستورة . (٥) الربوض : الضخمة، والأنصب : المرتفع الصدر . (٦) نتأنى : تنتظر، وفى الأصل "نتأبى" وهو تحريف . (٧) التغليس : السير فى الغلس . (٨) يهتبل : يغتنم .

تسلَّقوا المجدَ وداسوا العلا وطُرْقُها يهماءُ(١) لم تُلحبِ(٢)
ووافقوا الأيّام فاستنزلوا أبطالَها في مِقنَبٍ مِقنبِ(٣)
قومٌ إذا أَخلفَ عامُ الحيا لم تختزِلهم حَيْرة المَسْغبِ
أو بَسَطَ اللهُ ربيعا لهم لم يبطَروا في سَعةِ المَخْصَبِ
سَمَوْا وأصبحتَ سماءً لهم يطلُعُ منها شَرَفُ المَنْسَبِ
زدتَ وما انحطُّوا ولكنّها إضاءةُ البدرِ على الكوكبِ
خُلقتَ في الدنيا بلا مُشبِهٍ أغربَ من عنقائها المُغْرِبِ
لا يَجلُسُ الحلمُ ولا يركَبُ الـ ـخوفُ ولم تجلِس ولم تَركَبِ
إن جَنَحَ الأعداء للسِّلم أو تلاوذوا منك الى مَهرَبِ
كتبتَ لو قلتَ ، فقال العدا : أعزلُ لم يَطعَنْ ولم يضرِبِ
أو ركبوا البغيَ الى غارةٍ طعنتَ، حتى قيل : لم يكتُبِ
فأنت ملءُ العينِ والقلب ما تشاءُ في الدَّستِ وفي الموكِبِ
وربَّ طاوٍ غُلَّةً بائتٍ من جانب الشرّ على مَرقَبِ
ينظرُ من أيامه دولةً بقلمِ الأقدارِ لم تُكتَبِ
راعته من كيدك تحت الدجى دبَّابةٌ أدهَى من العقربِ
فقام عنها باذلا بُسْلَةَ(٤) الـ ـرّاقي ولم يُرْقَ ولم يُلْسَبِ
بك اشتفى الفضلُ وأبناؤه بعد عُموم السَّقَمِ المُنصِبِ
والتقم الملكُ هُدَى نهجِه وكان يمشي مِشية الأنكبِ
وزارةٌ قَلّبَها شوقُها منك الى حُوَّلِها القُلَّبِ(٥)

---

(١) اليهماء : الفلاة لا يُهتدَى فيها . (٢) لم تلحب : لم تُسلك . (٣) المقنب : زهاء ثلاثمائة من الخيل . (٤) البسلة . أجرة الراقى . (٥) الحوّل القلّب : البصير بالامور .

جاءتك لم تُوسِع لهـا مُرغِبا ... وليهـا المَهــرَ ولم تَخطُبِ
كم أجهضتْ قبلَك مِن عَدّهم ... لهـا شهورَ الحاملِ المُقـرِبِ (١)
وولدتْ وهى كأنْ لم تلِدِ ... أمٌّ اذا ما هى لم تُنجِبِ
قُمتَ بمعنـاها وكم جالسٍ ... تكفيه منهـا سِمــةُ المَنصبِ
وهى التى إن لم يُقَدْ رأسُها ... بمحصداتِ الصـبر لم تُصحِبِ (٢)
مَزلَقــةٌ، راكـبُ سِيسائها (٣) ... راكبُ ظهرِ الأسَــدِ الأغلبِ
راحتْ عـلى عِطفِـك أثوابُهـا ... طاهــرةَ المَـرفَعِ والمَسـحَبِ
فَتحتَ فى مُبهَــمِ تدبـيرِها ... تَنفُّسَ البُلْجَــةِ فى الغيهبِ
وآرتجعتْ منـك رِجالاتِهـا ... كلَّ مطيـلٍ فى النَدى مُرغِبِ
رُدَّ بنو "يحيي" و"سهلٍ" لها ... "والطاهريُّون" بنو "مُصعب"
فآضرب عليهـا بيتَ ثاوٍ بهـا ... قبلك لم يُعـمَدْ ولم يُطْنِبِ (٤)
وآستخدم الأقدارَ فى ضبطها ... وآستشرِ الإقبـالَ وآستصحِبِ
وآمدُدْ على الدنيا وجَهْـلاتِها ... ظِـلالَ حـلِمٍ لك لم يَعزُبِ
وآطلُع على النَّيروزِ شمسا اذا ... ساقَ الغروبُ الشمسَ لم تغرُبِ
تفضُـلُ ماكـرَّ سِنِي عُمـرِهِ ... بملء كفِّ الحاسبِ المطنِبِ
يومٌ من الفُــرسِ أتى وافـدا ... فقالت العُــرْبُ له : قــرِّبِ
بات من الإحسان فى دارِكم ... ـــ وهو غريبٌ ـــ غيرَ مستغرَبِ
لو شاء من ينسِب لم يَعـزُهُ ... لغـيركم عيــدا ولم يَنسِبِ
وآسمع لمغـلوب على حظِّــه ... لــو أنــك النـاصرُ لم يُغلَبِ

(١) المقرِبُ التى قَرُبَ وِلادها . (٢) لم تصحب : لم تنقد ولم تذلّ (٣) السيساء : منتظم فقار الظهر . (٤) لم يعمد ولم يطنب : لم يكن له عمد ولا أطناب .

مُوَحَّدٍ لم يشــكُ من دهرِه وأهــلِهِ إلا الى مُــذنِبِ
أقصاه عند النـاس إدلاؤه من فضـله بالنسب الأقرب
لو قِيض إنصافُك قِــدما له عَزَّ فـلم يُقْصَ ولم يُقْصَبِ(١)
عنـدك من برقِى لُمَّـاعةٌ سابقــةٌ تَشهــدُ للغُيَّبِ
منثـــورُها ذاك ، ومنظومُها هذا ، كلا الدرّين لم يُثقَبِ
ما زلتُ أرجـوك ومن آيتى أنّ رجائى فيك لم يَكذِبِ
لم يبقَ لى بعـدَك عتبٌ على حـظٍّ ولا فقـرٌ الى مَطلَبِ
فاغرِسْ ونوِّهْ منعما وآصطنع ترضَ مضاءَ الصارمِ المُقضِبِ
وغِر عـلى رِقّىَ من خامـلٍ لِملكِ مثـلى غـيرِ مستوجِبِ
كم أحمــدتْ قبلَك عُنْـق يدٌ لكنّها سامتْ ولم تَضرِب
ولَدنةِ الأعطـافِ لم تُعتَسَفْ بالـكَلِم المـرِّ ولم تُتْعَبِ
من الحـلالِ(٢) العفوِ لم تُستَلَبْ بغـارةِ الشـعرِ ولم تُنْهَبِ
دمُ الـكرى المهراقِ فيها على سامِعِها إن هو لم يطرَبِ
جاءك معنـاها وألفـاظُها فى الحسنِ بالأسهلِ والأصعبِ
أفصــحُ ما قيــلَ ولكنّهـا فصاحةٌ تُهـدَى الى "يَعْرُبِ"

* * *

وقال فى بعض الأغراض وقد سُئِلَهُ

ضمــانةٌ يَصــدُق وعدُ الضـنا فيهـا ، جناها الطَمَعُ الـكاذبُ
عاد بهـا اليـــومُ جديدَ الهوى وقـد تولّى أمسُها الذاهبُ
أيّة نارٍ قـدَحتْ فى الحشا عينُ مَهاةٍ زَندُها ثاقبُ ؟

(١) لم يقصب : لم يُقطع . (٢) فى الأصل "الجلال" وهو تحريف .

وأىُّ ثغــرٍ ولَمًى صادنى؟ نابــلُ قلبى بهــما الصائبُ
حُبًّــا له من بَرَدٍ جامـــدٍ يقطُــرُ منــه ضَرَبٌ(١) ذائبُ
اللهَ يا "خنساء" فى مهجةٍ أنتِ بهــا الثــائرُ والطالبُ
إن كنتِ حرَّمتِ وصالى فمن أين دمِى حلٌّ لكم واجب
سلى سهامَ الشوقِ عن أضلعى إن صدَقتْ عينُكِ والحاجبُ
مَنْ مُوقِدُ النــارِ وقد أُخمِدتْ على فــؤادى ومَن الحــاطبُ ؟

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى المعالى هِبَة الله بن عبد الرحيم فى النيروز الواقع فى سنة خمس عشرة وأربعمائة

يا دارُ لا أَنْهَــجَ(٢) القشيبُ منــكِ ولا صَوَّحَ الرطيبُ
ولا أخلَّتْ بكِ الغــوادى تَشْعَبُ ما يَصدعُ الجُدوبُ
من كلِّ مخــروقة العَــزَالِى(٣) تغلِبُ أخياطَها الثُّقــوبُ
تعجَبُ منهــا رباكِ حتّى يضحكَ فيها الوجهُ القَطوبُ
وكان عِطْرا كما عهــدنا مَشْىُ الصَّــبا فيــكِ والهبوبُ
فــربَّ ليلٍ ثراكِ فيـــه ــ بين نُحورِ العشاقِ ــ طِيبُ
عُجْنــا وليــلُ المطىِّ ليــلٌ بعْــدٌ وصوتُ الحادى صليبُ ٣٥
وما نَقضناهُ من طريقٍ مِن حيثُ رحنا عنــه قريبُ
فقــال صَحْبى : أضــلَّ هادٍ أم خُدِعَ الحــازمُ الأريبُ ؟
ليس أوانُ التعريسِ هذا قلتُ : هو الشوق لا اللُّغوبُ

---

(١) الضرب : الشهد . (٢) أنهج : بَلِىَ . (٣) العزالى جمع عزلاء وهى مصبّ الماء من الراوية ونحوها .

يا من رأى "باللّوى" بُرَيقًا ... تقدحُ نيرانَه الجَنوبُ
كلا ولا[(١)]، بينما تراه ... يطلُعُ أبصرتَه يغيبُ
كأنّ ما لاح منه وَهْنًا ... على شبابِ الدجى مَشيبُ
حدَّثنى "بالغضا" حديثا ... سَرَّ، على أنّه خَلوبُ
يقول : هيفاءُ لم يُحِلْها ... عن عهدك الناقِلُ الكذوبُ
جفونُها بَعدكم حُنُوًّا ... ماءٌ وأحشاؤها لهيبُ
فارض، فمِن قلبها خُفوقى ... أعدَى ومن طرفِها أصوبُ
لا وليالٍ على "المُصَلَّى"[(٢)] ... تُسرَق فى نُسكها الذنوبُ
وما رأى "الخَيْفُ"[(٣)] من هَناتٍ ... يغفرها المالكُ الوهوبُ
وخَلَواتٍ "بأمّ سعدٍ" ... ما بعدها لذّةٌ تطيبُ
لولا لماها لما شفانى ... "بزمزمٍ" ما سقَى القليبُ
ما ذا على مُحرِمٍ "بجَمْعٍ"[(٤)] ... وسهمُهُ من دمى خضيبُ
وكيف والصَّيدُ ثَمَّ بَسْلٌ[(٥)] ... تصادُ بالأعين القلوبُ ؟
يا فتكها نظرةً خِلاسا ... سبَّبَ أدواءَها الطبيبُ
ذابت عليها حصاةُ قلبى ... يا من رأى جمرةً[(٦)] تذوبُ ؟
قُلْ لزمانى : ما شئت فاضغط ... قد دبِرَ[(٧)] الجابرُ الجليبُ

---

(١) كَلَا ولا أى كقولك "لا لا" ويراد بها أن هذا البُرَيق فى سرعته يطلع ويغيب كمقدار قول "لا لا" وهى لا تستعمل عادة إلا فى كلّ ما ينمّ على السرعة كقول مهيار فى غير هذا المكان .

كيف رأيت الإبلَا * خواطفًا كَلَا وَلَا

(٢) المصلَّى : اسم موضع . (٣) الخَيْف : اسم موضع . (٤) جَمْع : اسم موضع من مناسك الحج . (٥) بسل : حرام . (٦) كذا بالأصل وفى منتخبات البارودى "صخرة" .

(٧) دبِرَ : أصابته الدبرة وهى قرحة فى ظهر البعير .

أصبتَنى بالخطـــوبِ حــتَّى ... لم تُبـــقِ لى مَقتَـــلا تُصيبُ
فى كل يومٍ جورٌ غريبٌ ... عنـــدى عليه صــبرٌ غريبُ
حتى لقـــد صــار لا عجيبــا ... منـــك الذى كلُّه عجيبُ
ولائمٍ فى عُزوفِ نفْسِى ... قلتُ له : أنتَ والخطـــوبُ ؟
عساك ــ خُبْرا بالناس ــ مثلى ... إن رُدَّ من حِلمك العـــزيبُ
فَـفِى قِـــلَى مَنْ تُراكَ تَلْحَى ... منهـــم؟ وفى تَرْكِ مَنْ تعيبُ ؟
اللهُ لى ــ إن طَرَحْتُ عِرضى ... أُكلةَ آمالهـــم ــ حسيبُ
قد كنتُ أبكى وهـــم فُروقٌ ... شَتَّى وأشكو وهـــم ضُروبُ
فاليـــوم سوّتهـــم المَساوِى ... عنـــدى وعمَّتهم العيـــوبُ
فمـا أرى منهُـــمُ بريئـا ... يَخشَى ٱفتضاحا به المُـــريبُ
بلى ! قد ٱستثنتِ المعـالى ... بيتًـا لهـا فخــرُهُ نسيبُ
بيتًا ، شموسُ الضحَى عمـادٌ ... له ، وشهبُ الدجَى طُنـــوبُ
الحَسبُ[(١)] العِـــدُّ[(٢)] من بنيــهِ ... كلُّ نجيبٍ نَمَى نجيبُ
من آل "عبــدِ الرحيم" مُرْدٌ ... حولَ رواقِ العُـــلا وشِيبُ
تشـابهوا سُـــودَدًا فأعطَى ... شاهدُهم فضـــلَ مَن يغيبُ
كلُّ مُحَيَّـا الجبينِ طَلْقٍ ... لم يَعتسِفْ بِشرَه القُطـــوبُ
راضون أن يُشبِعوا ويَضْوَوا[(٣)] ... والعـامُ مسحنفِزٌ[(٤)] غَصـــوبُ
تَرْوَى عِطاشُ الآمالِ فيهـــم ... وهْىَ عـــلَى غـــيرهم تَلوبُ
لهـــم أفاويقُـــها إذا ما ... أَصرَمَ ثَدْىُ الحَيَـا الحَـلوبُ

(١) فى الأصل : أيحسب . (٢) العِدّ : القديم . (٣) يضووا : يهزَلوا ، وفى الأصل : "يضروا" . (٤) مسحنفز : ماضٍ مسرعا .

دوحةُ مجـدٍ، أبو المعـالى غصنُ جناها الغضُّ الرطيبُ
كان فَتـاها والرأىُ كهلٌ وطفِـلَها والحجا لبيبُ
ليثُ حِمـاها والدارُ حربٌ وفى السـلامِ الظبىُ الربيبُ
لا فَرحـةٌ تسـتقلُّ منـه حِلْمـا ولا نَوبةٌ تنـوبُ
تغمِـزُ فيـه أيدى الليـالى والنَّبْـعُ مسـتعصِمٌ صَليبُ
إذا كساه الغِـنَى قميـصا فهو بأيدى النـدَى سليبُ
وكلُّ سـعيٍ له كَسوبٍ تَغـرَمُه كفُّه الوهـوبُ (٣٦)
يحمى حِمـاه بنافـذاتٍ خُدوشُها فى العِـدا نُدوبُ
لا يَبلُغُ السَّبرُ(١)، ما يُفَـرِّى(٢) — مُعمِّقا — جُرحُها الرغيبُ
يبعثُهـا مفصِـحا لسانٌ ماضٍ إذا لَجْـلَجَ الخطيبُ
إذا فُـروجُ الكلامِ ضاقتْ تَمَّ بهـا باعُـهُ الرحيبُ
لا مَحَقتْ بدرَك الدآدِى(٣) ولا محا شمسَـك الغـروبُ
ورَجَـع الدهرُ مستقيـلا اليـكَ من ذنبِه يتـوبُ
يُقسِمُ لا شِيمَ وهـو سيفٌ بعـدُ ولا شَمَّ وهـو ذيبُ
وعاد ظـلُّ الدنيا عليكم يُورِقُ أو يُثمِـرُ القضيبُ
حظُّكُمُ صـفوُها وحظُّ الـ ـأعداءِ منهـا المُـرُّ المشوبُ
ما كَرَّ عَـوْدًا شبابُ ليـلٍ يَردُفُـهُ من ضُحًى مَشـيبُ

---

(١) السـبر : امتحان غَوْر الجـرح ومعرفة مقـداره . (٢) ما يفرّى : ما يُشَـقّ .

(٣) الدآدىُ : ثلاث ليال من آخر الشهر قبـل ليالى المحاق أو هنّ ثلاث ليال فى آخر الشهر يُدأدِئُ القمر فيها الى الغروب أى يُسرِعُ وقد سُهِّلت همزتها، كقول الراجز:

أبدى لنا غرّةَ وجه بادى * كزُهْرَةِ النجوم فى الدآدى

وواحدتها : دَأْدَاء وفى الحديث "أنه نهى عن صوم الدأداء" وهى يوم الشك .

وزار يومُ النّـــيروز عامَ الـ ـخصبِ كما زارك الحبيبُ
تُهدَى لكم من ثَناىَ عُونٌ(١) كلُّ آبِنـ سميعٍ لها طروبُ
قواطنٌ فيــكُمُ وتُمسِى تجولُ فى الأرض أو تجـوبُ
فى كلِّ يومٍ تغشاك منها حبيبــةٌ ما لهـا رقيبُ
كذاك لا غائبى خبيثٌ لكم ولا شاهـــدى مريبُ
قـــلبى صحيــحٌ لكم ودّى ما مرِضَ الودُّ والقـــلوبُ
أجبتكم قبـــلَ أن دعـوتم فكيف أُدعَى فلا أُجيبُ

⁂

وقال وكتب بها الى الرئيس سعد الملك أبى الحسين بن حاجب النُّعمان فى شوّال من ســنة سبع عشرة وأربعمائة ، ويذكُرُ قديمَ الرياســةِ فى بيته ، وآجتذابَه إيّاه ، وآقتراحَه مديحَهُ، وتَمواصَلَ الخطابُ على ذلك

لعلّها — وَاليأسُ منها أغلبُ — إن نأتِ اليـــومَ غدًا تستقربُ
حاجةُ صـــدرٍ لك لا ملفوظةٌ ولا تَســوغُ حُلوةً فتُشــرَبُ
أَضْحَــكُ من مواعِدِ الدهرِ بها ممّــا يجىءُ باطـــلا ويذهبُ
ودونها — أن ينتهِى لَحاجُها — ذو صِبغتينِ دِينُـــه التقلُّبُ
فى كلّ يومٍ مُرسَـــلٌ مغالِطٌ لى عنـــده ، وشافِـعٌ محبَّبُ
وحَلفَـــةٌ كاذبةٌ وفى فمى شكيمةٌ(٢) مِن أن أقولَ : تكذبُ
مُلَّ فلا الحصـاةُ من فـــؤاده تلينُ لى ولا اللسانُ يَرطُبُ
اللهَ ياهيـــفاءُ لى فى زمنٍ نعيمُهُ بعــدَكُمُ معـــذَّبُ

---

(١) العُونُ جمع عَوانٍ وهى النَّصَفُ فى سنِّها من كلِ شىء و يريد بها قصائده . (٢) الشكيمة : الحديدة المعترضة فى فم الفرس .

وكبدٍ يصدَعُها كلُّ أسًى | بها الكبودُ القرِحاتُ تُشعَبُ
لا سلوةُ البعدِ المُريح عِصمةٌ | منكِ ولا الهمّ المُراح يعزُبُ (١)
وكلّما أطمعَ فيكِ سببٌ | آمُلُهُ أيأسَ منكِ سببُ
يعيشُ قلبي وهو عيشٌ مؤلمٌ | ثم يموتُ وهو موتٌ طيِّبُ
نَفْسَكَ يا مُعطِى الهوى قيادَه ، | إنكَ في خَيط الهوانِ تُجنَبُ
وإن هَوِيتَ فانتصرْ بغدرةٍ | عن ثقةٍ أنَّ الوفاءَ العطبُ
قالت على "البيضاء" أختُ عامرٍ: | أسفرَ في فَودَيك ذاك الغيهبُ
ومن بلاياكِ وإن عبتِ به | شبابُ حُبِّي وعِذارى الأشيبُ
غدرُكِ والحسونَ ، أىّ روضةٍ | قشيبةٍ بينهما لا تُجدِبُ (٢) ؟
وما الذى أنكرتِه من ليلةٍ | يطلُعُ فيها قمرٌ أو كوكبُ ؟
ما نَصلَتْ إلا بماءِ مقلتى | فليتها بماءِ قلبي تُخضَبُ
وعاذلٍ لا سُقِيَتْ غُلَّتُه | "بالغَور" ما يُروى ولا ما يَعذُبُ
يزعمُ أن كلَّ دارٍ "رامةٌ" | وأنّ كلَّ ذاتِ حِجلٍ (٣) "زينبُ"
حلفتُ يومَ ينحرُ الناسُ بها | ساجدةً أذقانُها والركبُ
يُعطَى المُنَى منها الذى يَستامُه | طُلًى (٤) تَطيحُ وجُنوبٌ تجِبُ (٥)
مثل التلاعِ (٦) بازلًا (٧) وحِقَّةً (٨) | قامَ عليهنّ الربيعُ المخصِبُ
والمُشرِفاتِ من "مِنًى" كأنّها | على ظُهورِ الهَضَباتِ حَدَبُ
وبالملبِّينَ سعَوا فنفَضُوا | ذنوبَهم وجمَّروا وحصَبوا

٣٧

(١) في الأصل "المزاح يغرب" وهو تحريف . (٢) في الأصل "تجذب" وهو تحريف .
(٣) الحجل : الخلخال . (٤) الطلى : الأعناق . (٥) تجب : تسقط . (٦) التلاع جمع تلعة وهى ما آرتفع من الأرض . (٧) البازل : الجمل المسن . (٨) الحِقّة : الناقة الداخلة في الرابعة من عمرها .

وماحَوَى ــ وأىُّ فضلٍ ماحوى ــ ذاك العتيــقُ البـارزُ المحجَّبُ
لو نُسبَ المجـــدُ لَمَـا كان الى غير بنى "عبدِ العزيزِ" يُنسَبُ
مِن أرضِهم طينتُــهُ وفيهِـــمُ رواقُـــهُ وبيتُـــهُ المطنَّبُ
أَقسمَ : لا فارقَهم، وأقســموا ما دام خُلْدًا مِن "أبانَ" مَنكِبُ
حىٌّ على رغم البـــدورِ غُرَرًا تَقــدحُ فى فَحْمِ الدجى فتثقُبُ
ورِدْ نفــوسا حُرّةً وأيديا تُحيلُ فى المحلِ عليها السُّحُبُ
تبادروا الجودَ فلاطوا حوضَهُ،⁽¹⁾ لهم ليالى وِردِه والقَــرَبُ
وآنتظموا سودَدَهم نظْــمَ القنا لكن صدورٌ ليس فيها أكعبُ
داسُوا بأعقابِهمُ هامَ العــلا وآقتعَـدوا ظهورَهـا وآعتقَبوا
شُمّ الأنوفِ والسيوفِ، قَصُرَتْ دروعُهم، وهى سِباغٌ تُسحَبُ
يَمشُونَ رَجْلَى⁽²⁾ فيُخالُ أنهـم من شَارةٍ⁽³⁾ ومن شَطَاطٍ⁽⁴⁾ رَكِبوا
توارثوا الملكَ فــلا خلافــةٌ إلا لهـــم سريرُها والمــوكِبُ
ومنهُـــمُ فى حربِهـا وسلمِها رمحٌ يَخُطُّ ولسانٌ يخطبُ
حُلِىُّ كـلِّ دولةٍ عاطـلةٍ وبِشْرُ كلِّ نعـــمةٍ تُقَطِّبُ
إذا الخطوبُ حُسِمتْ بخَــدعةٍ أو ردَعةٍ لانوا لهـا وصَـعُبوا
إن كتبوا، قلتَ: آصطلاما⁽⁵⁾ طعنوا أو طعنوا ، قلتَ : بلاغًا كتبوا
ترى الجبالَ فى الحُبَى إن جَلَسوا والأسدَ هِيجَ شَرُّها إن وَثبــوا
لهــم قُدامَى الفخرِ، ما تنقُــلُه لك الرواةُ وتريك الكتبُ
وخيرُ ما آستطرفْتَــهُ حديثُهُــم إذا الكرامُ زانهـــم ما أعقبــوا

---

(١) لاطوا : طيَّنوا . (٢) رَجْلَى : على أرجلهم . (٣) من شارة : من حسن وزينة .
(٤) ومنِ شطاط : من طولٍ وحسنِ قوام . (٥) آصطلاما : آستئصالا .

وَولَدوا "أبا الحسين" فرأى الـ ـمجدُ به كيف نَمَوْا وأنجبـوا
برزتَ فى عِقْـدِهِمُ واسـطةً لهـا من الأبصار ما يُسـتلَبُ
بيضاءَ مما أَبغضَ الغوّاصُ فى الـ ـفحص عليهـا أنفُسًا تُحبَّبُ
ومَطَلَتهـم دونهـا أُمنيَّـةٌ روّاغـةٌ وحِقبٌ وحِقبُ
حتى قضى الصـبرُ لهم قَضـاءَهُ وآستحيتِ الأيَّام ممـا نَصَـبوا
فاستخرجوها تملأُ الراحةَ والـ ـعينَ، فقالوا : دُرَّةٌ أم كوكبُ ؟
وشَرُفَتْ فلُقِّبتْ نخرَ العـلا لو لم يقَعْ دون سـناها اللقبُ
وكيف لا تطلُع بدرا فيهِـمُ؟ والشمسُ جدٌّ لك والنجمُ أبُ
ألقَى الكمالُ طائعـا عِنـانَهُ اليـك يُرخِى تارة ويَجـذِبُ
وأقعصَ(١) الأقـرانَ عنـك قَلَمٌ ممرَّنٌ وخاطـرٌ مدرَّبُ
وقمتَ قُـرحانا(٢) فتيًّـا بالعـلا قُيِّـدَ عنك القارِحُ(٣) المجـرَّبُ
وَرِثتَ فضـلا لو قَنِعتَ لكفَى لكن أَبيتَ غـيرَ ما تكتسِبُ
كالليثِ لا تحـلو له فريسـةٌ لا ينتـقِى(٤) فيهـا ولا يُخَلِّبُ(٥)
وكـم سواك لم يحُـزْ حِسابَهُ أعدادَ ما تُملى عليـه الحُسَّبُ
حَويتَ إعظـاما وقد مثَّلتَ لى رائدَ عينيَّ وقلتَ : تَكـذِبُ
أَدُميَةٌ صيغتْ أم البـدرُ هَوَى وبَشَـرٌ أم مَلَكٌ مُقَـرَّبُ؟
معجِـزةٌ جاء الزمانُ غلطا بهـا وآىٌ كلُّهنَّ عَجَبُ
وكرمٌ على اللسانِ حاضرٌ يشِـفُّ منـه الكرمُ المُغيَّبُ

---

(١) أقعص : أمات . (٢) القُرحان فى الإبل : مالم يجَرَبْ قطّ ، وفى الأصل "فرحانا" وهو تحريف . (٣) القارح المجرَّب : المسنّ الذى أصابه الجرب . (٤) ينتقي : يطلبُ النِّقْىَ وهو مخّ العظام . (٥) يخلّب : يُعمِل مخالبَه .

وراحةٌ مُطلَقـــةٌ طارحَهـا الـ ـعِرضُ المصونُ أن يهون النشبُ

سحرتَنی وداُر عِزّی "بابل" وقُـــدتنی وأمُّ رأسی تصعُبُ (١)

ومَلَّكتنی لك نَشوانَ الهـــوی خلائقٌ غِنـاؤهنّ مُطـــرِبُ

ملأتَ بالبِشـــرِ وِطابَ أمَلی (٢) وبعضُهـــم بكيئةٌ لا تُحـــلَبُ (٣)

حتى رَقَى الحـاوِی فأصغيتُ له وكدتُ معْ شدّةِ زُهدی أرغبُ

وقلت عاش "لزهيرٍ" (٤) "هَرِمٌ" (٥) وقامَ فی أهل "الزُّبيرِ" "مُصعَبُ" (٦) ٣٨

أرضيتنی عن الزمان بعـــد ما حرَّقَ أضلاعی عليـه الغضبُ

وعاد بَرْدا وســـلاما بك لی ما توقِد الدنيـا وما تَحتطِبُ

أغنيتنی قبـــلَ اللُّهـا مودّةً والودّ عنـدی خيرُ رِفدٍ يوهَبُ

وقرَّبَتْنی منـــك أُولَى نظـــرةٍ حتى كأنّا لم نزل نصـــطحبُ

فِراســـةٌ أيقظك المجـــدُ لهـا وفطنـــةٌ على سواك تعـــزبُ

وهمّـــةٌ إذا ركبتَ ظهـــرَها أدركتَ من أخرَى العلا ما تطلُبُ

فاسمع أُقرِّطْك شُـــنوفا دُرُّهـا لغـــير آذانكُمُ لا يُثقَبُ

من المصـــوناتِ التی تَعنَّستْ (٧) خلف الخدورِ وهی بِكرٌ تُخطَبُ

تنـافسَ الملوكُ فی مُهـــورها واقترَعوا فی حُبِّـــها واحتربوا (٨)

عنـدهمُ الرغبـــةُ والودّ لهـا وعنـــدها المـــلالُ والتجنُّبُ

---

(١) أمّ الرأس : الدماغ أو الجلدة الرقيقة التی عليه . (٢) الوطاب جمع وطْب وهو السِّقاء . (٣) البكيئة : الناقة أو الشاة قلّ لبنها . (٤) زهير بن أبی سلمی الشاعر . (٥) هرم بن سنان من أجواد العرب وقد اختصه زهير بمدائحه . (٦) الزبير بن العوام رضی الله عنه حواریّ رسول الله صلی الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ومصعب ابنه . (٧) تعنّست : صارت عانسا وهی التی طال مكثها بعد إدراكها ولم تتزوّج قط حتی خرجت من عداد الأبكار . (٨) احتربوا : أوقدوا نار الحرب .

وزادهـا نزاهـــةً وورَعًا | منِّى أبٌ على البناتِ حَدِبُ
ليس عليـــه للتمنِّى طاعـــةٌ | ولا له فى الشـــهواتِ أربُ
لا يمدح النـاسَ ولكن مدحُكم | يَلزَمُ فى دِيـن العـلا ويجبُ

*
* *

وقال وكتب بها الى الرئيس الأجلّ عميد الكفاة أبى سعد بن عبدالرحيم، يبتذله ببعض المعاتبة، ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى السنة المذكورة

نأتْ والأمانِى بهـا تقـــرُبُ | وملَّتْ وأحسَـــبها تَعتِبُ
ومال بها الغـــدرُ غدرُ الطبـا | عِ عـــنِّىَ والـكاشحُ المُجلِبُ
وغيرانُ يُذْعِرُه آسمى بكم | ويؤنســـه حـــولَه المِقنبُ
يكون لغـــيرى جَناحَ البعو | ضِ لينا ولى قَرْمُـهُ المصعَبُ(١)
ومنتـــحِلٌ فى الهـــوى يدَّعِى | مقـامى وشاهـــدُه يَكذِبُ
تبدّل بى ــ ساء ذاك البديلُ ــ | كما بِيـعَ فى الأخبثِ الأطيبُ
فيـا عَجَبى من مُريقٍ دمى | عنـادا وقـــلبى به معـــجَبُ
ومستهزئٍ ضـاحكٌ من بكاى | يجِــدُّ بقـــلبى كما يلعبُ
أهيفاء، أىُّ هوى قـــد علمـ | ـت يُقصى وأىّ أخٍ يُقصَـــبُ(٢)؟
ولمـا آنطـــوَى العامُ نفسى تَرُ | دُّ عنـــكِ وحافـــزُها يَطلُبُ
صددتِ كما آنصرفَتْ بالصدى(٣) | غرائبُ(٤) أوجههـا تُضـــرَبُ
أقول : غدًا ، نظـــرا للوفاء | وغدركُمُ من غـــدٍ أقـــربُ
وكيف اللقاءُ وقد سُـــدّتِ الـ | ـمطالعُ يا ذلك الكوكـبُ؟
وأيـن النجاءُ وما الحظُّ فيه، | ومنكِ ــ وأنتِ المنَى ــ المهربُ؟

---

(١) القرم المصعب : الفحل الذى ترك فلم يُركب حتى صار صعبا . (٢) يُقصب : يُقطَع .
(٣) الصدى : الظمأ . (٤) الغرائب : الإبل الغريبة التى تضرب لصرفها عن الماء .

* * *

سلِ الهاجعين على "ذى الطُّلوح"[(١)] وطَـرفى لهـــم حارسٌ يرقُبُ
أشمـــتُم يميـــنا ســـنا بارقٍ يشـــوقُ عـــلى أنه خُلَّبُ ؟
تألَّـــق مستشـــرفا لا يُسَـــلُّ حتى يُرَى سـيفُه يُقْـــرِبُ[(٢)]
يبِينُ ويُخفِي رءوسَ الهضابِ فتنصُـــلُ منـــه كما تُخضَبُ
يمُـــرُّ فيرغِب[(٣)] فى أضـــلُعِي صُـــدوعا برَجعتِـــة تُشْعَبُ
وهل عنــده خبرٌ إنْ سأل تُ : ما "البانتان" وما "زينبُ" ؟
وهل ربعُ "غُرَّبَ" فى الباليـــا تِ أم هل على عهدنا "غُرَّبُ" ؟
سقَى بالحمى الأعينَ النـــابلا تِ من دم أحشاىَ ما تشربُ
وحيَّا الحيـــا أوجها لا تَغُشُّ لُجينَ الجمـــالِ بهـــا مُذهَبُ
وفى السانحـــاتِ بذاك "الرمِيـ ـل" عفـــراءُ تاهَ بهـــا الربربُ
من الذاهبـــاتِ بحَبِّ القـــلو بِ لا تُقتَضَى رَدَّ ما تَســـلُبُ
وما نُطفـــةٌ حصَّـــنتها السماءُ بأرعنَ مَرقاهُ مستصعَبُ
مصفَّقـــةٌ[(٤)] حَلَبَتْ عفـــوَها[(٥)] بها المزنُ أوّلَ ما تُحـــلَبُ
الى أنْ تبـــقَّت لُباناتُهـــا وكادت بمـــا لَطُفتْ تَنضُبُ
تراوِحُـــها وتغـــادى الشَّمالُ تُرقـــرِقُ فيهـــا وتُســـتعذَبُ
ولا نحـــلةٌ بات يَعســـوبُها[(٦)] على الحسْنِ من حـــذَرٍ يلسِبُ
يَغـــار فيمنعها أنْ تُشا[(٧)] رَ ، ما منـــع الشـــائرَ المِشغَبُ[(٨)]

---

(١) ذى الطلوح : اسم موضع . (٢) يقرب : يدخل فى القراب وهو غمد السيف .
(٣) يرغب : يوســع . (٤) مصــفّقة : مصفّاة . (٥) العفو : أوّل ما يحلب .
(٦) اليعسوب : ذكر النحل . (٧) أن تُشار : أن يستخرج عسلها . (٨) المشغب : المهيِّج .

تُجاذبُ فيها أكفُّ الجُنا ... ةِ غِنًى(١) مثلها مثله تَكسِبُ
ولا مِسكةٌ طاف عطّارُها ... "بدارِين"(٢) ينخلُ ما يَجلبُ
يبقِّرُ عنها بطونَ الظِّباءِ ... من الألف واحدةٌ تُنجِبُ
فجاءت لضوعتها سَورةٌ ... تكاد العِيابُ بها تُثْقَبُ
بأطيبَ من فم ذات الوشاح ... سُحورا، بلى! فمُها أطيبُ
تقول العواذلُ: دعْ ذِكرَها ... ففى الذِّكر قادحةٌ تُلهِبُ
وهَبْها كعاريةٍ تُستَرَدُّ ... لا بدَّ أو ثَلَّةٍ(٣) تعزُبُ
فقلتُ: إذن كبِدى فلذةٌ ... من الصخر أو كبِدى أصلبُ
تُزَمُّ الحمولُ فلا أستكينُ ... وتشدو الحمامُ فلا أَطربُ
عَذيرِىَ من زمنٍ لا يُسَرُّ ... بنعماءَ إلا بها يَنكُبُ
إذا قَسمَ الحظَّ بين الرجال ... لحظِّى من شرّ ما يُنصِبُ
تَعاوَى علىّ تصاريفُه ... تُذَأْبِبُ حولى وتَستكلبُ
فأدفعهنّ بصبرى الجميلِ ... اذا ظَلَعَ المتنُ والمنكبُ
سأركبُ عزمِىَ، حتى يطيرَ ... عن الضيم عنقاءُ بِى مُغرِبُ(٤)
وإلا فعندَ "عميدِ" الكفا ... ةِ" حِمًى مانعٌ وذَرًى مُعشِبُ
وراتعةٌ من أمانى العُفا ... ةِ لا هىَ تَظمَى ولا تَسغَبُ
لها ما يُوَسِّعُ من ذَرعها ... بساطَ الرجاء وما يُرحِبُ
كريمٌ، وشائجُ(٥) أعراقِه ... إلى العِيص(٦) من مجده تَضرِبُ

(١) فى الأصل "عنى" وهو تحريف. (٢) دارين: بلدة مشهورة بالطيب. (٣) الثلة: جماعة الغنم أو الكثيرة منها. (٤) يقال: عَنقاءُ مُغرِبٌ وعنقاء مُغرِبَةٌ والعنقاءُ المغرِبُ وعنقاءُ مُغرِبٍ وهو طائر معروف الأسم لا الجسم وفى المثل "حلّقت به عنقاءُ مغرِبٌ". (٥) الوشائج جمع واشجة وهى الرحم المشتبكة. (٦) العيص: هو من أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر.

توسَّعَ فى نسبٍ، كالهــلال ... إلى الشمسِ، أعرقَ ما يُنسَبُ
بُناةُ العلا آلُ "عبدِ الرحيـ ... ـم" يُعــرَفُ بابنِهمُ ما الأبُ
ميامينُ، أنديةُ المكرماتِ ... لهــم تُجتبى(١) وبهــم تُعصَبُ
إذا ذَكَروا العارَ لم يأمنوا ... وإن ركبوا السيفَ لم يَرهَبوا
وجــوهٌ ميسَّــرةٌ للنــجا ... حِ باسمــةٌ والــثرى يَقطُبُ
وأيــدٍ تخفُّ إلى الأعطياتِ ... إذا حُسِبَ الفقــرُ لا تُحسَبُ
تراحُ عِشارُهُمُ(٢) للشــفارِ ... فتُعبَطُ(٣) من قبــلِ تُستحلَبُ
ولولا القِرَى ورشادُ الضيــو ... فِ(٤) لم يغدُ عبدٌ لهــم يَحطِبُ
مضَوا تضمنُ المجــدَ أحداثُهم ... وذكــرهُــمُ خالدٌ طيِّبُ
وقام "أبو ســعدهم" ذائدا(٥) ... بمــيراثه وبمــا يكسِبُ
فتــاهم بمــا عُدّ من سِــنّه ... وشــيخٌ وأحلامهم تعــزُبُ
كفته بديهــةُ حِــدْثانه ... قــديمَ الرجالِ وما جرّبوا
وغلّس حــتى آنتهى واحــدا، ... له المجلسُ: الصــدرُ والموكبُ
كثيرُ الغَنــاءِ قليــلُ العناءِ ... فمــا يســتريح وما يتعبُ
وما يَغــمزُ الخطبُ فى عُوده ... إذا آنقلب الزمنُ القُلَّبُ
أبِيٌّ جوادٌ، فيــومَ الخصــام ... يَحُجُّ، ويومَ النــدى يَغلبُ
يَرى النفسَ تلك الــتى لا تُذَ ... لُّ والمــالَ ذاك الذى يُوهَبُ
أصــاخ بكم لِيَ حــظّى الأصـ ... ـمُّ وآعتذر الزمنُ المذنبُ

---

(١) تجتــبى: تصطفى، وفى الأصــل "تجتنى" وهو تحريف. (٢) العشــار: النوق.
(٣) فتعبط: فتُنحر. (٤) يريد: لولا ما يوقدونه للقرى من النار التى يُرشَد بها الضيوفُ الى أحيائهم ما آحتطب لهم عبد. (٥) فى الأصل: "زايدا" وهو تحريف.

وذلَّلــتُمُ لِي ظهــورَ الرجا ... ءِ ما شئتُ أركبُ أو أجنُبُ

وكنتم مآلي ومالي نلسـ ... ـتُ أرهبُ شيئاً ولا أرغبُ

وردَّ الودادُ اليــكم قِيا ... دَ قــلبي فما عنكُمُ مَذهبُ

وحلَّأتُ(١) عن حوض شعرى الملو ... كَ وهو لكم مُغدِقٌ معــذَبُ

صــوارمُه دونكم تُنتضَى ... وأذيالُه حولكم تُسحَبُ

أَحنُّ لكم حَنَّــةَ العاشقيـن ... فأمدحكم مثــلَ ما أنسِبُ

عــلى مللٍ فيكُمُ لا تزال ... بجــنبي قــوارفُهُ تَنْـدُبُ

متى آتِ لم أكُ مســتكرَها ... وأنأَى فما أنا مســتقرَبُ ٤٠

وكم ماطِرٍ فيهِــمُ بالوفاءِ ... إذا رمتُ أنصافَهُ(٢) يحــلِبُ

يُدير كئوسَ الهوى بيننا ... فيسقِي الغــرامَ ولا يشــرَبُ

ومن حاســدٍ لِيَ، أرسانُهُ ... بما ساءنى عندكم تُجذَبُ

إذا خافنى دبَّ فى دوركم ... بعيبى كما دبَّت العقــربُ

فــلا وشَــقاوتِه ما يَشُــقُّ ... على البدر أن تَنبحَ الأكلُبُ

ولو كنتُ أُغلى عليكم رضاىَ ... لما سرَّكم أننى أَغضبُ

ولـكن فــؤادٌ لكم رقُّــهُ ... فما يســتبيح ولا يهــرُبُ

يُريه الهــوى أنَّ إمساكه ... بكم من تنقّــلِهِ أصْــوَبُ

وأنَّ الحِفاظَ وحبَّ الوفاءِ ... على طينِ طابعِــه أغلبُ

فــلا تنــتزعكم يدٌ تســتمـ ... ـيحُ مِنّى ولا قاهرٌ يَغصِبُ(٣)

---

(١) حلّأت : منعتُ، ومعــذَب : منزوع ما فيــه من قذًى . (٢) أنصافه : أى نصف ما يحلبه فى قربه، ومنه : قربة نَصفَى أى بلغ فيها الماءُ أو غيرُه نصفَهُ . (٣) فى الأصل " يغضب " ولا يتفق والمعنى .

ولا أَعدَمَنْ منكمُ أُســرةً بأيســر عُتبَى لهـا تعــتِبُ
وغُـــرٍّ مفـــوَّفةٍ كالبرو دِ أو هى من حَوكها أقشبُ
تجـارِى بروجَ العلا أو تعود وشرقُ النجوم لهـا مَغــرِبُ
يُذلُّ النـــوالُ لكم صعــبَها فكلُّ شـــوامسها(١) تُركَبُ
بكم هـامَ رِيِّقُها(٢) فى الشـــبابِ وهـــذا لكم عمرُهـا الأشيبُ
على كلِّ يومٍ جديدِ السعــو دِ ومن حُسنِها سِمةٌ تغربُ
فإن جاءكم أعجمىٌّ اللســا ن فهْى لسانٌ له مُعــرِبُ
فتبقونَ وهى بواقٍ قعـودٌ ما(٣) ٱختلفَ الصـبحُ والغيهبُ

* * *

وقال وكتب بها الى أبى الحملات شبِيب بن حمّاد بن مَزْيَد، وقد كرّر الرغبةَ اليه فى ذلك، وثقّل بجماعةٍ من الأصدقاء سامهم تنجُّزَ مديحه، وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وأربعمائة

طَرقتْ على خطَرِ السُّرَى المركوبِ والليــلُ بين شَبيبةٍ ومَشيبِ
وعلى الرحائل ساجدون دحا(٤) بهم سُكْرانِ : سُكْرُ هوًى وسُكْرُ لُغوبِ
دعَموا الخـدودَ بأذرعٍ مضعوفةٍ وتواقعـــوا لمناكبٍ وجُنوبِ
وتعـلَّلوا طرَبا إلى أوطانهـــم بحنينِ كلِّ منـدَّب(٥) مجلوبِ
فكأنَّ صَحْبى نالهتم قرقفٌ(٦) أو فزَّ بينهُـــمُ عِيـابُ الطِّيبِ
فعجِبتُ للزَّورِ القـريبِ دنا به قَـدرٌ وليس مَزارُه بقـــريبِ

---

(١) الشوامس جمع شامس وهو الفرس يمنع ظهره. (٢) الريّق : أوّل العمر. (٣) هذا الشطر دخل على أوّله "الخزم" وهو ذهاب "الفاء" من "فعولن". (٤) دَحا بهم : رمى بهم. (٥) المندَّب : الذى به آثار الجروح. (٦) قرقف : من أسماء الخمر، وفزّ : سال وندِىَ.

يَسرِى وحيدا "بالعراق" وأهلُه ... ما بين قُنَّةِ "لَعلَعٍ" و"عَسيبِ"
وأبى سَلامةَ إنما جَلبَ الكرى ... منها عـدوًّا فى ثيـابِ حبيبِ
لو حُكِّمتْ يقظَى لمـا زارت بلا ... عِدَةٍ ولا وصلتْ بغـيرِ رقيب
يا أختَ "فِهرٍ" والمحبة بيننـا ... نسبٌ، وإن ناداكِ غيرُ نسيبِ
لولاكِ لم أشِمِ الخلابَ ولاصبتْ ... نفسى لأحلامِ الكرى المكذوبِ
ولكان لى مندوحةٌ "بالحَزْنِ"(١) فى ... أخويك من رشأٍ له وقضيبِ
ناهضتُ حبَّك والنحولُ يخوننى ... وكتمتُ سرَّك والدموعُ تَشِى بى
وحَملتُ حتى قيلَ : مات إباؤه ... وجزعتُ حتى قيلَ : غيرُ لبيبِ
فاذا وذلك(٢) ليس عنـدكِ نافعـا ... لمـا مللتِ وقـلَّ منـك نصيبى
تتجرّمين الذنب تجـزينى به ... والشيبُ والإقلالُ كلُّ ذنوبى
ثِنتانِ لو خُيِّرتُ فى كلتيهما ... عُمْـرُ الربا مالى وعَمْـرُ مَشيبى(٣)
ولقد حَبستُ عن اللئامِ مَطامعى ... وأطلتُ فى دار الهـوان مَغيبى
وعزفتُ والأرزاقُ مطمحُ ناظرى ... أَنِفًـا من المتمنِّنِ الموهوبِ
مالى أذلُّ وسيف نصرى فى فمى ... والصونُ بين مآزرى وجيوبى
وعلىَّ دون الحاسدين ونبـلِهم ... دِرعان من فِطَنى ومن تجـريبى

(١) الحزن : اسم موضع .   (٢) يريد "فإذا هـذا وذلك" كقول عبـد الرحمن بن عبد الله أو عبد الله بن عبـد الرحمن بن أبى عمّار المشهور بالقَسِّ وهو صاحب سلَّامة المغنية

باتت تعلّلنا وتحسب أننا ... فى ذاك أيقاظ ونحن نيامُ
حتى اذا سطع الضياء لناظر ... فاذا وذلك بيننا أحلامُ

وكقول أبى كبير الهذلىّ

فاذا وذلك ليس إلا ذكرُهُ ... وإذا مضَى شىءٌ كأنْ لم يُفعَلِ

(٣) كذا بالأصل رسما وشكلا ولعله :

ثنتان لو خُيِّرت فى كلتيهما ... غَمَرَ الرُّبَا مالى وعَزَّ مشيبى

وحمـايةُ الأحرارِ تحفظُ جانبى … والفَضلُ يمنع سارحى وعزيبى
وإذا فزعتُ لجأتُ من أَسدٍ إلى … أَسدٍ تأشَّبَ فى القنا المخضوبِ (٤١)
ونزلتُ فى غُرفِ العـلا متظلّلا … بالعـزّ تحت رواقها المضروبِ
وعلِقتُ منهـا ذمّـةً ومـودّةً … أن فات "حمّادٌ" بحبلِ "شبيبِ"
المـاجد ٱبن المـاجدين وربما … تجدُ النجيبَ وليس بٱبن نجيبِ
وٱبن القِرى وٱبن الصوارم والقنا … والخيـلُ تخـلِط أرجلا بسبيبِ
والواهبِ ما لا يُجـاد بمثـلِه … والسـالبِ ما ليس بالمسـلوبِ
والراكبين الى ذوى حاجاتِهم … ظَهرا من الأخطار غير ركوبِ
جادوا فقال المالُ: سُحْبُ مواهبٍ … وسطَوْا فقال الموتُ: أُسدُ حروبِ
وتتابعوا فى المجـد ينتظمونه، … والرمحُ أُنبـوبٌ على أنبـوبِ
كانوا الأسنةَ فى "معـدٍّ" كلِّها … والناسُ بين مَعاقِدٍ وكُعوبِ
إن فوخروا شهِدت لهم أيّامهم … فيـها بكلّ معـلّمٍ مكتوبِ
يتوارثون مكارما مُضَريَّةً … إرثَ النبوّةِ فى بنى "يعقوبِ"
دَرَجوا عليها آخذين بحكمها … لم يُفسِـدوا حسـناتِها بعيوبِ
وجرى أبو الحملاتِ يطلبُ شأوَهم … أكرِمْ به من لاحقٍ وطلوبِ
قالوا: الهمامُ، فأفرجَتْ أبطالُهم … لك عن طريق الضيغمِ المرهوبِ
لقبٌ يصدّق فيـك معناه ٱسمَه … ومن الرجالِ مُمَـوَّهُ التلقيبِ
لك يا "شبيبُ" صباحَها ورواحَها … عَقـرُ الكماةِ بها وعَقـرُ النيبِ
وعلى سلاحك أو سماحك أُركزتْ … راياتُهـا بفِنـائها المطـلوبِ
أصبحتَ غرَّةَ مجـدها فبياضُه … مستخرَجٌ من لونك الغِـربيبِ
وعلامةُ العـربىّ دُهمـةُ وجهه … ومن الوجوه البيضِ غيرُ حسيبِ

والبدرُ أشرفُ طالِعٌ فى أفقِـه ... وبياضُـه المرموقُ فوق شُحوبِ
لله بيتُـك أمنُـه وجِفـانُه ... والحق بين مَخافةٍ وجُدوبِ
ومكَرَّماتُ النسلِ تُهونُ (١) فى القِرى ... بالمصـطفى منهـا وبالمجنـوبِ
وإذا الوَقودُ خَبَا جعلتَ لحومَها ... حطباً لنـارِ الطارق المجـلوبِ
من كلِّ مُشرِفةٍ تحـدّث هامـةً ... ورديفةٍ (٢) عن "صخرةٍ" (٣) و"عسيبِ" (٤)
الكُور (٥) فى وضحِ الصباحِ لظهرِها ... والسيفُ فى الظلمـاء للعُرقوبِ
حُدّثتُ والخـبرُ الجلىُّ مصـدَّقٌ ... عن سيبك المتـدفِّقِ المسكوبِ
وشمائلٍ لك فى الندَى مطبوعةٍ ... كالتبرِ ليس صفاؤه بمشوبِ
وبمـا عَرفتَ فضائلى ووصفْتَهَا ... ورغِبتَ فى ودّى وفى تقـريبى
فاستاق منك غريبَ أشعارى الى ... متوحِّـدٍ فى المكرماتِ غريبِ
فبعثتُهـا لك فاتحـا ما بينَنـا ... بابَ الوصال ونُهـزةَ الترغيبِ
من كلِّ ساريةٍ بذكرِك، صيتُها ... فى الأرض بين فدافدٍ وسُهوبِ
تزدادُ صبرا فى الزمانِ وقوّةً ... أبدا علـى الإدلاجِ (٦) والتـأويبِ (٧)
وهى التى شَجَتِ الملوكَ وخودِعوا ... منها عن المنفـوس والمرغوب
فاستقربوها مغرَمينَ بها وما ... تزدادُ غـير تمنُّـعٍ ونُكوبِ
وتفرّدتْ فى ذا الزمانِ بمعجـزٍ ... لم تُؤتَ من ردٍّ ومن تكذيبِ
فاعرِف لها حقَّ الزيارة بغتـةً ... وتلقَّـها بالأهـلِ والترحيبِ

---

(١) تهون : تهين . (٢) يريد : من كلّ مشرفةٍ هامةً ورديفةٍ أى تابعة لها تحدّث عن صخرة وعسيبٍ كناية عما لهذه النوق من الضخامة والارتفاع حتى صارت تحكى الجبال . (٣) صخرة : جبل . (٤) عسيب : جبل باليمن وقد تقدّم . (٥) الكور : الرحل . (٦) الإدلاج : السير بالليل . (٧) التأويب : السير جميع النهار .

وٱكرِمْ عليها تجتلبْ أخواتِها ... إن الصلاةَ تتمُّ بالتعقيبِ
طلبتك تأملُ أن تنالَ بك الغنى ... فلئن وفَيْتَ لها فغيرُ عجيبِ

***

قال وكتب بها الى الصاحب عميدِ الحضرةِ ذى الرتبتين أبى طاهر بن حمّاد ، وقد بلَغه جميلُ ذكرِه به ، وتشوّقُه اليه ، وٱستحسانُه لشعرِه ، وكان قد واصلَه بهدايا يريدُ بها مفاتحتَهُ ، وسفَرَ فى ذلك أبو الحسَن المختار بن عُبَيد الله الذهبيّ لأجل ما كان بينهما من المودّة والصحبة بمكاتبةٍ جامعاً بين الحقَّين

(٤٢)

نظرةٌ منكِ ويومٌ "بالجَريبِ"(١) ... حَسْبُ نفسى من زمانٍ وحبيبِ
فمَن الواقفُ بى بينكما ... جَمعَ الفُوقَ(٢) على سهمٍ مُصيبِ ؟
وقفةً لا أشتكى من بعدِها ... غُلّةَ الصدرِ ولا ذلَّ الغريبِ
يا ٱبنة "الجمرةِ"(٣) من "ذى يَزَنٍ" ... فى الصميمِ العِدِّ والبيتِ الرحيبِ
ما لكم — لا أجدبَ اللهُ بكم — ... يرتعِى جارُكُمُ غيرَ الخصيبِ ؟
الجَدَى يمنعُه ذو جِدةٍ(٤) ... والجنابُ الرحبُ ينبو بالجُنوبِ
ورماحٌ دون أضيافِكمُ ... تأخذُ السالمَ فيكم بالمريبِ
أتّقيكم والهوى يقدمُ بى ... وأغضُّ الصوتَ والدمعُ يَشِى بى
ومن الشِّقوةِ فى زورتِكم ... أنّ عينَ الرمحِ من عينِ الرقيبِ
لا يكن آخرَ عهدى بِكُمُ ... — ياوُلاةَ القلبِ — ليلاتُ القليبِ(٥)
يا لمَن ينكُص عن غِزلانكم ... وهو وثّابٌ على الليثِ الغضوبِ

---

(١) الجريب : اسم واد . (٢) الفوق : موضع الوتر من السهم . (٣) يريد بالجمرة : إحدى جمرات العرب وهى القبيلة لا تنضمّ الى أحد . (٤) الجدة : اليسار والسعة . (٥) القليب : اسم ماء بنجد .

ومتى العـزُّ؟ وفى أبيـاتكم أعينٌ تقهر سلطانَ القـلوبِ
يا صَبا "نجدٍ" ويا بانَ "الغضا" أُرفُقـا بى بالتثنّى والهبـوبِ
وٱسلمـا، لا مثلَ ما طاحَ دمى منكما بين نسـيمٍ وقضيبِ
قَسمَ البينُ فمـا عـدّل بى غدرةَ الوافى وتبعيـدَ القـريبِ
وقضى الدهرُ فحالتْ صِبغـةٌ عُدَّ ذنبُ الدهرِ فيها من ذنوبى
وفؤادى يشتـكى جَورَ النـوى وعِذارِى يشـتكى جَورَ المشيبِ
كم أُدارِى عَنَتَ الأيّام فى غَبْنِ حظّى وأُطاطِى للخطـوبِ؟
وأردّ الحـزمَ فى أُخوصِـه وهو هافٍ يتـنزّى للوثوبِ
قاعدا والجَـدُّ قد رحّلَ بى والمعـالى يتقاضَيْـن ركوبى
جِلسـةَ الأعزلِ ياوِى يدَهُ وسـلاحى بين كُورِى وجَنيبى
أمدحُ المثرِيـن ظنّـا بهـمُ ربّمـا يُقْـمَر بالظنّ الكذوبِ
كلُّ وغدِ الكفِّ منبوذِ الحيـا طيِّبِ المحضرِ مسـبوبِ المغيبِ
يمنــع الرِّفـدَ وتَلقَى وفـدَه لِحْـيَةُ البخلِ بإدلالِ الوهـوبِ
يطلبُ المدحَ لِأنْ يفضحَهُ وهو قبلَ المدحِ مستورُ العيوبِ
قلتُ للا مال فيــه ـ كَذَبَتْ أمُّهُ ـ : إن كنتِ آمالى نَخِيبى
جَلَبُ الأرضِ عريضٌ دونه وسُرَى العيسِ وإدمانُ اللّغوبِ
وغــلامٌ آخـذٌ ما طلبتْ نفسُه أو فائتٌ كلَّ طلوبِ
يقْـمحُ(١) الضـيمَ ولو أبصرهُ ليـلةَ العِشرِ على المـاءِ الشَّروبِ
ما أذلَّ الخصبَ فى دارِ الأذى وألذَّ العـزَّ فى دارِ الجُـدوبِ
يا بنى كلِّ نعـيم ضاحكٍ فى حِمى وجهٍ من اللؤمِ قَطوبِ

(١) يقال: قمح البعيرُ اذا رفع رأسـه عن الشرب كارها له .

قـــد مالناكـــم على شـــارتكم (١) ويضيقُ الصدرُ فى البيتِ الرحيبِ
وعسى الدنيـــا التى أدّتـــكمُ تصـــطفينا من بنيها بنجيبِ
ماجدِ الشيمةِ ســـهلٍ، ليـــلُه للقرَى، صبٍّ إلى الحمدِ طَروبِ
يكسِبُ المـــالَ لأن يُتلِفـــهُ والعلا فى يدِ متلافٍ كسوبِ
تَخبُث الأيدى وفى راحتِـــهِ من نداه أرجُ المَشـــتا المَطيبِ
كابن "حمّـــادٍ" ولا مثـــلَ له هل تَرى للبدر فرداً من ضريبِ
جاذبَ الرُّوّاضَ عن مِقـــودِهِ مَرِسٌ (٢) تُنكِرُهُ كفُّ الجَذيبِ
ودعا النـــاسَ الى تســـويدِهِ واسعُ الجمـــرةِ وهّاجُ الثُّقـــوبِ
أين يا سائقَها؟ أيـــن بها؟ جعجعُ (٣) الآمال فى غيرِ عزيبِ
جَمَعَ "الصاحبُ" من أطرافها وفى (٤) حيرَى الطُّرقِ عَمياءِ النُّكوبِ
ضمّـــها بالرأيِ حـــتى التأمتْ شُلَّتاها (٥) من شُـــذوذٍ وشـــذوبِ
ويدٍ — لا تربتْ تلك يدًا — ربقـــةِ (٦) الجانى وفكِّ المستنيبِ (٧)
ســـلّتِ الدولةُ منـــه صارما شرِقَ الصفحةِ ظمآنَ الغُروبِ
طَبعَ الأقبـــالُ من جوهرِهِ زُبْرةً تقدحُ نيرانَ الحروبِ
لو أطاعتـــه يدٌ حامـــلةٌ لم تُكذِّبْ ظبتاهُ عن ضَـــريبِ
جَرَّبوه ماضـــيا حيثُ مضى صادعَ الوحيِ ومحتـــومَ الغيوبِ
قَلِقًا، ينفِى الكرى عن وجهِـــهِ عِلمُه أنّ المعالى فى الهبوبِ
ألمعـــيًّا ســـوّدته نفسُـــهُ والمساعى قبلَ تسويدِ الشعوبِ

(١) الشارة: الحسن والزينـــة، وفى الأصل: "شاربكم" وهو تحريف. (٢) المرس: ذو المراس والشدّة. (٣) جعجع: أنِخ. (٤) الوفىُ: ما شرف من الأرض. (٥) الشلة: البعيد تطلبه. (٦) الربقة: العروة فى الحبل يشـــدّ به البَهْمُ. (٧) فى الأصل المستثيب.

قدَّمتْـــهُ صـاعدا عن قومِهِ مَصْعَدَ اللّهــذمِ(١) قُدَّامَ الكعوبِ
هَبَهبــوا منــه بليثٍ فى الوغى قَرِمِ(٢) الأظفارِ مشــتاقِ النّيوبِ
خيرِ من خَبَّتْ(٣) له أو وَخَـدتْ للجــدَى ذاتُ سَــنامٍ وسَبيبِ
يأخذُ الحاجاتِ من حيثُ غلتْ غيرَ معذولٍ على حبِّ الغُصوبِ
تحسَبُ الغـابةَ ممـا آجــتّرهُ حومــةً بين عَقــيرٍ وتريبِ
ماضــيا لم يثنِــهِ عن قصــدِهِ هجمةُ الليلِ ولا طولُ الدؤوبِ
جَمَعَ الجــودَ الى البأسِ كما شعشعَتْ نارٌ بمــاءٍ فى قضيبِ
راحةٌ لم يَعــلَقِ البخــلُ بهـا وفــؤادٌ لم يُســفَّهْ بالوجيبِ
ولسانٌ يخصِمُ السـيفَ به يترك الفــارسَ عبــدا للخطيبِ
مَنْ رسولٌ سَــعِدتْ رحلتُــهُ — يومَ أدعوهُ بلبَّيْكَ — مجيبى ؟
ناصحُ الجيبِ بمــا حمّلتُــهُ حيثُ يَخشَى مُرسِلٌ غِشَّ الجيوبِ
لم أكلِّفهُ سُرى البيــدِ ولم أتعسَّــفْه بأخطارِ السُّهوبِ
عيسُــه ، ململومةٌ(٤) يركب(٥) منها مطمئنا ظهرَ مِذلالٍ رَكوبِ
تقسِــمُ المـاءَ بباعٍ مطــلَقٍ وفَقارٍ(٦) مُرسَــلِ الحبلِ(٧) سَروبِ
صــعبةُ الخلقــةِ سهلٌ أرضها فهو بين اللينِ منها والصَّليبِ
ساريا ليستْ عليــه خِيفــةٌ ما وقاه الله سَــوْراتِ الجَنوبِ
قــل لنوتيِّــك : شَرِّعْ آمنـا حَدَثَ التيّارِ والمــوجِ العصيبِ
رِدْ بها "مَيسانَ" واحبسها على الـ ـمَعقلِ الممنوعِ والوادى العشيبِ

(١) اللهذم : القاطع من الاسنة . (٢) القرمُ . ذو الشوق وأصله من القَرْم وهو شدّة الشهوة الى الطعام وكثر حتى قيل فى الشوق . (٣) فى الأصل "حنت" . (٤) ململومة : مستديرة ويريد بها السفينة . (٥) كذا بالأصل ولعله قد ردّ هذا الشطر من "فاعان" الى "فاعلاتن" وفى النسخة المطبوعة "يركبها" . (٦) الفقار : ما انتضد من عظام الظهر . (٧) فى الاصل "الخيل" وهو تحريف .

فاذا ضــاقت فعــلِّقها "أَبَا طاهِرٍ" تَعلَقْ بفرّاجِ الـكروبِ
والى ذى الرتبتينْ ٱبتــدرتْ فُرَصُ المجـدِ وحاجاتُ الأريبِ
قل له عَنِّى : حيَّتــك العُـــلا بوكيفٍ من حَيَا الشكرِ صَبيبِ
وسَقَى عِرضَك ـ ما ٱستسقيتَه ـ بارقٌ من مِدَحى غـيرُ خَلوبِ
ترفُلُ الأحســابُ فى روضــتِهِ مَرفَلَ الغــادةِ فى البُرْدِ القشيبِ
خيرُ ما ٱستثمرَ من غَرسِ النَدى وٱجتنَى من غُصُنِ الجودِ الرطيبِ
وبذلتَ الوفْــرَ حتى ٱبتعتَــهُ هَمَّ آدابك من حُسنٍ وطيبِ
جاءنى أنّــك مشـــعوفٌ به شَعَفَ العذرىّ بالخشفِ الربيبِ (١)
راغباً أنــ تصْطَفى من جِدّه والفكاهاتِ بمــدحٍ أو نسيبِ
وتُحَلَّى منــه عِقــداً باقيــاً فخــرُهُ فى كلِّ جِيــدٍ وتريبِ
قلتُ : فضلٌ عَجَبٌ من دهرنا وهـــو من فاعله غيرُ عجيبِ
ما تبالى حينــ تَســتامُ العلا أخطيبُ الشمسِ أم أنتَ خطيبى
أَنَا من يُعطيــك مجــداً حاضراً ويُبقِّى لك مجـــداً فى العَقيبِ
لا كقولٍ يطرد "الساقى" (٢) به جذوةً تخمُــدُ من قبــلِ اللهيبِ
كم يُمنِّيــنى عـــلى سلطانهــا نفْسَ مَرجُوٍّ ومَخشِىٍّ مَهيبِ
وٱبتغَى بالمــالِ أنــ يشرِيَنى فترفَّعتُ فطارتْ عفَّـــتى بى
لكن ٱشتقتُ وقــد سُمِّيتَ لى بسماتِ الفضلِ والجودِ الغريبِ
فافــترعْ خيرَ هَـــدِىٍّ (٣) وأَثِبْ خيرَ ما جادت به نفسُ مُثيبِ
واذا صرتَ نصـــيبى منهُــمُ فقد ٱستوفيتُ من دهرى نصيبى

(١) الخشف مثلثة : ولد الظبى . (٢) لعله ٱسم شخص يعنيه . (٣) الهدىّ : العروس .

* * *

وقال وقد ٱتفق بُعدُ وزير الوزراء عميـدِ الدولةِ أبى سعدٍ ونزوله ""أوانا""(١)، مستوحشا من سببٍ خافه ببغداد، وظهور التأسُّفِ ممّن فيها على بُعدِه، وتلوُّح قُربِ عَودِه، فكتب اليه يبشِّره بذلك، ويذكُرُ صحَّةَ تفاؤله بالسلامة فى مثله، وأنفذها الى ""أوانا"" فى النَّيروز

نرقُّ، وتقسو "بالغوير" قـلوبُ ... ونَسألُ سكَّانَ "الغضا" ونَخيبُ(٢) (٤٤)

وتهفو على "ذاتِ النقا" بحلومنا ... وجوهٌ تُريحُ الوجــدَ وهو عزيبُ(٣)

وقفنا ومنَّا رابطٌ جأشَ قلبِــهِ ... برىءٌ ومحــلولُ العــزاءِ مريبُ

تجاذبُنـا أيدى الحميَّــةِ والهوى ... ونأبىَ عـلى الأشــواقِ ثمّ نُجيبُ

نغالطُ ألحاظَ المها عن قلوبنـا ... و"بالرمل" قارىٌّ(٤) السهامِ مُصيبُ

اذا أخفـقَ القنَّاصُ راح بكل ما ... يَرَى مُطعِمٌ للصيد منــه كسوبُ

قَضَى من دماءٍ ما ٱستحلَّ وحلَّقتْ ... به نيَّةٌ ـ عمـا أشـاط(٥) ـ شَـعوبُ(٦)

فمـا هو بعد "النَّعفِ"(٧) إلا عُلالةٌ ... أحاديثُ نفسٍ تفــترِى وتحـوبُ

تَسرُّك منها ــ والدجَى فى قميصه ــ ... زخارفُ يحــلو زُورُها ويطيبُ

فتطرَبُ والشادِى بهـا سامرُ المنى ... وتشربُ ما يَسـقِى وجفنُك كُوبُ

حمى الله عينا من قَـذاها على الحِمى ... تجِفُّ(٨) ضروعُ المـزنِ وهى حَلوبُ

---

(١) أوانا : اسم بليدة . (٢) هذا البيت ورد فى الأصل هكذا رسما وشكلا :
"" تَرِقُّ وتقسو بالغُويرِ قلوبُ * ويُسأَلُ سكان الغضا ويُجيبُ ""
ولمّا لم نوفّق الى معنى نطمئنّ اليه ٱضطررنا الى تصحيفه . (٣) فى الأصل ""غريب"" وهو تحريف .
(٤) القارىّ : نسبة الى قبيلة ٱسمها ""القارة"" وهم رماة ومنـه المثل ""أنصف القارةَ من راماها"" .
(٥) عما أشاط : عما عرّضه للقتل . (٦) شعوب : متشعبة . (٧) النعف : اسم بلدة .
(٨) فى الأصل ""تخفّ"" وهو تحريف .

اذا قلتُ : أفنى البرق جَمَّـةَ مائهـا ... مراها مرورُ الـبرقِ وهى جَنوبُ
بكت وغديرُ الحىّ طامٍ فأصبحت ... عليــه المطايا الحائمـاتُ تلوبُ (١)
وما خلتُ قبـلى أنَّ عينا ركيَّةٌ ... ولا أنّ مِلح المـاقِيَيْنِ (٢) شَروبُ !
وليلةَ "ذاتِ البانِ" ساهرتُ طالعا ... من النجم لم يُكتَبْ عليــه غروبُ
أسائلُ عن نومى وضـوءِ صباحها ... وأعيا ، فأىّ الغائبيْنِ يؤوبُ ؟
سَرتْ تخبط الوادى الىّ وصُحبتى : ... طريحٌ عــلى أقتابِهِ وكـئيبُ
أناخوا الى تعريســةٍ (٣) قلَّ عُمرُها ... فمـا هى إلا خَفقةٌ وهبـــوبُ
فللريحِ منهـــم أعينٌ ومسامعٌ ... وللـتربِ منهـــم أذرعٌ وجُنوبُ
فزارت لخفَّيت ممسكا بفـــؤادِهِ ... له نازعٌ من شوقه وجَـــذيبُ
فيا لك باقى ليـــلةٍ لو تخلّصتْ ... من الغِشِّ يُقذِى صفوها ويشوبُ
ولكن نهانى الخوفُ : قم أنت مدركٌ ، ... وصاحَ الظلامُ : الصبحُ منك قريبُ
ولم أدرِ أنَّ القربَ عينٌ حفيظةٌ ... علىّ ولا أنَّ الوصـالَ رقيبُ
يخوّفنى عضَّ الزمانِ ، ومنكبى ... رَديدٌ على حملِ الزمانِ جليبُ
تعـــودتُهُ لا خاضـــعا لخطوبه ... وكيف وكلُّ العيش فيــه خطوبُ ؟
وكم غمـــزةٍ فى جانبى لم أقل لهـا : ... أَلِمتِ ، وجُرحى ـ لو شكوتُ ـ رغيبُ
تعـــمّق فيهـا مُخلِبا ومُنيِّبا (٤) ... وأقلَعَ والنبـــعُ (٥) الأصمُّ صليبُ
وهل أتغطّى منـــه خوفا وموئلى ... جنـابٌ منيعٌ للوزير رحيبُ ؟
ودونِى منه إن مشى نحوِىَ الأذى ... طِـــرابٌ تدمّى الناعلاتِ ولُوبُ

---

(١) تلوب : تحوم حول المـاء من العطش ، ومنه : إبل لُوبٌ . (٢) المـاق : مجرى الدمع من العين أو طرفها من جهة الأنف . (٣) التعريسة : الأستراحة فى آخر الليل . (٤) أى باحثا بمخلبه ونابه . (٥) النبع : شجر تعمل منه الرماح .

وحصداءُ(١) من نُعماه، كلُّ مسـدَّدٍ ... له حَيَدٌ عن سَردها ونُكوبُ
حمانى من الأيّام أروعُ لو حَمى ... شبابِىَ لم يُقدِمْ عليه مَشيبُ
رعَى "شرفُ الدين" العلا برعايتى ... فما شَمّ ريحًا حول سرحِىَ ذيبُ
أثِرْ بُزلَها(٢) يا طالبَ المجدِ والغنى ... وخاطِرْ بها فابنُ الخطارِ نجيبُ
وطرِّقْ هواديها الجبالَ وخلِّها ... تجوبُ مع الظلماءِ حيث تجوبُ
تقدَّمْ بها فالسعدُ بالمرءِ مقبِلٌ ... ولا تتهيَّبْ فالشقاءُ هَيوبُ
أقِمْ ببنى "عبد الرحيم" صدورَها ... اذا حطَّ منها أو أمالَ لُغوبُ
وغنِّ بهم أسماعَها إن حدوتَها ... تحِنّ اذا حنَّت لتطرَبَ نِيبُ
ففى العيس قلبٌ مثلُ قلبك ماجدٌ ... وسمعٌ الى ذكرِ الكرام طروبُ
تيَمَّمْ أعالى "دِجلةٍ" فانحُ "شامةً"(٣) ... بحيثُ تبُلُّ العيشَ وهو جديبُ
وناصِ بها(٤) فرعَ "الدُّجَيلِ" فعندَه ... مَرادٌ يعمُّ الرائدين عَشيبُ
وقلْ "لعميد الدولة": آسمعْ فإنها ... مَلاحمُ إن فتّشتها وخُطوبُ
لحظتَ ذَرا أعجازها من صدورها ... وبعضُ ظنونِ الألمعىِّ غيوبُ
وداويتَها بالرأى حتى كفيتَها ... وما كلُّ آراءِ الرجالِ طبيبُ
عجِلتَ لها مستأنيا ما وراءها ... وللأمرِ بادٍ ظاهرٌ وعَقيبُ
خلَصتَ خلوص التبرِ منها مسلَّمًا، ... عليك وميضٌ صادعٌ ولهيبُ
وقالوا خِطاءً: مسرعا متعجلا، ... وقد يتأنّى فى الأمور طَلوبُ
وأهونَ بالتغريرِ فيها كأنه ... بجِدّ الخطوبِ المثقلاتِ لَعوبُ
وما علموا أنّ السهامَ موارقٌ ... ولا أنّ خَطْواتِ الأسودِ وُثوبُ

(١) الحصداء: الدرع المحكمة . (٢) البزل جمع بازل وهو الجمل المسنّ . (٣) دجلة وشامة: اسما نهر وجبل . (٤) يقال: ناصاه: أخذ كل منهما بناصية صاحبه والدجيل: شِعب فى بغداد .

٤٥

سهرتَ ونامَ الغِمرعمــا رأيتَـــهُ ففــزتَ، وطرفُ الألمعيِّ رَقوبُ
كأنَّ لك اليــومَ المنعَّمَ صبحةٌ(١) ويومُ الحريصِ المســتغرّ عصيبُ
وقالوا : طَوَى "بغدادَ" بغضا وسلوةً و"بغــدادُ" مغنًى للحياة خصيبُ
وظنُّوك إذ فارقتهــا أنَّ قلبهَــا ـعلى قلة الإعراضِ عنك ـ يَطيبُ
وقد تظعنُ الأشخاصُ والحبُّ قاطنٌ ويكثر هجــرُ البيتِ وهو حبيبُ
وما الملكُ إلا جَنَّـــةٌ عمّ نورها ومــذ غبتَ عنهــا سُهمةٌ وشحوبُ
فكيف غدت شلاء(٢)! لا بدمِ العدا ولا بعطارِ الغــانياتِ خضيبُ !
بكى وحشــةً وهو المغيضُ دموعَهُ وأَنَّ لحَرِّ الجُــرحِ وهو ضريبُ
وكنتَ له وجها ضحوكا فبِشرُهُ عُبوسٌ — وقد فارقته — وقُطوبُ
يُوَرَّى(٣) حياءً والنـــدامةُ غُصــةٌ لهــا خَدشةٌ فى صـــدره ونُدوبُ
الى ماجدٍ فى صـــدره قمرُ الدجى اذا تمَّ، راضٍ والهزبرُ غَضوبُ
تُقَبَّلُ منـــه راحةٌ تقتلُ الصدَى تَعــلَّمَ منها المزنُ كيف يصوبُ
رسَتْ فى الندَى حتى آستقرّت عروقُها من البحرِ، والعرقُ الكريمُ لَصوبُ(٤)
يدٌ، تعجبُ الأقلام من أُنسِ سيفِه بهــا، وهــو فيما بينهنَّ غريبُ
اذا آختصَموا، قالت: تأخَّرْ، فإنمــا لنا السبقُ، فآتبعنا وأنت جنيبُ
فيأبَى له الحــدُّ المصمِّم أنه يؤَخَّرُ والأقــلامُ عنــه تنوبُ
وتجــرِى هَناتٌ بينهنّ وبينـــه يُحكَّمُ فيهــا فارسٌ وخطيبُ
فيجعـــلُ للأقلام فيهــا نصيبَهَــا بحقٍّ، وللســيفِ الحسامِ نصيبُ
وقد زعموا أنَّ الحجــا متكَهِّلٌ وأنّ رجالاتِ السيادةِ شِيبُ

---

(١) الصبحة : نوم الغداة . (٢) شلاء : متعطِّلة الكفّ . (٣) يورَّى : يتّقــد .
(٤) اللصوب : الناشب اللاصق .

فلله منــك المنتهى فى آقتبالِهِ ... ومَنْ رَبَّ أمرَ النــاس وهو ربيبُ
ومَنْ بسقَتْ أغصانُه فتفرَّعتْ ... على الشــجرِ العادىّ(١) وهو قضيبُ
ولا تُبلِ أثوابَ الوزارةِ بعـــد ما ... كستك بهــا الأيّام وهى سليبُ
تَقمَّصَها قومٌ وما خُلقتْ لهـــم ... فهانوا، ومن بعضِ الجَمـالِ عيوبُ
أتتك فصــار الرقُّ فى يدِ مالكٍ ... وقـــد دنّســـتها بذِلةٌ وغُصوبُ
وســالَمَ معناها بســـوددِك آسمَها ... وبينهـــما فى آخرين حروبُ
تَنــافَى بيوتُ معشــرٍ وبيوتُهــا ... وأنت لهــا فى جانبيك نســيبُ
فمــا بيت "إسماعيلَ" عنها بنازحٍ ... ولا أنّ بهــا "عبدُ الرحيم" غريبُ
فلو هبَّ مَيْتٌ من كَراه فقام أو ... تطلَّعَ مرموسُ(٢) الجبيــنِ تريبُ(٣)
لَقرّتْ عيونٌ أو لسُرَّتْ مَضــاجِعٌ ... بأنّـــك مـــيراثٌ لهــا وعقيبُ
إذنْ لرأت منك الذى الشمسُ لا ترَى ... بأنجمها فى الأفق حيــن تغيبُ
نَشرتَ لهـــم فخرا يعيشُ حديثُــهُ ... ويَخلُقُ(٤) عمرُ الدهرِ وهو قشــيبُ
لئن عَمَّ شرٌّ أو أُسِرَّتْ ضَـــغائنٌ ... ببــغيٍ، فإنّــ الله عنك حسيبُ
وقــد علمتْ نجوَى رُقاك عقاربٌ ... لهــا نحـــوكم تحت الظلام دبيبُ
ولم تك إلا هفــوةً وآستقالهــا الـ ... ـزمانُ وذَنبا وهو منـــه يتوبُ
ولا بدَّ للإقبال مِــن يومِ عَودةٍ ... تدافعُ عنــه العينُ حين تصيبُ
وكم رافعٍ لى بالعـــداوةِ صــوتَه ... يُهِبهِبُ فى إيعـــادِهِ ويُهيبُ!
قويًّا على ظلمى بسيفِ عدوّكـم ... وعهـــدى به بالأمس وهو يخيبُ
يظُنّ ــ وحاشا كم ــ عُراى تقطَّعتْ ... وأنّى أخيـــذٌ(٥) والزمانُ طليبُ

---

(١) العادىّ : القديم . (٢) المرموس : المدفون فى الرمس . (٣) التريب : المعفّر بالتراب . (٤) يخلق : يبلَى . (٥) الأخيذ : الأسير .

وأنّ قناتى بعدكم ستلينها ضُروسٌ له مــذروبةٌ ونيــوبُ
ولم يدرِ أنّ "الشامَ" لو حالَ دونكم وزيلتُــه(١) عنكم لكنتُ أصــيبُ
فقلتُ : لفيكَ التربُ أو فوقك الحصَى تغيبُ أُســودُ الغابِ ثمّ تؤوبُ
غدًا تُطلِعُ الراياتُ ــ والنصرُ تحتها ــ كتيباً يوليــه النجاحَ كتيبُ(٢)
تَرَى المجدَ فى أطرافها خافقَ الحشا سرورا بما ضمّت وأنتَ كئيبُ
و"بغــدادُ" طلقٌ وجهُها متبسّمٌ وللمُلكِ من بعــد الخمودِ شُبوبُ
بشــائرُ، لى فى مثلهِنّ مواقفٌ أصدِّق فيها والزمانُ كذوبُ
مجــرَّبةٌ فيكم كأنّ عيونَها لها خلفَ أستارِ الغيوبِ ثقوبُ
تمــرّ لكم طــيرى يمينا بزجرها على مَشهدٍ منى وحين أغيبُ
نشــدتكُم باللهِ كيف رأيتُمُ مَناجحَها، والعائفات(٣) تخيبُ(٤)
فقولوا : نعَمْ وُفِّقتَ، وارعوا ذِمامَها غدًا، وغــدٌ للناظرين قريبُ
بكم يابنى "عبد الكريم"(٥) انجلَى القذَى وأصــبحَ وعرُ الجودِ وهو لحيبُ(٦)
اذا أجدبتْ أرضى وسُدَّتْ مَواردى فعنــدكُمُ لى روضــةٌ وقليبُ
ولما رأيتُ الحبَّ فى الهزلِ(٧) سُــنّةً عشقتكُمُ، والعاشقون ضُروبُ
فَمن يُعطِ منكم طالبا فوق حقّهِ فحــقّ دَيــنٌ لازمٌ ووُجــوبُ
فــلا قَلَصتْ عنى سحائبُ ظلّكم فمنها مُرِذٌّ(٨) تارة وسَكوبُ

(١) فى الاصــل : زلّيتُهُ ولم نعثر على هــذه الكلمة فى كتب اللغة ولعلها محرفة عن " زيّالتــه" .
(٢) الكتيب : الفرقة من الجيش . (٣) العائفات : الزاجرات للطير . (٤) فى الأصل : " تجيب " ولعله تحريف . (٥) كذا بالأصل ولعله "عبد الرحيم" كما يعيّنه قوله قبل ذلك فى نفس هذه القصيدة
* أقم ببنى "عبد الرحيم" صدورها *
وقد ورد ذكره لهــذا الأسم فى عدة قصائد . (٦) اللحيب : الواضح . (٧) الهزل : الافتقار والضيق . (٨) المرذّ : السحاب الذى يهمى بالرذاذ وهو المطر الضعيف .

ولا عـــدِمتَكم نعمةٌ خُلقتْ لكم   ودنيا لكم فيها الحياة تطيبُ
يزوركُم النّـــيروز مقتبَـلَ الصِّبا   وقد دبَّ فى رأس الزمان مشـيبُ
تصوّح أغصانُ الأعادى وغصنكم   من السـعد ريّانُ النباتِ رطيبُ
دعاءٌ حيالى فيـــه ألفُ مؤمِّنٍ(١)   تَوافقُ منهـــم ألسنٌ وقـلوبُ

* * *

وقال وكتب بها الى أبى الحملات شبيب بن حمّاد بن مَزْيَدَ ، يعاتبه على تأخير رسمه، وتغافلِه عن مقابلة قصائدَ أنفذها الى حضرته، وذلك فى شعبان سنة عشرين وأربعمائة

ألا مَن مبلغٌ "أسدا" رسولا   متى شهِدَ الندىَّ فما أغيبُ
وعوفٌ منهُمُ أربى، "فعوفٌ"   عيونُ "خُزَيمةٍ"، وهم القلوبُ
أفرسانَ الصباح اذا ٱقشعرّتْ   من الفزعِ السنابك(٢) والسبيبُ
وضاق مَخارجُ الأنفاسِ حتّى   تُفرَّجَ عن سيوفكم الكروبُ
ويا أيدى الحيا والعامُ جدبٌ   ووجهُ الأرض مغبرٌّ قَطوبُ
مَجازرُ تُفهِقُ(٣) الجفَناتُ منها   ونارُ قِـــرًى شرارتُها لهيبُ
اذا جَمـدَ الضيوفُ تكفَّلتهم   لها فِـلَذٌ وأسنمةٌ تذوبُ
ويا أقمـارَ "عدنانٍ" وجوها   يشِفُّ على وَضاءتها الشحوبُ
أصيخوا لى فلى معَكم حديثٌ   عجيبٌ يوم أَنثـــوهُ(٤) غريبُ
متى أنصـــفتُمُ فالحقُّ فيـــه   عليكم واضحٌ لى والوجوبُ
وإن أعرضتُمُ ورضيتموهُ   فإنّ المجـدَ ممتعِضٌ غَضوبُ

(١) فى الأصل "ميّن" .   (٢) السنبك : طرف الحافر .   (٣) تُفهق : تُملأ .
(٤) أنثوه : أشيعه وأحدّث به .

حديثٌ لو تلَوه على "زهيرٍ" غدا من مدحه "هَرِمًا" يتوبُ
بأىّ حكومةٍ وبأىّ عــدلٍ أُصابُ من القريضِ ولا أُصيبُ ؟
وكم أعراضكم تزكو بمــدحى وتنجحُ والمنى فيكم تخيبُ !
تردُّونَ الغُصــوبَ بكلّ أرضٍ وتوجَـدُ فى بيوتكم الغُصوبُ !
وتحمون البلادَ وفى ذَراكم حريمُ الشِّـــعرِ منتهَكٌ سليبُ !
وعنــدكُمُ لكلِّ طريدِ قومٍ جِوارٌ مانعٌ وقِـــرًى رحيبُ !
وأبكارٌ وعُونٌ من ثنـائى عجائبُ، عيشُها فيكم جديبُ !
محبَّبـــةٌ اذا رُوِيَتْ فإمّا طلبتُ مهورَهنَّ فلا حبيبُ
اذا أحسنتُ فى قولٍ أساءُ الـ ـفعــالَ كأنّ إحسانى ذنوبُ
أجرُّ المَطْلَ عاما بعــد عامٍ مَواعـــدَ برقُها أبدًا خـلوبُ
ويا لَلنَّـاسِ أَسلُبُ كلَّ حَىٍّ كرائمَهُ ويَسلُبُنى "شَبيبُ" !
أمدُّ إليــه أرشيةَ[(١)] المعالى فيعطِشُنى وراحتُــه القَليبُ
وأُلبسُــه ثيابَ المدحِ فخرا فيُمسِكُ لا يُجيبُ ولا يُهيبُ
ويسمحُ خاطرى فيــه آبتداءً ويمنعُ وهـــو بذَّالٌ وهوبُ ٤٧
ولم نَعرِفْ غلاما "مَزْيَدِيًّا" يناديه السماحُ فــلا يُجيبُ
ولو ناديتُ من كَثَبٍ "عليًّا" تدفَّق ذلك الغيثُ السَّكوبُ
وَمنَّ على عوائدِه القُـــدامَى مُضِىَّ الريحِ جدَّ به الهُبوبُ
ولو "حمَّـادُ" يزقو[(٢)] لى صداه لأُكرِمَ ذلك الجســدُ التريبُ
أُصــولُكُمُ وأجدرُ إذ شهدتم مقـامَ علائهـــم ألَا يغيبوا
فما لك يا "شبيبُ" خَلاك ذمٌّ تجِفُّ وعندك الضَّرعُ الحلوبُ ؟

(١) فى الأصل "أرسنة" . (٢) يزقو : يصيح .

وما لخـــريدةٍ خفيتْ لديكم ... تكادُ عـــلى طُفولتها تشيبُ
محلَّلة النكاحِ بلا صَـــدَاقٍ ... وذلك عنـــدكم إثمٌ وحُوبُ
يَطيبُ الشيءُ مرتخَصا مباحا ... ومُرتخَصُ المدائح لا يطيبُ
فأين حياءُ وجهك يوم تُحدَى ... بها فى وصفك الإبلُ اللُّغوبُ ؟
وأين حياء وجهك فى البوادى ... اذا غنَّى بها الشادى الطروبُ ؟
وكيف تقول: هذا وصفُ مجدى ... فلا أُجدِى عليـــه ولا أُثِيبُ ؟
وكم نَشَزتْ(١) على قومٍ سواكم ... فلم يعلَقْ بهـا الرجلُ الطَّلوبُ
وراودنى ملوكُ النـاس عنها ... وكلٌّ باذلٌ فيهـا خطيبُ
فلم يُكشَفْ لهـا وجهٌ مباحٌ ... ولم يُعرَفْ لهـا ظهرٌ رَكوبُ
فلا يَغرُرْك منهـا مَسُّ صِـلٍّ ... يلين وتحت هَـدْأتَه وُثوبُ
أخافُ بأن يعاجِلَنى فيطغَى ... فتُصـــبِحَ(٢) بالذى تُثْنِى تَعيبُ
وتَشرُدَ عنكُـمُ متظلِّماتٍ ... وتبغون الإياب فلا تؤوبُ

* * *

وقال وكتب بها الى عميد الرؤساء أبى طالب بن أيوب، وقد ٱستقرّت له وزارةُ الإمام القادر بالله رضوان الله عليه مكانَ أبى الحسن بن حاجب النعمان، يذكر ذلك ويهنّئه بالنَّيروز الواقع فى شهر ربيع الاول سنة ٱثنتين وعشرين وأربعمائة

جاء بهـا ــ والخيرُ مجلوبُ ــ ... طيفٌ على الوَحـــدةِ مصحوبُ
طوى الفـــلا يركب أشواقَه ... والشـــوقُ فى الأخطار مركوبُ
ســاعةَ لا مَسرَى عـــلى شقّةٍ ... تَعيا بهـا الـــبُزْلُ المصاعيبُ
يرغبُ فى الظلمـاءِ مســتأنسـا ... وجانبُ الظلمـاءِ مرهـــوبُ

(١) نشزت : امتنعت، وفى الأصل "نشرت" وهو تحريف (٢) أى فتصبح قصائده .

أحسنَ بى حتى تخيّلتُه أصدقَ شيءٍ وهو مكذوبُ
أنّى تسدّيتَ لنا "باللّوى" "وصارةٌ" "دارك" "فاللُّوبُ"(١)
وبيننا عَمياءُ من أرضكم دليلُها أبلَهُ مسلوبُ
لا يهتدى الذئبُ الى رزقِهِ فيها ولو شَمَّ بها الذيبُ
فزرتَ شُعْثًا طاف ساقى الكرى عليهمُ والطاسُ والكوبُ
فما تدلَّى النجمُ حتى ٱلتوى مماكسٌ(٢) منهم وشِرِّيبُ
بِتُّ ورحلِي بِك رَيحانةٌ نمَّ عليها الحسنُ والطيبُ
كأنما ذيلُ الصَّبا فوقها بالقَطرِ أو ذيلُك مسحوبُ
يا ٱبنةَ قومٍ وجَدوا ثأرَهم عندى بها والثأرُ مطلوبُ
لولاكِ — والأيّام دوّالةٌ — ما ٱستعبَدَ الفُرسَ الأعاريبُ
أراجعٌ لى بضمانِ المنَى "ملحوبُ" أو ما ضمّ "ملحوبُ"(٣) ؟
وصالحاتٍ من ليالى الحِمى ما شابَها إثم ولا حُوبُ
لهوىَ نُسكٌ ووجوهُ الدمى تحت دجاها لى مَحاريبُ
وذاهلٍ عابَ حنينى لها ولم يعِبْ أَنْ حنّتِ النيبُ
قال : سَفاهٌ ذِكرُ ما قد مضى وظَنَّ أنَّ اللومَ تأديبُ
ما لكَ ؟ لا أحببتَ إلا ومِن فوقك سوطُ العذلِ مصبوبُ
إنْ أَبْكِ أمرا بعد ما فاتنى فقد بكى قبلِيَ "يعقوبُ"
وأنكَرَ الصبوةَ من شائبٍ حتى كأَنْ ما صبتِ الشِّيبُ !
وهل عَدَتنى شيبةٌ فى الحشا إذ مَفرِقى أَسودُ غِربيبُ

٤٨

(١) اللوب وما قبلها : أسماء مواضع . (٢) المماكس : المشاكس . (٣) ملحوب : اسم موضع .

لا لاقطٌ فيها ولا خاضبٌ والشَّيبُ ملقوطٌ ومخضوبُ
يَغلبُ فيها الحبُّ أمرَ النُّهَى والحزمُ بالأهواءِ مغلوبُ
أَمَا تقنَّعتَ بها رثَّةً لابسُها عُريانُ مسلوبُ؟
تلاقتِ الأوجهُ مَقتاً لها عنّى فمُزورٌّ(١) ومقطوبُ
ناصعةٌ فى العين لكنها تُبغَضُ، والناصعُ محبوبُ
فقد أراها وضيا وجهها لى شَرَكٌ فى البيض منصوبُ
أيّامَ فى قوسِ الصِّبا مَنزَعٌ ونبلُهُ المكنونُ مَنكوبُ
وقد أزورُ الحىَّ مُستقبَلاً، لى منهُ تأهيلٌ وترحيبُ
وأَغشِمُ(٢) البيتَ بلا آذنٍ وهو على الأقمارِ مضروبُ
وأَشهَدُ النادى، فمستعبَدُ الـ ـسمعِ بآياتى ومخلوبُ
ومُوصَدُ الأبوابِ ناديتُهُ حتى بدا لِى وهو محجوبُ
خادعتُ من سلطانِه صخرةً فانبجَستْ(٣) لى وهْى شُؤبوبُ
ورحتُ عنه والذى يَملكُ الـ ـمملوكُ والغاصبُ مغصوبُ
فاليومَ إنْ صرتُ الى ما ترَى فهْى الليالِى والأعاجيبُ
آنسنى بالعُدمِ توفيرُه عِرضى وأنَّ المال موهوبُ

---

(١) المزورّ : المائل بجنبه، والمقطوب الذى به عبوس . (٢) أغشم البيت : أدخله غصبا، وفى الأصل "أعشم" وهو تحريف، وقد شككنا فى صحة هذه الكلمة حتى أكدها قوله فى هذه القصيدة

ما هجمتْ غَشْمًا ولا ضره تدرُّجٌ فيها وترتيبُ

وقوله فى قصيدة أخرى

تَعلَقُ بالآذانِ موصولةً غَشْمًا بلا إذنٍ ولا حاجبِ

(٣) انبجست : تفجَّرت .

جرّبتُ قـــوما فتجنّبتُهـــم ورُسُـــلُ العـــقلِ التجاريبُ
وزادنى خُـــبراً بمن أتّـــقِى أنّى بمـــن آمنُ منكوبُ
قل لأخى الحِرصِ : ٱسترحْ إنمـا حَظُّـــكَ إدلاجٌ وتأويبُ
اذا الحظوظ ٱنصرفتْ جانبـا لم يُغنِ تصـــعيدٌ وتصـــويبُ
مالكَ تحتَ الهُونِ مسترزِقا ؟ وإنمـا رزقُـــك مكتوبُ
لا تذهبنّ اليـــومَ فى ذِلةٍ فاليومُ من عُمـــرك محســـوبُ
وإن جهدتَ النفسَ فى مكسَبٍ فالمجدَ، إنّ المجـدَ مكسوبُ
جَدَّ ٱبنُ "أيّوبَ" ولو قد ونى كفاهُ ما شَـــيَّدَ "أيّوبُ"
رأى رُوَيدَ السـير عجـــزا به فســـيرُهُ حُضْرٌ وتقـــريبُ
سما الى المجد، فقال العـــدا : له طـــريقٌ فيـــه ملحوبُ
ساد طـــريرَ الماءِ(١) حتى ٱنتهى والشّـــيبُ فى فوديه أُلهوبُ
والرمحُ لا يُذْرَعُ(٢) إلا إذا تكامَلَتْ فيـــه الأنابيبُ
أضحى وزيرُ الدِّين ذا مَغرَمٍ: وزارةُ الدنيـا وتعـــذيبُ
رتبـــةُ عِزٍّ، فخـــرُها عاجـلٌ وأجرُها ذُخـــرٌ وتعـــقيبُ
ما هجمتْ غَشْمًا ولا ضَـــرَّه تـــدرّجٌ فيهـا وتـــرتيبُ
وزارةٌ ما زال من قومـــــه مُعـــــرِّقٌ(٣) فيهـا ومنســـوبُ
أبناءُ "عبّاسٍ" و"أيوبَ" مـــذ تفَـــرَّعوا رَبٌّ ومربوبُ
خـــلائفُ الله وأنصـارُهـــم فصاحبٌ طابَ ومصـــحوبُ

---

(١) طريرِ الماء : غضًا فتيًا . (٢) يذرع : يقاس بالذراع . (٣) المعرّق : العَرِيق .

لا ودُّهــم غِــلٌّ ولا حبلُهــمْ   يوما بغــدرِ الكفِّ مقضوبُ
جارهُمُ يؤكــل فى جَورِهــم   وما لُهُــمْ بالإفــكِ منهــوبُ
وما عــلى مُقْصٍ سواكُــمْ اذا   أدناكُــمُ فى الرأىِ تــثريبُ
لا تلِكــم العــاداتُ منكم ولا   أُســلوبكم تلك الأســاليبُ
باسم عميــدِ الرؤســاءِ الذى   ما زاد فى معناه تلقيبُ
رُدَّ عليهــا بعــدَ ما أُيِّمتْ   أبنــاؤهــا الغُــرُّ المَناجيبُ
اِكفِ الذى(١) ٱستكفَوْك وٱحملْ لهم   ما تحمِــلُ الصُّمُّ الأهاضيبُ
مُلملَمَ الجنبِ أمينَ القُــوى   وكلُّهــم أدبرُ(٢) مجــلوبُ
وقُــدْ أعاديــك بأرسانهــم(٣)   قَسْرًا فمركوبٌ ومجنــوبُ
وٱرتعْ من الدولةِ فى ظُلةٍ   رواقهــا بالعــزِّ مطنــوبُ
محميَّــة الروضــةِ مرقيّــة   والروضُ بالرُّعيانِ(٤) مسلوبُ (٤٩)
أفيــاؤهــا(٥) فِيــحٌ(٦) وماءُ الحيا   فى ظلِّهــا الســابغِ مسكوبُ
وٱصحبْ من النَّــيروزِ يومًا يفِى   بالعــزِّ إن خان الأصاحيبُ
يكُــرُّ بالإقبــال ما خولِفتْ   صــدورُ دهــرٍ وأعاقيبُ

---

(١) الذى بمعنى الذين وهو فى الجمع كالواحد .

(٢) الأدبر : البعير تصيبه القرحة .

(٣) الأرسان : الحبال .

(٤) الرعيان جمع راع وهو معروف .

(٥) الأفياء جمع فىء وهو الظلّ .

(٦) فِيحٌ : فِساحٌ .

يغشاكُمُ يخـدِمُ إقبالَكم ... ما حنّ للفُـرجَة مكروبُ
لا تستجيرون "بعمرو"[(١)] ولا ... واعدَكُم بالعُمرِ "عُرقوبُ"[(٢)]

***

وقال وكتب بها الى بعض أصدقائه من الكتّاب، وهو المهذب أبو المنصور الحسن بن علىّ بن المزرع، وكان غائبا فقدم يغبط له بالورود، ويحثّه على ٱلتزام حاجةٍ له كان ٱبتداء الشروع فيها بعد عتابه إياه على تفريطه فيها

من ناظرٌلى بين "سَلعٍ" و"قُبَا"[(٣)] ... كيف أضاء البرقُ أم كيف خَبَا ؟
نبّهنى وميضُـه ولم تَـنَمْ ... عيـنى ولكن ردّ عقلا عزَبا
قرّتْ له بنـاتُ قلبى[(٤)] خافقا ... وٱستبردتْه أضلعى ملتهبا

---

(١) يريد الإشارة الى عمرو الملقَّب "جسَّاس" وقصته أنه طعن "كُلَيباً" أخا "المهلهل" التغلبىّ صاحب حرب البسوس فألقاه على الأرض فقال له "كُلَيب" : يا "عمـرو" أغثنى بشربة ماء فأجهز عليه وفى ذلك يقول الشاعر

المستجير بعمرو عنـد كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

وفى مجمع الأمثال للميدانى

المستغيث بعمرو عند كربتـه ... كالمستغيث من الرمضاء بالنار

والمشهور "المستجير" الخ

وقد سار هـذا البيت مثلا يضرب لمن يستجير فيزيده المستجار بليّة على بليّته . (٢) عُرقوب رجل من العماليق وقصته أن أخًا له أتاه يسأله فقال له عرقوب : اذا أطلعت هـذه النخلة فلك طلعها فلما أطلعت أتاه للعدَة فقال : دعها حتى تصير بلحا، فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير زهوا، فلما زهت قال : دعها حتى تصير رطبا، فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرا، فلما أتمرت عمد اليها عرقوب فى الليل بجدّها ولم يعط أخاه شيئا فصار مثلا فى الخلف . وقال الاشجعىّ

وعَدتَ وكان الخلفُ منك سجيةً ... مواعيـدَ عرقوبٍ أخاه بيَتْرَبِ

و"يَتْرَب" بالتاء والراء المفتوحة موضع باليمامة و بعضهم يقولها "يثرب" بالثاء وكسر الراء وهو خطأ .

(٣) سلع وقباء و يقصر موضعان . (٤) بنات قلبى : خواطرى وهواجسى .

كأنه يجلو ثنايا "بالغضا" رُوقًا[1] وينهلُّ لَمًى أو شَنَبا
يا لبعيدٍ من "مِنًى"، دنَا به ـ يوهمنى الصدقَ ـ بُرَيقٌ كَذَبا
ولنسيمٍ سَحَرٍ "بحاجرٍ" رَدَّتْ به عهدَ الصِّبا ريحُ الصَّبا
أليَّة، ما فتح العطَّارُ عن أعبقَ منه نَفَسًا وأطيبا
سل مَن يدُلُّ الناشدين "بالغضا" على الطريد ويردّ السَّلَبا ؟
أراجعٌ لى؟ والمُنَى هَلْهَلَةٌ[2] فطالعٌ نجمُ زمانٍ غَرَبا
وطوفةٌ بين القبابِ "بِمِنًى" لا خائفا عينا ولا مرتقبا
مستقبلًا بهاهُنَا وهاهُنا مقترَعا علىّ أو مجتذَبا
ألقَ الوصالَ مسفرًا لى وجهُهُ والغدرَ لى مع قبحِهِ منتقِبا
هناك مَنْ باعَ الغوانى حِلمَهُ بالخُرقِ[3] عُدَّ الحازمَ المجرِّبا
ولائمٍ ملتفتٍ عن صبوتى يُنكرها، ولو أحبَّ لصَبا
اذا نَسبتُ بهوای ساءه مُصَرَّحًا ولو كَنَيْتُ غَضِبا

---

(١) روق جمع أروق وهو الذى تطول ثناياه العُلَا السُّفْلَ . (٢) فى النسخة المطبوعة "نعلّة" وفى الأصل "هلهلة" ولم نوفّق الى معنًى لها يتّفق والسياق إلا على وجهٍ بعيد، فمن معانيها "التأنى والانتظار" و"تخفيف الثوب وسخف نسجه" و"ترقيق الشِّعر"؛ واذا صحّ ظنّنا فلعل الشاعر يريد الإشارة الى تكرار المتمنّى لكلمة "هَلْ" الاستفهامية فى كلامه كلّما خطر بباله هاتفٌ من خواطر التمنّى بالتساؤل طلباً لما يحسبه عزيزا عليه أو حنينا الى ما هو حبيبٌ الى نفسه كقول من يقول متمنيا

* هل مشرقٌ نجمُ سعدى بعدما أفلا *
* هل بالغ عزمى أوجَ العلا *
* هل راجعٌ عهدُ الصِّبا *
* هل أرى لَيلَى ولَيلَى بالغضا *

وما إلى ذلك وهو كثير، و"الهَلْهَلَة" فى هذا المقام أشبهُ بقولهم "العنعنة" وهى تكرارُ كلمةِ "عَنْ" عند ما يُراد بها التكثير من أسماء الثقاتِ على صحّة الإسناد . والله أعلم . (٣) الخُرق : الحُمق .

وما عليه أن غَرِمتُ "بابلا" … "بحاجرٍ" و"فاطما" "بزينبا"

يلومني لا مات إلا لائما … أو عاش عاش بالهوى معذَّبا

قال : عشقتَ أَشيباً، يعدُّها … منقصةً، نعم! عشقتُ أشيبا

هل شَعَرٌ بدّلتُهُ بِشَعَرٍ … مُبَدِّلِى من أربٍ لى أربا ؟

أَبَى الوفاءُ والهوى ، وبالغٌ … مَعذرةً من سِيمَ غدرا فأبى

ما أنا من صِبغةِ أيّامكُمُ … ولا الذى إن قلَبوه ٱنقلبا

ولا ٱبنُ وجهين أَلُمُّ حاضرا … من الصديقِ وألومُ الغُيَّبا

قلبىَ للإخوانِ شطُّوا أو دنَوا … وللهوى ساعفَ دهرٌ أو نبا

مَن عاذرِى من مُتلاشٍ كلّما … أذنَبَ يوما وعَذَرتُ أذنبا

يَضحكُ فى وجهىَ ملءَ فمه … وإن أغبْ وذُكِرَ ٱسمى قَطَّبا

يطيرُ لى حَمامةً فإن رأى … خَصاصةً دبَّ ورائى عقربا

ما أكثرَ الناسَ وما أقلَّهم … وما أقلَّ فى القليلِ النُّجَبا

ليتهمُ — إذ لم يكونوا خُلِقوا … مهذّبين — صَحِبوا "المهذَّبا"

فعلَّمتْهم نفسُهُ كيف العلا … ووده كيف الصديقُ المجتبَى

ووردوا من خُلْقِه ويدِه … أبردَ ما بلَّ الصدَى وأعذبا

مثل "أبى منصورَ" فَلْتَلَذَّ لى الـ … ـدنيا ولا سَرَّ سواه ٱبنٌ أبا

أُتركْهُ لى غنيمةً باردةً … يا دهرُ وٱذهبْ ببنيك سَلَبا

اللهُ جارٌ لفتىً أجارنى … على زمانٍ لم أُفُتْهُ هَرَبا

وفرَّجتْ عنّى يَدَا إسعادِه … حوادثا ضغطْنَنِى ونُوَبا

لما رأى الأيّامَ فى صروفها … نارا تَشُبُّ ورآنى حطَبا

قام لها يَصْلَى بها وناشِئٍ … فلم أذق حَدًّا لها ولا شَبا

وصـان وجهى لاقيا بوجهه ذلَّ السـؤالِ وكفانى الطلَبـا
عِفتُ فلم أشربْ سوى أخلاقه اذا كئـوسُ الشَّرب دارتْ نخبا
وصحَّ لى جوهـرةً من معـدنٍ أملسَ لا يُنبتُ إلا الذهبـا
من معشرٍ تُنْمَى العـلا اليهِمُ هم أهلُها والنـاسُ منها(١) غُرَبا
كما اقترحتَ، حربُهم وسلمُهم شدُّوا(٢) رِباطَ الخيلِ أو شدُّوا الحُبا
ساسوا يعدّون الملوكَ واحتبوا وسْطَ النَّـدِيِّ يصفون العرَبا
يرضيك من حديثهم شاهدُهم وفى القـديم ما سألتَ الكُتُبا
اذا رجال طأطأَ اللؤمُ بهــم قَعْصًا(٣) فشـمُّوا بالأنوف الرُّكَبا
طالوا ينالون ثَعـالبَ(٤) القنـا تحسَبُ ماشِـيهم بُسُـوقًا رِكبا
وحدّثتْ فروعُهم عن أصلهم تحـدُّث الناجِم عما غَرَبا
لبَّيك مشكـورا كما لبَّيتنى وقـد دعوتُ قُذُفًا لا كَثَبـا
وكـنتَ لى بابا الى مطالبى ـ لولا قعودُ الحظّ بى ـ وسببًا
تعجَّبَ النـاسُ وقد وَلِيتَهـا أُكرومةً، فقلتُ : لا لا عجبا
عينِيَ منّى ويدِى فهــل تُرَى يفوتنى ــ ما سَلِما ــ ما طَلَبا ؟
وكـيف لا تحفـزُه لأربى مودّةٌ تمَّت فعـادت نسـبا ؟
ومِقــةٌ لو خلَصتْ لابنِ أَبِى منّىَ هزَّ عِطفَـه وطـرِبا
وإن يكن هـوَّمَ فيهـا ناسـيا وعاجَ عن طريقهـا وجَنَّبا

(١) فى الأصل "منهم" . (٢) فى الأصل "سلُّوا" ولعلّها محرّفةٌ عن "شلُّوا" بمعنى : أرسلوا من قولهم : "شلَّت العين دمعَها" بمعنى أرسلته ودفعته ، أو عن "حلُّوا" اذا كان المراد "بالرِّباط" ما تُربط به الدابّة ، أو عن "شدُّوا" اذا كان يراد "بشدّ الرِّباط" إعدادُ الخيل وٱرتباطُها لجهاد العدوّ فى الحرب وهو ما رجّحناه ؛ وفى القرآن الكريم (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ) .
(٣) القعص : داء فى الصـدر كأنه يكسر العنق . (٤) الثعالب جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل فى جُبِّ السنان ، وفى الأصل "تعالب" وهو تحريف ؛

وقَـدَحتْ فى أملى عنـدهمُ ... قادحـــةٌ لم يك فيهـا مذنبـا
فقد قبِلتُ العــذرَ أو قتلتُــه ... علمـا وقــد عاتبتُــه فأَعتَبا
وآستقبل الرأىَ وأعطَى ذمّةً ... تصفحُ للآنف عمّـا ذَهبـا
فاشكر لهـا وكـالةً منِّى على ... نفسِىَ وآقض دَيْنهـا إذ وجبا
من لك مثــلى بأخٍ مسـامحٍ ... ترضيه بالعــذرِ اذا ما غضبا ؟
وآحذر على مجدِك أُخرَى تنتقِى(١) ... عَظــم الوفاءِ وتجــرُّ الرِّيَبـا
شَمِّرْ عن الساقين فى آستداركها ... وآمحُ بوَادى شرِّها معتقِبـا
ولا يزالُ أمَــلى يقنعُ لى ... بدون ما سدّ خَصاصى(٢) نَشَــبا
ذاك ودعنى شاكيا وسائلا ... وخذْ حــديثى غَزَلا منسَّــبا
كان جناحُ الشوق أمسِ طائرى ... منسِّرا(٣) فى كبِدى مخلِّبـا
وأكَلَ البينُ سمينَ جلَدِى ... حتى غدا سَنَامُ صدرى ذَنَبـا
بانَ بك العيشُ الذى يسرُّنى ... وعاد لمـا عدتَ لى مقــترِبا
قال البشير: قادمًا، فقلتُ: مَنْ؟ ... قال: "أبومنصور"، قلتُ: مرحبا
وقمتُ لا أملِكُ ما يَسَــعُهُ ... غــير نعِمْتَ من جَزاءٍ وحِبـا
أرشفُ من فيه مكانَ آسمك، لا ... أحسَــبنى أرشفُ إلا الضَّرَبا(٤)
عَطْفٌ من الأيّام لى ونظَــرٌ ... جاء وما كنتُ له محتسِــبا
لكنّنى بالبعــدِ فى أثنـائه(٥) ... أُصبحُ أو أُمسِى مَروعا مُتعبا
اذا آطمأنَّتْ أضلُعى تذكَّرتْ ... نواك فاهتزَّتْ جوًى لا طرَبا
فادفعْ به صدرَك ـ ما آستطعتهُ ـ ... يوما تردّ شمـلَ أُنسى شُــعَبا

---

(١) تنتق : تُخرج النِّقْىَ وهو مخُّ العظم . (٢) الخصاص : الفقر . (٣) منسِّرا : باحثا بِمنسره وهو منقارُه . (٤) الضرَب : الشهد . (٥) فى الأصلِ "أبياته" .

راخِ يديكَ فى ٱمتـدادِ حبلِهِ وطاوِلِ الوقتَ به أن يُجـذَبا
وخَفْ على قلبى غدًا من وقفةٍ يكون لى فيهـا الوداعُ العطَبا
ولا تدَعْنى أسألِ الرُّكبانَ عن قلبٍ دوٍ(1) وأَسـتطِبُّ الكتُبا
لا أقفرتْ منكَ ربوعٌ عَمُرَتْ أُنسا ولا أيبسَ عيشٌ رَطُبـا
ولا برحتَ مالكـا مقتسِرا نواصِىَ الإقبـالِ أو مغتصِـبا
حتَّى تكونَ باديا وحاضرا بين النجوم بانيًا مطنِّبا

⁂

وقال يمدح عميدَ الرؤساء أبا طالب بن أيوبَ فى النّيروز

(٥١)

أَبلغْ بهـا أُمنيَّـةَ الطـالبِ فالرزقُ بين الرِّدفِ والغـاربِ
ولا تُذَمِّمْ(2) لوجاها(3) فمـا الـ ـراحـةُ يومًا فى مَطَا(4) اللاغبِ
ليلتُهـا فى الدائبِ المتـقِى بُغـامُها(5) فى السارحِ العـازبِ
حُداؤها فى الرَّكبِ أحظَى لهـا من نَعـقةِ الراعى أو الراكبِ
فاوتَ بين الطيرِ حالاتُهـا من باطِشٍ أو فَرِقٍ هائبِ
فالخسفُ للجاثِمِ فى وكـرِهِ والخِصبُ للقاطعِ والكاسبِ
أفلحَ من داوسَ طُرْقَ العـلا موفَّقـا للسَّـنَنِ اللاحبِ
تُعجِبُـه الفضـلةُ فى ماله ما لم تَشُـبْها مِنّـةُ الواهب
ذلك فى المولَى، غَدًا فى العدا مَثلبـةٌ، فٱسـددْ فمَ الثالبِ
خوفى من العائب لى نجـوةٌ من الأذى تُشكَرُ للعـائبِ
والنـاسُ أصحـابِىَ ما لم تَمِلْ وُسوقُ أثقالى على صاحبِ

(١) دوٍ: مريض. (٢) تذمِّم: تلُمْ. (٣) الوجى: الحفا. (٤) المطا: الظهر.
(٥) البغام: الصياح بأرخم ما يكون فى صوت الناقة.

أكون ما ٱستغنيتُ عن رفدهم جِلدةَ بين العينِ والحاجب
فإن عرَتْ أو حدَثتْ حاجةٌ فالحبـلُ مَلْقِيٌّ على الغـاربِ
وكم أخٍ غـيّرهُ يومُه الـ ـمقبِـلُ عن أمسِ به الذاهبِ
كنتُ وإيّاه زمانَ الصـدَى كالمـاء والقهوةِ (١) للشـاربِ
ومَـدّ باعيه (٢) نخـلَّى يدى نهباً لكفّ القابضِ الجاذبِ
مرّ فلم يعطِف لحُبِّ الصِّبا الـ ـجانى ولا حقِّ العلا الواجبِ
كأنّ ما أَحكمتُ من ودّهِ أبرمتُـهُ (٣) لِلمسـحَلِ القاضبِ (٤)
اللهَ للمغصـوبِ فيكم عـلى ديونِه يا شِيعة الغـاصبِ
قد قلتُ للخابط (٥) خلفَ المُنَى مباعـدا : قارِبْ بهـا قاربِ
اِحبس مطاياك فما فى السرى إلا جنونُ الطمعِ الكاذبِ
لا تطلبنَّ الرزقَ من معـدِنٍ يَنبوعه غـيرُ "أبى طالبِ"
فالبحرُ مَن خلَّفَـهُ خَلْفَهُ لم يقتنع بالوشـلِ النـاضبِ
خاطَرَ فى المجـد فغالَى فتًى لم يخشَ منه قَمْـرةَ الغـالبِ
وكاثَرَ النـاسَ بإحسانهِ فلم يحُـزْهُ عـددُ الحاسبِ
اذا ٱحتـبى (٦) ينسبُ علياءه دار عليـه قُطُبُ الناسبِ
ضمّ الى ماكسبتْ نفسُـهُ سالفـةً فى عرقِـهِ الضاربِ
فظلَّ لا يَشْرُفُ من جانبٍ إلا دَعاهُ الفخـرُ من جانبِ
من معشرٍ تضحكُ أَيمانُهـم إن آدَ (٧) عامُ السنةِ (٨) الشـاحبِ

(١) القهوة : الخمرة . (٢) فى الأصل "باعاه" . (٣) المسحل : المنحت .
(٤) القاضب : القاطع . (٥) الخابط : الذى يسير على غير هدى . (٦) فى الأصل "اجتبى" وهو تحريف . (٧) فى الأصل "آ" فرجحنا كلمة "آد" بمعنى : ٱشتدّ .
(٨) السنة : الجدب .

تُحلَبُ أموالُهُمُ ثَرَّةً (١) … والضرعُ مبسوسٌ (٢) على الحالبِ
لهم نَدِىٌّ شَرِقٌ (٣) منهُمُ … بكلِّ مخطوبٍ له خاطبِ
لا نائمُ السامرِ فى الليلةِ الـ … ـطُّولَى ولا منتقِرُ (٤) الآدبِ
همْ وَزَرُوا الدولاتِ وٱستنصحوا … رَعْياً على العاطفِ والساربِ
وهم سيوفُ الخلفاءِ التى … تُعلِّمُ الضربَ يدَ الضاربِ
غاروا نجومًا ووفتْ بابنهم (٥) … شهادةُ الطالعِ للغاربِ
حَذَا وزادته قُوَى نفسِهِ، … والمجدُ للموروثِ والكاسبِ
زيادةَ البدرِ بشَعشاعهِ … على ضياءِ الكوكبِ الثاقبِ
ليتَ عيونا لهمُ فى الثرى … مغضوضةً بالقدَرِ اللازبِ (٦)
تراكَ فى رتبتِهم جالسا … تأمُرُ فى العارضِ والراتبِ
حتى يُقِرَّ اللهُ منها الذى … أُقذِىَ بالرامسِ والتاربِ
قد عَرَفَ "القائمُ بالأمرِ" مذ … سَلَّكَ أنَّ القطعَ للقاضبِ (٧)
ظَهَرتَ (٨) بالعِفَّةِ سلطانَهُ، … هذا وما الزاهدُ كالراغبِ
وصنتَ ما حَسَّنَ من ذكرِهِ … عن دنَسِ القادحِ والقاصبِ (٩)
فلا تَزُلْ عندكَ من طَوْلِهِ … ما عندَه من رأيكَ الصائبِ
ولا خَلَا دَستُكَ من مركبٍ … غاشٍ ومن راجٍ ومن هائبِ
ودام لى منكَ ربيعى الذى … يُرضِى رياضِى بالحَيَا الساكبِ

(١) ثرة : غزيرة . (٢) المبسوس : الذى لا يدرّ . (٣) فى الأصل "شرف" وهو تحريف . (٤) المنتقر : الداعى بعضا دون بعض، وفى الأصل "مستنفر" . (٥) فى الأصل "باتهم" وهو تحريف . (٦) اللازب : اللازم . (٧) القاضب : السيف القاطع . (٨) ظهرت : أعنت . (٩) القاصب : الجزّار، وقد كنى به عمن يقطع لحوم الناس ذما .

(٥٢) وجُنَّتِي الحصداءُ(١) إن صاحَ بى دهرِىَ : لاسَلْمَ ! فقم حاربِ
مالىَ فى فقــرى الى ناصرٍ ســواك مَنْ أحمِى به جانبى
فى ودّك آستبليتُ ثوبَ الصِّبا وفيــه أنضــو بُردةَ الشــائبِ
قلــبى لك المأمونُ تقليبُـــهُ ما قام ""ريّانُ"" على ""مارب""(٢)
أبيضُ ثوبِ الودّ صافٍ على لونَيْـهِ من راضٍ ومن عائبِ
وكُلّمـا أُنسـيتُمُ صُحبتــى ذَكَّرَنيكُمْ زَمَنُ ""الصاحبِ""
وخُــرَّدًا أرسـلتُها شُرَّدًا من حابلٍ(٣) منكم ومن حائبِ(٤)
كلّ فتــاةٍ مَعَ تعنيسها تفضَحُ حُسنَ الغادةِ الكاعبِ
ضوافيًا من فوقِ أعراضِكم للُمسـدِلِ المُرخِى وللساحبِ
سارتْ مع الشمس وعمَّت مع الـ ـغيث فمن ذاكٍ(٥) ومن هاضبِ(٦)
تعلَقُ بالآذانِ موصـولةً غَشْما بلا إذنٍ ولا حاجبِ
تنصُبُ أعلامًا لكم ، سَيرُها فى الأرضِ، فلتُشْكَرْ يَدُ الناصبِ
كَرَّرتِ الأعيادُ(٧) أعدادَها والمهــرجاناتُ على الحاسبِ
حتى لقد خافت بمـا أكثرتْ ملالةَ القـارئ والكاتبِ

***

وقال يمدح كمال الملك ويهنّئه بالنيروز

لكِ الغــرامُ وللواشِى بكِ التعبُ وكُلُّ عذلٍ اذا جَـــدَّ الهوى لَعِبُ
أما كفاه آنصرافُ العين مُعرِضـةً عنـه، وسمعٌ بوقْرِ الشوق محتجِبُ

(١) الحصــداء : الدرع المحكمة الضـيقة الحلق . (٢) ريّان ومأرب : جبــل و بلد .
(٣) الحابل : الصائد، لنصبه الحبالة . (٤) الحائب : القاتل، و يريد بهذا البيت أنه يشرد قصائده فى كل واد خوفا من حابل يقيّدها أو حائب يقتلها . (٥) الذاكى : المتقد . (٦) هاضب : ماطر وفى الأصل : هاصب . (٧) الضمير فى أعدادها يعود الى القصائد .

وأنَّ قلبا وأحشاء مُدغدَغةً — اذا آستقامتْ حُمول الحىّ تضطربُ
لاموا عليك فما حلّوا وما عقدوا — عندى، وعابوا فما شقُّوا ولا شعبوا
فكلُّ نارِ هوًى فى الصدر كامنةٍ — فاللّوم يُسعرها والعذلُ يحتطبُ
آهًا لوحشة ما بينى وبينكُمُ — اذا خلَتْ من دِلاءِ الجيرةِ القُلُبُ
وعطّت(١) القُور(٢) والأجراعَ(٣) نوقُكُمُ — طُروحَ عينى وحالت بيننا الكُثُبُ
مَن أشتكى الشوقَ إذ هَزَّت وسادتَهُ — مدامعٌ تنتحِى أو أضلعٌ تَجِبُ
فما أسفتُ لشىءٍ فائتٍ أسفى — من أن أعيش وجيرانُ "الغضا" غُيَبُ
قد كنتُ أسرِقُ دمعى فى محاجره — تطيرًا بالبكى فاليومَ أنتحبُ
لا يُبعِدِ اللهُ قلبًا ظلّ عندكُمُ — لم يُغنِنى عنه نِشدانٌ ولا طلبُ
سلبتموهُ فلم تُفتُوا برجعتهِ — وربّما رُدَّ بعدَ الغارة السلَبُ
فأين إذمامُكم(٤) قبلَ الفراق له — ألّا يضامَ ولا تمشى له الرِّيَبُ ؟
أسيرةٌ لكُمُ فى الغدرِ حادثةٌ — تَخُصُّ، أم رجعتْ عن دينها العرَبُ ؟
يا أهل ودّى، وما أهلًا دعوتُكُمُ — بالحقِّ لكنها العاداتُ والدُّرَبُ
كُنّا بها نتَسمَّى قبلَ غدركُمُ — فاليومَ كلُّ آسمِ ودٍّ بيننا لقبُ
أشبهتم الدهرَ فى تلوين صِبغتهِ — فكلُّكم حائلُ الألوانِ منقلبُ
كنتم علىَّ مع الأيّام إخوتَها — وليس إلا عُقوقى بينكم نسبُ
صبرًا وإن كان ملبوسا على جَزَعٍ — ظُلِمتُ، والصابرُ المظلومُ محتسِبُ
لعلَّ عازبَ هذا الحظِّ يرجِعُ لى — يوما وقاعدَ هذا الجَدِّ بى يثِبُ

---

(١) عطّت : شقّت . (٢) القور جمع قارة وهى الجبيل المنقطع عن الجبال أو الأرض ذات الصخور. (٣) الأجراع جمع جَرَع وهو الأرض ذات الحزونة تشا كل الرمل وقيل هى الرملة السهلة .
(٤) الإذمام : أخذ الذمّة .

وليتَ أنَّ "كمالَ المُلكِ" خالصةٌ آراؤه لى ورأىُ الناسِ مؤتَشِبُ[(١)]
بل ليتَ أنَّ قضاياه مواهبُه فكان إنصافُه فى عَرضِ ما يَهَبُ
فتًى قَنِعتُ به من بين مَنْ حَمَلَتْ خُوصُ[(٢)] الركابِ فسارت تُنقَلُ الرُّكُبُ[(٣)]
أحببتُه حُبَّ عينى أختَها ويدى يدى، ولى فى مَزيدٍ منهما أرَبُ
وكان لى حيثُ لاجفنٌ لناظرِه حفظًا وصَوناً ولا تحمِى الظُّبا القُرُبُ[(٤)]
عَطفًا لحقٍّ وإسبالًا على ذممى كأنّه وهو مولًى فى الحنوِّ أبُ
يرعَى شواردَ فيه لم تَسِرْ معَها ريحٌ ولا طمعتْ فى شأوها السحُبُ
فغالبتنى على ذاك المكان يدٌ للدهرِ، كان لها ـ مذ ملَّنى ـ الغلَبُ
مَلالةٌ لم تَطِرْ فيها مُطاوَلةٌ وبِغضةٌ كالتجنِّى ما لها سببُ
قَسَا فأصبح للواشين بى أُذُنًا تَليقُ ما اختلقوا عنِّى وما اجتلبوا
لو قيل: إنِّى سرقتُ السمعَ أو صرفوا الىَّ تبديلَ دينِ اللهِ أو نَسَبوا
لَمَا امترَى أنَّ رُسْلَ الله بى جُبِهوا بالردِّ أو حُرِّفَتْ عن أمرِى الكتُبُ
فقل له ــ طيَّبَ اللهُ الوفاءَ له والحقُّ يَسفِرُ والبهتانُ يَنتقِبُ ــ :
يا ناقدَ الناسِ كشْفًا عن جواهرِهم متى تَغيَّرَ عن أعراقِهِ الذهبُ ؟
وكيف أَفسدَ سوءُ الحظِّ خُبرَكَ بى حتّى بدا لك أنّ الدرّ مَخشَلَبُ[(٥)] !
أغيرُ أنَّ فَراشًا طارَ ينأم[(٦)] بى ؟ لو شئتَ كان بنارِ الردِّ يلتهبُ
أبعدَ أن رضتَنى عشرينَ أو صَعِدتْ لا الجرىُ تُنكِره منّى ولا الجَنَبُ[(٧)]
يُرَوَى لك الخُرْقُ[(٨)] عن حزمِى فتقبلُه صفحًا ويجذبُك الواشى فتنجذبُ!

(١) مؤتشب : غير صريح . (٢) خوص جمع خوصاء وهى التى غارت عينها . (٣) الركب جمع رِكابٍ . (٤) القرب جمع قراب وهو غمد السيف . (٥) المخشلب : الخرز لا قيمة له .
(٦) ينأم بى : يهمس بى . (٧) الجَنَبُ : شبه الظَّلَع . (٨) الخُرقُ : الحُمْقُ .

٥٣

حاشاكُمُ أن تكونوا عَوْنَ حادثةٍ ... أو ترتميني على أيديكم النُّوَبُ
أذنبىَ الحبُّ والإخلاصُ عندكُمُ؟ ... فإنّ ذنبى الى أيّامِىَ الأدبُ
أمَا وقومِكَ ، والمجدُ التليدُ لهم ... ـ اذا حلفتُ بهم ـ والدينُ والحسبُ
ما خلتُ ـ والدهر لا تَفنَى عجائبُهُ ـ ... أنّ العلا نافقٌ فى سُوقها الكذبُ
ولا عجبت لدهرى كيف يظلمنى ... وإنما ظلمكم أنتم هو العجبُ!
يامَن به صحّ سُقمُ العيشِ وٱجتمعتْ ... على توحدِهِ الأحزابُ والشُّعَبُ
ومَن كَفَى المُلكَ ما لم يكفِ صارمُهُ ... وردّ عنه الذى ما ردّه اليَلَبُ(١)
ومَن توسَّط أفقَ المجد فٱعتدلتْ ... به البدورُ ولبَّت أمرَهُ الشُّهُبُ
على بساطِكَ تُقضَى كلُّ مُبْهِمةٍ ... يعنو بها الخطْبُ أو تعيا بها الخُطَبُ
وهالةُ البدرِ دَستٌ أنت راكبه ... وتارةً هو غابُ الضيغم الأشِبُ
بِشْرٌ وَقورٌ، وجَدٌّ ضاحكٌ، ورضًا ... لولا الطلاقةُ خِلْنا أنه غضبُ
جَرَى بكَ الخُلُقُ الفضفاضُ وٱنقبضتْ ... بك المهابةُ فالسَّلسالُ واللهبُ
وأفقرتك العطايا ، والثناءُ غنًى ... وأنصبتك العلا ، والراحةُ النَّصَبُ
مَن عندَهُ نَشَبٌ لا مجدَ يعضُدُهُ ... فإنّ عندك مجدا ما له نشبُ
حَلَلْتُ بٱسمك عَقْدَ الرزق فٱندفعتْ ... عُراه تُفصَمُ لى عفوا وتَنقضبُ
وكنتَ واسطةَ العِقد الذى ٱنتظمتْ ... عنه السلوكُ ولم تُخدَشْ به الثُّقَبُ
أنتم رفادةُ ظهرى إن وَهَى جَلَدى ... ودَرَّةُ العيشِ لى والضَّرعُ معتصَبُ
وَمشرَبى العِدُّ والغدرانُ غائرةٌ ... منكم لِىَ الحوضُ أو منكم لِىَ القَرَبُ
قدَّمتمونى فلى رهنُ السباقِ، وَمَنْ ... يلزَنى(٢) بعدُ : مجنوبٌ ومعتقِبُ

(١) اليلب : الدروع أو جلود تلبس مثل الدروع . (٢) يلزّنى : يلزمنى ويلصق بى .

عِزّى بنفسِى ولكن زادنى شرفا ... أنى اليـــكم ـ اذا باهلتُ ـ أنتسبُ (١)
والنـاسُ غيرَكُمُ مَن لا يجاوزنى ، ... أبيـاته عَمَـــدٌ تُبنَى ولا طُنُبُ
اذا صفوتم فلا وِردى ولا صَدَرى ... منهم وإن أملَحوا يوما وإن عذُبوا
لى منكم الجبهةُ الغـــرّاء والعنُقُ الـ ... ـتلْعاءُ والناس بعـدُ الرُّسغُ والذنَبُ
فلا تَنـلْنى الليـــالى فيكُمُ بيـــدٍ ... إلا التَّـبابُ (٢) لها والشـلُّ والعطبُ
ولا تُصبكْم عيـــونُ الدهرِ إنّ لها ... الى الكمال لحاظًا سهمُـــها غَرَبُ (٣)
وإن أتَى رائدُ النيروزِ مجتـديًا ... أيْمـانَكم فالروابى الخُضْرُ والعُشُبُ
فمن جبـــاهكُمُ نَورُ الربيع لنـــا ... ومن أكفِّكُمُ الأنواءُ تنسكبُ
يومٌ يكُرُّ به إقبـــالُ جَـــدّكُمُ ... غدًا على ملككم ما كرّت الحِقَبُ
تجلُونَ من حسنه حظَّ العيـونِ فللـ ... ـأشعار فيكم حظوظُ السمعِ والطربُ
فما بقيـــتم فأيّامى بعـــزّكُمُ ... كما أُحبُّ وأحـــوالى كما تجبُ

وقال وكتب بها الى الوزير زعيم الدين فى المهرجان

اذا فاتهـا روضُ الحمى وجَنـــوبُهُ ... كفاها النسيمُ البابلىُّ وطِيبُـــهُ
وكم حُبَّ من وادٍ الى العيش مجدِبٍ ... وأبغِـضَ مَثْرَى (٤) آخَـــر وخصيبُهُ
وما الجـانبُ المسكونُ إلا وفاقُـهُ ... هَوَى النفسِ ، لا خضراؤه وعَشيبُهُ
فدعهـا تَلُسُّ (٥) العيشَ طوعَ قلوبها ... فأمرعُ ما تـــرعاه ما تستطيبُهُ

(١) باهلت : حاججت مفتخرا . (٢) التباب : الهلاك . (٣) يقال : سهمٌ غَرَبٌ : لا يُدرَى راميه . (٤) المثرى : محل الثراء . (٥) تلسّ : تنتف الكلأ بمقدّم فمها .

وإن الثِّمادَ البَرْضَ(١) فى عزِّ قومها لأَنقعُ من جَمٍّ(٢) يذلّ غريبُهُ
وأشبعها ألّا تكون طرائدا اذا شُلَّ(٣) من سَرحِ المسيمِ(٤) عزيبُهُ
وأن كان حيًّا بالحمَى ـ إن توفَّرتْ من الوجد ـ مُبرِى(٥) دائها وطبيبُهُ ٥٤
وكلُّ هلالٍ "ذو الأراك" حجابُهُ يسرُّ البدورَ الطالعاتِ مَغيبُهُ
تحولُ الرماحُ "العامريّةُ" دونه فيقنِطُ راجيه ويعيا طَالبُهُ
وأتعبُ من حاولتَ يا قلبُ وصلَهُ حبيبٌ سِنانُ السمهرىِّ رقيبُهُ
يُصيبُ بعيدا سهمُهُ كلَّ من رمى وترميه أيدٍ حولَهُ لا تصيبُهُ
يلوم على "نجدٍ" ضنينٌ بدمعهِ اذا فارق الأحبابَ جفَّتْ غروبُهُ
وهل طائلٌ فى أن يُكثِّر عذلَهُ اذا قلَّ من إصغاءِ سمعى نصيبُهُ؟
وما الناسُ إلا مَنْ فؤادى فؤادُهُ لأهلِ "الغضا" أو مَن حبيبى حبيبُهُ
سأرعَى الذى بينى وبينَ ملوَّنٍ شربتُ على صفوى له ما يشوبُهُ
خذينى بغيرِ الغدرِ خُلْقًا وإن جنى علىّ الوفاءُ : قَرفُهُ وندوبُهُ
فذلك طينُ الأرضِ لم تُبنَ فطرتى عليها وما ماءٌ سقانى قليبُهُ
خُلقتُ يدًا دون الصديقِ وجُنَّةً يردُّ بها عن صدره ما ينوبُهُ
ركودى الى الجوّ العريض ركودُهُ اذا رام أمرا أو هبوبى هبوبُهُ
وأصفحُ عنه عاذرا متأوِّلا وإن كثُرتْ زلّاتُهُ وذنوبُهُ
ويُقنعنى منه طِهارةُ وجههِ فلا أسأل التفتيشَ كيفَ مَغيبُهُ
ومن طال عن خُبرِ الأخلّاء بحثُهُ ليبلُوَهم لم يخلُ مما يريبُهُ
دعينى يكن خصمى زمانىَ وحدَهُ وتكفيكِ لى أحداثُهُ وخطوبُهُ

(١) الثماد البرض : الماء القليل النزر . (٢) الجم : الماء الكثير . (٣) شل : طرد .
(٤) المسيم : الذى يُرعى السوام وهى الإبل من قولهم : أسامها أى أرعاها . (٥) مبرى : مبرئ .

هو الطِّرْفُ غرَّتْ (١) رِحلتى خطواتُهُ ... وزمَّتْ (٢) فكان الليثَ صعباً ركوبُهُ

أصابحُ من كفّيه صِلَّ خديعةٍ ... لغير التحايا أهلُهُ ورحيبُهُ

ولولا رجالٌ هم أساةُ جروحِهِ ... جَرَتْ بدمى أظفارُهُ ونيوبُهُ

لتسقِ بنى "عبد الرحيم" أكفُّهم ... فأروى الحيا وكّافُهُ وصبيبُهُ

وما السيلُ ذو الدُّفَّاعِ (٣) يرغو جُفاؤه (٤) ... بأمرعَ من وادٍ نداهم يَصوبُهُ

هم القاتلونَ الأزْمَ (٥) والعامُ مسنتٌ (٦) ... يقطِّبُ فى وجهِ المُسيمِ جدوبُهُ

وهم إن شكا الفضلُ الغريبُ انفرادَه ... قبائلُه دون الورى وشعوبُهُ

ملوكٌ على الأيّام بيتُ علائهم ... تُناط بأعناق النجوم طُنوبُهُ

رَبا الملكُ طفلاً ناشئاً فى حجورهم ... وأشيبُ هذا الدهرِ بعدُ ربيبُهُ

لهم تاجُهُ المعصوبُ أيّامَ تاجِهِ ... وفيهم أخيرا سيفُهُ وقضيبُهُ

مواريثُ فيهم نصُّها إن مضى أبٌ ... يَسُدُّ الذى سدَّ ابنُهُ وينوبُهُ

وأمواتُهم فيهم كأحياءِ غيرهم ... اذا ظلَعَ المركوبُ جاءَ جَنيبُهُ (٧)

اذا ما "زعيم الدين" حدَّثَ عنهمُ ... توارَدَ شُبّانُ الفخارِ وشيبُهُ

هو البُلجةُ البيضاءُ فى وجه عزِّهم ... اذا شان عِزَّ القوم بابنٍ شحوبُهُ

يَرَى نصرَهم ماسار من حسن ذكرهم ... فتنشرُهُ أفعالُهُ وتُطيبُهُ

فتًى كمُلتْ فيه أداةُ اكتهالهِ ... وغصنُ الصِّبا لم يَعْسُ بعدُ رطيبُهُ

تحمَّلَ أعباءَ الرياسة ناهضا ... فما لانَ من عرضِ الرجال صليبُهُ

ومن عجبٍ أن البِكارَ (٨) جليدةٌ ... وقد عُقِرَتْ بُزْلُ الطريق ونيبُهُ (٩)

---

(١) يقال: رَحَل البعير رحلةً أى وَضع عليه أداة رَحْلِه. (٢) زمّت: شُدّت. (٣) الدفّاع: الموج.
(٤) الجفاء: الزَّبَد. (٥) الأزم: الضيق. (٦) مسنت: مجدب. (٧) فى الأصل: "نجيبه" وهو خطأ. (٨) البكار: الفتيّات من الإبل. (٩) النيب: جمع ناب وهي الناقة المسنة.

وكم سابقٍ فيهم ولم يَخْفَ رُسْغُهُ ... ولا ٱبتلَّ فى شَوطِ الرِّهانِ سبيبُهُ
ومن منجبٍ فيه أبوه وأُمُّهُ ... وما وَلَدُ الإنسانِ إلا نَجِيبُهُ
لهم يومَ يحتدُّ الجلادُ كميُّهُ ... ويومَ التَّرامى بالكلام خطيبُهُ
فلا محفلٌ إلا وفيهم صدورُه ... ولا جحفلٌ إلا وفيهم قلوبُهُ
"أبا حسنٍ" باهلْ بهنَّ فضائلا ... لحاسدها حَرُّ الجوى ولهيبُهُ
يَعيبُك مثنىٌّ على الغيظ صدرُه ... خوافِقُهُ تَزوى به ووجيبُهُ (١)
وكيف ينالُ العيبُ أطرافَ ماجدٍ ... محاسنُ أبناءِ الزمانِ عيوبُهُ
وقال: وهلْ فى الناس من هو فوقه؟ ... فقلتُ: نعم! إن كان فيهم ضريبُهُ
كريمٌ اذا ما ظلَّ يَقسِم مالَهُ ... فأنزرُهُ مستقسِما ما يُصيبُهُ
يحبُّ ثراءَ المال حبًّا لبذله ... وليس كسوبَ المالِ إلا وَهوبُهُ
أطلتَ يدى بالنصر فى نيلِ مطلبى ... فأصبح لى أقصاه وهو قريبُهُ
وأمكنتنى من ظَهر حظِّى وعُرفِهِ ... فأسمحَ لى بعد الشِّماسِ ركوبُهُ ٥٥
وأغنيتنى عن كلِّ مرعًى أرودُه ... وفَجٍّ على تيهِ الطريق أجوبُهُ
وكم جَمَدَ الرزقُ البطىءُ على يدى ... فسلسلتَ من كفَّيْك ماءً يُذيبُهُ
ولا خِلفَ (٢) إلا من عِصابِك (٣) دَرُّهُ ... ولا جَفْرَ (٤) إلا من نداك ذَنوبُهُ
اذا روَّعتْ سَرحِى من الدهر رَوْعَةٌ ... زأرتَ فلم يعسِلْ (٥) من الخوف ذيبُهُ
فقد صار يحبونى الذى ما سألتُه ... ويخطبُ منِّى المدحَ مَن لا أجيبُهُ
فلا يَخْبُ من نُعماك بدرٌ أضاءَ لى ... زمانى ولا نجمٌ هدانى ثقوبُهُ

(١) تزوى به: تذهب به. (٢) الخلف: الضرع. (٣) العِصابُ: شدُّ فخذى الناقة بحبل لتدرّ، ومنه: "مثلى لا يدرّ على العِصاب". (٤) الجفر: البئر لم تُطوَ وهو مذكّر. (٥) فلم يعسل: فلم يضطربِ فى عَدْوِه.

ولا تتغـــيّرْ من وفائـــك عادةٌ يَرَى المجـــدُ فى أثنائهـا ما يعيبهُ
ولا بَرِحتْ تطرو(١) اليـــك شـــواردٌ يلَـــين لها وعرُ الفـــلا وسهوبهُ
مُطبِّقَةٌ ما طبّـــق الأفقُ، ســـيرُها بوصـــفك مسرى ليـلِها ودؤوبُهُ
من الـكَلِم السهـلِ المنيعِ مرامُهُ على النـاس والنَّزرِ الكثيرِ عجيبُـهُ
تَرقرَقَ حُسنا فامـــترَى كلُّ سامع به وهو مخـــلوبُ الفؤاد طـروبُهُ
أُسربِلُ منه المهرجانَ مُفاضـةً يُصانُ بها عُريانُه وسَـــليبُه
ينـوبان من ناديك أمنـعَ جانبٍ وأنضرَ ربعٍ : غضُّـهُ وقشيبُـــهُ(٢)
مدى الدهر ما هبَّ النسيمُ لناشقٍ ودبَّ على وجـــه الصعيدِ دبيبُـهُ
على شَرطِ(٣) عزٍّ لا تحـــولُ رسومُهُ وسَرحِ نعـيمٍ لا تُراعُ سُـــروبُهُ

* * *

وقال يمدح الوزيرَ عميدَ الدولة أَبا سعد بن عبد الرحيم، وأنفذها اليه وهو معتزلُ النظرِ لهفوةٍ جرَتْ بينه وبين الأتراك ٱقتضت تغيُّبَهُ، ويُعرِّضُ بذكر الساعى به عند شاهانشاه جلالِ الدولة رحمه الله، وذلك فى المهرجان الواقع فى شوّال من سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

يا قلب من أين على فَـــترةٍ رُدَّ عليـــك الولَهُ العـــازبُ ؟
أبعـدَ أن مات شبابُ الهوى شاورَك المحتنِـــكُ الشائبُ
وبعدَ خمسين قضَتْ ماقضتْ وفضـــلةٍ أغفلها الحـاسبُ
هبّتْ بأشواقك "نجـــديّةٌ" مطمِـعةٌ، أنت لهـا واجبُ ؟
ما أنت يا قلب وأهـلَ الحمى وإنمـا هم أمسُـــكَ الذاهبُ

---

(١) تطرو: تأتى من مكان بعيد، وفى الأصل "تطر". (٢) غض وقشيب مرفوعان على أنهما بدل متطوع والقطع فى البدل جائز كما فى النعت. (٣) كذا بالأصل ولعله "صَرْح".

لم تذكرِ الغـائبَ من عهدهم ... إلا لأنْ يأكلَك الغـائبُ
قد وعظَتْ واعظةٌ من حجا ... بوعظهـا ما زَهـِـدَ الراغبُ
فارددْ عـلى الريح أحاديثَهـا ... ففى صِـباها ناقِـلٌ كاذبُ
جاءت وقد أفْرقْتَ(١) تهدى الصِّبا ... لا سَـلِمَ المجـلوبُ والجالبُ
ودون "نجدٍ" وظبـاءِ الحمى ... أنْ يقْـرَعَ المَنسِمُ والغـاربُ
والفيلقُ الشهباءُ من "عامرٍ" ... والطاعنُ الغـيرانُ والضاربُ
والشمسُ أدنى من "تميميَّةٍ" ... طالعُـها من "رامةٍ" غاربُ
لو سبقَتْ بالغـدرِ فى قومها ... لَمَـا وَفَى فى قوسه "حاجبُ"(٢)
مكنونةٌ بيضـاءُ لم يُعـدِها ... فى البدو لونُ العربِ الشاحبُ
إنْ وُصفت تيَّمَها وصفُها ... أو نُسبتْ أعجبهـا النـاسبُ
فـلا تغُـرَّنَّك نفَّاحـةٌ ... منهـا ولا بارقـةٌ خالبُ
يا راكبَ الأخطارِ تهوى به ... انزلْ، كُفيتَ السيرَ يا راكبُ
مالَك ـ والراحةُ قد أمكنَتْ ـ ... تشـقَى بمـا أنتَ له طالبُ !
قد آن أن يُعفَى الكايـلُ المطَا ... وأن يُراحَ النَّصِبُ اللاغبُ
إنّ المقيمَ اليـومَ فى غِبطةٍ ... يحسـدها السارحُ والسـاربُ
قد أربعَ الوادى "ببغداد" وٱبـ ... ـتلّ الـثرى وٱتّسع الجـانبُ
أظلَّها من سُـحْبِ أيدى بنى ... "عبدالرحيم" الهاطلُ الهاضبُ(٣)
ورجَعَتْ طالعـةً شمسُهـم ... فيهـا وعاد الكوكبُ الثاقبُ ٥٦
الى "عميد الدولة" ٱسترجع الـ ... ـنافرُ أنسـا وأوَى الهـاربُ

(١) أفرقت : بان الشيب فى مفرقك . (٢) حاجب : هو حاجب ٱبن زرارة وقد تقدمت الإشارة اليه فى صحيفة (٥٩) . (٣) الهاضب : الماطر ، وفى الأصل "القاضب" .

عَمَّ وسَوَّى عادلا جُــودهُ حتى ٱستوى المحرومُ والكاسبُ
طَبَّقَ فى التـــدبير أغراضَــهُ سَهما فسهــما رأيُه الصائبُ
وأدّب الأيّامَ بالحلم، والـ جهــلُ على أخلاقها غالبُ
والمُلكُ سَرحٌ نام رُعيانُه وهبَّ يطغى ذئبُــهُ الساربُ
كانت جحيما ترتمى بالأذى فى جانبيهــا الشررُ اللاهبُ
فأَخمــدَتْ هيبتُهُ كلَّ ما هبَّ عليها المُوقِـــدُ الحاطبُ
صَبَّ عليهــا الدَّمَ لمّا غدتْ بالمـاءِ لا يُطفئُها الساكبُ
فهامــةٌ ساقطـــةٌ فوقهـــا حَصْدًا وجنبٌ حولها واجبُ
عشواءُ خطبٍ لم يكن ينجـلِى حتى يؤوبَ القـــمرُ الغـائبُ
يا "شرَفَ الدين" تمدَّحْ بها فالعُجبُ فى أمثالهـا واجبُ
ما زال تنـــكيلُك بالمجـرِم الـ ـمُصِرِّ حتى خافــك التـائبُ
صَــدْعٌ من الدنيـا تداركتَهُ لولاك ما كانــ له شاعبُ
جاذبه النـــاسُ يرومـــونَهُ دهرا فـلم يعــلَقْ به جاذبُ
لا العاجـــز الوانى تأنَّى له منهـــم ولا المجتهــدُ الدائبُ
سَلَلتَ بالعـادة فى جســمه رأيًا هو الصَّمصامةُ القاضبُ
قــد ظهَرتْ رايةُ أيّامـكم وطبَّــق الأرضَ بهـا الجائبُ
وجَمّــعَ الألسنَ تفضــيلُكم فٱصـــطلحَ المـادحُ والثالبُ
لا يَصلحُ الأمرُ على غــيركم لا دارض منــه ولا راتبُ
ولا تـــدرُّ المـالَ أخــلافُهُ وغــيرُ أيديكم له حالبُ
وزارةٌ مجلسُـــها منصِبٌ له ٱصــطفاك الله والنـاصبُ
أنتَ لهـا ــ فٱشدد يمينا بها ــ الأخُ وٱبنُ العمِّ والصـاحبُ

فإن تعزّلتَ وفارقتَها أو نابَ فى تدبيرها نائبُ
كان فراقًا لك تسديدُهُ وللأعادى سهمُهُ الخائبُ
بَعُدتَ فانحصَّ الذى رِشْتَهُ وانقبضَ السائمُ والساربُ
فاعطفْ على الدنيا وما قد جَرَى به عليه القدرُ اللازبُ
فالليثُ لا يغمز فى زأره وإن ألحَّ النابحُ الواثبُ
فى جِلدِه ذمّى وفى عظمِهِ مُظَفِّرٌ(١) فى عِزِّكم خالبُ(٢)
مَشَى بها الماشى الى حتفه يا بؤسَ ما أعقبَهُ العاقبُ
يا باسطًا من كفِّه مُزنةً يَبسِمُ منها البلدُ القاطبُ
ومَن حَمَى الأرضَ فما فوقَها للخوف مسلوبٌ ولا سالبُ
والمصطفى المحبوب من ماله يَخبِطُ فيه العائثُ الناهب
أغنيتَنى عن كلِّ غَرَّارةٍ سحابُها المصعِقُ والحاصبُ
وكلِّ مبذولِ الحمى بابُهُ واللؤمُ عن أمواله حاجبُ
لا يَخلُقُ الخَجْلَةَ فى وجهه لا مادحٌ أثنى ولا عائبُ
وصُنتَ وجهى بعد ما شقّنى من مائه المنزَفُ والناضبُ
وخَلَطْتَنِى منك نُعمى بها شَجَّرنِى(٣) فى بيتك الناسبُ
وحُطْتَنى أمنًا وقد ثارَ لى بالشرِّ صِلُّ الرملةِ الواقبُ
كلبٌ أتى الليثَ فأغراه بى وقال وهو الفاجرُ الكاذبُ
وغْدٌ دعىٌّ ليس من شكله ما هو كاسٍ بآسمه كاسبُ
أعداه من مِهنةِ آبائِهِ عِرْقٌ الى اللؤم به ضاربُ

---

(١) مظفِّر: غارزٌ أظافره . (٢) الخالب: الجارح بمخلبه . (٣) شجرنى: جعلنى من شجرتكم أي من ذوى قرباكم .

ولم يكن لو أنه كاتبٌ يُراعُ منـــه الشاعرُ الكاتبُ
وعند شعرى — لو هجا مثلَهُ — لعرضِـه القـاصمُ[1] والقـاصبُ[2]
فابقَ لأن تُرغِمَ لى أنفَـهُ أنفٌ لعــمرى أجدعٌ تاربُ
والبس من الدولة فَضفاضـةً يَسحَبُ من أذيالهـا الساحبُ
واقسِمْ ليـــوم المهرجان الحيا وَفْـدًا، فنـعمَ الوافـدُ الآئبُ
يومٌ لآبائـك فى حفظــه عهـدٌ يُراعَى حقُّـهُ الواجبُ
واصبـحْ بفخرٍ طـيرُه أيْمَنٌ وفى عداك البـــارح[3] الناعبُ
ما غَرَّدتْ ورقاءُ أو دافعتْ فتخاءُ[4] عن أفراخها خاضبٌ[5]
واسمعْ اذا شُدَّت لهـا حَبوتى أفصــحَ ما فاهَ به خاطبُ
مرصوعةً باسمـك من خيرِ ما لاثَ على مَفـرِقه عاصبُ
عنـدك منهـا غَرِدٌ مطربٌ وعند من عاديتَـه نادبُ
من معـدِنِ الجِدّ ولكن تُرى رِقّتُهـا أنّى بهـا لاعبُ
لا رَبُّ "غُمْدَانَ"[6] وعَى مثلَها سمعًا ولا مَن دارُه "مأربُ"[7]
وامضِ مع العـادةِ فى مَهرها على طـريقٍ نهجُهُ لاحبُ
فمـا تَطيبُ الأرضُ موهوبةً عنــدىَ لولا أنك الواهبُ

---

(١) القاصم : الكاسر . (٢) القاصب : القاطع . (٣) البارح من الطير : ما يمرّ الى المياسر وهو الذى يتشاءم به . (٤) الفتخاء : العقاب اللينة الجناح . (٥) خاضب : محمرّة الأظفار. (٦) غُمْدَان : قصر باليمن بناه "يَشْرَخُ" بأربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر.
(٧) يشير الى سبأ بن يشجب بن يعرب الذى بنى قصر مأرب .

(٥٧)

* * *

وقال يمدحه ويهنّئه بالمهرجان، وكتب بها اليه وهو مقيم بعُكْبَراء وقد شارف العَوْدَ الى النظر بالوزارة بعد اعتزاله منها مُدَيْدةً، وتقرّر ذلك له، يتشوقه ويذكر الحالَ، وذلك فى سنة ستّ وعشرين وأربعمائة

عزفتُ فما أدرى الفتَى كيف يرغبُ ... وعفتُ فما أشكو القذَى كيف يُشربُ
وروّضنى لليأسِ هجـــرُ مَطامعى ... فبغِّض عنـدى الوفر وهو محبَّبُ
رأيتُ الغـــنى ما نَدَّ عنّى ففاتنى ... فكيف يَخافُ الفَوْتَ من ليس يَطلُبُ
وأرضَى عن الأقدارِ كيف تصرَّفَت ... وغيرِىَ بالأقدارِ يَرضَى ويغضَبُ
أأشرِى بعرضى رِفدَ قومٍ معوضــةً ... وأُشعِرُ نفسى أنّ ذلك مكسَبُ؟
فلا جرَّ رزقٌ(١) غِبطةً وهو يُجتَـدَى ... ولا سَـدَّ مالٌ خَلَّةً(٢) وهو يُوهبُ
هنيئـا لربِّ الرائحاتِ خلاصُـهُ ... إذا ضافـنى ممـا يعُـقُّ(٣) ويَحلبُ
ومِن قَودِها لى فى الصِّـلاب ثنيّةً(٤) ... وبزلاءَ(٥) تعصِى فى القيادِ وتُصحِبُ(٦)
تركتُ لمعطى النـائلِ الغَمرِ نَيـلَهُ ... وإنى الى تَرْك البخيـلِ لأقـــربُ
فلا المدحُ فى المُسنِى الجوادِ أكُدُّه ... ولا اللَّحِـــزُ(٧) المنّـاعُ ذَمِّىَ يَرهَبُ
ويظلمــنى المــولَى وفى فِيَّ ناصرٌ ... وكفِّى، فلا أشكو ولا أتعتَّبُ
اذا ذهبتْ بى رغبــةٌ عن تلاده ... طريقًا فمـا لى عنـه بالودّ مذهبُ
له خِصــبُهُ دونى ولى نَوْطَـةٌ(٨) به ... وعَوْنٌ على أيّامه وهو مُجـدِبُ

---

(١) فى الأصـل "رزقا". (٢) الخلة: الفقر. (٣) مما يعقّ: مما يذبحه. (٤) الثنية: الناقة الطاعنـة فى السادسة. (٥) البزلاء: الناقة الطاعنة فى التاسعة وليس بعد ذلك اسم لسن. (٦) تُصحِبُ: تنقاد ذليلة بعد صعوبة. (٧) المسنى الذى يجعل الجائزة سنية واللحز: البخيل الضيق الخلق. (٨) نوطة: تعلّق.

وللحبِّ منِّى — ما أمِنتُ خيانةً — محَـلّةُ قلبٍ قلّمـا يتقلَّبُ
أجِرُّ الهوى — ما لان — فَضْلَةَ مِقودى ويَعسِـفُنى حينـا فآبَى وأجذِبُ
وما كلّمـا فارقتُ أشربُ دمعـتى ولا كلّما غنَّى الحَمـامُ أُطَرِّبُ
وكم ألِفتْـنى ظبيـةٌ وهى فَـذَّةٌ فملتُ ولم أعطِفْ وقد عنَّ ربربُ
أحبُّ الوفاءَ مُحِسـا ومغـزِّلا وأصحَبُـهُ فيما أجِـدُّ وألعبُ
وأُعطِي يدى ما خِلتُنى متفضـلا وأمنعها ما خلت أنّىَ أرغبُ
فلو لقِيتْ أيّامُ دهرى خلائقى لكانت عـلى جَهْلاَتِهـا تتأدَّبُ
ولو أنهـا للسِّـلم جانحـةٌ معى لكانتْ على الشـحناء بى تتحبَّبُ
وكنتُ لهـا عُذرا الى كلِّ ماجدٍ يرَى أنهـا فى حربِ مثـلىَ تُذنِبُ
ولكنّها عَجماءُ، سِيّانِ عندها شدًا جاملٌ[1] أو قال هُجْـرا مؤنِّبُ
تشُطُّ بأحبـابى الذين أودُّهم وتدنو بجـارٍ لا أُحبُّ فتقصِبُ
ولو أنهـا تأوِى لصونى لقرَّبتْ بعيـدا وشطَّت بالذين تُقرِّبُ
كواكبُ آمالى وأقمـارُ مَطلبى نأتنى، وفى الأحبابِ بدرٌ وكوكبُ
تَطَلَّعُ حينا من بُروج سُـعودِها عـلىَّ ويطويهـا البعادُ فتغـرُبُ
اذا قلتُ: هذا العامُ حسبُ، وبعدهال ثّواءُ، أتى فى الأمرِ ما ليس يُحسَبُ
فكم يَحمِلُ الثقلَ الضعيفُ وكم ترَى يُقِلُّ[3] وُسوقَ[2] البعـدِ جنبٌ مندَّبٌ! ٥٨
وكم تكتسِى فى ظلِّ قـومٍ أعزةٍ قوادمُ ريشِى ثم تَعـرَى فتُسلَبُ!
ويأخذُ منّى الحاضرون ببخلهم فواضـلَ ما يُعطى السماحُ المغيَّبُ!
أيدرى الوزيرُ مَن كُنِي عنه أو عُنِي؟ نعم هـو يدرى ما أُعمِّى وأُعرِبُ

---

(١) الجامل: ذو الجَمَل ويريد به "الحادى". (٢) وسوق جمع وسق وهو الحمل، وفى الأصل "وشوق". (٣) منـدّب: مقرّح.

وإنى بحبلٍ غيرِ أطنابِ بيتِه على بيتِ شِعرٍ ناصحٍ لا أطنِّبُ
سِماتُ بنى "عبد الرحيم" سَلائطٌ (١) على وجهِ أشعارِى تُنيرُ وتَثقُبُ
لهم جُمَّتَا فكرِى مُطيلا ومُقصرا وصفوتُهُ صِرفًا وبالماء تُقطَبُ (٢)
فلو قلتُ : إنى فى مديحِ سواهمُ صدقتُ، لقالَ الشعرُ فى السرِّ: تَكذبُ
هُمُ أمكنونى من ظهورِ مآربِى فأركبُ منها ما أشاء وأجنبُ
أَلَمَّ بهم ما لا يُلَمُّ بشاعبٍ وأرأبُ فيهم صدعَ ما ليس يُرأبُ
وأستعتبُ الأيَّامَ وهى مُصِرَّةٌ (٣) بهيبتهم حتى تفىءَ فتُعتِبُ
هُمُ رحِمِى والأقربون مَعقَّةً (٤) وفيهم أبِى البَرُّ الرؤوفُ ولا أبُ
ودولتهم – لا عُطِّلتْ – لِى مَواسِمٌ وأيامهم سُوقٌ بفضلِى تَجلِبُ
ذُخِرتُ لهم كنزا مواريثَ قومهم فمن رامنى من غيرهم فهو يَغصِبُ
فلا أسمعَتْ "ذُبيانُ" بعدى وبعدَهم بنى "منذرٍ" عذرا به العفوُ يُوجَبُ
ولا فرِحتْ أقيالُ آلِ "أميَّةٍ" بما سَيَّرتْ فيها "تميمٌ" "وتَغلِبُ"
أيا راكبَ العشواءِ يطرَحُ صدرَها خِطارا على الشِّقِّ الذى هو أتعبُ
تَرى ظلَّها فى الشمس تحسَبُ أنّه لأُخرَى سواها لاحقًا أو ستقرُبُ
تغارُ اذا ما أبصرتْ ظلَّ سُنبُكٍ على الأرض جَلَّى سابقا وهى تَعقُبُ
كأنَّ فِجاج الأرض نَقْدٌ (٥) لركضِها تُغيرُ عليه كيفَ شاءت وتَنهبُ
تَنُصّ مقاضاتين (٦) للسير (٧) تلفظُ الـ ـمُحالَ وتُوعِى الحقَّ نصحًا فتوعِبُ
وكالئةٍ ترعَى الشخوصَ كأنّها أخو ليلةٍ – بات الربيئةَ – يرقُبُ (٨)

(١) سلائط جمع سليطة وهى الزيت أو الدهن ينار به . (٢) تقطب: تُمزَج . (٣) يقال : أصرّ الفرس بأذنه أى سوّاها ونصبها للاستماع . (٤) معقة : عقوق . (٥) فى الأصل "نقلٌ" ولعله تحريف . (٦) فى الأصل : "مفاضاتين" . (٧) فى الأصل "للسر" . (٨) الربيئة : المتطلع يرقب العدوّ .

اذا ٱقتُضِيَتْ فى ذمّة النجم حاجةٌ ... فتلك لديهـا دعوةٌ لا تخيّبُ
تحمّلْ سـلامى وٱحتقِبْ لِىَ حاجةً ... تُضىءُ لك المسرَى وطُرْقُك غَيْهبُ
الى "شرفِ الدين" ٱنتزعْها إهابَها ... ودعْها عــلى نارِ السِّـياط تَلَهّبُ
الى مَلِكٍ لا يسلُكُ النومُ جفنَـهُ ... وفى المُلْكِ صـدعٌ بالسهاد يُشَعَّبُ
ولا تبلُغ الأثقـالُ غايةَ جَهـدِه ... اذا ظلَّت البُزْلُ المصاعيبُ تشغَبُ
تفحَّصَ فى الآراءِ حتى أرينَـهُ ... ـعلى غير فحصٍ ـ أىّ أمريْه أصوبُ
وأتعبَـه التــدبيرُ حـتى أراحه ... وقد تستريح النفسُ من حيث تتعبُ
فكن مُبلِغًا عـنّى، وحظُّك عنـدَه ... اذا أنت باسمى فُهتَ أهلٌ ومرحبُ
وقل يا عميدَ الدولة ٱعطفْ وإن جَنتْ ... فـا زلّةٌ إلا وعفـوُك أرحبُ
تلافَ عصاها أن تُشَقَّ فإنهـا ... بسوء القضـايا تُلْتَحَى وتُشذَّبُ
ودارِكْ ذَماها(١) وهو بعـــدُ، فربّمـا ... تخور القُـوَى أنْ ينفعَ المتطبّبُ
يقرِّبك الإقبـالُ حينا فتؤنس الـ ... ـحياة ويُقصِـيك الشقاءُ فتُعطبُ
ومن أعجب الأشـياء تعليلُهـا بمَنْ ... تَرَى عجـزَه من حظِّه يتعجّبُ
فإن يبلغوا بالداء لا يحسمونه ... وعنـدهمُ منك الدواءُ المجـــرّبُ
اذا طُلِّقتْ منك الوزارةُ أصبحتْ ... مُجـذَّذةً(٢) من حُسنها تُتسلَّبُ
تغوِّثُ(٣) بالأسحـار تدعُو صَباحَها ... وتبكى زمانَ الوصـل منك وتندُبُ
تَخالُ بهـا ربعا مُحيـلًا تساقطتْ ... تحاجلُ فيـه الشاحجاتُ(٤) وتنعَبُ
بنيتَ بهـا بِكر الصِّبـا فَمِنَ الذى ... يُصفِّى هواها وهى شمطاءُ ثَيِّبُ
وأبرحُ من تعنيسهـا وهى أيِّمٌ(٥) ... ـاذا غبتَ ـ من يُسمَى لها وهى تُخطَبُ

---

(١) يريد ذماءها وهو بقيّة النفس . (٢) مجذّذة : مقطّعة . (٣) تغوّث : تستغيث .
(٤) الشاحجات : الأغربة التى فى صوتها غلظ . (٥) الأيّم : التى ليس لها زوج .

وهذا أوانُ الشدِّ فانهضْ بجمامها وثِبْ واثقا، إنَّ العلاءَ توثُّبُ
فما كلُّ ما آستوضحتَ فيها هدايةٌ وليس ضلالا كلُّ ما تتنكَّبُ
قد آشتاقك المُلْكُ الذى أنت أنسهُ وأُوحِشَ صدرٌ منه وآرتاعَ موكِبُ
وقد أعجفَ(١) الرُّوَّادُ وآعتصروا الحيا من الصخر اذ أمست سماؤك تُحجَبُ
وقُصَّ جَناحُ الشِّعرِ لا الطبعُ جاريا يَرِقُّ ولا مستولَدُ الفكر يُنْجِبُ
فنحن كأنَّا لم نصِفْ مَلِكا ولم نقم قطّ ما بين السِّماطين(٢) نخطُبُ
وكائنْ لنا من موقفٍ متشهِّرٍ لديك يطيبُ القولُ فيه ويعذُبُ
تميَّزُ به عُتْقُ(٣) القوافى وهُجْنُها(٤) وتعلمُ ماذا يُجتَبَى ويحبَّبُ
ووجهك بسَّامٌ الى المدح مقبِلٌ عليه ووجهُ الدهرِ جهمٌ(٥) مقطِّبُ
وكم ثَمَّ من مسترزِقٍ حلَفتْ له لُهاك — وبَرَّتْ — أنه لا يُخيَّبُ
وعيشٍ يبيسٍ بالسماح بللتَهُ ووجهُك فيه من بنانك أرطَبُ
رعَى اللهُ منك البحرَ لم أَروَ بعده بلَى ربّما أَفعمتَ والبحرُ ينضُبُ
ومَطرَحَ آمالى الذى كلُّ ضيّقٍ عليه فسيحٌ عنده لِيَ مَرغَبُ
ومالى اذا أعسرتُ من كلِّ وجهةٍ وجاهي الذى من بعضه المالَ أكسِبُ
تأجَّنُ(٦) غُدرانى وماؤك سَلسَلٌ وتخبُثُ أوطانى وتُربُك طيِّبُ
وَجُودُك لى سِيّان ما كنتَ حاضرا قريبا، وما ينأَى وما يتقربُ
فلولا مضيضُ الشوقِ لم أشكُ غُصّةً ولا أجحفَ التَّردادُ بى والتقلُّبُ
ولكنّك العينُ التى كلُّ غبطةٍ اذا هى لم تُوجَدْ عناءٌ معذِّبُ

(١) يقال : أعجف القوم : هزلت مواشيهم وصارت عجافا . (٢) السماط : الصفّ، يقال : قام القوم حوله سِماطين أى صفّين . (٣) العُتْق جمع عتيق وهو النجيب من الخيل . (٤) الهجن جمع هجين وهو غير العتيق أو الذى ولدته برذونة من حصان عربىّ . (٥) الجهم : المكفهرّ الوجه . (٦) تأجن : تصير آجنة متغيرة طعم الماء ولونه .

فـلا حَوَّلتْ عـنى ظِلالَك خُطّـةٌ تَحُــلُّ ولا محــذورةٌ تُترَقّبُ
وعشتَ لمثـلى واحدا فى زمانه وللنـاسِ بعـدى يطلبون وتُطلَبُ
أجازى نِداكَ الغَمـرَ نَشرا مخـلَّدا (١) كِلانا مطيـلٌ فى معانيـه مُطنِبُ
بكلّ مطـاعٍ أمرُها مستجيبةٍ لدعوتهـا الأسماعُ تُزجَى وتُوهَبُ
تولَّجُ (٢) لا تَخشَى تلوُّنَ آذنٍ، لهـا الخلواتُ والرواقُ المحجَّبُ
يُقِرُّ لها بالفضـلِ مَن لم تَقُلْ له (٣) ويُعظِمُها العيّـابُ والمتعصّبُ
لهـا كلُّ صوتٍ، كلُّ راويه مُبلغٌ فصيحٌ، ومَن غنَّى به فهو مُطرِبُ
تَصفَّتْ فقد كادت مع التبر تُقتَنَى ورقَّتْ فقد كادتْ مع المـاء تُشرَبُ
مصدَّقة فى المـدح أسرفَ أو غَلَا ومأمونة ما تســتزيدُ وَتعتِبُ
تزورك، يوما فى نَديِّك تُجتَـلَى ويوما مع السُّفّارِ تُقــرَا وتُكتَبُ
تسوقُ التهـانى خلفَها وأمامَها تُصعِّدُ فى الدنيـا بكم وتُصَـوِّبُ
تذكّركم من حقِّها إن نسيتُمُ بمـا تَقسِمِ الأعيـادُ حظًّا وتُنصِبُ
تَرَفُّعُ عن تيـه المصيبِ وعُجبـهِ ولكن بكم فخـرا تَتيـهُ وتَعجَبُ

***

وقال يمدحه ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى سنة سبع وعشرين وأربعمائة

سَلِ الركبَ إن أعطاكَ حاجتَكَ الرَّكبُ مَنِ الكاعبُ الحسناءُ تمنعها "كعبُ" (٤)؟
قضى أنهـا مغـلوبةٌ لِينُ عطفها وحصَّنها ــ أن تُملَكَ ــ الأُسُدُ الغُلْبُ
حموْها وذبُّوا أن تُرامَ وما حَمَوا قلوبَ الهـوى من مقلتيها ولا ذَبُّوا
وهزّوا القنا الخطّار والبيضَ دونها، فمَن طالبٌ؟ والمانع الطعنُ والضربُ

---

(١) فى الأصل : بشرًا . (٢) تَولَّجُ : تدخل . (٣) فى الأصل "يقل" .
(٤) كعب : اسم قبيلة .

يخافون صوتَ العار أن يُصبحوا بها | حديثا وأفواه المواسم تَستَبُّ
وما العارُ إلا أنّ بين بيوتهم | قلوبَ المحبين السلائبُ(١) والنَّهبُ
لئن أشحطوها أن تُزارَ فبيننا | مواثيقُ، بُعدُ الدار إن رُعِيت(٢) قربُ
وإن حُجبتْ والريحُ تَسفُرُ(٣) بيننا | بنجوى فؤادَينا فما ضَرَّت الحُجْبُ
وفي دارها " بالروضتين(٤) " لناظرٍ | شفائفُ(٥) ضوء البدر تكفُره(٦) السحب
ومنها ومن أترابها في ثرى الحمى | عبائقُ تَهديها الصَّبا لِيَ والتربُ
وقفتُ وصَحبي في "اللِّوى" فأملَّهم | وقوفِيَ حتّى قد وقفتُ ولا صحبُ
أُذاكرُهُ مَرآةَ يومي بأهله | فيشكو الذى أشكو ويصبو كما أصبو
ولم أحسَب الأطلالَ تُخضعها النّوى | ولا أنّ جسم الربع يُنحِلُه الحبُّ
تحدَّثْ بما أبصرتَ يا بارقَ الحمى | فإنك راوٍ لا يُظَنُّ بك الكذبُ
وقل عن حشًى من حَرّها وخفوقها | تعلَّمتَ ما تنزو خِطارا وتشتبُّ
وعن بدَنٍ لم يبرح الشوقُ مُعرِيًا | وَشائظَهُ(٧) حتى آلتقى الجنبُ والجنبُ
فلو أنه في جفنِ ظبيةِ حابلٍ | مكانَ القذَى ما كان يَلفِظُه الهُدبُ
وهذا ضنا جسمي وقلبيَ عندها | فكيف به لو كان في جسدي قلبُ
فُطرتُ على طينِ الوفاء ودِينه | فنفسي إليه بالغريزة تنصبُّ
فكم نائمٍ عنّي وثيرٍ مِهادُهُ | وجنبي له عن لين مَضجَعه ينبو
أصابرُ فيه الليلَ حتى أغيظَه | فتحسُدَ أجفاني على السهر الشهبُ
وأعجبُ ما حدّثتُهُ أنّ ذمّةً | وفَتْ فارسٌ فيها وخاسَت(٨) بها العُرْبُ

٦٠

(١) السلائب: كل ما أخذ قهرا. (٢) فى الأصل: دعيت. (٣) تسفر: تكون سفيرا. (٤) الروضتين: اسم موضع. (٥) الشفائف: الستائر يُستَشَفُّ ما وراءها. (٦) تكفره: تحجبه. (٧) وشائظ جمع وشيظة وهى قطعة عظم تكون فى العظم الصميم. (٨) يقال: خاس بالعهد أى أخلفه.

عذيرِى من الأيّام أوخمن مرتعى ... ورنَّقن لى من حيثُ يُستعذبُ الشُّربُ
تُنـاوبُ قومًا غَضّها وهشيمَها ... وكلُّ نصيبِى من معيشتهـا الجدبُ
أُخلِّى عليهـم عفوَها (١) ودُرورَها ... فأرضَى بلا ذلٍّ بمـا كدّه العصبُ (٢)
وأتركُها تَرْكَ المسالِم قادرا ... لأسـلَمَ منهـا وهى لى أبدا حربُ
وكم قد شكوتُ الدهرَ لو كان مُشْكِيا ... وعاتبتُ جَورَ الحظّ لو نفع العتبُ
بلى فى يدى ـ لا أكفُرُ اللهَ ـ جانبٌ ... من العز لى فيـه الوسيعةُ والرَّحبُ
ومنبعُ جُود لو قنَعتُ كفى الغـنى ... وبلَّ غليـلى ماؤه العَلَلُ (٣) السَّكْبُ
تعـوّد جوِّى غيمَـهُ ونسيمَهُ ... وأرضِىَ أن تزكو عليـه وأن تربو
أقِلْنى من التغرير يا طالبَ العلا ... ومن كدِّىَ الآمالَ تنهضُ أو تكبو
فلولا الندَى العِدُّ ''الرحيمىُّ'' ما جرى ... الى أيكتى ماءٌ ولا اخضرَّ لى تربُ
هم النـاس ناسى والزمانُ زمانُهـم ... ربيعى وكسبى من رضاهم هو الكسبُ
تملَّحْتُ (٤) فيهـم والتحفتُ بريشهم ... فوكرِى بهم حيث استوى الماءُ والعشبُ
وحسْبِى غنًى أو سُـودَدا أنَّ بحرَهم ... وسيِّدهم عند الملمـات لى حَسْبُ
الى ''شرَفِ الدين'' انتشطنا حبالَهـا ... تُعانِقُ (٥) فى نفض الطـريق وتخبُّ (٦)
سلائلُ ماصفَّى ''الغَضينُ وداحِسٌ'' (٧) ... وحازت كلابٌ رهنَها واعتلت كلبُ
بناتُ الفـلا والريحِ كل حسـيرة ... اليهـا الرياحُ المستقيماتُ والنُّكْبُ

---

(١) العفو : اللبن أوّل مايحلب . (٢) العصب : أن تُعصب فخذا الناقة لتدرّ، وفى الأصل ''العضب'' . (٣) العلل : المتتابع، وأصله الشرب بعد الشرب تباعا . (٤) تملَّحتُ : سمنتُ وفى الأصل : تلمَّحتُ . (٥) تعانق : تسير العنَقَ وهو ضرب من السير . (٦) تخبّ : تسير الخبب . (٧) الغضين وداحس : اسما فرسين، يضرب بأحدهما المثل يقال : ''هو أشأم من داحس'' .

كَسيرِ العصا المقدود لو سُلكتْ بها (١) ثُقوبُ الخروت لم يضق دونها ثَقْبُ (٢)
تُخالُ عِنانًا فى العنـان من الطَّوَى وإن شُطِبتْ (٣) بالسوط قلتَ هى الشَّطبُ
تُحطُّ اليه وهى قُلْبٌ (٤) من الطَّوَى وتُركَبُ عنه وهى مُجفَرةٌ (٥) قُبُّ
الى مَلِكٍ لا يملِكُ الخوفُ صدرَه خُفوقا ولا يغشَى على رأيه الخطبُ
ولا يطَّبيه (٦) التيهُ فى معجزاته اذا هامةُ المفتون أسكرها العُجبُ
مهيبِ الرضا مستصفَحِ السخطِ بالغٍ به القولُ ما لا يبلغ الباترُ العضبُ
مُحيطٍ بآفاق الإصابة رأيُه بديهاً، ورأىُ الناسِ مختمِرٌ غِبٌّ (٧)
اذا رَفَعتْ للإذن سَجْفا (٨) رواقُهُ فللأعين الإشراقُ والآنُف (٩) الترْبُ
مَقامٌ تُلاقِى عنده النِّعمُ السُّطَا (١٠) ويجتمع الرُّغْبُ المحبَّبُ والرُّعْبُ
اذا أَمَرتهُ مُرَّةٌ من حفيظةٍ تسوءُ، نهاه خُلْقُه البـاردُ العذبُ
تصوّرَ من حُسنٍ وحِلمٍ ونائلٍ ففى الدَّستِ منه البدرُ والبحرُ والعضبُ (١١)
من القوم لم تُضرَبْ عليهم إتاوةٌ ولم يَعتبِدْهم غيرَ خالقِهم ربُّ
صدورُ قلوبٍ فى المجالسِ والوغَى اذا رشَحوا فاضوا وإن قدَحوا شبُّوا
ومدَّ «عميدُ الدولة» العِرضَ راسخا فحدِّث عن ضَربِ العلا الرجلُ الضَّربُ (١٢)
وما علمتْ أمُّ الكواكبِ (١٣) قبلَه وقبلَهُم أن الهلالَ لها عَقْبُ

---

(١) السير : القِدَّة من الجلد، و يقال فى مثل مولَّد : " ليس فى عصاه سير " يضرب لمن لا يقدر على ما يريده . (٢) الخروت جمع خُرت وهو ثقب الإبرة ويريد بها هنا الإبر نفسها . (٣) شطبت : خط فيها السوط بما يخلفه عليها من الأثر . (٤) قلب جمع قلباء : مقلوبة الشفاه . (٥) مجفرة : عظيمة الجنبين . (٦) لا يطبيه : لا يستميله . (٧) غبّ : متأنَّى فيه . (٨) السجف : كل ستر ين مقرونين بينهما فرجة . (٩) الآنف جمع أنف وهو معلوم . (١٠) السطا جمع سطوة . (١١) العضب : السيف . (١٢) الضرب : الماضى الندب الخفيفُ اللحم . (١٣) أم الكواكب : الشمس .

وأنَّ شروقَ الشمس عنهم سينتهِى ... الى مَلِكٍ فى صدره الشرقُ والغربُ
أرى المُلك بعـد المَيْل قامت قناتُه ... ولُوحِمَ منه بعد ما آنصدعَ الشَّعبُ
لك البُلجة البيضـاءُ إن مات بحرُهُ ... وفى يدك التفريجُ إن غَشِىَ الكربُ
وقد علِمتْ أمّ الوزارة أنهـا ... اذا غبتَ ثَكلَى قَصْرُها(١) الدمعُ والندبُ
وتُطمِعُ مخـدوعَ المنى فى نكاحِها ... مَطامع كدَّتهـا وأنت لهـا خِطْبُ(٢)
ودبُّوا لهـا تحت الظلام عقاربا ... ولو حسبوا وطء الأخامِص ما دبُّوا
ولمّـا رأَوا عنهـا آلتفاتَك عاجلوا ... وُثوبًا، وقِدْمًا طاح بالقَدَمِ الوثْبُ
رَقَيْتَ بفضـل الحلم شَوكَةَ لَسْبِهم ... فقـد ماتت الأفعَى وقد برأَ اللَّسْبُ
هُمُ عقـروها إذ تعاطَوا فعُـذِّبوا ... ورأيُك فيهم ”صالحٌ“(٣) وهُم السَّقْبُ(٤) ٦١
وراموا التى يَرضَى بها الخُرقُ وحدَهُ ... خِداعا وتأباها الحـزامةُ واللُّبُّ
ومن دونها أن يخطبَ الليثُ هُدنةً ... من الذئب أو يبكى من العطش الضبُّ
تُحدِّثُهم أحلامُهم أنَّ ظهـرَها ... رَكوبٌ ولكن يُكْذَبون اذا هَبُّوا
صِلُوها فما يشقَى من اليوم سعدُها ... عليكم ولا تَذْوَى(٥) وأنتم لهـا قطبُ
ولا برحتْ فيكم تَجُـرُّ عزيزةً ... سرابيـلَ لا يُخفِى ذلاذِلَها(٦) السَّحْبُ
ضَممتَ عزيبَ الملك بعد آنتشارِه ... وأفرشـتَه أمنًا وقد ذُعِرَ السِّربُ
وما زلتَ بالتـدبير تَركَبُ صـعبَه ... الى سهله حتى آستوى السهلُ والصعبُ
أَحَبَّك ودًّا مَن يخافُك طاعةً ... وأعجبُ شيءٍ خِيفـةٌ معَها حُبُّ
ولو نشَزتْ عنك القـلوبُ لردَّها ... لسانُك هذا الحلوُ أو وجهُك الرّطْبُ

(١) قصرها : غايتها . (٢) خِطب : خاطب . (٣) صالح : اسم نبىّ من أنبياء الله صلوات الله عليهم . (٤) السقب : ولد الناقة . (٥) تذوى : تذبل . (٦) الذلاذل : أسافل القميص الطويل واحدتها : ذُلْذُل، وقيل : أثواب تلبس فوق بعضها كل واحد منها أقصر مما تحته لتظهر كلها للناظرين .

فما مُقلةٌ إلا وأنتَ سوادُها ولا كبِدٌ إلا وأنت لها خِلبُ (١)

وأما القوافي فهي منذ رعيتَها بطائنُ وادٍ كلُّ أعوامِه خِصبُ

يكاثفها نبتا ويعذُب مَشرَبا فلسّاتُها (٢) خَضْمٌ ورشفاتُها عَبُّ

صحائحُ مُلْسًا كالدِّهانِ وعهدُنا بها عند قومٍ وهي مُجفلةٌ جُرْبُ

وكم بَكْرةٍ منها لمدحك قُدتُها فقرّت ومن أخلاقها الغَشْمُ والشَّغْبُ

تغاديك أيام التهاني بوفدها مكرّرةً لُبسًا وهنّ بها قُشْبُ

بشائرُ ملكٍ صدقُه فيكَ، لا يهى له رُكنٌ ولا يقصِّرُ له طُنْبُ (٣)

وأنّ يَدَ اللهِ البسيطةَ جُنّةٌ تقيكم وأحزاب السعودِ لكم حزبُ

يزورُكُم قلبي بها مثلَ منطقي فلا الغِشُّ مخشيٌّ عليها ولا الخِبُّ (٤)

وأمدحُ مَن أعطاكُمُ مِن لسانِهِ وأرضاكُمُ مَن قلبُه بِكُمُ صبُّ

فلا تعدَموا منها عرائسَ عُطَّلًا لها من أياديكم قلائدُ أو قُلْبُ (٥)

اذا مشتِ الأقرانُ حولَ خريدةٍ فوَحدتُها في الحسنِ ليس لها تِربُ

أجُدُّ بها والطبعُ يُجرِى خلالَها طُلاوةَ رَقراقٍ تُرى أنها لِعبُ

وغيرُكُمُ يرتاب بي إن مدحتُه لعرفانه ألّا يحِلَّ لها الغصبُ

فأرفعُه بالفعلِ لو كان فاعلا وقد خَفَضَتْهُ من نقيصتِه رُبُّ (٦)

يُساءُ كأنّى بالثناء أسبُّهُ لعمرُ أبي إنّ النفاقَ هو السبُّ

---

(١) الخِلب : حجاب الكبد . (٢) اللسّة : أخذ الدابّة النباتَ بجحفلتها . (٣) كذا بالأصل وفى النسخة المطبوعة .

* له ركنُ عزّ أو تقصّر له طنبُ *

(٤) الخبّ بفتح الخاء وكسرها : الخداع ، وفى الأصل "الحب" وهو تحريف . (٥) القُلْبُ : السوار . (٦) ربُّ لغةٌ فى ربَّ ، والبيت مكتظٌّ بكثير من التورية النحويّة .

*
* *

وقال فى سمكة

وكالرقمِ يحسَـــبه من قـــرا ويُعرَفُ ممَّنْ إذا مَن كُتبْ
من البَهْمِ لو طَلَب النطقَ ضلَّ وفى الأنبياء إذا ما طُلِبْ (١)
يبادر خيـلَ الوغى الدُّهمَ والـ ـوراد (٢) بشهباءَ (٣) تُجــلِى الشهبْ
بحيث تُرَى مخطفاتُ (٤) الحــديـ ـد يضعفن عن مرهَفات القصَبْ (٥)
إذا ما تَردَّى (٦) نجـا سالمـا ويُقعص (٧) إن قام أو إن وثبْ
يكون بدرعٍ فيلقَى وإنْ تسربلَ درعينِ لاقَى العطبْ (٨)

*
* *

وقال فى سُمَارِيَّة (٩)

وجاريةٍ فى مجَـارى الحيـاةِ خلعت (١٠) عليهـا رداء الشبـابِ
وحَلَّيْتُهَا حِليــةَ المشــرفى فوق حمـائلهِ والقـراب

---

(١) يريد بالبَهْـم البهائم ، وسمّيت بذلك لما فى صوتها من الإبهام ، ويسـتوى فيها كلّ ذات أربع قوائم من دوابّ البر والمـاء . ويريد بقوله "وفى الأنبياء" سورة "الأنبياء" فى القرآن الكريم وما تضمّنته حكاية عن سيدنا "يونس" عليه السلام من قوله تعـالى : (وَذَا ٱلنُّونِ إذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً) الآية .
(٢) الدهم : السود ، والوراد : الحمـر . (٣) "بشهباء" أى "بدرع بيضاء" وهى كناية عن إهاب النون لبياضه وللمعان ما عليـه من قشور تظهر كالنجوم لناظرها . (٤) مخطفات الحديد : لعـله يريد بمخطفات الحـديد الشصوص جمع شِصّ وهى حديدة عقفاء يصاد بها السـمك [صِنارة] .
(٥) القصب : عروق الجناح وعظامها ، ويريد بها "الزعانف" وهى أجنحة السمك وغيرها مما يدافع بها عن نفسه . (٦) اذا ماتردّى : اذا ما سقط فى اللجّة واتخذ سبيله فى البحر سربا . (٧) يقعص : يقتل رغم أنفه . (٨) يريد أن هذا الحوت يلقى كل ما ينتابه بدرعه أى بإهابه لمتانته حتى اذا لبس درعين — كناية عن إهابه وعن الشبكة التى يحيطه الصـيَّاد بهـا — فانه يلاقى الموت والهلاك .
(٩) سُمَارِيَّة : نوع من السفن الصـغيرة تركب فى الأنهـر . (١٠) بالأصـل "جَلَتْ" .

إذا غادةٌ منعتْ وطأَها ... تبطَّنتُ منها ذلولَ الركابِ
وخرَّقَ ما تحته ظهرَها ... كما تَخرقُ الشمسُ ثوبَ السحابِ
وأحمدُ من جسمها أنه ... كريمُ العظام لئيمُ الإهابِ (١)

* * *

وقال فى الدفاتر

وصفحةِ وجه من وجوهٍ عَلِقتُها ... أراعِى خدوشًا فوقها ونُدوبا
تَعرَّضُ لى والغانياتُ صَوادفٌ ... فأذكُر أصداغا لها وتَرِيبا
أكونُ حليما تارةً ما اجتليتُها ... وَقُورًا وأحيانا أكون طَروبا
ويُعجِبنى منهنّ أنّىَ لا أرى ... حبيبا لقابى أو أراه قريبا
سَبَتنى بألفاظِ الرجال وطابَ لى ... جَناها ولم تنطقْ ولم أَرَ طيبا
فأودعتُها ما أودع اللهُ مهجتى ... جلابيبَ خيطت لاتُقِلُّ جيوبا
تُقصِّر عن أقدامِها ورءوسِها ... وتملأ أصلابا لها وجُنوبا
إذا عُرِّيتْ منها وَقتْها عيوبَها ... وإن أُلبِسَتها لم توارِ عيوبا

قافيـة التـاء

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم يمدحُه ويذكُر ظفرَه بعدوٍّ كان يناوئه ويهنّئه بمهرجان سنة إحدى عشرة وأربعمائة

ما أنكرتْ إلا البياضَ فصدّتِ ... وهى التى جَنَتِ المشيبَ هى التى
غَرّاءُ يَشْعَفُ قلبَها فى نحرِها ... وجَبينِها ما ساءنى فى لِمَّتى
لولا الخلافُ وأخذُهنّ بدينه ... لم تكلَف البيضاءُ بالمُسودَّةِ

(١) إشارة الى بياضها وسواد جرمها .

أأنستِ حين سَريتِ فى ظَلمائها ... ونفرتِ أن طلعتْ عليـك أهِلَّتى ؟
ولقدعلمتِ ـ وعهدُ "رامةَ" عهدُنا ... فَتيين ـ أنِّى لم أشبْ من كَبرة
وإذا عددتِ سنِيَّ لم أك صاعدا ... عَددَ الأنابيب التى فى صَـــعدتى(١)
أَجَنيتُهـا من خَـلَّةٍ(٢) فى مَفـرِقى ... فتكونَ عنـــدكِ قادحا فى خُلَّتى(٣) ؟
نَكِروا ـ فلا عَرَفوا ـ "برامةَ" وقفةً ... مَيـــلاءَ نادتهـا الديارُ فلبّتِ
وألام فيكِ وفيكِ شِبتُ على الصِّبا ... يا جَورَ لائمتى عليـــك ولِمّتى
وحننتُ نحـوكِ حَنَّـةً عربيّـةً ... عِيبت، وتُعذرُ ناقةٌ إنْ حنَّتِ
ماذا على الغضبانِ ؟ ما آسترفدتُه ... دمعا ولا آســتوقفتُه من وقفـتى
أبغى الشـفاءَ بذكره مِن مُسقِمى ... عجبـا لمن هـــو علّنى وتعلّتى !
يا هلْ لليلاتٍ "بجَمـعٍ" عودةٌ ؟ ... أم هل الى وادى "مِنًى" من نظرةِ ؟
والحاصباتِ، وكلُّ موقع جمـرةٍ ... يَنبـذْنَها فى القلبِ مَوقِدُ جمـرةِ
ومِن المحـرَّم صـــيدُهنّ خليعةً ... طابت لهـا تلك الدماءُ وحَلَّتِ
حكمتْ عليـك بقلبِ ليثٍ مُخدِرٍ ... ورنتْ اليـك بعـين ظبيٍ مُفلِتِ
ورأيتُ أمَّ الخشفِ تَنشُـد بيتها ... أفأنتِ تلك سرقتِ عينَ الظبيـةِ !
نَشَطُوا عن الركب الحبالَ فنفَّروا ... سكَناتِ أضـلاعى بأوّلِ نفـرةِ
رفعوا القبابَ، وكلُّ طالبِ فتنة ... يرنو اليـك وأنتِ وحدكِ فتنتى
لا آســتوطأَتْ منّى مكانَك خُلَّةٌ(٤) ... كلُّ الفـؤاد نصيبُ ذاتِ الكِلّةِ(٥)

---

(١) الصعدة: القناة. (٢) الخَلَّة: الحاجة. (٣) الخُلّة: الصداقة. (٤) الخُلّة: الخليلة. (٥) الكِلّة: الستر الرقيق أو غشاء يُتوقَّى به من البعوض [ناموسيّة].

* * *

يامن يلوم على آجتماعى قاعـدا ... والأرضُ واسـعة الفُروجِ لنهضتى

ويَرَى الرجالَ وكلُّهم متكـثِّرٌ ... بصحابةٍ فيـلومنى فى وَحْـدتى

أُعْذُرْ أخاكَ فما تهجَّر مُشمِسا ... حتى تقلَّص عنـه ظلُّ الدَّوحةِ

كيف آعترافى بالصديق وكيف لى ... بالفـرق بين محبتى من بغضـتى ؟

وقـلوبُ أعدائى الذين أخافُهـم ... مغـلولةٌ لِىَ فى جسـوم أحبَّـتى

رقَصَ السرابُ فراقنى من راقصٍ ... كَشَرتْ مودّتُه وراءَ الضَّـحكةِ

ورأيتُ فاغرةً ظننتُ كُشـورَها ... طلبًـا لتقبيلى فكان لنهستى (١)

وَلَدَ الزمانُ الغـادرين فما أرى ... أمَّ الوفاء سـوى المِقـلِّ المُقْلِتِ (٢)

وهُزِلتُ أن سَمِنَ اللئامُ وإنما ... ذلُّ المطـامع حزُّ عِزَّةَ جَوْعتى

ولكلِّ جسمٍ فى النحول بليَّةٌ ... وبلاءُ جسمى من تفاوتِ همّتى

أمّا على كذبِ الظنـون فإنها ... صدَقتْ أمانٍ فى "الحسين" وبرَّتِ ٦٣

المجـدُ ألقحَ فى السماء سحابةً ... نَتَجَتْ به مطـرَ البـلاد فعمَّتِ

أَروَى على يَبَس الشفاهِ وبيَّضتْ ... كفّاه باردةً سـوادَ الحِـرَّةِ (٣)

متهلِّلا أعـدَى بخُضرة جـودِه ... جدبَ الرُّبَى من أرضهـا المغـبَرَّةِ

"بالصاحب" آنفتقتْ لنا ريحُ الصَّبا ... خِصـبا وغنى الساقُ فوقَ الأيكةِ (٤)

كُفِلَتْ بأُولَى مجـدهِ أيامُهُ الـ ... أخرَى فأحيَـا كلَّ فضـلٍ ميِّتِ

شَرفًا بنى "عبد الرحيم" فإنما ... تُجنَى الثمـارُ بقـدرِ طيبِ المَنبِتِ

لكُمُ قُـدامَى المجـدِ لكن زادكم ... هـذا الجَنـاحُ تحاُّقـا فى الذّروةِ

غدتِ الرياسـةُ منكُمُ فى واحـدٍ ... كَثُرتْ به الأعـدادُ لمّا قلَّتِ

---

(١) النهس : النهش . (٢) المقلت : المرأة لا يعيش لها ولد . (٣) الحِرّة : الحجارة السود . (٤) الساق : الحمام .

عَطَفتْ لكم يدُهُ وزَمَّتْ أنُفًا ... شُمًّا لغيـر خِشاشِـه ماذلَّتِ
لما تقلَّدها وكانت ناشزًا ... ألقتْ عَصاها للمقام وقَرَّتِ
موسومة بكُمُ فمَن تعلَّقْ بها ... دعواه يَفضحْهُ عِلاطُ(١) الوسمةِ
نِيطتْ عُراها منه بابنِ نجيبةٍ ... سهلِ الخُطَا تحتَ الخطوبِ الصعبةِ
يقظانَ يلتقطُ الكرى من جفنِه ... نظرُ العواقبِ واتقاءُ العِذرةِ(٢)
لا يطمئنُّ على التواكُلِ قلبُهُ ... فيما رعى إن نامَ راعى الثَّلَّةِ
تدجُو(٣) الأمور وعنده من رأيه ... شمس إذا ما جَنَّ خطبٌ جلَّتِ
ويُصيبُ مرتجلًا بأول خَطْرةٍ ... أغراضَ كلِّ مخمِّرٍ ومبيِّتِ
تَدمَى بنانُ النادمين وسِنُّهُ ... ملساءُ إثرَ ندامةٍ لم تُنكَتِ
ما ضمَّ شملَ المُلكِ إلا رأيُهُ ... بعد انتشار شَعاعِهِ المتشتِّتِ
حَسَرَ القذَى عن حوضِه وسقَى على ... طولِ الصدَى فشفَى بأولِ شربةِ
من بعد ما غمَزَ العدا فى عُودِهِ ... واستضعفوا قَدَمًا له لم تثبُتِ
ولربَّ بادئةٍ وكانت جذوةً ... كُمِلتْ ضِرامًا "بالحسينْ" وتمَّتِ
حاميتَ عنه بصولةِ المتخمِّطِ(٤) الـ ... ـعادى وهَدْىِ المستكينِ المُخبِتِ(٥)
وإذا عُرَى الحزمِ التقتْ عَلِقَ الفتى ... بمَدَى السريعِ على خُطَا المتثبِّتِ
إن الذينَ على مكانِك أجلبوا ... ضربوا الطُّلى(٦) بصوارم ماسُلَّتِ
طلبوا السماءَ فلا هم ارتفعوا لها ... شُلَّ(٧) الأكفِّ ولا السماءُ انحطَّتِ
وبودِّ ذى القَدَمِ القطيعةِ ماشيًا ... لو أنَّها سلِمتْ عليه وزَلَّتِ

---

(١) العلاط : سمة فى عرض عنق البعير، ومنه : لأعلُطنَّك عَلْطَ البعير . (٢) العِذرة : اسم بمعنى المعذرة . (٣) تدجو : تُظلِمُ . (٤) المتخمّط : الشديد الغضب . (٥) المخبت : الخاشع المتواضع وفى القرآن الكريم (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) . (٦) الطُّلى : الأعناق أو أصولها . (٧) شُلّ جمع أشلّ .

خان السُّرى رَكْبَ القِلاصِ وسُلِّمتْ (١) ... بُسُطُ الفلاةِ الى القُرومِ (٢) الجِـلَّةِ (٣)
يَفـديك مُرتابٌ بغلطَةِ حظِّه ... سَرَقَ السيادةَ من خِلالِ الفَلْتـةِ
ما رُدَّ يوما عازبٌ من عقـله ... إلا رأى الدنيـا به قد جُنَّتِ
قُبِضتْ يداه وما يبـالى سـائلٌ ... بَخِلتْ عليـه يدُ آمرئٍ أو شَلَّتِ
وأرى الوزارةَ لا يُعاصِـلُ (٤) نابَهـا ... حاوٍ سواك على آختلاف الرُّقيَـةِ
يرجوك رِيِّضُهـا لمـتنٍ مُزلِقٍ ... قـد قُطِّـرتْ (٥) فُرسـانُهُ فتردَّتِ
يشتاق ظهرُك صـدرَ مجلسها وكم ... شكَت الصدورُ من الظهورِ وضَجَّتِ
وإذا آلتفتُّ الى الأمور رأيتُهـا ... مذخورةً لك من خِلالِ تلفُّتى
فألٌ متى يامنت سـانحَ طـيرهِ ... صـدقَتْ عِيافتُهـا بأوّلِ زجرةِ
فهناك فآذكُرْ لى طريفَ بِشارتى ... بعـلاك وآحفَظْ تالدًا من صحبتى
لو شـافَهَ الصُّمَّ الجِـلادَ محـدِّثٌ ... عنكم بنى "عبد الرحيم" لأصغتِ
أو عُوِّضتْ بكم السماءُ وقد هوتْ ... أنوارهـا بَدَلَ النجـومِ تسلَّتِ
البـاذلون فـلو تُصافحُ راحَكم ... ريحُ الصَّبا وهى الحيا لآستحيتِ
والقائلون بلاغةً فلو آحتبَتْ ... أمُّ الفصـاحة بينكم لأذَمَّتِ (٦)
أَنِستْ بفاتحة الكتاب شِـفاهُكم ... ورزقتُمُ ظَفَرَ الكتّابِ المُسكِتِ

---

(١) القلاص جمع قَلوص وهى الشابّة من الإبل . (٢) القروم جمع قَرْم وهو الفحل من الإبل وقيل : السيد العظيم على التشبيه بالفحل وقد آجتمع كلاهمـا فى قول المتنبي :

ولكنّا نداعب منـك قَرْمًا ※ تراجعت القرومُ له حقاقا

أى نمازح منك سيدا عظيما صارت فحول الرجال بالنسبة اليه كالنياق بالنسبة الى فحول الجمال، وحقاق جمع حِقّ وهى الناقة التى سقطت أسنانها هرما . (٣) الجلّة جمع جليل . (٤) يعاصل : يعوِّج . (٥) قُطِّرتْ : ألقيت على قُطرها . (٦) لأذمّت : لأعيت وتخلفت .

لُكُم انحنى صَيَدى (١) وأعسلَ حنظلى ... للمجتنى وتولّدتْ حُوشِيّتى (٢)
وسجرتمونى (٣) منصفين مودّةً ... وبِرِفادةً يومَىْ رَخاىَ وشدّتى
أعشبتُمُ فَبطِنْتُ (٤) فى مَرعاكُمُ ... والدهرُ يقنعُ لى بفضلِ الجِرّةِ (٥)
أدعو وغابَ أبى وقلَّ عشيرتى ... فيكون نصرُكُمُ إجابةَ دعوتى
ومتى تقيّدُنى الليالى عن مدًى ... قُمتم فأوسعتم اليها خطوتى
عجِبَ المديحُ وقد عَمَمتكُمُ به ... من رَجعتى فيه عقيبَ أَليّتى
حَرّمتُه زمنا فكنتم وحدكم ... من بينِ مَنْ حَمَلَ الترابُ تحِلّتى
هو جوهرٌ، ما كلُّ غائصةٍ له ... بالفكر تَعلمُ ما مكانُ الدُّرّةِ
ويَصحّ معناه ويسلَمُ لفظُهُ ... ونظامُه، وهناك باقى العِلّةِ
كم خاطبٍ بأعزِّ ما تحوى يدٌ ... عذراءَ منه وعِرضُهُ دونَ ابنتى
ولقد زففتُ لكم كائنَ خِدرِهِ ... فكرمتُمُ صِهراً ووالىَ عُذْرَةَ
من كلِّ راكبةٍ بفضلِ عَفافِها ... والحُسنِ عُنْقَ العائبِ المتعنّتِ
عزّتْ فما عثَرتْ بغير معوّذٍ ... لعًا (٦) ولا عَطستْ بغير مُشمّتِ
أَمَةٌ لكم بجزيل ما أوليتُمُ ... وتُصانُ عندكُمُ صِيانَ الحُرّةِ
سلِمتْ على غَرَرِ الخلاف، ولادُها ... فى أُمّةٍ ووِدادُها فى أُمّةِ
مدّتْ الى "ساسانَ" (٧) ناشرَ عِرقِها ... وقضت لها "عدنانُ" بالعربيّةِ
يُصغى الحسودُ لها فيشكرُ أُذْنَهُ ... طربا ووَدَّ لغيظه لو صُمّتِ

---

(١) الصَّيَدُ : رفع الرأس كبرا . (٢) الحوشيّة : وحشىّ الكلام وغريبه ويريد أنه صار مولّدا بعد حوشيته . (٣) سجرتمونى : ملأتمونى، وفى الاصل "سحرتمونى" ولعله تحريف . (٤) بطنت : عظم بطنى من الشبع . (٥) الجرّة : مايفيض به البعير فيأكله ثانية . (٦) لعا : كلمة تقال عند العثرة دعاء بالانتعاش . (٧) ساسان : جدّ ملوك الأكاسرة الساسانية .

تَسِرى رفيقـةَ كلِّ يومٍ مؤذنٍ ... بسعادةٍ فاذا ألمَّ ألمَّتِ
تَروِى لكم عن "ذى القرون"(١) حديثَهُ ... قِدْماً ويحيى نشرُها "ذا الرُّمَّةِ"(٢)
أحمــدتُمُ ماضىَّ فى أمثالهـا ... ولئن بقيتُ لتحمَدُنَّ بقيَّتى

* * *

وقال فى غرض له

رعى الله يوم البين ظبيا أذمَّ لى(٣) ... بمـا أثَّر التــوديعُ فى وجَناتِهِ
تعاطيتُ إلا النــومَ بعــد فِراقِهِ ... كأنِّى عليــه مُسقَمٌ بحيـاتِهِ
وصرتُ أذمُّ الدهرَ فى الليل ما دجَا ... وعهدى به والليلُ من حسناتِهِ

* * *

وقال يرثى الصاحب بن عبد الرحيم و يتفجّع له

قِفَا نِضوَيْكما(٤) "بالغَــمْرِ" نسألْ ... حَفِيًّا(٥) أينَ مثوَى المكرماتِ ؟
وأىُّ ثرًى كريم العــرقِ سِيطَتْ(٦) ... به رِمَمُ المعـالى الدارسـاتِ ؟
وأينَ لذكرها تحتَ الغوادى ... مَطـارحُ أعظــمٍ فيهـا رُفاتِ ؟
وكيف تكوّرتْ بيَــدِ المنايا الـ ... ـغـزالةُ(٧) مَـــدْرَجًا للسافياتِ ؟
وإن أَصـــفَى(٨) مَزادُكما فَـُــدًّا ... بأذنبــةٍ(٩) هُنـالكَ مُـــترَعاتِ
أناملُ "للحســين" غَبرنَ حينا ... ضرائرَ للغيــوث المُــرزِماتِ(١٠)
ولُوذَا مُســنَدَيْنِ بجنب طَودٍ ... من المعروف عالى الهضبِ عاتى

(١) ذى القــرون : الإسكندر . (٢) ذا الرمة : اسم شاعر . (٣) أذمّ لى : أخذ لى عليه الذمّة . (٤) النضو : المهزول من الإبل وغيرها . (٥) الحفىّ : العالم يتعلم الشىء بأستقصاء وفى القرآن الكريم (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) . (٦) سيطت : خُلطت . (٧) الغزالة : الشمس ، والسافيات : الرياح تحمل ترابا . (٨) أصفَى : خَلَا . (٩) أذنبــة جمع ذنوب وهو الدلو . (١٠) المرزمات : المجلجلات بالرعد .

فــثَمَّ الجــارُ محمىُّ النَّــواحِى ... وثَمَّ الرِّعْىُ مكتهِلُ النباتِ
وثَمَّ الوجــهُ أبلجُ والمســاعى الـ ... ـكرامُ وثَمَّ حاجاتُ العُــفاةِ
قِفَــا فتنادَيا فلعــلَّ صــوتًا ... ســيزقو(١) أو يُصيخ الى الدُّعاةِ
وقولا : كيف يا حَنَشَ الرمالِ آخْـ ... ـتُدِعتَ واستَ من قَنَصِ الرُّقاةِ ؟
مَن الحاوى الذى انترعتْ يداهُ ... نيوبَ العــزِّ من تلك اللَّهاةِ ؟
لعمرُ العاطفين اليــك ليــلًا ... لنعمَ أخو العشــايا الصالحــاتِ
ونِعمَ عدوّ مالكَ كنت فيهــم ... وخصبُ الحالبــاتِ الرابحــاتِ
ومأوَى كلِّ مُطَّــردٍ تُرامى ... به الأخطــارَ أيدى النائبــاتِ
لِمَنْ خيــلٌ تُضــمَّر للسرايا(٢) ... وفُرسانٌ تُخَمَّــر للبَيــاتِ ؟
وأنــديةٌ وأروقــةٌ رحابٌ ... تَضُمُّ بدائدَ الفضــلِ الشتــاتِ ؟
ومَنْ للمحكَماتِ من القــوافى ... تطــيرُ بهنَّ أجنحةُ الرُّواةِ ؟
ومَنْ لى يَزحَمُ الأيّامَ عــنّى ... وقــد هجمتْ علىّ مصمِّماتِ ؟
ويجــذبُ من يد الزمن المُعاصى ... بأضــباعِى(٣) الى الزمن المُواتى ؟
ومَن ذا قائــلٌ : خذْ أو تحكَّمْ ؟ ... إذا أنا قلتُ : هَبْ ، أو قلتُ : هاتِ
وما أنا والعــزاء وقد تقضَّتْ ... حيــاةٌ تُســتَمَدُّ بها حيــاتى
يُعنِّفُ فيك ـ أنْ صُدِعَتْ ضلوعى ـ ... خَلِىُّ القلبِ من تلك الهَنــاتِ
كأنّى فيــك أُبعَثُ بالتأسِّى ... على جزعى وأُغــرَى بالعظاتِ
رزئتُــك أطولَ الرجلينْ باعا ... وأمضَى الصارمينْ على العُــداةِ
وأوفَى من سِراج الأفق نوراً ... إذا الأيّام كانت داجيــاتِ

(١) سيزقو : سيصيح . (٢) السرايا جمع سَرِيَّة وهى قطعة من الجيش . (٣) أضباع : جمع ضبع وهو العضــد .

كأنى قبلَ يومِك لم أُفزَّعْ بصائحةِ العشىِّ ولا الغَداةِ
ولم تُطرَفْ بفاجعةٍ لحاظى ولم تُقرَعْ بمَرْزِئةٍ(١) صَفاتى
بكيتك فى العُناةِ لحين قالوا: قُتِلتَ، ووددتُ أنّك فى العُناةِ(٢)
أصاب السيفُ منك غِرارَ(٣) سيفٍ وحُطَّ بك الفُراتُ الى الفُراتِ
فلا زالت هى البُتْرُ(٤) النَّواتى(٥) سيوفٌ أسلمتك الى النَّواتى(٦)
ذوائبِ أسرتى وكرامِ صَحبى وإخوةِ شِدَّتى وبنى ثِقاتى
هوت «بالصاحب» القِرطاتُ(٧) منّى فَرُحْتُ بعاطلاتٍ مُصْلَماتِ(٨)
لقد خُولستُ وُسطَى العِقدِ منكم به وخُدِعتُ عن أُحرَى القناةِ
فيا مطلولُ، بلَّ ثراك صبحًا صلاةُ الله تَتبعُها صلاتى
لقد واسيتنى فى العيش دهرًا فمالى لم أُواسِك فى المماتِ
عَسَى وبَلَى لنا لا بدّ يومٌ سيَقضِى فيك ممطولَ التِّراتِ
فإن أجزعْ فماضٍ كلُّ ماضٍ وإن أصبِرْ فآتٍ كلُّ آتِ

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى الحسن المختار بن عبد الله الذهبىّ الكاتب، يذكُرُ سروره بمودّتِه من بين الإخوان، وقد سأله ذلك

دعْها تكنْ كالسَّلَفِ(٩) من أخَواتِها تَجرِى بها الدنيا على عاداتِها
ما هذه يا قلبُ أوّلُ عثرةٍ قذَفتْ بك الأطماعُ فى لهَواتِها
هى ماعلمتَ، وإن ألمتَ لفضلةٍ من ثِقلِ وطأتِها وحدّ شَباتِها

(١) المرزِئة: المصيبة. (٢) العناة جمع عانٍ وهو الأسير. (٣) الغرار: الحدّ.
(٤) البُتْر: المقطوعة. (٥) النواتى: المتمايلة ضعفا. (٦) النّواتى: الملاحون.
(٧) القِرطات: القُرط ما يُعلّق بالأذن وجمعه قِرَطة والقرطات جمع الجمع وفى الأصل «الفرطات».
(٨) مصلمات: مقطوعة الآذان. (٩) السَّلَف: المتقدم، وسكّنت لامه للضرورة.

كم خطوةٍ لك فى المُنى إزليقةٍ (١) ... لم تنتصرْ بِلَعًـا على عثراتِهـا
وذخيرةٍ طفقتْ يداك تضمُّها ... والدهرُ خلفَك مولَعٌ بشَـتاتِها
ووثيقةٍ ألجأتَ ظهرَك مُسنَدًا ... بغرورها فسقطتَ فى مَهواتِها
لو كنتَ عند نصيحتى لم ترْتبِقْ (٢) ... بمشُـورةِ الآمالِ فى حلَقاتِها
وهَوًى أطعتَ أميرَهُ فى لذّةٍ ... متبوعةٍ لم تَنجُ من تَبِعاتِهـا
يبنى السفينَ اللامعاتِ سرابُها ... ويعُـدّ مخـدوعًا ترابُ فلاتِها
وفتاةِ قـومٍ لا ينامُ مُغـيرُهم ... رُمتَ اقتسارَهُمُ على خلَواتِهـا
شحذوا المُدَى لك دونها فركبتَها ... تغترُّ حتّى طِرتَ فى شَـفَراتِها
ويَمينِ جاريةٍ * سَلَكْتَ فى ... مســباحِها وذَهَبْتَ فى آناتِها (٣)
ما كانَ قبلَكَ للحفاظِ شريعـةٌ ... فى دِينِها أبدًا ودِينِ لِداتِها
نظرتْ فكنتَ ضريبةً لحسامها ... ومشَتْ فكنتَ دَريئةً (٤) لقَناتِها
ومضيتَ تتبعُ وصلَها ولسانَها (٥) ... والرشدُ عند صدودِها ووشاتِها
نَمْ، قد سهرتَ فدونَ يومِ وفائِها ... ـ وهى التى جرّبتَ ـ يومُ وفاتِها
واشكرْ لها كشْفَ القِناعِ فإنها ... غَدرتْ فكانَ الغدرُ من حسناتِها
واذكرْ ما ربَّ غيرَها واعجبْ لها ... غصبتك آفتُهـا على لذّاتِهـا !

* * *

ومُلثَّمينَ على النِّفاق بأوجـهٍ ... صُمٍّ يصـيحُ اللؤمُ من قَسَماتِها (٦)

---

(١) إزليقة : لم نعثر على هـذه الكلمة ولعله يريد بها " زلّاقة " . (٢) لم ترتبق : لم تُدخِل رأسك فى الربقة وهى عروة فى الحبل الذى يشدّ به البهم وقد تقدّم . (٣) هكذا ورد بالأصل رسمًا وشكلا ولم نوفق الى صحة وزنه ولا الى اكتناه ألفاظه ومعناه . (٤) الدريئة : الحلقة يُتَعَلَّم الطعن عليها . (٥) لسانها أى المتكلم عنها و يريد به الواشى . (٦) القَسمات جمع قَسِمة بفتح السين وكسرها : الوجه ، أو ما بين الوجنتين والأنف .

صبغوا الوفاءَ بياضَه بسوادِه ... والمكرماتِ هبوبَها بسُباتِها

متراهنين على الدنيّـةِ أحرزوا ... غاياتِها وتناهبوا حَلَباتِها

ورِثَتْ نفوسُهُمُ خبائثَ أصلِها ... لؤمًا وزادت دِقَّةً من ذاتِها

أيدٍ تجفُّ على الربيع وألسنٌ ... سَرَقَ السرابُ الإفكَ من كلماتِها

يَصِفُ المودّةَ بشرُها ووراءه ... بِشرُ الزجاج يشِفُّ عن نيّاتِها

دَسُّوا المَكايدَ فى مواعدَ حُلوةٍ ... كانت عقاربَ والكِذابُ حُماتِها (١)

خِلَقٌ إذا حَدّثت عن أخلاقِها ... فكأنما كشَّفتَ عن سَوْآتِها

لله آمالٌ أَرَقتُ دماءَها ... فيهم فلم يتعلّقوا بدِيَاتِها

وكرائمٌ ولَّيتُ فَضَّةَ عُذْرِها (٢) ... منهم سوى أكفائِها وكُفاتِها

غُرٌّ أهنتُ على اللئام كرامَها ... وأبحتُ أبناءَ العُقوقِ بناتِها

أهملتُها فيهم سُدًى مظلومةً ... تبكى أراجزُها على أبياتِها

يتناكرون حقوقَها من بعد ما ... عُلِطوا على أعراضهم بِسِماتِها (٣)

من كلّ مفتوحٍ اليها سمعُهُ ... مضمومةٍ كفّاه دون صِلاتِها

يَهوَى العُلا فاذا ارتقى لينالها ... ردّاه حبُّ الوفرِ من شُرُفاتِها (٤)

حيرانَ يتبعُ مِن أخيه ونجلِه ... ما يتبعُ الأصداءَ من أصواتِها

مَن عاذرى منهم ومَن لحرارةٍ ... أَشرجتُ أضلاعى على جمراتِها ؟ (٥)

ولُحُطَّةٍ خَسْفٍ عصبتُ بِعارِها ... رأسَ العلا وحططتُ من درجاتِها ؟

أنا ذاك جانيها فهل أنا آخذٌ ... غيرى بها وهو الذى لم ياتِها ؟ (٦)

---

(١) حُمَات جمع حُمَةٍ وهى إبرة العقرب تَضربُ بها . (٢) العُذْر : البكارة . (٣) عُلِطوا : وُسِموا . (٤) ردّاه : أسقطه . (٥) أشرجت : جمعت أشراجها والأشراج : العُرى .

(٦) ياتها : يأتها وقد سهّلت الهمزة .

يا حظُّ ما لك ؟ لا أقالك عثرةً … جارى الحظوظِ وغافرٌ زلّاتِها
كم أشتكيك وأنت صِلُّ حَمَاطَةٍ (١) … لا يطمعُ الحاوونَ فى حيّاتِها
عيشٌ كَلَا عيشٍ ونفسٌ ما لها … من مُتعةِ الدنيا سوى حسَراتِها
وتودّ حين تودّ لو ما بُدّلتْ … أحبابَهَا من جَورها بعُداتِهَا
ويزيدها جَلَدا وفرطَ تجلّدٍ … بين العدا الإشفاقُ من إشماتِها
إن كان عندك يا زمانُ بقيّةٌ … ممّا يضامُ بها الكرام فهاتِها
صبرا على العوجاءِ من أقدارِها … لا بدّ أن تجرى الى ميقاتِها
ولعلّها بالسخط منك و بالرضا … أن تستقيمَ طريقُها بحُداتِها
كم مثلها ضاقتْ فحَلّل (٢) ضِيقَها … يومٌ ولم يُحسبْ جَلَا غَمَراتِها
ولقد كنزتُ فهل علمتَ مكانهُ … من صفوِ أيّامى ومن خيراتِها ؟
خِلًّا تخلَّلَه ارتيادى واحدا … صحّتْ به الدنيا على عِلّاتِها
غلِطتْ به أمُّ الزمان فأنجبتْ … فيه وخابت فى بنى عَلّاتِهَا (٣)
لى منه كالئةُ العيون وبسطةُ الـ … أيدى الثقاتِ اذا عدمتُ ثِقاتِها
وقرابةُ الأخِ ، غيرَ أنّ مسافةً … فى الودّ لم يبلغ أخى غاياتِهَا
مِن ما نِعى حَرَمِ الإخاءِ ونافضِى … طُرُقِ الوفاءِ فمُحرِزى قصَباتِها
والسالمين على تلوّنِ دهرهم … وتحوّلِ الأشياء عن حالاتِهَا
واذا الأكارعُ والزعانفُ عوّروا … من خلّةٍ كانوا مكانَ سَراتِهَا
نبّهتُه ومن العيون غضيضةٌ … حولى وأخرى كنتُ أختَ قَذاتِها

---

(١) الحماطة شجرة التين أو الجمّيز وعشبة خشنة المسّ . (٢) حلّل : فرج . (٣) بنو العَلّات : بنو أمّهاتٍ شتّى من رجل واحد ، واحدتها "عَلّة" وهى الضَّرّة .

فأثرتُ منه أبا الشبول(١) فمالت الـ(٢) ... أرماحُ تَدعَسُه(٣) على غاباتها
ملآنَ من شرفِ السجيّة، نفسُه ... تحوى الفضائلَ عن جميع جهاتِها
منقادة للمكرمات، وأنفسٌ ... تدَعُ العلا وتُقادُ فى شهواتِها
ما آختارت المختارَ لى إلا يدٌ ... وثِقتْ لمُغرِسها بطيبِ جَناتِها
لله خائلةٌ رأيتُ ودادَها ... بدلالة التوفيقِ فى مِرآتِها
رَدَّ الزمانُ به شبيبةَ عيشتى ... بعد آشتعال الشَّيبِ فى شَعَراتِها
وتسوّمت غُرًّا محجَّلةً به ... أيامُ دهرٍ قد نكِرتُ شِياتِها
كم خَلَّةٍ داويتُها بدوائها ... منه ونعمَى كان من أَدَواتِها
وملمّةٍ وَلِىَ الزمانُ فُتوقَها ... منّى رقعتُ به وسيعَ هَناتِها
مِن حاملٍ صُحُفَ الثناء أمانةً ... لا يستطيعُ النَّكثُ(٤) قرعَ صَفاتِها
شكرا كما ضحكتْ اليه مَجودةٌ(٥) ... "بالحَزْنِ" باقى الطلِّ فى حَنَواتِها(٦)
يغدو فينقُلُ ثِقلَها بسكينةٍ ... فى سَمْتِها(٧) هَدْىٌ وفى إخباتِها(٨)
طَبٌّ بعلم فُروضِها وقُروضِها ... حتى يؤدِّيَها على أوقاتِها
أبلغ "أبا الحسَن" التى ما بعدها ... مرمًى لغالبةِ المنى ورُماتِها
عنّى: مُغلغَلَةً تُسِرُّ حديثَها ... أمَّ الكواكبِ(٩) أو أعيرَ صِفاتِها
مِن منبع الحُلوِ الحلالِ اذا غدا ... مِلحُ القرائح ذاهبا بفُراتِها
لو نازل الرُّهنانَ(١٠) حطَّ قِنانَها(١١) ... فصبت اليه وحلَّ من عَزَماتِها

(١) الشبول جمع شبل وهو آبن الأسد. (٢) بالأصل "تمالت" وهو تحريف. (٣) تدعسه: تدفعه. (٤) فى الأصل: "النَّكَثُ". (٥) مجودة: ممطورة. (٦) الحنوات جمع حنوة وهى العطفة. (٧) السمت: السير على الطريق بالظن. (٨) الإخبات: خروج القوم للخبت وهو المطمئن من الأرض. (٩) أمّ الكواكب: الشمس. (١٠) الرُّهنان: اسم موضع ولعله مشهور بقنان جباله. (١١) قِنان جمع قُنّة وهى قلة الجبل.

(٦٧)

يَجزيك عن كسبِ العلاءِ وحبِّه ... ما تَنطقُ الخرساءُ بعدَ صُماتِها (١)

وتردُّ أعراضَ الكرام كأنّها ... يمنيَّــةٌ تختالُ فى حِبَراتِها (٢)

ثَمَنا لودِّك، إن يكن ثمنًا له ... بذلُ القوافى فيك مكنوناتِها

تسخو به لك من نَخيلةِ سرها ... نفسٌ تَرى بك ما تَرى بحياتِها

***

وقال وكتب بها الى أبى قَوامٍ ثابتِ بنِ علىّ بن مزيدٍ يتنجّزه وعدا وذلك فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة

خصيماى من "ظمياءَ" واشٍ وشامتُ ... وحظّاى مظنونٌ لديها وفائتُ

وقلبى لها وحشيَّةٌ ضلَّ خشفُها ... تُطاولُ تَبغيـهِ الرُّبا وتُلافتُ

مضت ليـلةٌ تقتصُّه بعـدَ ليلةٍ ... ويومٌ تداجيه الشخوصُ الثوابتُ

تناشدُ عنه النجمَ : أين طريقُهُ؟ ... تحارفُه طَورا وطَورا تسامِتُ (٣)

ولا هو منها حيث يُجمَعُ شاردٌ ... ولا يُرتَجَى للعَـودِ إن عاد فالتُ

سوى أنها مرّت بماءِ سُوَيقةٍ (٤) ... سُحَيرا (٥)، ورامٍ بالشريعـةِ بائتُ

على يده للرزق أذلغُ (٦) أحرسٌ (٧) ... وضَلعاء (٨) فوها ساعةَ النزع صائتُ

يقوت شِعاثًا (٩) مقترين (١٠) بفضلها ... أطابت له أو جانبتـه المَقاوتُ

فما رابها إلا دمٌ ونُويرةٌ (١١) ... ومنتقياتٌ (١٢) ــ من عظامٍ ــ رَفائتُ

---

(١) الصُّمات : لغة فى الصُّموت وهو السكوت . (٢) حبراتها بكسر الحاء وفتحها جمع حِبَرة : ضرب من برود اليمن . (٣) تسامت : تقابل وتوازى . (٤) سويقة تصغير ساقية . (٥) سحير تصغير سحر . (٦) الأذلغ : متشقق الشفتين ويريد به السهم، وفى الأصل "أذلع" . (٧) الأحرس : القديم العادىّ الذى أتى عليه الحَرْس أى الدهر . (٨) الضلعاء : القوس المعوجّة . (٩) شعاثا : غُبْر الرءوس . (١٠) مقترين : معسرين . (١١) نويرة تصغير نار . (١٢) منتقيات : أُكلَ نِقيُها وهو مخّها .

فعادت تُماشى اليأسَ موضعَ ظلّه ... وللحَيْن ـ لو أغنى الحذارُ ـ مَواقتُ
وخبّرنى السُّفّارُ أن قد تبدّلت ... فقلت : حديثٌ مضحكٌ وهو كابتُ (١)
أسدَّ مكانى فى الهوى مَنْ تعوّضتْ ؟ ... مـدًى وأبيها بيننا متفاوتُ !
أمِنْها خيالٌ والجُنوبُ خوافقٌ ... بجانب "خَبْتٍ" (٢) والجفونُ خوافتُ ؟
طوى الليلَ نجمًا وهو يستثقلُ الخُطا ... بساهلة الأرداف ثم يعانتُ (٣)
فبتنا به فى ضَوعةٍ وإنارةٍ ... وبانُ "اللّوى" خزيان والبدرُ باهتُ
نرى أن فأرَ (٤) المسك تحتَ رحالنا ... فتائقُ من أردانه وفتائتُ
سل الخِيمَ (٥) بالبيضاء من جانب الحمى : ... أتُجمَعُ أوطارى بكنّ الشتائتُ ؟
وهل لطريدٍ سلّه الدهرُ مُدرَكٌ ... فتُعقَلَ لى ليلاتكنّ الفَلائتُ ؟
اذ العيشُ حىٌّ والزمانُ مراهق ... فتىٌّ وريحانُ البطالةِ نابتُ
تلوّنَ رأسى صِبغَتين فميّتٌ ... وذو نبّةٍ أو لاحقٌ متماوتُ
وأمست على أيدى الغوانى حبائلى ... وهنّ بأطراف البنان بتائتُ (٦)
وما الدهرُ إلا داءُ همٍّ مماطل ... مدى العيش أو خطبٌ هجومٌ مُباغتُ
عذيرى من الإخوان لا أستشفّ مِن ... قلوبهمُ مَنْ وامقٌ لى وماقتُ
خِفافا الى ما ساءنى فمصالتٌ (٧) ... به أو مُداجٍ ، كيف لى لو يصالتُ ؟
جعلتُ الجفاءَ عُوذةً لىَ منهمُ ... وفى الناس أجساما قلوبٌ عفارتُ
وعلّمنى نَبذى لهم وتوحّدى ... بنفسِىَ أنّى فى التكثّر غالتُ (٨)

---

(١) كابت : محزن . (٢) خَبْت : من قُرى "زبيد" باليمن . (٣) يعانت : يشقّ عليه .
(٤) الفأر : النافجة وهو وعاء المسك . (٥) الخيم : اسم جبل . (٦) بتائت : مقطوعة .
(٧) المصالت : المضارب بالسيف . (٨) الغالت : الذى يغلط فى الحساب وقيل : الغَلَتُ فى الحساب ، والغلط فى القول .

سل السارحَ المخدوعَ أعجف مالَه   جَفاءُ السُّمِىِّ[1] والسنونَ السوانتُ[2] ،

توغَّل يرجـوها وتُخلِفُ ظنَّـه   مَنابعُ أكدَى ماؤها ومَنابتُ :

الى أين ؟ وآبن الغاضريّةِ[3] شاهدٌ   يغـرُّك نجـمٌ أو يدلُّك خارتُ[4]

تلقَّ الحيا من جَوِّهِ وآرعَ روضَـهُ   تَدرّ العجافُ أو تعيش المَوائتُ

ألا إنما بدرُ السماءِ آبن شمسها   وبدرُ بنى "عوفٍ" على الأرض ثابتُ[5]

فتًى، لا على الأعذارِ بالعهد ناكثٌ   ولا مَعَ فرط الجود للسنِّ ناكتُ[6]

يبيتُ خميصا جنبُـهُ ووسادُه   وطارقُهُ خِصبا كما شاء بائتُ

اذا الليلةُ الطُّولَى أمرّتْ وأيبستْ   فللضيف منه مُتمِرُ الليلِ رابتُ[7]

تَرَى مالَهُ ما سلَّه الجودُ لا التى   تناعرُ[8] حولها الحداةُ المَصاوتُ

رخىُّ البنانِ فى النوائب كلّما   أضبَّ[9] على المال الحسيبُ[10] المباكتُ[11]

تَهادَى نساءُ الحىِّ وصفَ حنانه   وتأباه فى الروع الرجال المَصالتُ[12]

ترى الحلمَ مشحونا وراء ردائه   اذا مرَّ ينزو الطائشُ المتهافتُ

فهل مبلغٌ عنى "خُزَيمةَ" ما وعى   حصاها البديدُ أو رُباها الثوابتُ ؟ : ٦٨

وَفَى لك مجدا ما تَعُدِّين فى "أبى   قَوامٍ" اذا خان الفروعُ النوابتُ

ولدتِ وأولدتِ الكبيرَ، ومثلُه   قليلٌ وأُمّاتُ الصقور مقالتُ[13]

سبقتَ فلم يعلَقْ غبارَك جامحٌ   وفتَّ فلم يملكْ صِفاتِك ناعتُ

---

(١) السمىّ جمع سماء وهو المطر . (٢) السوانت : المجدبة . (٣) الغاضريّة نسبة الى "غاضرة" : قبيلة من أسد . (٤) الخارت : الدليل الحاذق الذى يهتدى الى أخرات المفاوز وهى مضايقها وطرقها الخفيّة . (٥) ثابت : اسم ممدوحه . (٦) ناكت : قارع . (٧) الرابت الذى يضرب على جنب الصبىّ بيده لينام . (٨) تناعر : تصوّت . (٩) أضبَّ على المال : أخفاه وأمسكه . (١٠) الحسيب : الحاسب . (١١) المباكت : المستقبل غيره بما يكره . (١٢) المَصالت جمع مِصلت وهو الشجاع . (١٣) مقالت جمع مِقلات وهى التى تلد واحدا ثم لا تلد .

وجرَّبك الأعداءُ غمــزا وهِزّةً … فما خدَشتْ فى مَروتَيْك النواحتُ

فداك صــديقٌ وجهُــهُ، وفؤاده … مُعادٍ على دينِ المعالى مُعانتُ

يريك الرضا والغــلُّ حشو جفونِه … وقــد تنطقُ العينان والفمُ ساكتُ

طوَى بِغضةً فى جفنــه فهو باسمٌ … وفى فيــه ليثٌ كاشرٌ لك هارتُ (١)

أهبتُ بشِعرى فانبرت لك عيسهُ … بما حملتْ وهى الخُضوعُ الخَوابتُ

فعــادت بمــا أرعيتَها، ولِبَانُهــا (٢) … طَواعٍ (٣) على لىّ الحبــالِ ضواغتُ (٤)

ونادتك لُغواتُ (٥) السؤال فأفصحت (٦) … يداك وأيدى المــانعــين صوامتُ

وأوســعتنى مالّا أتى لم تُخَضْ له الـ … ـدياجى ولم تُنفَضْ عليه السَّبارتُ (٧)

وخُلْقًا كما شعشعتهــا ذهبيَّــةً … ”ببابلَ“ أهدتهــا اليك الحوانتُ

ولم تك ـ حاشا مجدِ نفسك ـ كأمرئٍ … تَصــامَمَ عنّى وهو للمدح ناصتُ

وقومٍ كأن الشّــعر فيهــم بليّــةٌ … أعرّت (٨) وعافتها الأكُفُّ الزوافتُ

فكن سامعا ما آمتدّ باعُك فى العلا … وسُرَّ محبٌّ أو تخيَّبَ شــامتُ

ثناءً، فمُ الراوى عليــك مســلّمٌ … به ومصــلِّى الشكر باسمك قانتُ

تزورك منه فى أوانٍ فروضها … قوافٍ لهــا عنــد الكرام مَواقتُ

يُفدْن الغنى أضــعافَ ما يستفدنَهُ … وهن بقايا والعطايا فــوائتُ

أقول لأيّامى : دعى لىَ أو خذى … فمــا أنتِ إلا المقبــلاتُ اللوافتُ

فلست أبالى مَن تزيَّل ركــبُهُ … ”وثابت“ لى على المودة ثابتُ

---

(١) الهارت : واسع الشدق . (٢) لبان جمع لَبون وهى الغزيرة اللبن . (٣) طواع جمع طاعية وهى الطائعة . (٤) ضواغت جمع ضاغتة وهى التى تلوك بأسنانها ونواجذها ، وفى الأصل ”طواعت“ . (٥) لُغوات جمع لُغوة كغرفة وهى اللغة . (٦) فى الأصل ”فأصبحت“ ولا معنى لها . (٧) السبارت جمع سبروت وهو القفر لا نبات فيه . (٨) أعرّت أي جاءت بالعرّ وهو الجرب .

* * *

وقال وكتب بها الى تاج الدولة أبى المكارم بن مُكْرَمٍ بعـد ٱنقطاعه عن مدحه وأنشده إياها فى عيد النحر

حمـاها بأطـــراف الرماح حُمـاتُهـا ... فـــلا حَفلُهـا منّـا ولا خَلواتُهـا
وذبّب(١) عنهـا من "عُقَيلِ بن عامرٍ" ... أراقمُ لا تَحْـــوى شَـــباها رُقاتُهـا
عشـــيرةُ مكلوءِ البيوتِ محصَّنٍ ... يَعِـــزُّ بنـــوها أن ترام بَناتُهـا
معودة طـــردَ العيـــوب غيوبُهـا ... اذا حفِظتْ عوراتِهـا أسَـــلاتُها(٢)
وحـــرَّم واليهـا الوُلوعَ بذكرها ... وإن عَتبت أخرى عليهـا سِماتُهـا
فهـــل مغـــمَزٌ فى جانبٍ من ورائه ... "سلامةُ" يا قلبى وهذى حَصاتُهـا(٣)؟
فكم فى بيوت "العامريّات" من هوًى ... يُنـاط كما نيطت بهـا خالفاتُهـا
ومثلُكَ أَسرَى لا يُسام فـــداؤها ... هـــوانا وقتلَى(٤) لا تُسـاق دياتُهـا
بلى لكَ منها فى الكرى إنْ وفَى الكرى ... وفى الريح حظٌّ إن جرت نفحاتُهـا
وليلٍ "بذى ضالٍ" قصـــيرٍ طويلُه ... على البُـدْن، تَطوى دَرجَه ناجياتُهـا
ترى العيسُ فى أجوازه بقـــلوبهـا ... الى قصـــده ما لا ترى لحظاتُهـا
بهـا من حنينٍ تحتـه ما بركبهـا ... وإن نطقوا الشكوى وطال صُمـاتُهـا
اذا الريح قرّت(٥) فاستهزّت ضلوعَهـم ... تصـــلَّوا(٦) بمـا تُذكى لهـم زفراتُهـا
سَرتْ بنشاوَى من مُعاقرة السُّرى ... وسائدُهـــم فـــوق الثرى رُكُبَاتُهـا
نضَوا ما نضَوا من ليلهـــم ثم هوَّموا ... غِرارا(٧) وقد خاط العيونَ سِناتُهـا(٨)

---

(١) ذبّب: دافع. (٢) أسلات جمع أسلة وهى مستدقّ اللسان. (٣) الحصاة: العشيرة القوية الكثيرة العدد. (٤) فى الأصل: "قَلبى" وهو تحريف. (٥) قرت: بردت. (٦) تصلّوا: استدفأوا. (٧) الغرار: القليل من النوم. (٨) سنات جمع سِنَةٍ وهى فتور يتقدم النوم.

علـى ساعةٍ جِنُّ الفـلاةِ ووحشُها   تريها الشخوصَ الزُّورَ عنا فلاتُها
تخطّت الينا "الغورَ فالعرضَ فالحمى"(١)   وما ذاك مَمشاها ولا خُطُواتُها
فبتنا لها فى نعمةٍ شُكِرتْ لها   وما هى جَدواها ولا أعطِياتُها
عواطفُ دُنيا فى الكرى لو أردتُها   علـى مثلها يقظانَ عَزَّ التفاتُها
فلم أرها وعند قومٍ أداتُها   من العيش إلا وهْىَ عندى أداتُها
سقى الله شرًّا دوحةً لى سَيالُها(٢)   وللناس مُلْقَى ظلِّها وجَناتُها(٣)
ولودا، ولِى من حظِّها بطنُ حائلٍ   معنَّسَةٍ(٤) شابت وشابَ لِداتُها ٦٩
أغامزُ منها صخرةً "إرميّةً"(٥)   تفُلُّ النيوبَ وهى جَلْدٌ صَفاتُها
وكيف تسامُ النَّصْفَ أمٌّ تلوَّنتْ   معارِفُها إن حُوشيتْ مُنكَراتُها
تُرِى الوكَلَ المغمورَ كُلَّ لحاظِها   وكُلُّ أخى الهمِّ البعيدِ قَذاتُها
هوت برءوس الناسِ سُفْلًا وحلَّقتْ   بأذنابها مجنوبةً طائراتُها
فعندك منها أن ترى ببُغاثِها(٦)   كواسبَ جوٍّ حُصَّ(٧) فيه بُزاتُها(٨)
ركبتُ من الأيّامِ ظهرَ ملوِّنٍ   صبائغَهُ(٩)، والخيلُ شتَّى شِياتُها
وقلَّبتها يوما فيوما مجرِّبا   فلا سوءُها يَبقَى ولا حسناتُها
سأحملها حتَّى تخِفَّ وُسُوقُها   وأحلُمُ حتى ترعوِى جَهَلاتُها
لعلَّ مميتَ الحظِّ يُحييه آنفًا   فإنَّ الحظوظَ موتُها وحياتُها
فلا يؤيِسَنْكَ صدُّها من وصالها   ولا مَطلُها من أن تَصحَّ عِداتُها
ألم تر مُلكَ "المكرَميِّين" نارُهُ   خبت غَلَطا ثم اعتلتْ وَقَداتُها

(١) الحمى وماقبله أسماء مواضع . (٢) السيال : نباتٌ له شوك . (٣) الجناة : كل ما يجنى كالجنى . (٤) الحائل : العقيم، والمعنّسة : التى طال مكثها ولم تتزوج . (٥) إرميّة نسبة الى إرم . (٦) البغاث جمع بغاثة : شرار الطير . (٧) حصّ : قصّ . (٨) بزاة جمع باز . (٩) فى الأصل "صبائعه" .

هفا الدهرُ فيهـم مستغرًّا بغـيره ... فخاضوا وشاكَتْ رِجلَه عَثَراتُهـا
بغى نقلَ ما أُعطُوا سـفاهًا ولم تكن ... هضابُ "شَرَوْرَى"(١) زائلا راسياتُها
هم السحبُ ملء الأفقِ والدهرُ تحتها ... جُفاءٌ اذا سالتْ به سائلاتُهـا
علا السيلُ حتى "الصينُ" يُفعَمُ بَحرُها ... فيطغَى وفى "بغدادَ" يجـرى فُراتُهـا
حمى "ناصرُ الدين" "العلاءِ" بعد من مضى ... فضُمَّتْ قَواصـيها ولُمَّ شَـتاتُهـا
وأضحى "بتاج الدولة" العزُّ مفـرِقا ... لهـا، نتلظَّى فوقـه خَرَزاتُهـا
وإن فروجا سدَّها مثـلُ سعيه ... لضيِّقةٌ أن تُرتَجى خَطَفَاتُهـا
رعاها أبو الأشـبالِ حتى دنا بهـا ... لهـا من شميمِ سَرحِها حسراتُهـا
أخـو عزماتٍ لا يُراع صـديقُها ... — كما لم ينم — ولا تنـام عُداتُهـا
كريمُ المحيَّـا رطبـةٌ قَسَماتُهُ ... اذا ما الليوثُ آستجهمتْ عابساتُهـا
على الصدرِ منـه هيبةٌ تملأ الحشـا ... ممـرَّرةٌ، أخـلاقـه محلياتُهـا
ومن رأيه فى الحربِ عَضبٌ وذابلٌ ... وما الحـرب إلا سـيفُها وقَناتُهـا
كريمٌ فما الأحسابُ إلا آقتناؤها ... لديه ولا الأموالُ إلا هِباتُهـا
اذا آعترضَتْهُ هِزَّة الجـود ساكنا ... نزت بالنـدَى فى كفّه نَزَواتُهـا
أفاد النـدَى فـلم تزل برياضـه ... رياحُ العـلا أو صَوَّحت شَجراتُهـا
من القوم فضُّوا عُذرة الأرض سادةً ... وشابت وهـم أربابُهـا وولاتُهـا
فمن حلمهـم أركانُهـا وجبالُهـا ... ومن جودهـم أمواهُها ونباتُهـا
وليسوا كمن جُنَّ الزمانُ برفعـه ... وجاءت به من دولةٍ فَلَتاتُهـا
ولا كذبا طارت به الريح طـيرةً ... فأقعصه أن طأطأتْ عاصفاتُهـا
ثقيلتُهـم والنفس يَكرُم أصلُها ... على عِرقها السارِى فتكرُمُ ذاتُهـا

(١) شرورى : اسم جبل .

بك اهتزَّ فرعاها وأينعَ ظلُّها … وطاب جَناها وانتهت بَركاتُها
جمعت لها شُذّانَ[1] كلِّ فضيلة … تعزّ على من رامها مفرَداتُها
فمن كان من قومٍ سَفًا[2] فى أديمهم … وزِعنفةً[3] تُزرَى فأنت سَراتُها[4]
لئن عَركتْ فى جنب طودِك نبوةٌ … من الدهر لا تُمحَى بعذرٍ هَناتُها
وهزَّ العِدا من حسنِ صبرِك صعدةً … فقد علِموا بالهزِّ كيفَ ثباتُها
وما كنتَ إلا الشمسَ، ليثَتْ جَهامةٌ … على خدِّها ثم انجلت غاشياتُها
تنصَّل منها الملكُ لمّا تبيَّنتْ … لعينيه أُخراها ومعتقِباتُها
وأبصرها شنعاءَ يبقَ حديثُها … ذميما ولا تبقَ له عائداتُها
فردّك ردَّ السيفِ فى الغِمدِ لم تُعب … مَضارِبُه إن ثُلِّمتْ شَفَراتُها
فكيف يَليقُ الحسنُ أوجُهَ دولةٍ … اذا عَدِمتْ تيجانَها خَرَزاتُها
رعى الله نفسا لا الغنى زادها عُلًا … ولا فقرُها حُطَّتْ له درجاتُها
معظَّمةً فى حدِّها وسنانِها … وسلطانُها لا ما حوتْ مَلَكاتُها
اذا قزعتْ[5] يوما من الدهرِ نكبةٌ … اليها، عَسَتْ[6] فلم تُسغْها لَهاتُها
وأنت الذى تُعْطى ـ وعامُك أشهبٌ ـ … عطاءَ رجالٍ خُضِّرتْ سنواتُها
مع الجود أنَّى مِلتَ غيرَ مصرِّفٍ … يمينَك إلا حيثُ شاءت عُفاتُها
أقلنى أقلنى جفوةً ما اعتمدتُها … وهجرةَ أعوامٍ خلَتْ ما ابتدأتُها[7] ٧٠
وسعياً بطيئا عن مقامى من العلا … لديك إذا الأقدام فازت سُعاتُها
فما كان إلا الحظُّ منكم حُرِمتُه … ودنيا كثيرٌ بالغنى فلتاتُها
تريد بنفسى كلَّ ما لا تريده … وتمنعها ما تقتضى شهواتُها

(١) الشذّان : ما تفرّق . (٢) السفا : الشعر الخفيف على الأديم وفى الأصل "شفى" .
(٣) الزعنفة : طرف الأديم كاليدين والرجلين . (٤) السراة : الظهر . (٥) قزعت : أسرعت .
(٦) عَست : اشتدّت وصلبت . (٧) يريد ما ابتدأتها .

وإنّى لكم ذاك الذى لا حبالُه ... تَرثُّ ولا يُخشَى عليه آنبتاتُها[١]
مقيمٌ على نعمائكم حافظٌ لها ... مُضِبٌّ[٢] على ما أوجبت حُرُماتُها
يُنقِّلُ قوما قربُهم وبعادُهم ... ونفسىَ لا تهفو بها مُبْـدِلاتُها
تحنُّ الى أيّامكم فى ذراكُمُ ... وتحْفزها من عهدكم مُذكِراتُها
وعندى لكم ـ إن أسخطتكم سوالفى ـ ... عوائدُ ، تُرضِى مجدَكم آنفاتُها
تسيرُ على عاداتِها بصفاتِكم ... طوالعَ تمشى بالعلا مُثقَلاتُها
نوازلَ فى عرض الفلا وصواعدًا ... تُرَدُّ على رَوْحاتِها غُدُواتُها
تُخالُ هواديها بنشرِ علائكم ... بُرودَ "زُبَيدٍ"[٣] نُشِّرتْ حِبَراتُها
يَقُصُّ بها تحت الظلام سميرُها ... وتَرجُزُكم وجهَ النهارِ حُداتُها
تَطرَّبُها الأسماعُ فيكم كأنما ... عزيفُ الملاهى ما تقولُ رواتُها
كأنّ الأولى دارتْ عليهم بيوتُها ... بنو نشوةٍ دارت عليهم سُقاتُها
مبشِّرة أيامَكم باتصالها ... ترِى الحسنَ قبلَ أن تُرَى أخرياتُها
خوالد ما لبَّ الحجيجُ وطوّفوا ... وعَجّتْ بسفحَىْ مكّةٍ عَرفاتُها
وما عقروها واجباتٍ جُنوبُها ... تَفَجَّر من لَبّاتها فاجراتُها
تزوركم الأعياد مجلوّةً بها ... تحلَّى بما صاغت لكم عاطِلاتُها
اذا لَعَنتْ قوما لئاما فإنما ... على ذكركم تسليمُها وصَلاتُها

* * *

وقال يمدح الوزير زعيم الدين الحسن فى المهرجان

أهفو لِعُلوىِّ الرياح اذا جرَتْ ... وأظنُّ "رامةَ" كلَّ دارٍ أقفرتْ
ويشوقُنى روضُ الحمى متنفِّسا ... يَصفُ الترائبَ والبروقَ اذا جرَتْ

(١) الأنبتات : الأنقطاع . (٢) المضبّ : الحريص . (٣) زبيد : اسم موضع .

متعلِّلات بعـــدَ طارقـــةِ النـــوَى أو أبرأت داءَ الجـــوى أو علَّتْ
يا دِينَ[(١)] قلبٍ من ليالى "حاجرٍ" مَكَرَتْ به فقضتْ عليـــهِ وٱنقضَتْ
ومَضـاجِعٍ "بالنَّعْفِ" بات يعـدُّها غُنما وأصـــبح ودُّه لـــو لم يبِتْ
ومليحةٍ لو أنصفتْ عينُ المها فى الحسن ماثنَتِ الصليفَ[(٢)] ولا رنتْ
بيضـاءَ من كِلَلِ الخـدور وربّمـا ذُكرتِ بداوةُ قـومِها فتسهَّمتْ
أخذَتْ وأعطتْ من ضياء الشمس ما ٱحـ ـتكمت فجمَّعتِ الجمـالَ ووفَّـرتْ
وكأنمـا وَلِيَتْ خَطائـطَ وجهِها يدُها فجاءتْ فى الكمالِ كما ٱشتَهتْ
ملكت على باناتِ "جَوٍّ"[(٣)] أمرَها فلها الإمارةُ ما ٱســـتقامتْ وٱنثنَتْ
فاذا أرادتْ بالقضـــيبِ مَسَاءَةً وتنقَّـــمَتْ جُرما عليـــه تأوَّدتْ
سنحتْ لنـا دون الغـدير فمـا سَقَى صفوُ الغـــدير وعذبُه مَنْ أعطشَتْ
ورَمتْ فَـلَولا أنهـا ثُعَلِيَّـةٌ[(٤)] قُلنـا : رأت ثُعَـلًا رَمى فتعلَّمتْ
غَدَرتْ فـلولا أنَّهـا نَذَرتْ دمى لم تعرِفِ النَّـذرَ الذى فيـــه وفَتْ
وعلى "النقا" والعيسُ تَحْفِـرُ فى النقا أخفافُها من ثِقـلِ ما قد حُمِّلتْ
حلَفتْ على قتـــلى فلمّـا أن رأت بدَماىَ باقيـــةَ الرِّماقِ تأوَّلتْ
أبشِرْ فانـك فى الحيـاةِ مخـــلَّدٌ يا من رأى يومَ "القليبِ" ولم يَمُتْ
وتشرَّفَتْ[(٥)] لتشبَّ جمـــرةَ صـــدرِهِ بنتُ الأراكِ[(٦)]، وهل تُشَبُّ وما ٱنطفتْ؟
وُرقاء ذكَّرها الحـــداةُ هوًى لهـا طـارت ألائفُهـا[(٧)] به فتذكَّرتْ
هتفتْ على خضراءَ، كيف ترنَّمتْ من فوقِها مالت بهـا فترنَّحتْ

(١) الدين الداء ومنه * يادينَ قلبكَ من سلمى وقد دينا * (٢) الصايف : عرض العنق .
(٣) جو : اسم لناحية اليمامة . (٤) ثعلية نسبة الى ثعل وهو أبو قبيلة مشهورة بالرمى .
(٥) ٱرتفعت فوق الشرف وهو الجبل . (٦) يريد ببنت الأراك "الحمامة". (٧) الألائف : الألّاف .

لو كان ينجو من علاقاتِ الهوى   شيءٌ لضُعْفٍ أو لمَرحمةٍ نَجتْ
ولقد طربتُ كما حزنتُ لصوتِها   فشككتُ هل غنَّت بشجوٍ أو بكتْ
قف يا أخا الملهوف وقفةَ مُرسَلٍ   حملَ الأمانةَ هَضبةً أو أُدِّيَتْ
وآجهَرْ بصوتك للتى لو خاطبتْ   فى السرِّ أوعالَ القِنانِ لأسمعتْ
(٧١) وقلِ التحيةَ والسلامَ وحاجةً   من بعدِ أن خابت وإن هى أُنجِحتْ
يا أختَ "سعدٍ" فيم بات معذَّبا   قلبى عليك كأنما عينى جَنتْ؟
رُدِّى الفؤادَ علىَّ فهو وديعةٌ   مضمونةٌ مغرومةٌ إن ضُيِّعتْ
إن كان ظنُّكِ بالخيانةِ والقِلَى   أن يشمَتَ اللاحِى عليك فقد شَمِتْ
وعميّةِ الأوضاحِ خرساءِ الصدَى(١)   عَشِيَتْ على ضوءِ الصباحِ وأظلمتْ
مَرَدَتْ على عينِ الدليلِ ورأيِهِ   فتخالُه فيها أضلَّ بما خَرَتْ(٢)
تتغايرُ البَوْغاءُ(٣) تحتَ شميمِهِ   فيها ويُنكَرُ صوتُهُ والمُلتَفَتْ
مركوبةٍ، جَوْبُ المهارى جوُّها   غَرَرُ المقامرِ فيه أخْسَتْ أوزكتْ(٤)
واذا الركابُ آستيأستْ فى جَهلِها   كيف النجاءُ توكّلتْ وآستسلَمتْ
داوستُها أبغى العَلاءَ بهمّةٍ   لو شاورت أمَّ الشقيق لمَا سَمتْ
تفلى على الكرماء تنفضُ منهمُ   طرقَ المَطالبِ أسهلتْ أو أحزَنتْ
ووراءها ـ لولا المطامعُ منهمُ ـ   قُرَباءُ لو قنعتْ بهم ما أبعدتْ
نبهْ بنى "عبدِ الرحيم" ولا تُبَلْ   معهم عيونَ الدهرِ كيف آستيقَظتْ
وآستفتهم فى المجدِ تسألْ أنفسا   لَقِنتْ على جهلِ الورى وتفهَّمتْ
خَبُثَ الترابُ وما عليه، وماؤها   شرفٌ فطابت وحدَها وتطَهّرتْ

---

(١) يريد بهذا الوصف "الصحراء".
(٢) يقال: خرت الأرض أى عرفها ولم تخف عليه طرقها.
(٣) البوغاء: ما يثور من الغبار.
(٤) أخست أو زكت: لعبت بالفرد أو بالزوج.

فكأن زاكِى عِرقِها لم يُسقَ من ... ماءِ الزمانِ وفى ثـراه ما نبتْ
قـومٌ اذا حذَرَ التناكرُ لُثْمَهُمْ (١) ... وجلا الصِّفاحُ أكفَّهم فتحسَّرتْ (٢)
كفرتْ وجوهُهُم البدورَ وآمنتْ ... لأكفِّهم أيدى السحابِ فكَفَّرتْ
شفعوا العلاء تليدَه بطريفه ... فتقدّمت علياؤهم وتأخَّرتْ
ولدتهم الأرضُ التى قد أجمعتْ ... فى الأكثرين فأكيستْ (٣) وتنجّبتْ
جاءت بهم وهى الوَلودُ كأنّهم ... غُرباءُ جاءوا فى العقامِ أو القَلَتْ
متواردين على العَلاء كأنّهم ... ضربوا له ميقاتَ يومٍ لم يفُتْ
راضوا الأمورَ، فتيُّهم كمسنِّهم ... سَوْمَ الكعوبِ تلاحقَتْ فتنظَّمتْ
شَرَعوا الى ثُغَرِ الخطوب ذوابلا ... لولا صنيعةُ نفسها ما فُضِّلَتْ
جُوفًا (٤) ترى الصمَّ الصعابَ وراءها ... فى الحرب تقفُو ما حذَتْ أو مَثَّلتْ
كتبوا على شهب الطروس لنا كما ... طَعنوا على الخيل الوِرادِ أو الكُمتْ (٥)
والجالسُ القوّالُ منهم آخذٌ ... منها بأنفاس الشجاع المنصلِتْ
خذ من حديثهمُ حديثَ قديمهم ... واعجب لأطراف العلا كيف التقتْ
واسأل "زعيم الدين" عما خلفه ... من مجدهم فهو الشهادة والثَّبتْ (٦)
قمرٌ هو المِرآة عن أحسابهم ... مهما رأت مما يقابلها حكتْ
أدّى فروضَهمُ وسَنَّ نوافلا ... فى المجد تمت الفروضَ وكمّلتْ
فضحَ السوابقَ مالكٌ أشواطَه ... جارَى الرياحَ فخُلَّ عنه وقيِّدَتْ
وتقرّطت أيامُه بيتيمةٍ ... منه صفَتْ للناظرين وأشرقتْ

(١) لثم جمع لثام . (٢) تحسرت : تعرّت . (٣) أكيست : ولدت أولادا كَيْسَى أى ظرفاء فطنين جمع "كيِّس" . (٤) جوفا جمع جوفاء . (٥) الكمت جمع كُمَيت وهو الفرس فى لونه كُمتة أى حمرةٌ مشوبة بسواد . (٦) الثَّبَت : الحجّة .

لم يدرِ جهــدُ الغائصين وكيــدُهم ... من أىّ أصداف البحار آستُخرِجتْ

قــد جوَّلوا فيهــا الظنونَ وأكثروا ... بالحوض لمــا آستُغرِبتْ وآستُعظِمتْ

قالوا : من البحر المحيطِ تصــعَّدتْ ... لا ! بــل من الفلَكِ المحيطِ تــنزّلتْ

بيضاء ملء يد المـــنى ملمــومة، ... مَلَكَ المنَى وحوَى الغنى مَن أُعطِيتْ

يا جامعَ الحسناتِ بعــد شــذوذها ... مِزَقًا(١) وموجِدَها أوانَ تعــذّرتْ

ومقطِّــر الأقران عن صَهواتِ ما ... رُبطتْ من الرأى الأصيل وضُمِّرتْ

كم واثقٍ منهــم بعِصــمةِ رأيه ... وحسـابِهِ من هفــوةٍ أو من غَلَتْ

ضايقتَــه حــتى أقــرَّ بعجــزه ... لمــا وضعتَ له يديك على النُّكَتْ(٢)

ومُنطَّقٍ ظنَّ البـــلاغةَ آيــةً ... نُصبتْ له علَمــا وشخصا صُوِّرتْ

قال الكثيرَ موسِّــعا لَهَــواتِه ... عُجْبــا فلمّــا قلتَ واحدةً سكتْ !

حَسِب الفصاحةَ فى التشادقِ وحدَه ... ما كلُّ ما وُصِف الأُسودُ به الهَرَتْ(٣)

وأرى الوزارةَ مــذ حَملتَ لواءَها ... نُصرت على فشـــل الولاة وظُفِّرَتْ

ساندت فيهــا ما عليك صِــلاحُهُ ... وفسادُه إن أَصلحتْ أو أُفسِــدتْ

ثَنَّى أخــوك أخاك فيهــا مُسهِما ... وبُعثتَ ثالثَهــا الذى بك عُزِّزتْ ٧٢

أنــتم فوارسُها المَــذَاودُ دونهــا ... إن حوربت وملوكُها إن ســولمتْ

وظهــوركم لصــدورها مخلوقةٌ، ... مظلومةٌ إن ضويقت أو زوحمتْ

نُصبتْ لكم وتمهّــدتْ فمــتى طــرا ... من غيركم طارٍ(٤) نَبَتْ وآســتوحشتْ

هى مِلكُكم فمــتى آســتُعيرت منكُم ... لتجمّلٍ وأردتمــوها آســترُجِعتْ

---

(١) مزق جمع مِزقة وهى القطعة من الثوب . (٢) النكت جمع نُكتة وهى المسئلة الدقيقة اخرجتْ بدقّة نظر و إمعان فكر . (٣) الهرت : آتساع الشدقين . (٤) طارٍ : يريد "طارئ" .

أبناء نِسبتِها وأبعُلُ[١] عُذْرِها[٢] ... وإذا عَدَتْكم أعزبت وتأيَّمتْ
تَفدى "أبا الحسنِ" الترابَ وطئته ... قِمَمٌ هوت من تحتِ رِجلك إذ علت
ومحدِّثٍ بك فى الوساوس نفسَه، ... نفسٌ لعمرك ضَلّةٌ ما سَوَّلتْ
لو ثاقلوك به وأُلقِىَ "يَذبُلٌ"[٣] ... معه لكانت قِسمةً ما عُدِّلتْ
أغنيتنى بك عن سواك فلم أُبَلْ ... فُتِحت أناملُ معشرٍ أو أُقفلتْ
وسُقيتُ أعذبَ شربتيك فما أرى ... بأسا ببارقةٍ همَتْ أو أخلبتْ
وصفوتَ لى بالودّ، والصهباءُ لم ... تَشُبِ العقولَ بطعمها حتى صفتْ
أنكرتُ ودَّ أخى وعهدَ أحبّتى ... وكريمُ عهدك طينةٌ ما أخلقتْ
فمتى طَلبتُ من الزمان سواك أو ... شَرْواك[٤] فاشهدْ أنَّ ذاك من العَنَتْ
ولَتُرضِينَّك ما سمعتَ نواهضٌ ... بالشكر لم تَخَفِ اللُّغوبَ ولا وَنَتْ
يقضين ما أُسلفن من أيدى غِنًى ... وَسِعتْ حقوقَ المقرضين وأفضلتْ
يَغنَى بها العرضُ الفقيرُ وإن رأت ... عِرضا غنيًّا زيَّدته وأثَّلَتْ
ريحانة ما ٱستُنشِقت أرواحُها ... وسلافة تُصحِى اذا ما أَسكرتْ
تقضى على الألباب أين خلاصها ... من شَوبها ما ٱستُحظِيت أو أُلغيتْ
ضجّتْ منابرُها بدعوتها لكم ... فلو ٱدعت بكم النبوّةَ صُدِّقتْ
إن صاحبتْ يوما اليكم عاطلا ... حلَّتْه أو تَفِلَ[٥] النواحى عطَّرتْ
والمهرجانُ وكلّ يومٍ عادكم ... فى لطفه ممَّا كستْ أو زَخرفتْ
فتملَّها وتملَّه متلوَّةً ... ومُقابَلًا ما كرّ أو ما أُنشِدتْ
حتى ترى الأجداثَ تنفضُ أهلَها ... والشمسَ فى خضرائها قد كُوِّرتْ

---

(١) أبعل جمع بَعل وهو الزوج. (٢) عُذْر جمع عَذراء وهى البكر. (٣) يذبل: اسم جبل.
(٤) الشروى: المِثل. (٥) التَّفِلُ: المنتن الريح، وفى الأصل "تقل" وهو تحريف.

* * *

قافيـــة الجـــيم

بعـــد خلو حـــرف الثـاء

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى منصور بن ماسرجيس، وقد ورد من سفرةٍ كان أَبعدَ وأطال أمدَها وآتفق إنفاذُه إيّاها اليه فى المهرجان الواقع فى جمادى الأولى من سنة تسع وأربعمائة

لِمن الحُمولُ سلكن "فَلْجا"(١) يَطلُعنــهُ فجًّا ففـجّا ؟
يخبطنَ بالأيدى الطريـ ـقَ فما يكدن يجـدن نَهجا
ســودٌ بما صبغ الهجـ ـيرُ جلودَهن الحمـرَ وَهْجا
من كلّ حامـلةِ الهـلا ـلِ(٢) بنَى عليها البينُ بُرجا
بيتا يســير وفيــه قلبـ ـك فهو جسمك خِيل حِدْجا(٣)
لك من وراء سجوفه ـ ما أوسعتْها الريحُ فَرْجا ـ
رمحٌ ونصـــلٌ لا كما سَمَّــوهما هَيَــفا(٤) وغُنْجا(٥)
كالبَيْض لم تلُجِ السما ءُ كِنَهُنّ فلُحنَ بُلْـجا
لما أيسنَ من الظلا م رَفعنَ لى فنظـرنَ سُرْجا
وعلى الطليعـــة فاردٌ(٦) كالرئم خافَ فـرام ملْجا
خالستُ قُبلتَــه الوشا ةَ كما آدغمت الحرفَ دَمْجا
ففتحتُ عن غُرٍّ(٧) تمـ ـجُّ المســكَ والصهباءَ مجّا

---

(١) فلج : اسم بلد . (٢) الهلال : ما آستقوس من البعير عند ضمره . (٣) الحدج : مركب من مراكب النساء كالهودج . (٤) الهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة . (٥) الغنج : الدلال . (٦) الفارد : المتفرّد . (٧) غرّ : بيض .

(٧٣)

لو لم تكن مخلوقةً للرشف لم يُخلقن فُلْجا
ومؤاخِذٍ أن حرت يو م وداعه والبينُ يفجا (١)
لو كان خاصمني بعيد شي وحده كان الأحجّا
وبسيطةٍ دون العلا ء نفضتها نشرا ودَرْجا
كلَّفتُ حاجاتي بها مَرِحا يرى التغرير أحجى
وأخٍ صفوتُ كما صفا ومزجتُ لمّا شاء مزجا
رمتُ التمام لودّه وأراد إجهاضا وخَدْجا (٢)
أمعِى هزيلا ثم أنـ ـت علىَّ إن أُعطيتَ نَفْجا (٣) ؟
ومفارِقٍ لى "كابن عيسى" غَمَّ أيامى وأدجى
راودتُ قلبي عن نوا ه فكلّما لاطفتُ لجّا
وحَمَلتُها كالداء أشـ ـرجُ فوقه الأضلاعَ شَرْجا
متنظّرا هذا الإيا بَ لعُرّها كيًّا ونُضْجا
فإن انتصرتُ بقربه فلقد صبرتُ وكنتُ مُلجا (٤)
أو عُدنَ أيّامى الحسا نُ به فقد أسلفن سُمْجا (٥)
يابن الوزارة أثبتتْ في بيته وتدا أشجّا (٦)
أبلى وأخلقَ قومُه أثوابَها فوُرثنَ نُهْجا (٧)
يتنقلون على مرا كبها فما يضعون سَرْجا
ومشت أمورٌ بعدهم بتعاشرٍ فمشين عُرجا

---

(١) يريد "يفجأ" أى يباغت . (٢) الخدج : إلقاء ولد الدابة قبل أيام تمامه .
(٣) النفج : فخر الإنسان بما ليس عنده . (٤) يريد "ملجأ" . (٥) سمجا : قباحا .
(٦) الأشج : المشجوج الرأس . (٧) نُهجا : بالية .

من آل "ما سرجيس" محـ ـسودُ العـــلا يُخشَى ويُرجَى

متقيِّـــلٌ فى المجـــد سُنَّـ ـةَ مغرمين به أَلَجَّا(١)

جارِين ســـدَّ الجوَّ شَـــو طُهُمُ وشـــقَّ الأرض رَجَّا

فصـــلُ الخطـابةِ ناطقٌ ما قال إلا كان فَلْجا(٢)

مســـتردفا يـــدَه وأخـ ـرسَ عجَّ فى القرطاس عجَّا

كالرمح أُرهِفَ صـــدرُه وكعوبُه نَصْـــلا وزُجَّا(٣)

هـــذا يمـــجُّ بما يَخُـ ـطُّ دمًا وذاك يَخُـــدُّ دَرْجا(٤)

مَلَكَ السماحُ يديـــه، يَمـ ـرُجُ فيهما العافين مَرْجا(٥)

مغـــرًى بأثقال النـــوا ل يخالهـــا دَيْنًـــا وخَرْجا

ســـوّغتنى ودًّا غـــير تُ بِرَنْقِه غَصَّانَ أَشْجَى(٦)(٧)

وسحـــرتنى بخـــلائقٍ كُنَّ العيون فكنّ دُعْجا

فلتطرقنّـــك ما بكـــر ن غواديا وسرين دُلْجا

زُهرٌ كثابتـــة النجو م سوائرٌ يَهدِجن هَدْجا(٨)

موســـومةٌ بك أنك الـ ـمقصود فيهنّ المُرجَّى

ما أُنشـــدتْ خِلتَ البرو دَ عُرِضن تفـــويفا ونَسجا

وســـواك يسمعها فيحـ ـزن سمعُه من حيث يُشجَى(٩)

يـــرتاب منهـــا بالثنا ء كأنه بالمـــدح يُهجَى

---

(١) ألجّ : ركب اللجّة . (٢) الفلج : الأستظهار على الخصم ومنه المثـل « من يأت الحَكَم وحده يفلُج» . (٣) الزجّ : الحديدة التى فى أسفل الرمح . (٤) الدرج : التزام المحجّة فى الكلام . (٥) يقال : مرج الدابّة : أرسلها ترعى فى المرج ومرج بمعنى خلط أيضا . (٦) الرنق : غير الصافى . (٧) أشجى : أغصُّ . (٨) يهدجن : يمشين فى ٱرتعاش . (٩) يشجي : يطرب .

خادعتُـــه فأضـــرَّ بى ... غِشى، وكان الصدقُ أنجى
فتملَّهـا ما راح ســـر ... حُ أو رأيتَ البيت حُجَّـا

* * *

قافيـــة الحـاء

وقال يهنئ أبا منصور يَزْدَانْفادار(١) بالنيروز

أشوقا ومَن تهوَى خلىُّ الجوانح ؟ ... لك اللهُ مِن وافى الأمانةِ ناصح!
فما كلّ عهـــدٍ بالسليم على النوى ... ولا كلّ ثاوٍ حافظٌ عهـــدَ نازح
حبيبُك من خلَّفتَ بين ضـلوعه ... — وسرتَ — فؤادا لا يلين لكاشح (٧٤)
لمَن منزلٌ أنكرتَه فعرفتَـــه ... وقـــد راح أهـــلوه بطيبِ الروائح
خليلَىَّ — والواشون حولى عصـابةٌ ... فمن مُسرفٍ فى لومــه ومُسامح —
أَجِلْ فى جناب الركب طرفَك هل ترى ... أسى بارحا أو طائرا غيرَ بارح؟
وخلفَ الستور الرَّقمِ(٢) من كان بينُــهُ ... — على طولِ ماستّرتُ حبِّىَ — فاضحى
وهبتُ له عيـنى وقلبى وإنمـا ... لعـــزّته هانت علىَّ جوارحى
أفى كل دارٍ صاحبٌ أصلَحتْ له الر ... عايةُ قلبى وهـــو لىَ غير صالح؟
وخاطبُ شكرٍ يُرخِص البخلُ مهـرَهُ ... عليـــه فيُمسى وهـــو الأمُ ناكح
أهزُّ بعتبى منـــه طودا كأننى ... أريد لأكسو العَـيرَ(٣) جـلدةَ سابح(٤)
اذا ما عليـــل البخل لم يُبرِ داءَه ... مخافـــةُ هاجٍ لم يُثبْ قـــولَ مادح
بلى! فى فتًى من أسرتى إن شكرتها ... منـائحُ تُعطيـــه حلالا مـــدائحى

---

(١) كلمة فارسية معناها : القاصد وجه الله . (٢) الرقم : التى بها خطوط من قولهم : رقم الثوب أى خططه ومنـــه الأرقم وهو الثعبان لخطوط فيـــه سوداء و بيضاء . (٣) العير : الحمار .
(٤) السابح : الفرس .

هنيئا لكم يا طالبي سيبِ كفِّه أبيحت قَليبا فليفز دلوُ ماتِح
يُخيِّمُ غادٍ للسؤال ورائحٌ بساحةِ غادٍ للسماحةِ رائح
صباحُك ـ والنيروز يجلوه فانعمن ـ رأى خيرَ مصبوحٍ، رأى خيرَ صابِح
هو الجَذْع(١) فاستقبل به بَكرَ(٢) عامه وإن كان مما كرَّ فى سنِّ قارح(٣)
اذا وجه يومٍ غيره كان عابسا تبسّم عن ساعاتِ أبلجَ واضح
وعش بين جَدٍّ للخطوب محاربٍ حرىٍّ وجدٍّ للسعود مُصالِح
سليما على الأيام طرًّا، طِوالُها رقاقُ العشايا صالحاتُ المفاتح

* * *

وكان بينه وبين أبى الحسين أحمد بن عمر النِّهْرَوانىّ — وهو من الآحاد المعروفين المعدودين فى البغداديّين — مودةٌ ترتفع عن حدّ القرابة، ومجانسةٌ ترفع المنافسة، وتسقط المحاسدة، وفضائلُ تستوفيه الأفراح؛ وكان أبو الحسين أخلَّ بعادَته فى مكاتبته، ورأى كتبه عند جماعةٍ من إخوانه، فشقَّ ذلك عليه، واتفق أنه عَقَد لنفسه عَقدَ نكاحٍ بالنّهروان، فكتب اليه يعاتبه فى الجفاء ويهنّئه بالعَقد

لها بعد خطوٍ لات حين مَراح قضاءٌ بوصلٍ غدوةً برواح
وهل هى إلا رقدةٌ فاسمحا بها وحسبكما أن توقظا لسماح
وإلا فسيرُ الريح أسرعُ طِيّةً وكم هبَّ لى شوقٌ هبوبَ رياح
أقول لها — والنِّهروانُ طريقُها — : هُناكَ آسنحى لا زلتِ طيرَ نجاح
ألمّى بها فى السّحب ثم تحفَّلى(٤) فسُحبِى تحيّاتى بأنضرِ ساح

(١) الجَذَع: الجديد وهو من البهائم: ما قبل الثنىّ وسكنت الذال للضرورة. (٢) البكر: الفتىّ من الإبل. (٣) القارح من البهائم: الذى آنتهى سنه. (٤) تحفّلى: تجمّعى.

وقولى : سلامٌ "يابن رَوحٍ" تظنُّه   صبيبةَ طلٍّ فى صُبابَةِ(١) راحِ

شكوتُ فياللشوقِ أين تصبُّرى   ونمتُ فيا لَليلِ أين صباحى!

وغرَّك إسماحى فسرَّك أن ترى   اذا عنَّف المقتادُ كيف جِماحى

رعى الله ظبيا سارحا لِىَ رعتَه   بنفْرةِ قلبٍ للعُقوقِ مُباحِ

وتوهَبُ للعذر الصُّراح مودّتى   لديك وبعض العُذر غير صُراحِ

رسائلُ تعدونى وكُتْبٌ تجوزنى ،   صداى على ماءٍ يُذادُ قَراحِ(٢)!

تلوح لعينى كلّما مرّ خاطف   بناحيةٍ منها بكت بنواحى

بمن ـ ليتَ شعرى وهى ليتُ تعجُّبٍ ـ   يُردُّ شبابى إن حملتُ سلاحى

أبِنْ لِىَ هل جاذبتَنى فى مودّةٍ   فعيّرتنى يا صاحِ غَيرة صاحِ

وهل رمتَ أسبابَ السماء لبِغيةٍ   فحلّقتَ إلا طائرا بجناحى

سقى الله نفسى كيف يَكرُم عهدُها   على نفرٍ ممن أُحبّ شِحاحِ

أروم انتصارا منك ثم يردُّنى   هوًى لم تدنّسه ملامةُ لاحى

فأغمِدُ فى الودّ الحِدادِ(٣) صوارمى   وأكسِرُ فى الحبّ السِّداد رماحى ٧٥

فلا تنكرنْ هذى العوائدَ إنما   لسانِىَ سكرانٌ وقلبِىَ صاحى

ولا تُلزمنِّى فى العتاب بقيّةً   فسادُك فيها فاتكٌ بصلاحى

ولما أتانى ما أقرَّ جوارحى(٤)   وأبرأَ من تلك الهَناتِ جِراحى

خلطتُ التهانى بالتشاكى مُرجِّيًا   بموضعِ جِدّى أن يكون مزاحى

وبعدُ ! فيالله أيّةَ فرحةٍ   تخبّرنى عن أىّ فوزِ قِداحِ(٥)!

---

(١) الصبابة : البقيّة . (٢) القراح : العذب الصافى . (٣) الحداد : ذو الحدّة .

(٤) جوارح جمع جارحة وهى العضو . (٥) القداح جمع قِدح وهو سهم الميسر .

اذا كانت الجوزاءُ للمشـــترِى حُلّىً … وكان قِبـاحٌ غيرُها لقبـاحِ
فما آتفق السعدانِ حتى تكافآ … أعزَّ بطونٍ(١) فى أعزّ بِطـاحِ(٢)
ولو قيل : غيرُالشمس سيقت هديّةً … الى البــدر لم أفــرح له بنِكاحِ
فأنتم بنـــو مالٍ على الدهر هالك … وقاءٌ لأعراضٍ عليـــه صِحـاحِ
شـــبابٌ مراجيحٌ(٣) تفرّعتِ النُّهى(٤) … بهم عن شيوخٍ فى النـدى مِلاحِ
تعقَّبْ غدًا يُمنا وســعدا بها "أبا الـ … ـحسين" وسـعيا مؤذنا بنجـاحِ
كأنك بالأشـــبال حولك ربّضا(٥) … ليـــومِ رُواء(٦) أو ليـــومِ كفاحِ
صَـــباحا صَباحا ! كلُّ يومٍ بشـارةٌ … الى سبعةٍ مثـــلِ البـــدورِ صِباحِ

وقال وأنشدها أبا القاسم بن ممّا فى يوم المهرجان

ما كان سهما غار بل ظبىٌ سنحْ … إن لم يكن قتلَ الفؤادَ فقــد جرحْ
جلبَ الجمـالَ يريد أنفسَـــنا به … ثمنـا فتاجرناه فيـــه كما آقــترحْ
أرِجتْ جِنانَ "السفح" فيه بنافضٍ … رُدنيْـه عن عَرف الجِنان اذا نفحْ
عَرَقُ المجاسـدِ(٧) فاض ماءُ شـــبابه … والوردُ أطيب منـــه ريحا ما رشحْ
فى جيـــده الكافورِ سبحةُ عنـــبرٍ … ما كان أغفلنى وليس عن السُّبَحْ
وأمَا ومِشـــيتِهِ — توقُّــرَ تارة … صلَفا وأحيانا يُجُنُّ من المَــرَحْ —
ومَواعــدٍ لىَ فى خلال وعيـــده … مَزجتْ بدمع صبابتى دمعَ القدَحْ،
لأشاطرنَّ هواه جســـمى إن وفَى … ولأبخلنّ على العواذل إن سمحْ

(١) بطون جمع بطن وهو دون القبيلة . (٢) بطاح جمع بطحاء وهى المسيل الواسع فيه دقاق الحصباء . (٣) المراجيح : الحكماء . (٤) النهى جمع نُهية وهى العقل . (٥) ربّضا : جثّما . (٦) الرواء : حسن المنظر . (٧) المجاسد جمع مِجْسد وهو القميص يلي البدن .

راحت تعنّفُ فى الصّبا : ما آن أن يثنيك عن أَشَرِ(١) الثّنِىّ نُهى القَرِح(٢)
والخمسُ والعشرون تعذرُ فاسدا لو ناهزتْه الأربعون وما صلحْ
منّاك ظنُّك بى غرورا أننى أصحو، وفى الظنّ المحالُ المطّرَحْ
كالليث والغمرُ آستغرَّ بثغره فدنا اليه فاسئلى عمّا كلح(٣)
"والصاحبِ" آلتمس الغمامُ تشبّها بيديه ،لا جَرَمَ آنظرى كيف آفتضحْ
جاراهما ويكاد يغرق فيهما بالجود إلا أنه فيه سَبحْ
للعزّ ما منع "الحسينُ" فلم تنَل كفُّ الزمانِ ، وللمكارم ما منحْ
إن همَّ أبصر غايتيه بحزمه كالطَّرف يُدرِك نورُه أنَّى طَرَحْ
أو جَدَّ فى خطبٍ كفاه ووجهُه متبسِّمٌ ، فيقول حاسدُه : مَزِح(٤)
كم نعمةٍ لم تُلهِهِ عن عصمةٍ وجمادِ عامٍ لم يعُقْه أن آنفسحْ(٥)
ومدامةٍ عذراءَ بات نديمَها وبغارةٍ شعواءَ يومئذٍ صبحْ
رفقا بِخُرِّبْهُ وقل فى ناره إن أُضرِمتْ وقد آشتواك بما لفحْ
وآهتزَّ كلُّكُه فكنت سحيقةً بددا(٦) فأين يكون(٧) ركنك إن نَطحْ :
بى أنت ، ضجَّ السيفُ حتى إنه لو كان يومَ يُسَلُّ ذا صوتٍ لَبَحّْ
وشكا جوادُك فى الضوامرِ بثَّه لمّا آستراحت وهو تحتك لم يُرَحْ
طِرفٌ تعوّد أنه لو طارد الـ ـريحَ الشّمالَ عليه فارسُه بَطحْ(٨)
وأغرُّ يسرِجُ - يومَ يُسرَجُ - وجهُهُ(٩) زُهُرَ الكواكبِ قام فيها أو سرحْ

(١) الاشر : البطر . (٢) يريد بالثنى شرخ شبابه وبالقرح كبره . (٣) كلح ، يقال : كلح وجهه : تكشر فى عبوس . (٤) فى الأصل : "مرح" وهو تحريف و يعينها قوله فى أوّل البيت "جدّ" . (٥) فى الأصل " إن انسفح " وهو تحريف . (٦) بددا : متفرقة . (٧) هذه الكلمة فى الأصل غير موجودة وقد رجّحناها ليستقيم المعنى و يتّزن الشطر . (٨) يريد بقوله "بطح" : ألقى الريح على وجهها وتقدّمها . (٩) يسرج : يضيء .

ومؤدَّبِ الأعضـاءِ لا يهفــو به ... جنباه، ما حسَّ(١) الغـلامُ وما مسحْ
فســواه ما خلع اللجامَ ومدَّ طغـ ... ـيانا وما منـع الركـابَ وما رمحْ
ولك المقـامُ زأرتَ فيـه، والقنـا ... أجَمٌ(٢)، فهان على عرينـك من نبحْ
والرأىُ أعجــزه الصوابُ فلم يُشِرْ ... فيـــه سواك ولو أشار لمـا نصحْ
أمؤاخذى كرما عـــلىَّ قضيتُهُ ... إن ضاق عنه لسانُ شكرى أو رزحْ(٣)
غَفْـرًا متى قصَّرتُ عنـــك فإننى ... بالمــدح أولَى لو بلغتُــك بالمِدَحْ ٧٦
هـــذا ولم تَخْفُـرْكَ(٤) قدرةُ خاطرى ... ما جاءه عفـــوا وما فيـــه كدحْ
كم نومةٍ للعاشقين وهبتُهـا ... ليـلا أراقب ديكَه حتى صـدحْ
والليـــلة البهـماءُ تُولِد فكرتى ... غرّاءَ يحســـدها الصباحُ اذا وضحْ
ولأنتَ باستحسانهـا أنطقتـــنى ... وشرحتَ بالإكرام صدرى فانشرحْ
ونســـيتَ ما أعطيتَنيه وفيهـــمُ ... ـ حاشا سماحِك ـ مَنْ اذا أعطى لَمَحْ
فلغـــيرك المتسهِّلُ المبذولُ فى آسـ ... ـترخاصـه ولك الغـــرائبُ والمُلَحْ

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى طالب بن أيّوب فى عيد الأضحى

لمَن الحُمول بجوّ "ضاحى"(٥) ... من باكرٍ غَلَسًا(٦) وضـاحى
مِثـــل الأَداحِى(٧) تحتهـا ... أمثـالُ أُمَّاتِ(٨) الأداحى
يحملن أقمـارا حَمَـ ... ـن السـقمَ فى مُقَلٍ صحاحِ
من دون أطراف الحـديـ ... ـث لهنّ أطـرافُ الرماحِ

(١) يقال : حسَّ الدابة : نفض التراب عنها بالمِحسَّة وهى آلة ينفض بها الغبار . (٢) الأجم جمع أجمة وهى الشـجر الكثير الملتفّ . (٣) رزح : أعيا . (٤) لم تخفرك : لم تُوفِك . (٥) ضاحى : اسم موضع . (٦) الغلس : ظلمة آخر الليـل . (٧) الأداحى جمع أدحيّة وهى بيض النعام فى الرمل . (٨) أمّات جمع أمّ .

مَن مخبرى عن رائحـ ـين نكِرتُ بعدهُمُ مراحى ؟
هيهات لو صدق الدليـ ـلُ سألتُ ليلِى عن صباحى
والنجمُ يحمل كأسها منها الحبابُ بغير راحِ
حَظَرَ الكرى مَنْ لا يُطا ع سواه فى حَظْر المباحِ
راضٍ اذا سفك الدما ءَ بما تقلَّد من جُناحِ
كَثُرَ الملاحُ وما له مِثْلٌ بإقرار المِلاحِ
بأبى ثناياه لقد غولطتُ عنها بالأقاحى
غَلَطَ المُقايِس بآبن "أيـ ـوبَ" السحابةَ فى السماحِ
"ومحمدٌ" أزكى نسيـ ـمَ ثرًى وأندَى بطنَ راحِ
وأعمّ حين يخصّ جو دُ الغيث ساحا بعد ساحِ
طالت به عينٌ الى الـ ـعلياء واسعةُ الطماحِ
ويدٌ تقلِّبُ أنملا تِ مكارمٍ سُبطٍ(١) سِجاحِ(٢)
لم تدرِ أنّ الله خا لقُ هذه الأيدى الشحاحِ
من معشرٍ يتذمّمو ن المالَ ليس بمستباحِ
لا يُطعَمون مع العشىّ حلاوةَ النَّعِمِ المُراحِ
فاذا تزاحمت الوفو د على بيوتهم الفِساحِ
يَسَرُوا(٣) فكان لمن يفو ز بضيفه فوزُ القِداحِ
فى عِرضهم سَرَفُ القِصا صِ(٤) وما لِهم هَدرُ الجراحِ

(١) سبط : من قولهم فلان سبط البنان أى كريم وهو من باب الكناية نقيض قولهم : جعد الكف كناية عن البخل . (٢) سجاح : لينة سهله . (٣) يسروا : لعبوا بالقداح .
(٤) السرف : الإفراط ومجاوزة الحدّ فى القصاص ، وفى الأصل هكذا رسما وشكلا "شَوْقُ العصاصِ".

فاذا ٱنتضَــوا زُبَرَ الصحا ... ئف ثلَّموا زُبَرَ الصِّـــفاحِ
واذا قِيامَـــةُ ســؤدُدٍ ... كَذَبتك فى الصُّوَر القِباحِ
بلَجوا عـــلى ضوء الصَّبا ... حِ ببهجة الغُـــرر الصِّباحِ
لبِّيك عـدةَ ما ٱكتسبـ ... ـتُ وقد دعوتُك من صلاحِ
وضممتنى والدهـــرُ مجـ ... ـتمعُ الصروف على ٱطراحى
واذا شهرتُ عليـــه سيـ ... ـفا عاد يُدمينى جِـــراحى
قد كنتُ مقترِحا بِحَا ... ء بك الزمانُ عـلى ٱقتراحى
لا توســعَنِّى من نوا ... لك فوق ما يَسعُ ٱمتداحى
دعـــنى أطيرُ بشكره ... ما دام يحملنى جَناحى
فى كلّ شاردةٍ مبا ... عِـدةِ الغـــدوِّ مع الرواحِ
بِكرٍ وَلودٍ من بنا ... تِ النـاتجات بلا لقــاحِ
أحبُــوك منهـا كلَّ عيـ ... ـد بالخَـــريدةِ (١) والرَّداحِ (٢)
تصـــف اللطائمُ (٣) طيبَهــا ... من طيبك الشرف الصُّراحِ
ما كُسِّرت رُجُمُ الجمــا ... رِ وسُوِّقت بُدُنُ الأضاحى

* * *

٧٧ وقال يرثى الرئيس أبا الحسن بن محمد بن الحسن الهُمَانىّ الكاتب، وكان بقيّــة الأعيان فى صنوف الفضـــل ، وواحد الزمان فى كمال الأدب ، وممن أوجب عليه حقوقا فى المودة ، وٱتخذ عنده حرمات من التفقّد والمراعاة ، وتوفّى فى رجب سنة ثمان وأربعمائة، ودفن فى مدينة المنصور

---

(١) الخريدة : العذراء . (٢) الرداح : المرأة الثقيلة الأوراك، وثقل الأوراك من صفات الحسن فى النساء . (٣) اللطائم جمع لطيمة وهى نافجة المسك أو المسك نفسه أو العير التى تحمل الطيب .

أُغَشُّ بآمالى كأنِّىَ أُنصحُ   وأبقَى لأشقَى بالبقاء وأفرحُ
وأصبو الى وجهٍ من الدهر مسفرٍ   ضحوكٍ، ووجهى فى الخمار مكلّحُ
ويعجبنى إملاء يومٍ وليلةٍ   وما الموتُ إلا غابقٌ أو مصبّحُ
مَطلتُ بدَينى والغريمُ مصمّمٌ   وأحسنتُ ظنّى والمسىءُ مصرّحُ
تُدَمّى المنايا الناسَ حولى وإنما   دمى ذاك فى أثوابهم يتنضّحُ
وأسلو اذا أبصرتُ جِلدىَ أملسا   وما صحّةٌ فى الجلدِ والقلبُ يُجرَحُ!
اذا مرّ يستقرى مَن الهالكُ الردَى   يميّلُ فى أبنائه ويرجّحُ
تطامنتُ أرجو ان أفوتَ لحاظه   فأخفَى وعينُ الموت "زرقاءُ" تلمحُ
وقد غرّنى ليلُ الشباب فأين بى   أضلُّ وفجرُ الشيب عُريانُ مصبِحُ؟
وأقرب شىء من قضيبٍ جُفوفُه(١)   اذا الورقاتُ الخُضرُ ظلَّتْ تَصوّحُ
تَيَمَّ بالعُمرِ الجِذاعُ(٢) وخانهم   فما لىَ أرجو ودّه حين أَنزحُ
وقد كان قدّامى مدًى منه يُرتجَى   هو اليومَ مُلقًى من ورائىَ يُطرَحُ
حسوتُ بمُرِّ الدهر حبًّا لحلوه   فطورا يُصفِّى لى وطورا يُصبّحُ
اذا برّنى فى صاحبٍ بزّ صاحبا،   أغنّى بشعرى تارةً وأنوّحُ
أبيحُ الترابَ أوجها كان مُسخِطى   على الشمس منها الساهمُ(٣) المتلوّحُ(٤)
وأحثو بكفّى أو أشقُّ حفيرةً   يُهال على قلبى ثراها ويُضرَحُ
ترى الحق مطروفا وتعشى لُواحظٌ   يراقصها هذا السرابُ الملوّحُ
يودُّ الفتى أن البسيطةَ دارُهُ   وما فوقها مالٌ عليه يروّحُ
وسيعةُ بطنٍ جلّ ما هو مُحرِزٌ   ومطرحُ جنبٍ جَهدَ ما يَتَفسّحُ

---

(١) الجفوف : اليبس . (٢) الجذاع جمع جَذَع وهو الشاب الحدث . (٣) الساهم : الذى تغيّر لونه وبدنه مع هزال . (٤) المتلوح : الذى تغيّر لون وجهه .

تبايعنا الدنيا مُنًى بنفوسنا ... فتوكس غَبنا والمُبايع مُصلِحُ
فلا نحن من فرط الخسارة نرعوى ... ولا هى ترضى فرط ما هى تربحُ
فما لكِ يا دنيا وأنتِ بطينةٌ ... ونحن خِماصٌ تبخلين ونسمحُ!
ألا طرقتْ لا يملأُ الليلُ صدرَها ... ولا تتحاشى صارخا حين تَصْبِحُ
مغلغِلةً لا طودَ يعصمُ ما ٱرتقت ... ولا موئلٌ من حيث تهبِطُ أبطحُ (١)
وَصولًا الى البيت الذى تستضيفه ... ولا مُوقِدٌ يُورِى ولا كلبَ ينبحُ
لها من قِرًى ما ٱستصلحتْ وتخيَّرتْ ... حشايا (٢) تُوَطِّى أو صفايا (٣) تُذَبَّحُ
أصابت صريحَ المجد من حيث ينتمِى ... وغضّت لحاظَ الفضل من حيث تطمحُ
وحلّت فحكّت بَرْكَها (٤) من "محمدٍ" ... بجانب ركنٍ لم يكن قبلُ يُنطَحُ
قويمٍ على عركِ الخطوب، فما له ... وقد زحمته زحمةٌ يتطوّحُ!
سلا مُقعِصَ الأقران : من أىِّ طعنةٍ ... تَقَطَّر عن ظهر الكفاية يُطرَحُ؟
وقاطِعَ مَثْناةِ الحبال حرانُهُ : ... بأىّ زمامٍ قِيدَ يعنو ويُسمِحُ؟
ومَن هزَّ من بين الوسائد طودَه ... وفى دِسته "ثهلانُ" (٥) لا يتزحزحُ!
وقولا وإن لم يخرق التربَ صائحٌ ... اليه ولم يفهم صدَى الأرضِ موضِحُ:
"أبا حسنٍ" أمّا الرجاءُ فخائب ... وأما الرجا فيما نعاك فمنجحُ
حملتُ الرزايا جازعا ثمّ صابرا، ... على ذاك حسنُ الصبر بعدك يقبحُ
وواصلتُ من أحببتُ ثم فقدتُه ... فما نازلٌ إلا وفقدُك أبرحُ
ذكرتُك إذ غَصّ الندىُّ فلم يُشِرْ ... نَصيحٌ ولم ينطق لسانٌ مُفَصِّحُ

---

(١) الأبطح : المسيل الواسع فيه دقاق الحصى كالبطحاء . (٢) حشايا جمع حشيّة وهى الفراش المحشو . (٣) الصفايا جمع صفيّة وهى الناقة الغزيرة اللبن المصطفاة . (٤) البَرْك : الصدر . (٥) ثهلان : اسم جبل .

ولا أضمرتْ صدقا مَعاقدُ حبوةٍ … جثا بفخارٍ ربُّها يتبجَّحُ
وقد غاض بحرٌ كان فيك مدُّه … وأُرتِجَ بابٌ كان فى فيك يُفتَحُ
وقد جاء نجمٌ من جُمادَى بليلةٍ … بَليلٍ يريك الطولُ أن ليس تُصبحُ ٧٨
يسائلُ عن اطناب بيتك ضيفُها … رَدائدَ خطفِ البرقِ فيما تُلوِّحُ
تعيِّفُ(١) طيرا بارحاتٍ يسرنه(٢) … بفقدك قد كانت ميامينَ تَسنحُ
فبات صعيدُ الأرضِ والريحُ زادُهُ … شقيًّا بما يَسْتافُ أو يتنفَّحُ
بليلةِ بؤسٍ فات مُعتامَها القِرَى … كما فاتها منك المصلِّى المسبِّحُ
وللأمرِ كنتَ الليثَ إما حفظتَهُ … تَعاوَتْ تَعاطاه ثعالبُ تَضبحُ(٣)
رُعِى بعدك الشِّقُّ الذى كنت حامياً … له وعثا الخَرقُ الذى كنت تَنصحُ(٤)
وخُلِّىَ للعجز التنافسُ واستوى … على الجهل سَرحٌ سائمٌ ومُسرَّحُ
وقام رجالٌ كان فضلُك مقعِدا … لهم فتراءوا للعلا وترشَّحوا
بلا عائبٍ تُزرِى على سيئاتهم … محاسنُه، والنقصُ بالفضل يُفضَحُ
ائن حَرَصوا فيما عَمَرت تعافُه … فربَّتَ ساعٍ للدنيَّة يكدحُ
تمالَوا على ما كنتَ تأباه أوحدًا … ومنُّوا بما استضعفتَه وتمدَّحوا
وما ازدحموا أن القذى بعدك انجلَى … عن الماء لكن يشربون وتَقمحُ(٥)
فداكَ ـ وهل حىٌّ فداءٌ لميِّتٍ ـ ؟ … قصيرُ الخطا يكبو بما كنتَ تجمحُ
تعجَّبَ لمّا ساد من حظِّ نفسه، … وقد يُدرِك الجَدُّ الدنىَّ فيُفلِحُ
ولمّا رأيتَ الدهرَ ضاقت ضلوعُه … بحملك وهى للئام تَفَسَّحُ
أنفتَ من الدنيا الذليلةِ عارفا … اذا عيشةٌ ضامتك فالموت أروحُ

---

(١) تعيّف : زجر . (٢) يسرنه : جئن من جهة اليسار . (٣) تضبح : تصوّت .
(٤) تنصح : تخيط . (٥) تقمح : ترفع رأسك كرها للماء .

وذكّرتنيــك الودُّ أحليتَ طعمه ... وأصفيتَ فهو الآن يَقذَى ويَملَحُ
ضَربتُ عن الإخوان صفحا مؤملا ... بأن الردى لى عنـك وحْدَك يصفحُ
وأغنيتنى ودًّا ورفـدا بحاجـةٍ ... من اليـوم ما أرتادُ أو أتمنّحُ
أعلّل نفسى عنـك لو أن مُسقَما ... يُفيق بنوعٍ من جوًى أو يُصبَّحُ (١)
وأرقَعُ أيّامى أروم صـلاحَها ... وقد فسد العيشُ الذى كنت تُصلِحُ
سألتُ بك الأيّام أرجـو مسـرّةً ... فلما أَبت إلا الـتى هى أترحُ
ضحكتُ الى ناعيـك أحسب أنه ... ـ وقد جَدَّ ـ إكبارا ليومك يمـزحُ
عفا ربعُ أنسى منك ضيقا، وما عفا ... بساحـةِ قلبى مـنزلٌ لك أفيحُ
به ساكنٌ من طيبِ عهـدك عامرٌ ... يُريح عَزيبَ الحُزن من حيث يَسرحُ
اذا ذبَلَت فيـه على الصـبر جمرةٌ ... خمودا ورَى زندٌ من الذّكر يقـدَحُ
وذاك اللسانُ الرَّطبُ لا زال فى فمى ... هو اليومَ يرثِى، مثـلَه أمسِ يَمدَحُ
يقول وإن لم يُغنِ عنك وإنمـا ... مـلأتَ إناءً نعمـةً فهـو يرشَحُ
ولو رُدَّ قبلى الموتُ بالشّـعر أو مضى ... شَبا لَسِنٍ أو عاش فى الدهر مُفصِحُ
نجا لا ئذا بالعــزّ فى غـيرقومـه ... ـ وقد سبق الناسَ ـ الغريبُ المقرَّحُ (٢)
ومسـتنزلُ "النعمان" (٣) عن سطواته ... بمـا يَنتـقِى من عِذرةٍ (٤) وينقِّحُ
و"عُروةُ" (٥) لم يُصغِ الردى لنسيبه ... ولم يُعطَ فى "قَيسٍ" (٦) مناه "الملوَّحُ" (٧)
وغيّر "غيلانَ" (٨) المهارى بعَنسِـه (٩) ... فلم تُنجه من عَدوة الموتِ "صَيدحُ" (١٠)

(١) يصبح : يُسقَى الصبوح . (٢) يشـير الى آمرئ القيس وكان يقال له : ذو القروح لأن قيصر ألبسه قميصا مسموما فتقرّح جسمه ومات غريبا "بأنقرة" وفى ذلك يقول

أجارتنا إنا غريبان ههنا ... وكلّ غريب للغريب نسيب

(٣) يشير الى النابغة الذبيانىّ حين هجا النعمان بن المنذر ثم عاد اليه معتذرا . (٤) العِذرة : المعذرة .
(٥) عروة بن حزام هو أحد العشاق الذين قتلهم العشق . (٦) اسم مجنون ليلى . (٧) اسم أبى مجنون ليلى . (٨) غيـلان : اسم ذى الرمّة الشاعر . (٩) العنس : النـاقة القوية .
(١٠) صيدح : اسم لناقة ذى الرمّة .

ولكنه شَــرطُ الوفاء وغمّــةٌ ... على الصــدر بآستخراجها أتروَّحُ
ذممتُ فؤادى فيك والحــزنُ محرقٌ ... وعاتبتُ جفنَ العـين والدمعُ مُقرِحُ
وما عجبٌ للدمع أن ذَلَّ عــزُّه ... فما جَــمّ إلا أنه لك يُــنزحُ
وأُقسمُ ما جازاك قلبٌ بما طوَى ... غليــلا ولا قــولٌ يطولُ فنشرحُ
ولا كان فى حكم الوثيقة أن أرى ... عليــك الثرى كَلًّا وجسمِى رَيِّحُ
وما أنا إلا قاعدٌ عن فضــيلةٍ ... اذا قمتُ فيها مائــلا أترنَّحُ
سقاك ــ وإن كان الثرى بك غانيا ... عن السـحب ــ غادٍ بالحيا مترِوِّحُ
حمولٌ(١) لماء المزن تطفو لصوبه ... فــواغرُ أفواهِ الجــواءِ فتَطفَحُ
اذا خار ضعفا أو تراخى حَــدتْ به ... مواقرُ(٢) من نوءِ السماكين دُلَّحُ(٣)
يُجفِّــلُ طـردُ الريح فيها كأنها ... ســفينٌ جَوارٍ أو مَراسِــيلُ(٤) جُنَّحُ
شجاعٌ كأنتَ أو جــوادٌ بمائه ... فإن عاقه ضنٌّ فعينَى تَســفحُ
ليعــلمَ قــبرٌ بالمــدينــة أننى ... من الغيثِ أَوْفَى أو من الغيثِ أَسمَحُ

* * *

(٧٩) وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى المهرجان يهنّئه به

أمرتُكمُ أمرى "بنَعمانَ" ناصحا ... وقلتُ : آحبِسوها تلحقِ الحىَّ رائحا
فماريتمونى تَخبُرون آجتهادَها ... فأُبتم بلا حاجٍ وأُبنَ طلائحا(٥)
وقد صدَقتنى فى الصَّبا عن مكانهم ... أخابــيرُ(٦) أرواحٍ سبتنى نـوافحا
كأنّ الثرى من طيبها فَتَّ فوقه ... مجيزون من "دارِينَ"(٧) فأرا فوائحا

(١) فى الأصل "حموك" . (٢) مواقر : مثقلات . (٣) دلّح جمع دالح وهو السحاب الكثير الماء . (٤) مراسيل جمع مرسال وهى الناقة السهلة السير . (٥) الطلائح جمع طليحة وهى الناقة التى أعياها السير . (٦) خبر جمعه أخبار وجمع الجمع "أخابير" . (٧) دارين : فُرْضة بالبحرين يُجلب اليها المسكُ من الهند .

لقاءٌ على "نَعمانَ" كان غنيمةً ... وهيهات يدنو بعـــد أن فات نازحا
حَمَى دونه حَرٌّ "السماوة" ظَهــرها ... وعبَّس وجها ناجرٌ (١) فيـــه كالحـا
الى الحول حتى يشربَ القيظُ ماءهم ... "بنجدٍ" وإما يسلخون البوارحا (٢)
لعلّك فى إرسـالِىَ الدمـــعَ لائمٌ ... وقد عطَف النـاسُ المطىَّ جوانحا
نعم، قد تجرّعتُ الدموعَ عليهـــمُ ... عِذابا وأقرحتُ الجفونَ الصحائحـا
وما قلتُ: غاضت بالبكاء ركيّةٌ ... من العين إلا أَرسلَ الشـوقُ ماتحـا (٣)
فهل ظبيةٌ "بالغور" يَجزِى وفاؤها ... هوًى لم يُطِعْ فيها على النأى كاشحـا؟
اذا آعترضتْه من سلوٍّ معوضةً ... محاسنُ فى أخرى رآها مَقابحـا
ومن أين يَنسَى من يَرَى الغصنَ مائلا ... مثالَكِ والظبىَ المـــروَّعَ سانحـا!
أرى عينه عينيك و"الغـــورُ" بيننا ... فأَدمَى، لقد أبعـدتَ يا سهمُ جارحا!
يعنِّفُ فى حُبِّ البـــداوة فارغٌ ... من الوجد لم يَقْرِ الغـرامَ الجوانحا
فياليتَ لى من دار قومى وأسرتى ... جـوارَكِ روّاحًا عليك وصابحـا
ومن تُرَّهاتِ (٤) الريف أرضا قطنتُها ... من الجـدب فيها يأكلون النواضحـا (٥)
اذا ما شربتُ الوصـــلَ عَذبا مرقَّقا ... بها لم أَعَفْ أن أشرب المـاء مالحـا
دعُونى "ونعمانَ الأراكِ" أروده ... يجاوبُ صـــوتى طيرَه المتنـاوحا
عسى سارحٌ من دار "ميّةَ" يامنٌ ... يُقيَّضُ لى عن شائمٍ طار بارحا
سقَى ما سقَتْ خدّى الدموعُ الحيا الغضا ... بواكرَ من جمّـاته وروائحـا
فكم ليـــلةٍ فيه نضوتُ حميـــدةٍ ... وألبستُ يوما بُرقُعَ العيشِ صالحـا

(١) يقال "لصفر" ناجر: وهو الشهر الواقع فى صميم الحرّ، وفى الأصل "ناجز" (٢) البوارح جمع بارح وهى الريح الشديدة الباردة. (٣) الماتح: الذى يستق وهو على رأس البئر. (٤) الترّهات: الطرق الصغار تتشعب عن الجادّة واحدتها تُرَّهة. (٥) النواضح: الإبل التى يُستقَى عليها، واحدها ناضح.

وهمٍّ ترى القلبَ الرحيبَ وراءه … من الضيقِ لهفا يستعيبُ المَراوحا (١)
تلطَّفتُـه (٢) حتى وجدتُ مَفارجا … لصدرِىَ من غُمّاته ومَسارحا
وبحرٍ من الآل الغَرور محرَّمٍ … ركبتُ له من سير "لاحقَ" (٣) سابحا
الى حاجةٍ فى طُرْقها الجِدُّ كلُّه … فأدركتُها جذلانَ أحسَبُ مازحا
ومضطغنٍ (٤) أن قدَّمتنى زوائدٌ … من الفضل أخْفَتْه وقد كان واضحا
يعيّرنى الحِدْثانَ وهو أعزُّ لى … كفى جَذَعا أن فاتَكَ الشوطَ قارحا
وهل ضائرى شيئا ـ اذا جئتُ آخرا ـ … تأخُّرُ ميلادى وقد جئتُ فاتحا
وهَرَّ فلم يُطرَدْ فعضَّ سفاهةً، … وعقرُك لى أنى حقَرتُك نابحا
وزَنتُ بحلمى جهلَه لا أجيبه … فلله منّا مَن تمكّن راجحا
وعجماءَ من وحش القوافى خدَعتُها … ولم تُعطِ قبلى جِلدَها قطُّ ماسحا
خطبتُ اليها عُذرَها فتحلّلتْ … وكانت حراما لا تلامس ناكحا
وعادتُها فى المدح ألا أذيلها … ولكنَّ قوما يكرمون المدائحا
تمنّى بنى "عبد الرحيم" ومجدَهم … رجالُ أمانٍ لم يقعن نجائحا
وريموا، فما حَطَّ الثريّا لباعه … فتىً ظنَّها كفًّا فمدَّ مُصافحا
كرام مضوا بالجود إلا صُبابةً … أعاروا نداها الهاطلاتِ السوافحا
لهم من تليد العزّ ما يدّعونه … اذا خِفْتَ فى دعوى الحسيبِ القوادحا
اذا نَشَروا الأغصانَ من شجراتهم … على ناسبٍ عُدُّوا الملوكَ الجحاجحا
تواصَوا فطابوا فى الحياة وأُكرِموا … نفوسا وطابوا ميّتين ضرائحا

---

(١) المراوح : المفاوز تخترقها الرياح واحدتها مَروحة . (٢) تلطفته : ترفقت فيه .
(٣) لاحق : اسم فرس معروف عند العرب . (٤) المضطغن : الحاقد .

وأَخْفَى "الحسينُ" خطفَهم[١] بشُعاعِه كما أَخفت الشمُس النَجوم اللوائحا
فتًى لا يريد المجــدَ إلا لنفســه ولا المـالَ إلا قسمةً ومَنائحـا
ينـازع أزْماتِ السنيـن بأنملٍ جوابرَ للأحوال تُسـمّى جوارحا
أنامل من يُسرٍ اذا ما أدارها على مغلقاتِ الرزق كنَّ مَفاتحـا
أقام على وجه الطـريق بوجهــه مجيرَ النهـار عاقرَ الليـل ذابحـا ٨٠
بحيث السـماح لا يخيِّبُ سائلا وحدُّ الصفاح لا يخيِّبَن صائحـا
اذا عجــزتْ يوما مواعظُ صفحه عن الأمر ولّاه القنـا والصفائحـا[٢]
ويأبى فيأتى مَشـرَعَ[٣] الدمِ واردا حريصا ويأتى مشرعَ المـاء قامحـا[٤]
يصيب بأطرافِ العـوالى مُحـاربا عداه، وأطـرافِ الكلام مُصالحـا
اذا هزَّ رمحا طاعنا خيـلَ كاتبـا سَدادا، وطِرسًا كاتبا خيلَ رامحـا[٥]
أقــول لأيّامى وهن عواثر بحظّى: لَعًا، قد أدرك الذنبُ صالحا
اذا "الصاحبَ" آستبقيته لى ورهطَهُ فمُرِّى بقــومٍ طائراتٍ طوائحـا
أذمّوا على الآمال لى وتعاقــدوا على رَقْع خَلّاتى أكفًّا نواصحـا
غَبرتُ زمانا أمنع النـاسَ مِقــوَدى حَرونا الى غير المطـامع طامحـا
أَعِزُّ فلا ألقى آبنَ مالٍ مؤمِّــلا لمـالٍ ولا يلقـانِىَ الدهرَ مادحا
مع النـاس حُرًّا خاطرى، غير أنهـم بأخلاقهـم يستعبدون القرائحـا
وما كنتُ فى طرد الخطوب بيُمنهـم بأوّلِ داجٍ يستضىء المصابحـا
بك آعتدلتْ حُوشيّةٌ من تصعّبى وراخيتَ من أنسى فأصبحَ سارحا
صحبتُك لم يَمسحْ عِذارى ســوادُه وها أنا قد غطّى ســوادى المسائحـا[٦]

(١) يريد خطفهم الأبصار بضوئهم . (٢) الصفائح جمع صفيحة وهى السيف العريض .
(٣) المشرع: المورد . (٤) القامح الذى يرفع رأسه عن المـاء كرها له وقد تقدّم . (٥) الرامح: ذو الرمح . (٦) المسائح جمع مسيحة وهي شعر جانبي الرأس .

وسدّيتَ(١) عندى نعمةً ليس ناهضا ... ثنائى بها ما لم أجدك مُسامحا
فكن سامعا فى كلّ نادى مسرّةٍ ... شواردَ فى الدنيا ولسن بوارحا
حواملَ أعباءِ الثناء خفائفا ... صعدن الهضابَ أو هبَطن الأباطحا
يَرَى المفصِحُ المفتونُ عُجْبا بشِعرِه ... لها ناقصا ما سَرّه منه رازحا
اذا قمتُ أتلوها ٱقشعرَّ كأننى ... تلوتُ مَزامِيرا بها ومَسابحا
تزورك ، لا زالت تزور بشائرا ... يسوق التهانى وفدُها والمَفارحا
يضُمُّ الزمانُ شمَلَ عزِّك نظمَها ... ويطرحُ مَن عادَى علاك المَطارحا

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ الرئيس أبى منصور بن ماسرجيس يهنّئه بالمهرجان الواقع فى سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، ويعتذر له ويعرِّض بذكر قومٍ يحسدونه على الشعر ويغتابونه

أيا ليلَ "جوٍّ" مَنْ بشيرُك بالصبحِ؟ ... وهل مِن مَقيلٍ بعدُ فى ظُلَل الطَّلحِ؟(١)
وماؤكم ٱستشفيتُ "زمزمَ" بعده ... فما بَرَدَتْ لُوحِى(٢) ولا رفَدتْ جُرحى
سَرقتُ على سؤرِ(٣) البخيلة نهلةً ... بها لم أكن أدرى أتُسكرأم تُصحى؟
قضت ساعةً "بالجو" أن ليس عائدا ... بها الدهرُ فى يومٍ بخيلٍ ولا سَمحِ
فما لكَ منها غيرُ لفتةِ ذاكرٍ ... اذا قلتُ : بَلَّتْ ، أوقدتْ لوعةَ البَرْحِ(٤)
أيا صاحِ ، ـ والماشى بخير موفَّقٌ ـ ... ترنَّمْ "بليلَى" إن مررتَ على "السفحِ"
وقامرْ بعينِى فى الخليط مخاطرا ... عست نظرةٌ منها يفوز بها قِدحى
وسلْ ظبيةَ الوادى : أأنتِ أم التى ... حكتكِ على قلبى بلحظتها تُنحى؟

---

(١) سدّيت بمعنى أسديت . (١) الطلح : شجر عظام من العضاه واحدتها طلحة .
(٢) اللُّوح : العطش . (٣) السؤر : الحوض . (٤) البرح : شدة الأذى والمشقة .

رَمتْ بِخَنَت وٱستصفحتْ، هي عامدٌ ... ألا أين جُرم العامدين من الصفح!

وليـــلٍ لبسناه بقـــربِك ناعمٍ ... بطائنَ ما بين القــلائد والوُشح (١)

ويُضحى ويُمسى ضوءُ وجهكِ بيننا ... سراجا، وضوءُ البدر يُمسى ولا يُضحى

ولما آســتوى قسمُ الملاحةِ فيكما ... تكلّمتِ حتى بان فضلُك بالمِلْح (٢)

تذمُّ آطراحى وُدَّ قـــومٍ ومدحَهم ... وما مسَّها حملى الهــوانَ ولا طرحى

تعاوت على سَرح القريض تقصُّـــهُ ... ذئابٌ لها من عجزها نَقَـــدُ السَّرح (٣)

تَجانَفُ عن حُلوِ الكلام وصفوِه ... اذا وِلعت جهـــلا وتكرعُ فى المِلح (٤)

اذا كان للتقبيل والشمّ أصبحت ... تماضغه ما بين أنيابها القُلْح (٥)

ترى كلَّ علج (٦) يحسبُ المجـدَ جَفنةً (٧) ... تُراوِحُ أو قَعْبا يخمَّـــرُ للصَّبح (٨)

اذا رشَحت من بَهْـــرِه (٩) وآنتفاخه ... أياطـــلُه (١٠) ظنَّ الفصاحةَ فى الرشح

اذا معجزاتُ الشـــعر عارضن فهمَه ... حَلبنَ بكيئا (١١) لا تدرُّ على المسح ٨١

لكلِّ غريبٍ نادرٍ فى فـــؤاده ... وأحقاده فعـلُ النكاية فى القَـــرْح

اذا الغيظُ أو جهـلُ الفضـــيلة عاقه ... عن المـدح فى شيء تجمّـــلَ بالقدح

وكم دون حُرّ القولِ من جِنح ليلةٍ ... اذا أظلمتْ لم يورِ فيها سوى قدحى

وقافيـــةٍ باتت تحـارب ربّهـا ... فنازلتُها شيئا فألقت يدَ الصـــلح

وصلتُ اليهـا والأنابيبُ حولهـا ... تَكسَّرُ لمّا كنتُ عاليـــةَ الرمح

اذا شئتَ أن تبلو آمرأً أين فضـــلُه ... من النقصِ فاسمع منه إطرائى أو جَرحى

---

(١) الوشح جمع وشاح وهو معروف . (٢) الملح : الحُسْن . (٣) النَّقَد : صغار الغنم .
(٤) الملح غير العـذب . (٥) القُلْح : جمـع قلحاء وهى السنّ التى يعلوها صفرة أو خضرة .
(٦) العلج : الرجل الضخم من كفّار العجم . (٧) الجفنة : أوسع القصاع . (٨) القعب : القدح الضخم ، والصبح : شرب الصبوح . (٩) البهر : انقطاع النَّفَس من الإعياء . (١٠) الأياطل جمع أيطل وهو الخاصرة . (١١) البكيء : الناقة أو الشاة التى قلّ لبنها .

وكم ملكٍ لو قد سمحتُ أريتُـــه ... بوجهِ قريضى طلعـــةَ النصر والفتح
اذا ما ترامت عالياتُ المنى به ... بعيـــدا تمنَّى موضعَ النجم أو مدحى
وخِلٍّ أتى من جانب اللين عاطفا ... فياسره عُودى ولانَ له كَشحى
وفَـــرتُ له قِسما كفَاه وزادَه ... فمـالَ به الإسـفافُ فى طلب الرِّبح
وساومَ غيرى المدحَ يرخِص عرضَهُ ... فلم يُغننى بخلى عليـــه ولا شُحّى
فأصبحتُ كالبيضاء ضمّت فغاظها ... بســوداءَ والعجزاءِ غارت من الرُّسْحِ (١)
ولكنّ " ماسرجيسَ " من لا تردُّه ... عن الجِدِّ حنَّاتُ الطبـاعِ الى المزح
ولا تُقتضَى ممطولةُ الحقِّ عنـــده ... ولا يُكسَبُ الإنصاف بالكدِّ والكدح
اذا نال بيضـاتِ الأَنوقِ ميسَّرا ... له وَكرُها لم تَسبِه بيضةُ الأُدحى
كريمُ الوفاء أملسُ العـرض طاهرٌ ... اذا دَنَسُ الأعراضِ عـولج بالرَّضح (٢)
تضيقُ صـدورٌ بالخطوب وصـدرُه ... الى فُرُجاتٍ من خلائقـه فُسْحِ
يُشـــير بصغرَى قولتيه فيُكتفَى ... بها، وذُبابُ (٣) السيفِ يَقطعُ بالنفح (٤)
غزير اذا استملى البـــلاغةَ فكرُهُ ... سـقى بقليبٍ لا يُغــوَّرُ بالـــنزح
تدبَّرَ من بيت الوزارة باحةً ... له السبق فيها، والجِـذاعَ من القُرْح
اذا زلقتْ يوما بأقـــدامِ معشرٍ ... فمالت مشَى فيها قويمـا على الصَّرح
أُخِذتم بأحقادٍ قـديمٍ وَقُـــودُها ... عليكم ونارُ الضِّغن تُحرِق باللفح
وغاظت (٥) علاكم حاسـديكم فنفَّرتْ ... فُـــوقَ كُبودٍ لا تُعالَج بالنَّضْح
وجوهٌ اليكـم ضاحكاتٌ وتحتهـا ... دخائلُ نيّـاتٍ معبَّسةٍ كُلْح
ودِدتُكَ لم أذخر هـــواكَ نصيحةً ... أروح بهـا ملء الفـــؤادِ كما أُضحى

(١) الرسح جمع رسحاء وهى القليلة لحم العَجُز . (٢) الرضح : القليل من العطيّة . (٣) ذباب السيف : طرفه . (٤) النفح : الضرب الخفيف . (٥) فى الأصل " وغاضت " .

حبتُكَ من سَلمى وأغدو بشفرةٍ على عُنْقِ مَن أبغضتُ مِن مَنطقِ أُنحى
وكم من فتاةٍ قـــد منحتُك رقَّها على العزِّ لم أمنِنْ عليك بها مَنحى
لها بين يوم المهـــرجان مواقفٌ لديك و بين الصوم عنـدك والفِصْح
أدلَّت بحسنٍ فهى تـــبرُزُ سافرا اذا آختَمرتْ أخرى حياءً من القُبح
اذا المنشدُ الراوى بهـا قام خِلتــهُ ينـاوبُ ترجيعَ الحَمامة بالسَّجح (١)
و إن أبطأتْ عاما عليك سمـاؤها فعندك سَلْفٌ من مَرازمِها (٢) الدُّلْح (٣)
ولا ذنبَ لى إن أعقمتنى عوائقٌ من الدهر يوما أن يُقصِّر بى لَقحى

* * *

وقال وكتب بها الى ربيب النعمة أبى المعمّر بن الموفّق على بن إسمـاعيل فى النيروز الواقع فى سنة أربع عشرة وأربعمائة

مَن عَذيرِى يـــومَ شرقىّ الحمى من هـــوًى جَـــدَّ بقلبٍ مَزَحا ؟
نظـــرةٌ عادت فعـادت حسرةً قَتـــلَ الرامى بهـا مَن جَرَحا
قلن ـ يستطردن بى عينَ ”النقا“ ـ : رجلٌ جُنَّ وقـــد كان صحـا
لا تعدْ ـــ إن عُدتَ حيًّا بعدها ـــ طارحا عينيك فينـا مَطـــرَحا
قد تذوَّقتُ الهـــوى من قبلها وأرى مُعـــذِبَهُ قـــد أَملحا
سل طريقَ العيس من ”وادى الغضا“ كيف أغسقت (٤) لنـا رَأْدَ الضحى ؟
ألشيءٍ غـــير ما جـــيراننـا نفضوا ”نجدا“ وحَلّوا ”الأبطحا“ ؟
يا نسيم الصبح من ”كاظمةٍ“ شـــدّ ما هِجت الجـــوى والبُرَحا (٥)
الصَّبا ـــ إن كان لا بدّ الصَّبا ـــ إنهـــا كانت لقلـــبى أرْوَحا

(١) السجح : السجع . (٢) مرازم جمـع مُرزمة وهى السحابة الشـديدة صوت الرعد .
(٣) الدلح جمع دالح وهو : السحاب الكثير المـاء . (٤) أغسقت : اشتدت ظلمتك وفى الأصل ”أعسفت“ . (٥) البُرَحاء : شدة الأذى والمشقة ومنه ”برحاء الشوق“ .

٨٢

يا ندامای "بسلْعٍ" هل أرى ... ذلك المَغْبقَ والمصطَبَحا ؟
أُذكرونا ذكرَنا عهدكُمُ(١) ... ربَّ ذكرى قرّبتْ مَن نَزَحا
وآذكروا صبًّا اذا غنَّى بكم ... شرِبَ الدمعَ وعاف القَدَحا
رجَع العاذلُ عنى آيسا ... من فؤادى فيكُمُ أن يُفلِحا
لو درَى — لا حَمَلتْ ناجيةٌ ... رحلَهُ — فيمن لحانى ما لَحَا
قد شربتُ الصبرَ عنكم مُكرَها ... وتبعتُ السقم فيكم مُسمِحا
وعرفتُ الهمَّ من بعدكُمُ ... فكأنّى ما عرفتُ الفرحا
ما لسارى اللهوِ فى ليل الصِّبا ... ضَلَّ فى بجرٍ برأسى وضَحا ؟
ما سمعنا بالسُّرى مِن قبله ... بابن ليلٍ ساءه أن يُصبِحا
طارقٌ زارَ وما أنذرنا ... مُرغِيا بَكرا ولا مُستنبِحا
صَوَّحتْ ريحانةُ العيشِ به ... فَمَن الراعى نباتا صَوَّحا(٢)
أنكرتْ تبديلَ أحوالى، ومَن ... صحِب الدنيا على ما آقترحا ؟
شدَّ ما مَنَّى غرورا نفسَه ... تاجرُ الآدابِ فى أن يَربَحا
أبدا تُبصِرُ حظًّا ناقصا ... حيثما تُبصِرُ فضلا رجَحا
والمنَى والظنُّ بابٌ أبدا ... تُغلَقَ الأيدى اذا ما فُتِحا
قد خَبَرتُ الناسَ خُبرِى شِيَمى ... بخلاء وتَسمَّوا سُمَحا
وتولَّجتُ على أخلاقهم ... داخلا بين عَصاها واللِّحا
وبعثتُ الماءَ من صُمِّ الصَّفا ... قبلَ أن أبعثَ ظنّا مُنجِحا
يشتهون المالَ أن يبقَى لهم ... فلماذا يشتهون المِدَحا ؟

(١) هكذا بالأصل والرواية المشهورة * أُذكرونا مثل ذكرانا لكم * (٢) صَوَّحَ النبتُ كتصوّح : يَبِسَ .

يُفصِح اللَّحَّانُ بالجـــودِ وهُمْ   فرطَ بخـــلٍ يُعجِمون الفُصَحا
جَرَّتِ الحسنى غلاما ماجـــدا   لم يِطُع فى الجـــود إلا النُّصَـــحا
طَوَّلوا فى حَلبـــةِ المجـــدِ له   فمضى يَتبـــعُ رأسا جَمَحا
مُنجَبًا من "آل إسماعيل" لم   يَروِ فى الأَخـــلاقِ إلا المُلَحا
كيفما طارتْ عِيافاتُ النـــدَى   حَوْلَه طِرنَ يمينا سُنُحا
لا يبالى أىَّ زندٍ أَصـــلدتْ   مَن أتى راحتَـــه مقتـــدِحا
كلّمـا ضاقت يـــدُ الغيثِ بمـا   ملَكتْ جاودها مُنفَـــسِحا
لربيب النعمـــةِ ٱجتابَ الدجَى   خابطٌ يُنضِى قِـــلاصا طُلَّحا
حَمَّـــلَ الهمَّ وقـــد أثقـــلَه   جَـــلْدَةَ العَظمِ أَمُـــونا(١) سُرُحا(٢)
تُوسِـــعُ البيـــداءَ ظهـــرا خاشعا   فى يدِ السـير ورأسا مَرِحا
لا تبـالى ما قضت حاجتَهـا   ما دَمِى من خُفِّها أو قَرِحا
حَمَلَتْ أوعيـــةَ الشـــكرِ له   وٱنثنت تَحمِـــلُ منـــه المِنَحا
أحرز الفضـــلَ طريفـا تالدا   والمعـــالى خاتِمـــا مُفتتِـــحا
وجرى يقتصُّ مِن آياته   أثَرَ المجـــدِ طـــريقا وَضَحـا
نسبٌ كـيف ترامت نحـــوه   أعينُ الفخر أصابت مَسرحا
أملسُ الصفحةِ لم تَعـــلَق به   غمـــزةٌ من قادحٍ ما قـــدَحا
عَـــوَّد البـــدرَ وقـــد قابله   غُرّةً بات بهـا مســـتصبِحا
ورآه البحـــرُ أَوفَى جَمَّـــةً   منـــه بالنـــائل لمّـــا طفَحا
وتسامت أعينُ الشِّـــعر الى   أن يكونَ السـامعَ المتـــدَحا
لم تجِـــد أبكارُهُ أو عُـــونُهُ   عنك فى خُطّابهـا مُنتـــدَحا

(١) الأمون : الناقة القوية . (٢) السرح : السريعة المشى السهلة السير .

غير حُرّاتٍ أراها مُهمَلا حقُّها (١) عندكُم مُطَّرحا
كم ترى أن يصبِر الشعرُ على أن تُهينوا مثلَها أو يَصفَحا ؟
أنتم آستنزلتُمُ عنها يدى بعد ما عزّ بها أن أسمَحا
ورغبتم فى علا أنسابها وكرامٍ من ذويها صُلَحا
وأرى مطلكُمُ فى مهرها دام، والمهرُ على مَن نَكَحا
وثِقَ الشعرُ بكم وآتصلتْ غفلةٌ تُخجِلُه فافتضَحا
فآعذروه إن أتى مُقتضِيا فلقد أنظَركم ما صَلَحا
ومضى حَولٌ على حَولٍ ولم يُنتِج الوعد الذى قد أُلقِحا
أُذكروه مثلَ ما يذكركم مُحسِنا وآستقبِحوا ما آستَقبَحا
وآعلموا أنّ قَليبَ الشكرِ إن هوَ لم يُمدَدْ برفدٍ نَزَحا ٨٣
وآصحبوا أيّامَكم وآستخدموا فى المعالى هُجنَها والصُّرحا
بين نيروزٍ وعيدٍ أمسيا رائدَىْ إقبالكم أو اصبحا
تَكمَهُ (٢) الأحداثُ عنكم إن رأى طرفُها غيرَكُم أو لَمَحا

* * *

وقال وكتب بها الى أبى القاسم بن ماكولا، وقد آجتمع معه ببغداد فأنس به، ثم شخص الى البطيحة (٣) متقلدا إيّاها يتشوّقه ويمدحه ويصف السفينة

مَن الغادى تَجُطُّ به وتعلو نجائبُ من أزمّتِها الرياحُ ؟
جوافلُ، تَحسَب الظِّلمانُ (٤) منها أضاء لوجهِ قانصِها الصَّباحُ

---

(١) فى الأصل "حقا" وهو تحريف. (٢) تكمه : تعمى. (٣) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة. (٤) الظلمان جمع ظليم وهو الذكر من النعام.

فمـــرّتْ كلُّ شائلةٍ (١) زَفوفٍ (٢) | لها من غيرها اليـــدُ والجَناحُ
مُلملَمـــةٍ لها ظَهـــرٌ مصونٌ | وبطنٌ تحت راكبها مُتاحُ
ترى ســـوطَ الشِّمال يَشُلّ (٣) منهـا | طـــرائدَ لا يُكَفُّ لهـا جِماحُ
تُراوح رِجلُ سائقهـــا يديه | ولا التعريس منـــه ولا البَراحُ
تعبُّ المـاءَ بين قذٍ وصافٍ | اذا ما عافت الإبلُ القِماحُ
لعلّك ترتمى بك أو سيقضى | الى المجـــد الغـــدوُّ أو الرواحُ
فصُلْ ـ وخلوتَ من ولهى ووجدى ـ | وقل ـ ولك السلامة والفلاحُ ـ
لمقتدِحين فى كبدى ـ وساروا ـ | لـــواعجَ ما لقاطنهـــا بَراح :
أَظنُّـــا أنكـــم بنتم وأبقى ؟ | لَبعضُ الظنِّ إثمٌ أو جُنـاحُ
ويَحسَبُ بدرُ "عِجلٍ (٤)" أنَّ ليلِى | له من بعـــدِ غيبته صباحُ !
وأنّى بعـــده بمُنًى ولحـــظٍ ، | ينازعـنى الى جـــذلٍ طِماحُ !
إذن ففركتُ بعلَ المجـدِ منـــه | وبنتُ من العـــلاء ولا نِكاحُ
بمَن ولِمَن أريدُ القلبَ عنكم | ليذهلَ وهو عنـــدكُمُ يُراحُ ؟
ومَن بدلٌ وهل عِوضٌ وظهرِى | بكم يَعـــرَى وعزّى يُستبـاحُ ؟
حَملتُ فراقَكم أو قيلَ : جَـــلْدٌ | وخلفَ حشاى أسنمةٌ طِـــلاحُ
وكيف تغيضُ لى نزواتُ دمعى | وتحت الدمع أجفانٌ قِراحُ !
فهل فيكمْ على العُـدَواء (٥) آسٍ ؟ | فإنّ البينَ فى كبدى جِراحُ
ألا عَطفا عـلى عيشٍ فسادٍ | يكـون له بقربكُمُ صـــلاحُ
وحُرٍّ قيَّـــدَتْه لكـم طليقا | من النـاس المكارمُ والسماحُ

---

(١) الشائلة التى ترفع ذنبها . (٢) الزفوف : السريعة العدو . (٣) يشلّ : يطرد .
(٤) عجل : اسم قبيلة . (٥) العدواء : البعد .

وقادته لكم خِلًّا صريحا   حبائلُ مدَّها المجدُ الصُّراحُ
وأخلاقٌ سقته فأسكرتْهُ ،   وبعض خلائقِ الكرماءِ راحُ
نَكصتُ وقد أحالَ عليَّ قِرنٌ   له سيفانِ : شوقٌ وٱرتياحُ
كأنّ دمِى الحرامَ على يديه   بُعيدَ البينِ مالُكُم المباحُ
فَمن يكُ فى النوى بطلا فإنّى   أنا المقتولُ والبينُ السلاحُ
نُجعتُ بقربكم والعهدُ طِفلٌ   وساعةُ وصلنا بِكرٌ رَدَاحُ
وما شبِعت برؤيتكم لحاظٌ   سواغبُ لى ولا بَرِدَ ٱلتياحُ
وحتى بعدَ أملسَ لم تَعَلَّقْ   له بذيول طِيبِ الوصلِ راحُ
فراقٌ سابقَ اللقيا وعطفٌ   من الأيّام زاحمه ٱطراحُ
ونُهزةُ نهلةٍ لم تحْلُ حتّى   تأجّن ماؤها الشبِمُ القَراحُ (١)
كأنَّ الدهرَ قامرنى عليها   معالجَةً نخانتنى القِداحُ
لئن قَصُرت مساعيها وضاقت   ففى الأشواقِ طولٌ وٱنفساحُ
فإن كَسرتْ عصا جَلَدِى عصاها   فآمالى برجعتها صِحاحُ
وقد يلد السرورُ على عقامٍ   ويحيا بعد ما مات المِراحُ
لعلّك – يابنَ أكرمهم يمينا   وأقدمِهم اذا كُرِهَ الكفاحُ
وأوسعِهم قِرًى وأعمَّ قدرا   اذا ما الكلبُ أعجزه النُّبَاحُ –
بقربك أن ستُخبِرُ أو سيُقضَى   لهذا الخَرقِ رَقعٌ وٱنتصاحُ
فترجعَ لى ليالٍ صالحاتٌ   بكم فاتت وأيّامٌ مِلاحُ
وينبُتُ تحت ظلّكُمُ لحالى   جَناحٌ حَصَّه القدَرُ المتاحُ ٨٤
عَلِقتكُمُ هوًى ومُنًى فما لى   على الأيّام غيركم ٱقتراحُ

(١) الشبم القراح : البارد الصافى .

وبعتُ بكم بنى دهرى ودهرى فعـدت وملءُ حِضْنَىَّ الرياحُ
أقول — وقد تعـرّم[1] جُرح حالى وسُـدّ على مَطالِعىَ السَّراحُ[2]
وكاشـفنى وكان مجاملا لى عَبوسُ الوجه من زمـنى وَقاحُ
وقد مَنعتْ غضارتَها وجفَّتْ على أخلاقها الأيدى الشِّحاحُ — :
غدًا يا نفس فآنتظرى أناسا هُمُ فَـرَجٌ لصـدرِك وآنشراحُ
ستطلُعُ من "بنى عيسَى" عليكِ الـ أكُفُّ البيضُ والغُرَرُ الصِّباحُ
ثقى بغـنَى ثراكِ غـدًا براحٍ يُطَلُّ بها جُـدوبُكِ أو يُراحُ
ولا تتسـغَّبى أسـفا ويأسا فعنـد مَغالـق الأمرِ آنفتاحُ
سيَنهضُ سـقطتى منهـم غلامٌ عزائمـه الأزِمَّـةُ والصِـفاحُ
كريمٌ جاره حـرمٌ منيعٌ عـلى الأيّام أو حَىٌّ لَقَاحُ[3]
كأنّ الفضـلَ فى ناديه صَونًا فتـاةُ الحىِّ تمنعها الـرِماحُ
هو آبتـدأ النـدَى لم أحتسـبه وأورَى لى ولم يكن آقتـداحُ
ودَرَّتْ راحتـاه ولم تُعصَّبْ وكم من مُـزنةٍ لا تستماحُ
وظنِّى أن سيشفعُها بأخرى يسـابقُ سـعيَه فيها النجاحُ
تقُوم بها على مَيَـدٍ[4] قناتى وتُلحَمُ من خصاصـتىَ الجِـراحُ
وتُنتَجُ من كرائم رأيـه لى بجانبِ جاهـه فيها لِقاحُ[5]
وعنـدى فى الجـزاء مسوَّماتٌ لها بالشكرِ مَغـدًى أو مَراحُ
حُلَى الأعراضِ تَضحك فى تَريبٍ لها عِقـدٌ وفى صدرٍ وشاحُ
لها الغرضان من معنًى دقيقٍ تقُـوم بنصـره كَلِمٌ فِصاحُ

---

(١) نُزِعَ ما عليـه من لحم . (٢) السراح : التسريح . (٣) لقاح : لا يدينون للملوك ولم يصبهم فى الجاهلية سباءٌ . (٤) الميد : الميل . (٥) اللقاح : الإبل واحدتها "لَقُوح" .

أبوها "فارسٌ" وكأنّ قومى ... بها "عدنانُ" أو دارى "البِطاحُ"
وأفضلُ ما جَزَيت أخًا بودٍّ ... وإحسانٍ ثناءٌ وآمتداحُ

* * *

وقال وكتب بها الى المهذّب أبى منصور بن المزرّع يمتدحه ويهنّئه بإملاكه (١) وإعراسه (٢)، ذهابا مع مودّة واحدةٍ بينهما، ترتفع مع حقوقها المنافسة وتجب المساعفةُ، وكان قد قدِم من سفرةٍ طويلة

قُلْ للزمان : صُلْحا ... قد عاد ليلِي صُبحا
جادَ فزار قمرٌ ... كان لَوَى وشَحّا
يلبَس جِنحا من دجى الـ ... ـليل وينضو جِنحا
فَردَّ ريحًا ناشقا ... "كاظمةً والسَّفحا"
كأنّ فأرَ (٣) تاجرٍ ... أنحَى عليها ذبحا
يبعثُ منها بُرْدُه ... مع النسيم نَفَحا
غلّس شوقا وأصا ... ب فُرصةً فأضحى
طال به الليلُ نعيـ ... ـما والنهارُ سَبْحا
يا لَسَقامِ آملٍ ... بَرا (٤) به وصَحّا
ورشفةٍ كانت على ... نارِ حشاى نَضْحا
رشّ الغليلَ بَرْدُها ... وبلَّ ذاك البَرْحا
كانت سِبارَ (٥) كبِدى ... وكان شوقِى جُرحا
سل ظبية الوادى تَدُسّ بانَهُ والطَّلْحا،

(١) الإملاك : التزوج . (٢) بالأصل "تعريسه" وهو تحريف، والإعراس بناء المرء على أهله وهو الذى يريده الشاعر كما تدل على ذلك أبيات القصيدة . (٣) الفأر : نافجة المسك وقد تقدّم . (٤) يريد "برأ" وقد سُهّلت همزتها ، وفى الأصل "برأيه" . (٥) السبار : ما يسبر به الجرح .

لها "بنعمانَ" طَلًّا(١)   تَـاوِى عليـه الكَشْحا :

أأنتِ أم "ظمياءُ" زُر   تِ لاغبين طُلْحا ؟

تَوَسَّـدوا مَنـاسما   ورُكُباتٍ قُـرْحا

أم جئتِنـا بسِـحرِها   تلفّتـا ولمحـا ؟

قاربتِهـا مـلاحةً   وفَضَـحتْك مِـلْحا

يا ٱبنـةَ أمّ البـدر(٢) يا   أختَ نجـومِ البَطحا

إسـاءةً ومَـللا(٣)   أزدْ أسًى وصـفحا

لحَـا عليـكِ حاسـدٌ   وحيثُ رُدَّ لَحَّـا

حُبَّـكِ خَرْقٌ لا أرى   له المـلامَ نَصْـحا

فالعـذلُ غِشٌّ لى ولو   مات العـذولُ نُصْـحا

أنـكَرتِ ٱبتسـامَ أيّـ   ـامى وكنَّ كُلْحا

وأبصرتْ جِـدّى غدا   فكاهـةً ومَـزحا

وما أحسّتْ أنّ ربـ   ـعَ الهـمِّ قـد أمحَّا(٤)

وأعذبَ الشِّربُ الذى   كانَ الأُجاجَ المِلْحا

أضحت خُطا البينِ الـ   ـىّ باللقـاء تُمـحَى ٨٥

وعاد "بالمهـذَّبِ" الـ   ـدهرُ البخيـلُ سَمْـحا

أهلا ــ وقد مات الحيا   ـتى أمات السّرحا

وكَشَرَتْ دُرْدًا سـنو   نَ أربـعٌ وقُلْـحا

وعاد ضرعُ النـابِ(٥) من   تحت العصابِ قَرْحا(٦)

---

(١) الطلا : ولد الظبي . (٢) فى الأصل "الغدر" . (٣) يريد "زيدى إساءة وملَلا" .

(٤) أمحّ : عفا . (٥) الناب : الناقة المسنّة . (٦) القرح : الجرب الشديد .

بغــرّةٍ تزيــدُ فى ليــلِ الجدوب قَدْحا
وبِيَــدٍ يُعــدى ندا ها النَّحِــزينَ(١) الرَّشْحـا
إن قَطَــرَتْ فوابــلا أو هَطَلَتْ فســــحّا
ميمــونةٍ ما مســحَتْ بسـاطَ أرضٍ مَسحا ،
إلّا كستْ غــدائرا هـامَ رباهـا الجُلْحا(٢)
لا تعجبوا إن أصفرتْ ومُــوِّلَ الأشحّا
هـل يَسمنُ العُود يُشظَّ ى(٣) أبــدا ويُلْحى(٤)
لو أنهــا بحــرٌ لأفـ نَتْهــا الحقــوقُ نَزْحا
ومرحبًا بهنّ أخـ ـلاقا رِطـابا سُمْحا(٥)
اذا السجايا فَترتْ عدنَ نشاوى مرْحا
أبلجُ زكّاه النــدَى فما يخاف جَــرْحا
جهِــدتَ يا عائبَــهُ فهـل وجــدتَ قَدْحا ؟
تنــحَّ عن مكانه من العـلا! تنحَّــا
يا بن "علِىٍّ" فُــتُّم الـ أشــراطَ جُذْعا قُرْحا
عــلوتم النـاسَ ترا با والنجـومَ سَطحا
لم تدّعــوا رِبابــةً للمجــد تحوى قَدْحا ،
إلا لكم فورتُها(٦) منحا بها وسنحا
طينــةُ بيتٍ أرضُــه فــوق السماء تُدحَى

(١) الحزين : جمع لحِزٍ وهو البخيل . (٢) الجلح جمع جلحاء وهى التى انحسر شعر رأسها
(٣) يشظّى : يشقّق . (٤) يُلحَى : يُقشر . (٥) سمحا : كريمة . (٦) الفورة : سَراة الجبل ومتنه وهو هنا مجاز .

ودوحـــةٌ أفـــرط فيـ ... ـها من أطال السَّـــرحا (١)

بثُمْـــرِكم (٢) حامـــلةٌ ... ولم تُهجِّنْ لَقْـــحا

جُمـــلةُ مجـــدٍ كنـــتمُ ... تفصـــيلَها والشَّـــرحا

كلُّ غـــلامٍ كافـــرٌ (٣) ... تحت اللثـامِ الصُّـــبحا

يَفـــرَعُ (٤) من شَـــطاطِه ... قبـــلَ الركوبِ الرُّمحـــا

يرمى بعينيـــه طُمو ... حا فى العـــلا وطرحا

كما تَفَـــعَّى (٥) أرقـــمٌ (٦) ... بالرمـــل يُذكِى اللمحا

اذا أحسَّ نبـــأةً (٧) ... كشَّ (٨) لهـــا وفحَّـــا (٩)

عِلقتُـــكم تحت شنـــو ... فِ الدهرِ بُلجا (١٠) قُـــرحا (١١)

وبعتُ من بعتُ بـــكم ... فعَبَّ بحـــرى (١٢) رِبحـــا

زوّجتُ آمالى بـــكم ... فـــولَدَتْ لى النُّجحا

لـــولا هَنـــاتٌ كالشِّرا ... رِ يلتمعن لَفـــحا

وغفـــلةٌ تُحـــرِق فى ... وجـــهِ الجمالِ القُبحا

وحاجـــةٌ تَحفِـــزنى ... يُضرَبُ عنهـــا صـــفحا

وكم غضبتُ ثم عـــد ... تُ أستميح الصُّـــلحا

وشـــفَعتْ نفسى لـــكم ... لخال عتـــبى مـــدحا

---

(١) السرح جمع سرحة وهى الشجرة العظيمة ، وفى الأصل "الشرحا" وهو تحريف . (٢) جمع الثَّمَر ثِمار وجمع الجمع ثُمُر ككتب وسكّنت الميم للضرورة . (٣) كافر : ساتر وفى الأصل "مكفِر" . (٤) يفرع : يطول ويعلو ، وفى الأصل " يقرع " ، والشطاط : حسن القوام واْعتداله . (٥) تفعّى : تنكّر . (٦) الأرقم : الثعبان . (٧) النبأة : الصوت الخفىّ . (٨) كشّ : صات من جلده لا من فيه . (٩) فحّ : صات من فيه . (١٠) بلجا جمع أبلج وهو المشرق الوجه ذو الكرم والمعروف . (١١) قرحا جمع أقرح وهو الأغرّ . (١٢) فى الأصل "نحرى" .

يا بدرُ، هذى الشمسُ مهـ ـداةٌ اليــك نِكحا
ففــز بهـا وقل لهـا : نصــرا بكـم وفتحا
مَلكتَ "بِلقيسَ" (١) بهـا وما نَقلتَ الصَّــرحا
أقــررتَها عَينـا وأعـ ـينُ الأعادى قَــرْحى
وآجتــلِ نجمـا مشرقا (٢) منهـا وصُــبحا صُـبحا
وآذخــرْ ثنـائى لبنيـ ـك كـيمياء صَحًّـا
أنظـم منــه لهُـمُ قــلائدا ووُشْحـا
يَخطِــر فيهـا الحَضَـ ـرِىُّ بــدويًّا قُحّـا
يتــلون منــه ما تلو ن خطبـاء فُصْـحا
ما أرقص الأيكَ الحمـا مُ طــربا وسَجــحا
وما جرى الصــومُ وجا ء الفطرُ يحـدو الأضحى

***

وقال وكتب بها الى الشريف الأجلّ الذكىّ ذى النباهتين أبى على عمر بن محمد السَّابُسِىّ، وقد كاتبــه دفعات آبتدائيًّا، وكتب يخطب فيها ودّه ويمدحه، ويسأله نسج الحال والمودّة بينه، وأنفذها الى الكوفة فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة

سَلْ فى الغضا ــ وصَبا الأصائِلِ تنفحُ ــ : هل ريحُ "طيبةَ" فى الذى يُستروَحُ ؟
وهل النوى ــ وقضاؤها متمرِّدٌ ــ تركــتْ "برامةَ" بانةً تــترنَّحُ ؟
أم شقَّ ليلَ "الغورِ" عن أقمـارِهِ بعــدى يدٌ تمطو (٣) وطرف يطمحُ ؟

(١) بلقيس : اسم الملكة التى تزوجها سـيدنا سليمان عليه السلام وسيرة نقل عرشها جاء بها القرآن الكريم فى سورة النمل . (٢) هذه الكلمة ليست بالأصل وقد رجّحناها لآتزان الشطر وإتمام معناه .
(٣) تمطو : تمــدُّ .

أهلُ "القباب" — ومن بهم لمصفَّدٍ ... بالبعد أتلع "بالعراق" وأبطحوا —

جعلوا "اللّوى" وعدَ اللقاء فقرَّبوا ... ورمتْ "تهامةُ" دونهم فتنزَّحوا

ووراءهم "عينُ الغوير" وهامةٌ ... رعناء[1] من "أجإٍ"[2] ورحبٌ صحصحُ[3]

وسَيالُ[4] "طيٍّ" فى رءوس صعادِها ... والخيــلُ تزبِنُ[5] فى الحــديد وترمحُ

فَمَن المطالِبُ والغــريمُ "ببابلٍ" ... والدَّينُ يحجبه "الأراكُ" و"توضحُ"[6] ؟

يا مُوردى "ماءَ النخيل" هنــاكمُ ... أن تُعذِبوا وشُروبُ "دجلة" تُملِحُ

هــل فى القضــيّةِ عندكم من نهلةٍ ... تَروَى بهــا هــذى القلوبُ اللُّوَّحُ ؟

تَرِدُ الغــرائبُ آنســاتٍ بينكم ... وأســيركم يَجِــدُ الفراتَ فيقمَحُ

لا سكرةُ البلوى "ببابلَ" بعــدكم ... تصــحو ولا ليلُ البلابلِ يُصبِــحُ

كم سهمِ رامٍ عنــدكم أهدفتُــه ... قلــبى ولكن تقتلون ويجــرحُ

وتمايَحت لى ظبيةٌ "غــوريّةٌ" ... سنحتْ وظبيتكم "بنجــدٍ" أملحُ

إمّا بدتْ عنكم "بَسيطةُ عامرٍ" ... "فطَراةُ شَيبةَ"[7] بالمَنــاسم يُرضَحُ[8]

"والحَرّتان" وزندُ ناجرَ فيهــما ... إمّا يَشُبُّ لظًى وإما يَقــدحُ

فلكَمْ على "الزوراءِ" من متعلِّقٍ ... بشكيمتى شــغَفا ورأسى يجمحُ

وكريمــةِ الأبوين أطرقَ بيتَهــا ... والليــلُ بابنِ سمــائه متوضِّحُ

وعلىّ من ثوبَىْ هــواى وعفّــتى ... شــوقٌ يُبَــلُّ وخَــلوةٌ لا تَقبُحُ

ومحجّب الأبوابِ فى رَيْعــانه ... أضحت مَغالقُـــه لشــعرى تُفتحُ

تتزاحــم الآمالُ حــولَ بســاطه ... عِظَمًا ولى منــه المكانُ الأفيحُ

(١) رعناء : شاهقة . (٢) أجأ : اسم جبل . (٣) الصحصح : ما استوى من الأرض .
(٤) السيال : شجر ذو شوك ، والصعاد جمع صعدة وهى القناة . (٥) تزبن : تدفع . (٦) توضح وما قبلها أسماء مواضع . (٧) طراة شيبة : اسم جبل . (٨) يقال : رضح الحصى : كسره

رفضَ الكلامَ الوغــدَ يعـلم أنه … يهجى – سوى فِقَرى – بما هو يمدحُ
ومشى يجُــرُّ قــلائدى متخايلا … فيها يقــلَّد دُرَّها ويُوشَّحُ
وعلى "السَّدير" و"حيرة النعمان"(١) لى … من خاطبٍ لو أنّ ودّى ينكحُ
وفتًى، ذؤابةُ "هاشــمٍ" آباؤه … دينًا وبيتاه "مِنًى" و"الأبطحُ"
رضَــعَ النبوّةَ وارتبَى فى حجرها … جَذَعا على طول الإمامة يقــرحُ
ورمى بطرفيــه السماءَ فلم يفت … طرفيه من فلك "المجــرّة" مطرحُ
"عَمْرو العُلا" أدّته عن "عمرو العلا" … أمٌّ متممــةٌ وفحــلٌ مُلقِــحُ
شرفٌ الى "الزّهراء" مَسرى عرقِهِ … وعلى "الوصىِّ" فروعُــه تترشّحُ
تتهـابطُ الأمــلاكُ بين بيوته … وتطــير وهى بهــديه تستنجحُ
يا راكبَ الوجناءِ، ينقل رحلَه … عنــقٌ لها ذُلُلٌ وذيلٌ مِلوحُ(٢)
تمضى عزوفا لا تُغَــرّ ببــوّها … يُلقِى السقائطَ(٣) بالفــلاةِ ويطــرحُ
وإذا أراهـا الخِمسُ ماءَ عشــيّة … عدّته قانعــةً لآخرَ يُصبــحُ
بلّغ كأنك مُفصحا "غيلانُ" وا … ستفضِ الطريقَ كأن عنسك "صيدحُ"
"الكوفةَ البيضاءَ": أنَّ "بجوّها" … قمـرا تُغـاظ به البـدورُ وتُفضَحُ
عَرِّج وقل "لأبى علىٍّ" ما لنا … أذنيــه: حيّتك الغــوادى الرُّوَّحُ
وسقتك كفُّك فهى أغزرُ ديمــةً … ما قلّصتْ عنــك السحابُ الدُّلَّحُ
وازداد مجــدُك بَسطةً وإنارةً … وعلوُّ جدِّك والجــدودُ تُطــوَّحُ
فتَّ الصــفاتِ فلجلجَ المثنِى بما … تولِى وأعجــمَ فى علاك المفصحُ
فالبــدرُ تمٌّ وأنت أكملُ صورةً … والبحرُ عمٌّ وأنت منه أسمحُ

(١) بالأصل "جيرة". (٢) ملوح: كثير الإلاحة. (٣) السقائط جمع سُقاطة وهي ما سقط من الشيء.

وَالخـادرُ(١) الحـامِى حِمى أشبـالِهِ — لك عن وليجةِ غابِهِ يتزحزحُ
تركتْ سيادتَهـا العشيرةُ رغبـــةً — لك فى اقتبالك وهى بُزْلٌ قُـــرَّحُ
ورأتْ زئيرَك دونهـا فتأخَّرت — وثعـالبُ الأعداءِ فيهـا تَضــبَحُ
جمَّعتَ أُلفـــةَ عزِّها، وعَزيبُهـا — بقنا العـدا طردا يُشَـــلُّ ويُسرحُ
وشفَتْ سيوفُك من بنى أعمامهـا — داءً تَضيــقُ به الصـــدورُ وتَبرحُ
دَينٌ شكوت الى الحسامِ مِطـالَهُ — فقضاه، والسـيفُ المشاوَرُ أنصحُ
دِمَنٌ على القُــربى تزيدُ عداوةً — لخروقُهـا ما بينكم لا تُنصَـــحُ
حسدوا تقـــدُّمَ فضلكم لحقودُهم — لا تنطفِى وفسادُهـــم لا يَصلحُ
زحموك أمسِ فعاركوا ملمومةً — صمَّـاءَ يُوقِصُ(٢) ركنُها مَن يَنطَحُ
فسقيتهم كأسا مُجاجتُهـا الردى — شربوا على كرهٍ لهـا ما يُجـدَحُ(٣)
يا جامعَ الحســناتِ وهى بدائدٌ — ومُرِبَّ روضِ الفضل وهو مُصوِّحُ
كفٌّ تخفُّ مع الرياح سماحةً — ومهابةٌ تزن الجبـالَ وترجَحُ
قد جاءت الغـــررُ الغرائبُ طُلَّعا — كالشهب تَثقُبُ فى الدجى وتلوِّحُ
ثَمَـرٌ بغرسِك قد حلتْ مَجْنـاتُه — ونتائجٌ من بحـــر فكرك تُلقَحُ
فنطقن والأشعار خُرسٌ عنـــدنا — ونجون سبقا والقـــوافى طُلَّحُ
فكأنَّ روضَ الحَزْنِ تنشره الصَّبا — ما ظَلْتُ من قرطاسها أتصفَّحُ
فسوادُها من ناظـرى ما يَمَّحِى — وسَـدادُها من خاطرى ما يَبرحُ
ألَّفتُهـا من جوهرٍ فى النفس لا — يَفنَى ومعدنِ فكرةٍ لا يُنزَحُ
نَظَمتْ لِىَ الحُسنَ المبرِّز والهـدَى — فكأنى بنشـيدهنَّ أســبِّحُ
وأمَا وذَرعِك فى العـــلاء فإنه — قَسَمٌ لباعِ الصـدقِ فيـه مَسرَحُ،

(١) الخادر: الأسد. (٢) يوقص: يقال أوقص عنقه أى دقها. (٣) يجدح: يُخلَط.

ما خلتُ صدقَ القول شخصا ماثلا يُهدَى وأَنَّ الرفد سِحرٌ يُمنحُ
جاريتُها متحذِّرا من سبقها والبرقُ يكبو عن مداى ويُكبحُ
ومتى أقوم مكافئا بجزائها ونداك مفترَعٌ بها مستفتَحُ
كرمٌ تطلّع من شريف خلائقٍ أصفَى من المزن العِذابِ وأسمحُ
لم أرمه بسهام تقديرٍ ولم أطرح له الآمالَ فيما أطرحُ
فلترضينَّك — إن قبلتَ — معوضةٌ مما أصونُ "بحائلٍ" تتنفَّحُ
سيّارةٌ فى الخافقَين فذكرُها ذِكرُ الغمائم باكرٌ مترَوّحُ
تَجزى الرجالَ بصدقهم فصديقُها فى غِبطةٍ وعدوُّها لا يفرحُ
مجنوبةٌ لك لا تزال جِباهُهَا أبدا على السّبق المبرِّح تُمسَحُ
فامددْ لها رسَنَ الرجاءِ فإنها بالودِّ تُشْكَمُ(١) والكرامةِ تُشبحُ(٢)
مهما تُعرِّضُ للرجالِ بدِينِها فمديحُها لك بالغلوّ يُصرِّحُ

* * *

وقال وكتب بها الى زعيم الملك أبى الحسن بن عبد الرحيم يهنّئه بالمهرجان ويشكر مراعاته

أتكتمُ يومَ "بانةَ" أم تبوحُ ؟ وأجدرُ لو تبوحُ فتستريحُ !
حملتَ البينَ جَلْدا والمطايا بوازِلُها بما حَمَلَتْ طُلوحُ
وقمتَ وموقفُ التوديع قلبٌ يطير به الجوى وحشًا تَطيحُ
تَلاوذُ(٣) حيثُ لا كبدٌ تلظّى بمَعتبةٍ ولا جفنٌ قريحُ
فهل لك غير هذا القلبِ تحيا به أو غير هذى الروح روحُ ؟
لعمرُ أبى النوى لو كان موتا جَنَتْ لك فهو موتٌ لا يريحُ

(١) تشكم : يُسَدُّ فوها بالشكيمة . (٢) تُشبح : تُقيَّد . (٣) تلاوذ : تلوذ .

يفــارِقُ عاشـــقٌ ويمــوتُ حىٌّ ... وخيرُهمـــا الذى ضَمِنَ الضريحُ
وقال العاذلون : البعدُ مُسْلٍ ... فما لجواك ضاعفــه النزوحُ !
وفى الأظعانِ طالعــةٌ "أُشَيًّ" ... أبو لونين مَنّـاعٌ منـــوحُ
ســـلافةُ ريقِــه بَسْـــلٌ حرامٌ ... ووردةُ خـــدّه مما يُبيـــحُ
اذا كتمتْه خالفــةٌ (١) وخِـــدرٌ ... وشَى بمكانه المســـكُ النضيـــحُ
أسارقه مُسارَقةً ودون الـ ... ـخلاطِ به الأســنّةُ والصفيحُ
ولم أرَ صــادقَ العينين قبـــلى ... أضـــلَّ فــدلَّه شـــمٌّ وريحُ
أيا عجبــا يُهتِّـكُ فى ســلاحى ... ـ وقد حطم القنَا ـ طرفٌ طموحُ
ويقنصنى على "إضم" ـــ وقدما ... قنصتُ أســودَها ـــ رشأٌ سَنيحُ
رمَى كبدى وراح وفى يديه ... نُضوح دمى، فقيل : هو الجريحُ
وأرســـلَ لى مع العُــوّاد طيفا ... يُرِى كرما وصاحبُـــهُ شحيـــحُ
إذا كَرِبَ (٢) الرمِىُّ يُبِــلُّ (٣) شيئا ... ألَمَّ فدُمِّيَتْ تلك القُـــروحُ
فقال : كم القنوطُ وأنت تحيــا ... وكـم تأتى الغنىَّ وتســـتميحُ ؟
شكوتَ، ومَن أرى رجلٌ صحيحٌ ! ... فقلتُ له : وهل يشكو الصحيحُ ؟
فما لك يا خيالُ ـــ خلاك ذمٌّ ـــ ... أتاحك لى على النأى المتيـــحُ !
فكيف وبيننا خيطا "زَرودٍ" ... قَرُبتُ عليــكَ، والبــلد الفسيحُ !
أعزمٌ من "زعيم الملك" تَسرِى ... به أم من ندَى يده تَميـــحُ ؟
حلتَ اذًا على ملكٍ كريم ... الى رحلى يعــودُ بك "المسيحُ"
وجئتَ بنائلٍ لا البحرُ منـــه ... بمنتصِـــفٍ ولا الغيثُ السَّفوحُ
حَمَى اللهُ ابنَ منجبـــةٍ حمانى ... وقد شُـــلَّت على الراعى السُّروح

---

(١) الخالفة : عمود من أعمدة البيت فى مؤخره . (٢) كرب : قرب . (٣) يُبلُّ : يشفى .

وســدَّ بجوده خَــلَّاتِ حالى   وقد ضعفتْ على الخَرْقِ النُّصوحُ ٨٨
تكفَّلَ من بنى الدنيا بحاجى   تَتــوجُّ فى عقائمِها لَقــوحُ
تفــرّغ لى وقد شُــغِلَ المُواسى   وخالصنى وقد غُشَّ الصــريحُ
وقام بنصرِ ســؤددِه فسارتْ   مَطالعُــهُ وأنجمُهــم جُنوحُ
حَلَتْ مِدَحِى لقــومٍ لم يَهشّــوا   وغنّاه فأطــربه المــديحُ
كأنّ الشعرَ لم يُفصِــحْ لحىٍّ   سواه وكلُّهــم لَحِنٌ(١) فصيحُ
جــوادٌ فى تقلُّبِ حالتيــه   فلا سَــعةٌ تَبين ولا رُزوحُ
اذا قامت له فى الجــود ســوقٌ   فكلٌّ مُتاجرٍ فيهـا رَبيــحُ
تمرّن فى السيادة منــه ماضٍ   عــلى غُــلَوائه لا يســتريحُ
جَرَى متــدفقـا فى حلبتيْها   كما يتــدَفّق الطِّرفُ السَّــبوحُ
وجمّــع مُلكُ "آل بويه" منه   على ما شتّت "الكافى" النصيحُ
يقلِّبُ منــه أنبــوبا ضعــيفا   تَدينُ له الصــفائح والسريحُ(٢)
وكانَ الفارسَ القلَمىَّ يُبــلى   بحيث يُعــرِّدُ(٣) البطلُ المُشــيحُ
وَرَى بضيائه — والليلُ داجٍ —   خُفوقَ النورِ، منبلجٌ وَضــوحُ
أضــلَّ الناسَ فى طرق المعــالى   سبيلًا بين عينيــه يلوحُ
وضمَّ الحبــلَ مُحْــلَولًى مَريرًا   أخو طعمينِ منتقمٌ صفوحُ
فيــوم الأمنِ وَرّادٌ شروبٌ   ويوم الغبنِ عيّافٌ قَمــوحُ
"أبا حسنٍ" عدوّك من تَرامَى   به الرَّجوانِ(٤) والقــدَرُ الجَموحُ
الى متمــرِّد المهوَى عميــقٍ   فتطــرحه مَهالِكَهُ الطُّــروحُ

---

(١) اللحن : الفطن . (٢) السريح من الخيل : العُرْىُ . (٣) يعرّد : يفرّ ويهرب .
(٤) الرجوان مثنّى رجا وهو ناحية البئر ويقال : "رُمَىَ به الرَجوان" من باب الاستهزاء كأنه رُمِىَ به رجوا بئر .

تفـــرَّسَ فى الغزالةِ (١) وهو أعشى ... ليقـدَحَ فى محاسنهـا القَــدوحُ
ينـاطحُ صخـــرةً بأجَـــمٍّ (٢) خاوٍ ... أيا سَرْعانَــ ما حُطِمَ النطيحُ
بحقك ما أبحتك مِن فؤادى ... مضـايقَ لم ينلهـا مســتميحُ
أصـارك وهى خافيـــةٌ اليهـا ... ودادُك لى ونائلُك السـجيحُ (٣)
فإن أخرستَ ريبَ الدهرِ عنّى ... بعونك والنــوائبُ بى تَصيحُ ،
ولم تَبْعَلْكَ (٤) بى مـــترادفاتٌ ... من الحاجاتِ تغـدو أو تروحُ ،
وغـــيرك حامَ آمالى عِطاشا ... عليـــه وما يُبَـــلُّ لهنّ لُـــوحُ (٥) ،
تَزاورَ جانبـا عن وجه فضلى ... فضاع عليـــه كَوكَبِيَ الصبيحُ ،
جفانى لا يَعُـــدُّ علىَّ ذنبـا ... بأعـــذارٍ وليس لهـا وضوحُ ،
أعاتبُـــه لأنقـــلَه ويعيـا ... بنقلِ "يَلَملَمَ" اليومُ المُـــريحُ ،
وكم أغضيتَ إبقـاءً على ما ... أتى وســترتَ لو خَفِيَ القبيحُ ،
فلا تعـــدَمك أنتَ مكـرراتٌ ... على الآفاق تقطُنُ أو تَسيحُ
لهـا أرَجٌ بنشرك كلّ يومٍ ... على الأعراض ضَوعتُه تفـــوحُ
تَصاعَدُ فى الجبـالِ بلا مَراقٍ ... ويَقـذِفُ فى البحار بهـا السُّبوحُ
تمرُّ عليـــكَ أيّامُ التهـانى ... ومنهنّ المبـارَكُ والنجيحُ
بجيـدِ المهرجان وكانــ عُطْلا ... قلائدُ من خلاها أو وُشـــوحُ
بشائرُ أنــَّ عمركَ فى المعـالى ... يَعُـدُّ مُضاعِفا ما عَدَّ "نوحُ"

---

(١) الغزالة : الشمس . (٢) الأجمّ : الكبش لاقرن له . (٣) السجيح : الغزير .

(٤) يقال : بعل بأمره : بَرِمَ فلم يدرما يصنع . (٥) اللوح : العطش .

***

وقال وكتب بها الى ناصر الدولة أبى القاسم بن مكرم، وأنفذها الى عمان على يد صاحبه وذلك فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة

لمن صاغياتٌ(١) فى الحبابِ طلائحُ ... تسيلُ على "نعمانَ" منها الأباطحُ
تخابط أيديها الطريقَ كأنها ... مَوائرُ فى بحر الفلاة سوابحُ
دجا ليلُها وهى السهام تقامُصا ... فلم ينصرم إلا وهنَّ طَرائحُ
كأنَّ الوجى(٢) سرٌّ تخاف انتشارَه ... فمنها مُرِمٌّ(٣) بالتشاكى وبائحُ
حَمَلْنَ شموسا فى الحُدوج غواربا ... وليلُ السُّرَى منهنّ أبلجُ واضحُ
ينوء بها أَنِ القدودَ خفائفٌ ... ويُظلِعها أَنِ المتونَ رواجحُ
وفيهنّ منصورُ السهام مسلَّطٌ ... لعينيه أن تَدْوَى(٤) القلوبُ الصحائحُ
يطير جُبَارا(٥) ما أراقت لحاظُه ... اذا وُفِّيَتْ حكمَ القصاصِ الجرائحُ
رمانى ونسكُ الحجّ بينى وبينه ... ولم يدر أنّ الصيد فى الحجّ قادحُ
طرحْتُ "بجَمْعٍ" نظرةً ساء كسبُها ... وتبعثُ شرًّا للعيون المَطارحُ
فإن ستَرتْ تلك الثلاثُ على "مِنًى" ... هواى فيومُ النَّفرِ لا شكّ فاضحُ
بكيتُ ولامَ العاذلاتُ فلم تغِضْ ... على رُقيةِ العذلِ الدموعُ السوافحُ
ولم أرَ مثلَ العينِ تُشفَى بدائها ... ولا كالعذول يُجتوَى وهو ناصحُ
أمنكِ ابنةَ الأَعرابِ طيفٌ تبرّعتْ ... به هَبَّةُ التغويرِ والليلُ جانحُ؟
طوى "الرملَ" حتى ضاق بينى وبينه الـ ... ـعِناقُ وما بينى وبينكِ فاسحُ
فباتَ على ما ترهبينَ ركوبَه ... هَجُوما وفيما تمنعين يسامحُ

(١) الصاغيات : المائلات . (٢) الوجى : الحفا . (٣) المرمّ : الساكت .
(٤) تدوَى : تمرض . (٥) جُبارا : هدرا .

رعَى اللهُ قلبا ما أبرَّ بمن جفا … وأثبتَ عهـدًا والعهـودُ طوائحُ
وأوسعَ ذَرعا بالوفاء وصـونِه … اذا ضاق ما تُطوَى عليـه الجوانحُ
عذيرىَ من دهرى كأنى أريده … على الودّ سَلما وهو قِرنٌ مكافحُ
وصحبـةِ خَوّانينَ، بائعُهم وإن … تَكثَّر منهـم بالتوحُّـدِ رابحُ
أخوهم أخـو الذئب الخبيثِ يَدلُّه … على الدمِ ما تُملِى عليـه الروائحُ
وأيدٍ سِـباطٍ (١) وهى بالمنع جَعـدةٌ (٢) … تلاطمنى منهـا اللواتى أصافحُ
يضىء على أبصارهم ضوءُ كوكبى … وموضعُه من مطلِـع الفضـل لائحُ
قعدتُ مع الحرمانِ بينَ ظهورهم … وطائرُ حظّى لو تعيَّفتُ سانحُ
لقد كان لى عن "بابلٍ" وجُدوبها … مذاهبُ يتـلوها الغِنى ومَنادحُ
تركتُ عبابَ البحـر والبحرُ مُعرِضٌ … وأمّلتُ ما تَسقِى الرَّكايا النـوازحُ
ولو نهضتْ بى وثبـةُ الجَدِّ زاحمتْ … على المـاء هذى الآبيـاتُ القـوامحُ
إذًا لسقاها "ناصرُ الدين" ما ٱستقتْ … كُبودٌ حِرارٌ أو شِـفاهٌ مَلاوحُ
وقد كانت "الزوراءُ" دارَ إقامةٍ … ومَنْعَمَةٍ فيهـا المنَى والمَفـارحُ
زمانَ العُـلا محفـوظةٌ فى عِراصها … ثِقـالٌ وميزانُ الفضـائلِ راجحُ
فقـد حُوِّلتْ تلك المحاسنُ، وٱنتهتْ … الى غيرها فى الأرض تلك المَنـائحُ
وأضحتْ "عمانُ" للمكارمِ رُحلةً (٣) … تُراحُ عليهـا المتعَبـاتُ الروازحُ
بهـا المُلكُ طَلْقٌ والمغانِى غَنيَّـةُ الـ … ـرُّبا ومسـاعى الطالبين مَنَاجحُ
يضوع ثراهـا بالنـدى فتخالهـا … رياضـا وكانت قبـلُ وهى ضرائحُ
يدبّرها سَبط اليدين، بنـانُه … لمقفَل أرزاق العبـاد مَفاتحُ

---

(١) سباط : كريمة لينة . (٢) جعدة : شحيحة جامدة . (٣) الرُّحلة بالضم : المكان يقصده الراحل .

صفا جوُّها بعــد الكدور بعــدله ... وطابت حسـاياها(١) الجِباتُ(٢) المَــواحُ
فمـا غــيرها فوق البسيطة للعــلا ... مقــرٌّ، عـلى أن البلاد فسائحُ
ولا مَلِكٌ إلا وفضــلةُ ربِّهـا ... عليــه اذا عُــدَّ الملوكُ الجحَاجحُ
بهمّة محيي الأمّـة آجتمعت لهـا الـ ... ـبدائدُ وآنقادت اليهـا الجـوامحُ
بأروعَ، وسمُ الملكِ فـوق جبينــه ... — اذا آرتابت الأبصارُ — أبلجُ واضحُ
اذا نُسِبَ الأملاكُ لم يَخش نحِلةَ الـ ... ـدعاوى ولم تدخل عليــه القوادحُ
من النفَـر الغــرّ الذين بيأسهم ... ونعمائهــم تُلقَى الخطوبُ الفوادحُ
اذا ما دجت عشواءُ أمرٍ فأمرُهــم ... ونهيُهــم شــهبٌ لهـا ومَصـابحُ
لهــم قصباتُ السبق فى كلّ دولة ... هــم السرُّ(٣) منهـا والعتاقُ الصرائحُ
ينالون أقصَى ما آبتغَوه بأذرع ... مَخاصرُها(٤) صُمُّ القنا والصــفائحُ
أصولُ عــلًا منصورةٌ بفــروعها ... اذا غاب مُمسٍ منهــمُ هبَّ صابحُ
وربَّ "يمينُ الدولة" المجدَ بعــدهم ... كما ربَّت الروضَ الغيـوثُ السوافحُ
جرى جريَهــم ثم آستتمّ بسبقه(٥) ... وكم وقفتْ دون الجِــذاعِ القوارحُ
همـامٌ مع الإصرار مُصطلِمٌ(٦) لمن ... عَدَى ومع الإقــرار بالذنب صـافحُ
تسـنَّم أعوادَ الســرير محجَّبٌ ... لواحظُه شرقا وغــربا طــوارحُ
تُراصِدُ جَرْىَ الأرض رجْعاتُ طَرفه ... كما ركـبَ المَـرباةَ أزرقُ(٧) لامحُ
ألا أيّهـا الغادى ليحملَ حاجتى ... لعلّك إن بُلِّغتَ بالنُّجح رائحُ
أعد فى مقــرّ العــزّ عنى تحيّــةً ... يُذَكّى النســيمَ طيبُها المتفاوحُ

(١) الحسايا جمع حَسِيَّة وهى كل ما يُحتَسَى وفى الأصل "محشا ياها" وهو تحريف . (٢) فى الأصل "الجنات" وهو تحريف أيضا . (٣) السر : اللُّبُّ : (٤) المخاصر جمع مِخصرة وهى ما يأخذه الملك بيده يشير به اذا خاطب . (٥) فى الأصل "بسيفه" وهو تحريف . (٦) مصطلم : مستأصل . (٧) الأزرق اللامح : البازى .

وقل : عبدُك المشتاقُ لا عهدُه عفا ولا وجدُه — إن نُقِّلَ الوجدُ — نازحُ
ومن لم يُخَيَّبْ قطّ عالى ظنونه لديك ولم تُخْـدِجْ مناه اللواقحُ (١)
وأغنيتَــه عمّن سواك فلم يُبَلْ جفا مانــعٌ أو بَرّ بالرفــد مانحُ
قَليبٌ، قريبٌ لى "ببغــداد" ماؤها ومنبعُها شحــطَ النــوى متنازحُ
لهـا كلّ عامٍ من سماحك ناهزٌ (٢) ومن عهدك الوافى رِشاءٌ وماتحُ
اذا ما آستدرَّ الشكرُ سلسالَ صَوبِها وجاءك عنى تمتريها المدائحُ
أتتنى وبطنُ البحر ظهــرُ مطيِّها فــروّتْ غليلى والسفينُ النواضحُ
وما زادها التنقيصُ إلا غَــزارةً وإلا صــفاءً طولَ ما أنا نازحُ
تبُلُّ ثرى أرضى وجســمِىَ وادعٌ وتُثْــرُ لِآبنِى وهو ساعٍ مُكادحُ
كلانا سُقِى من عفوِها وزُلالها وإن حبستنى عُقْلتى (٣) وهــو بارحُ
فللّهِ مولًى منــك ما لِىَ عنــده ومَتجَــرُ من يُدلِى بجاهِىَ رابحُ
وها هــو قد كرَّت اليــك رجاءَهُ سوائرُ حاجٍ طيرُهنَّ سوانحُ
فأمرَك — زاد اللهُ أمرَك بسطةً — بمـا عَوّدَت تلك السجايا السحائحُ
أَعِنْ جهدَه وآعرف له خَوض زاخرٍ يهــزُّ الضلوعَ موجُــه المتناطحُ
ولم أستزدْ نُعماك إلا ضرورةً وقد تُســتزادُ المزنُ وهى دوالحُ
بما ثقّلَتْ ظهرى الخطوبُ وضاعفتْ تكاليفَ عيشى وآنتحتنى الجــوائحُ
وما بُثَّ من زُغبٍ حَوالَىَّ كالقطا تَنَزَّى الشِّــرارِ أعجلتها المَقادحُ
أمسِّح منهــم كلَّ عِطْفٍ أسفتُ إذ أتانى وقــد بُيِّضنَ منّى المَسائحُ
نجــوتُ على عصرِ الشبيبةِ منهُــمُ وأرهقــنى المقــدارُ إذ أنا قارحُ

---

(١) يقال : أخدجت الدابة : جاءت بولد ناقص الخَلْق . (٢) الناهز : الذى يضرب بالدلو فى البئر لتمتلئ . (٣) العُقلة : ما يُعْقَلُ به كالقيد أو العِقال ، وفى الأصل "غَفْلَتى" .

فدتك ملوكٌ ذكرُ مجدِك بينهم مثالبُ فى أعراضهم وجرائحُ
اذا لُعِنوا صَلَّتْ عليك محافلٌ صفاتُك قرآنٌ لها ومَسابِحُ (١)
حَمَوا مالهم أن تُنتحى بنقيصة عقائلُه والساريات السرائحُ
ومالُكَ فى الآفاق شتَّى موزَّعٌ، كرائمُهُ والباقياتُ الصوالحُ
سهرتَ ونام الناسُ عمّا رأيتَه كأنك للعلياء وحدَك طامحُ
وجاريتَ سيبَ البحرِ ثم فَضَلْتَه وهل يستوى البحرانِ عذبٌ ومالحُ؟
أعرِنِىَ سمعا لم تزل مطربًا له اذا ما تغنَّته القوافى الفصائحُ
وأَصغِ لها عذراءَ لولاك لم تُجِب خطيبا ولم يظفَر بها الدهرَ ناكحُ
من الباهراتِ لم تُحدَّثْ بمثلها الـ ـنفوسُ ولم تُوصَل اليها القرائحُ
ظهرتُ بها وحدى على حين فترةٍ من الشِّعر، برهانى بها اليومَ لائحُ
ومِنْ شرفِ الأشعار أنك سامعٌ ومن شرف الإحسان أنِّىَ مادحُ
ومَنْ لِىَ لو أنِّى مَثَلْتُ مُشافِها أفاوِضُها أسماعَكم وأطارحُ
وأن ينهضِ الجَدُّ العَثورُ بِهجرةٍ (٢) تُعالَجُ أشواقى بها والتَّبارِحُ
ويا ليتما ريحُ الشَّمال تهبُّ لى، فتُطلِعَنى منها عليك البوارحُ
وكيف مَطارى والخطوب تُحُصُّنى وأخذِىَ شَوطى والليالى كوابحُ
وقد كان جُبن القلب يُقعِدُ عنكُمُ فقد ساعدَتْه بالنكولِ الجوارحُ
وأقسمتِ السِّتُّونَ ما لخروقها اذا ٱتسعتْ فى جِلدة المرءِ ناصحُ (٣)
وإنى على أنسى بأهلى وموطنى لأَعلمُ أَنَّ العيشَ عندك صالحُ

(١) فى الأصل "مسايح" وهو تحريف. (٢) فى الأصل "وإن نهض". (٣) الناصح: الخياط.

قافيـــة الدال

بعـــد خلو حرف الخـاء

وقال يهنئ نقيب النقباء أبا القاسم بن ممّـا بخِلَعٍ وحُملانٍ(١) أُخرِجَتْ اليه من الحضرة ويصف العُودَ والجامَ والخِلَعَ

أُرِى طَـرفَها أنّ الخضابين واحـدُ   ولكنّه ما بَهْـــرجَ(٢) الشـيبَ ناقدُ ٩١
ضَـــلالةُ حُبٍّ غادرتنى مزوِّرا   عِـذارى وإنى لو أفقتُ لَراشـــدُ
يقولون: عُمرُ الشيبِ أطولُ بالفتى،   وما سرَّنى أنى مع الشَّـــيبِ خالدُ
أَماضٍ فغـــدَّارٌ زمانٌ أباحـنى   حريمَ الهـــوى أم حافظٌ لِى فعائدُ ؟
ودارَينِ من عالى "الصَّراةِ" سقتهما الـ   ـبوارقُ رِبْعِيٌّ(٣) الهوى والرواعـــدُ
ألفتُهما والعيشُ أبيضُ ضـاحكٌ   بربعهـــما والظلُّ أخضرُ باردُ
ونَدمانُ صَبْحى صاحبٌ متسـمِّحٌ   معى، وضجيعُ الليـل إلفٌ مُساعدُ
وأخرسُ(٤)، ممَّا سنَّت "الفرسُ" ناطقٌ   يُهبُّ رياحا رَوحُه وهـــو راكدُ
على صدره بالطُّول سبعٌ ضـعائفٌ   تدبِّرها بالعَـــرضِ سَبعٌ شـــدائدُ
وخمسٌ سكونٌ تحت خمسٍ حَوارِكٍ   تُمُـــدُّ ثلاثًا يمتطيهنَّ واحـــدُ
يشرِّدُ من حلم الفـــتى وهو حازمٌ   فيرجعُ عنـــه فاســـقا وهو عابدُ
وقَوراءُ(٥)، ماءُ الكرم أحمـــرُ ذائبٌ   عليهـا وماء التـبر أصـــفرُ جامدُ

---

(١) الحُملان : ما يُحمَـلُ عليه من الدوابّ فى الهِبَة خاصّة .   (٢) بهرج : زيَّف .
(٣) الربعىّ : ما نتج فى أيام الربيـع وهو هنا مجاز .   (٤) يكنى عن العود ويصـفه .
(٥) القوراء : الواسعة، ويريد بهـا الكأس .

تُمَثِّلُ "بَهْرامَ الكواكبِ" (١) قائماً ... بها حيثُ "بَهرامُ الأكاسر" قاعدُ
أميرانِ، يُخفِى قائمَ السيفِ قابضٌ ... عليه، ويُبدى دُرّةَ التاج عاقدُ
تَبينُ وحبّاتُ المزاج نوازلٌ ... وتَخفَى وحبّاتُ الحَبابِ صواعدُ
مَصالحُ عيشٍ والفتى من خلالها ... اذا لاحظ الأعقابَ فهى مَفاسدُ
ودنيا، لسانُ الذمّ فيها محكَّمٌ ... ولكنها عند "الحسين" مَحامدُ
اليكم بنى الحاجاتِ إنِّىَ رائدٌ ... لِيُحبَسَ جارٍ أو لِيَبرُكَ واخدُ
أبٌ بكُمُ بَرٌّ وأنتم معقّةٌ ... أخٌ لكُمُ دِنْيًا وأنتم أباعِدُ
حبيبٌ اليه ما غنمتم كأنه ... اذا جادَ مرفودٌ بما هو رافدُ
أناةٌ (٢) ومن تحت القطوبِ تبسّمٌ ... أوانًا وفى عقب الأناةِ مكايدُ
محاسنُ لا ينفكّ ينشُرُ حامدٌ ... لها بعضَ ما يَطوِى على الغلِّ حاسدُ
ولما جلاكَ الملكُ فى ثوب جسمه ... تراءت على قدر العروس المَجاسدُ
أثبتُ بها عذراء ما آفتضَّ مثلَها ... سوى ربِّها، ما كلُّ عذراءَ ناهدُ
"بهائيّة" تُعزَى لأشرفِ نسبةٍ ... لتيأسَ منها كلُّ نفسٍ تراودُ
لها أرَجٌ للعز باقٍ وإنها ... على عزّ من تُهدَى اليه لَشاهدُ
على منكِب الفخر آستقرّت ولم تكن ... تُلاقيك (٣) لو لم تدرِ أنّك ماجدُ
أبانَ بها ما عنده لك، إنما ... تُحلَّى لإكرام السيوف المَغامدُ
فزاد "بهاءَ الدولةِ" اللهُ بسطةً ... على أىّ عِلقٍ (٤) منك أضحى يزايدُ
لئن كان سيفا مرهَفَ الحدّ إنه ... لَيَعلمُ عِلمَ الحقّ أنك ساعدُ
أتانِىَ ليلا — قرَّ عينا — مبشِّرى ... فأيقظنى وَهْنًا وإنى لَراقدُ

(١) بهرام الكواكب: المريخ، قال حبيب بن أوس:

له كبرياءُ المشترى وسعودُه ... وسَورةُ بَهرام وظَرفُ عُطارد

(٢) فى الأصل "أتاك". (٣) فى الأصل "تلقّيك". (٤) العلق: الشىء النفيس.

وقمتُ، فكفٌّ[(١)] يشكر الدهرَ كاتبٌ ... ثناك، وخدٌّ يشكر اللهَ ساجـــدُ
وناديتُ فانثالتْ معانٍ كأنّ ما ... تنظّمه منها القـوافى فـرائدُ
وتنقّدْن لى ما سِرنَ ظهـرَ مدائحى ... اليك وهنَّ عن سواك حوائدُ
وما كنّ مع طول القيام صـــواديا ... ليَسْرَحنَ إلا حيث تصفو المواردُ
ولست كمن يُعطِى الأسـامِى نوالَهُ ... اذا جاد تقليـــدا وتُلْغَى القصـائدُ
وما الشِّـــعرُ إلا ما أقامت بيوتُه ... وسارت فأضحى[(٢)] قاطنا وهو شـاردُ
وما هو إلا فى رقابٍ - اذا فشـا ... به الحفظُ - أغلالٌ وأخرى قلائدُ

* * *

وقال يمدحه وينتجّزه وعدا طال مطله به

أقامتْ على قلبي كفيلا من العهدِ ... يذكّرنى بالقـــربِ فى دولة البعـدِ
فقولا لواشيها - وإن كان صادقا - : ... وفائى لها أحظَى ولو غدرتْ عندى
خليــلىَّ، ما للرّيح هبّت مريضـــةً ... هل آجتدتِ البُخَّالَ أم حَمَلتْ وجدى؟
ضمنتُ من الداءين ما لا تُقِـــلُّه ... على طرحها الشمُّ الهضابُ من الصَّلدِ
حنينٌ، ولكن مَن لِشملِي بجامعٍ؟ ... ومدُّ يدٍ، لكن مَنِ الرَّجلُ المُجـــدِى؟
فلا حُبَّ بل لاحظَّ نالك حظُّــه[(٣)] ... قد آشترك الأحبابُ والحظ فى الصدِّ
وسَمَّى زمانى طولَ صبرى تجـــلُّدا ... عدمتك، ما أبقيتَ بعـدِىَ للجَـــلْدِ؟
كما ذَمَّ مَنْ قبـــلى ذممتُك عالمـا ... بأنك موقوفٌ على الذمِّ مِن بعـــدِى
ولكن تجاوَزْ لى بصَرفك ماجدا ... اليــه اذا جارتْ صروفُك أَستعدى
اذا "الصاحبَ" آستنجدتُه فوجدتُه ... فَرُغْنِيَ فيمن غيره شئتَ بالفقدِ (٩٢)

(١) كفّ مؤنّثة وتذكيرها هنا يراد به العضو .
(٢) رجّحنا هذه الكلمة لسقوطها فى الأصل .
(٣) الحظ الأولى بمعنى الجد والثانية بمعنى النصيب .

وإن مرَّ فى الأحباب عيشٌ بغيره فحسبى بعلم الله فى ذاك والحمد
وما أعرفُ الممدوحَ لم يجزِنى به اذا قلتُ خيرا ، إنَّ ذلك بالضدِّ
أحقُّهمُ عندى بما قمتُ مثنيا أعدِّده مَنْ فات إحسانُه عدِّى
فإن تكن الأيّام أجدبن مرتعى لديه وكدّرن الزلالة من وِردى
أقولُ لآمالى — وأخشى قنوطَها — ركوبُكِ ظهرَ الصبر أدنَى الى الرشدِ
تُطار فلولا وجهُ سعدِك لم يكن سِراجُكِ فى الظلماء نجمَ "بنى سعدِ"
"أبا القاسم" امنحنى - سمعتَ - استماعةً وقِفْ بى من استبطاء حظّى على حدِّ
سخوتُ بشعرى قبلَ مدحك لاقيا بِسَبط[1] كلامى كلَّ ذى نائلٍ جعدِ
اذا قلتُ : أين الجودُ؟ أنشد بخله : محا الدهرُ ربعاً "بالمشقَّرِ"[2] من "هِندِ"
تعابُ لديه الشمسُ بالنور حُجّةً على منعه ، والماءُ فى القيظ من بَرْدِ
وفاضت - وهم يُبْس - بحارُك بينهم فياليت شعرى ما لجودك ما يُعدى!
وقد كان لى فى الشعر عندك دولةٌ ولكن قليلٌ مُكثُها دولةُ الوَرْدِ
أظلُّ وما فى عاشقيك محقِّقٌ سواى ، أقاسى الهجرَ من بينهم وحدى
فلِمْ أنت راضٍ لى وللمجد وقفةً تزاحَمَ دمع اليأس فيها على خدِّى
وما غيرُ تأميلى بدينى قضاؤه فكم أتقاضاه وأنحتُ من جِلدى
عسى يقف الإنجاز بى عند غايةٍ تريح فلى حولٌ أُجُرُّ على الوعدِ
تساويفُ وفّاها المِطالُ حدودَه فعجِّل لها الإنجازَ أو جبهةَ الردِّ

---

(١) السبط نقيض الجعد وقد تقدم تفسيره ، وفى الأصل "بسيط" . (٢) المشقّر : اسم موضع .

* * *

وأنفذ اليه الكافى الأوحد ما جرت به عادته من رسومه ، فكتب اليه يمدحه، ويذكُر تنزُّهه عن النظر فى الوزارة بالرَّىّ، وآعتزاله إياها ترفعا عن نزول الحال فيها الى أحد أتباعه، وما بان من عجز الداخل فيها بعده

اذا صاحَ وفدُ السُّحبِ بالريح أو حَدَا ... وراح بهـا ملأَى ثِقالا أو آغتـدى
فكان وما باراه من عَبَرَاتنـا ... نصيبَ مَحَـلٍّ "بالجنـابِ" تأبَّدا(١)
وما كنتُ لولاه ـ ولو تربت يدى ـ ... لأَحمِـلَ فى تُربِ لمـاطِرِهِ يدا
خليلىَّ، هذى دارُ "لميـاء" فاحبسا ... معى وآعجبا إن لم تُميـلا فتُسعدا
نعاتب فيها الدهرَ، لا! كيف عتبُه؟ ... وأخلاقُه إخلاقُ ما كان جَدَّدا
سلاها ـ سـقاها ما يُعيـد زمانَهـا ... وعيشا بهـا ما كان أحلى وأرغدا ـ :
عهِـدْنا لديكِ الليـلَ يُقطَعُ أبيضا ... فلِمْ صار فيك الفجرُ يَطلُعُ أَسـودا؟
فأيـن الظبـاء العامراتك بالظُّبى ... ثُنًى وفُـرادى، غافلاتٍ وشُرَّدا؟
وليـلُ آختلاط لو تغاضَى صباحُهُ ... لمـا مازت الأيدى القِنـاعَ من الرِّدا
أبعدَ جلاءِ العينِ فيك من القذَى ... أرى أثَرا أنِّى تلفتُّ مُرْمِـدا؟
لعمرُ الجـوى فى رُفقتى بكِ إنه ... يخامر قَرحانَ الحشا ما تعـوَّدا
وقلتُ: صَدًى، قالوا: الفراتُ الذى ترى ... وهيهات! غيرَ المـاء، ما نُقِع الصدَى
مضى الناسُ ممّن كان يعتـدُّه الفتى ... وما أكثرَ الباقين إن هو عـدَّدا
وكان بكائى أننى لا أرى الأخَ الـ ... ـودودَ، فمَن لى أن أرى المتـودِّدا!
أمنعطفٌ قلبُ الزمان بعاطشٍ ... يرى الأرضَ بحرا لا يرى فيه مَوردا؟
تحمَّل شرقيًّا مع الركب شـوقُهُ ... وقد غار شـوقُ العاشقين وأنجدا

(١) تأبد : أقفر ولزمته الوحوش .

له بين أثناء الجبالِ وأهلها … مَزَارٌ حبيبٌ دونه طُرُقٌ عِدَا

وما بِيَ إلا أن أرى البدرَ ناطقا … "وشهلانَ" شخصا جالسا متوسِّدا

وليثَ الشرى تحت السُّرادق مُلبِدا … وبحرَ الندى فوق الأسرَّة مُزبِدا

وأن أدرك العلياءَ شخصا مصوَّرا … هناك وألقى العزَّ جسما محدَّدا

ومن بَلَّغَتْهُ "الأوحدَ الكافِيَ" المنَى … تغزَّلَ مَكْفِيًّا وفاخر أوحدَا ٩٣

لذاك آشتياقى، ليس أن جازنى(١) له … على البعد إحسانٌ ولا فاتنى نَدَى

مواهبُه سارت لحالى كثيفةً … وشعرىَ مطلوبا وذكرِى مشيَّدا

فمن نِعمةٍ خضراءَ تسبق نِعمةً … له، ويدٍ بيضاءَ لاحقةٍ يدا

فتى لم أجد لى غيره فأقول: ما … أعمّ عطاءً من فلانٍ وأجودا

أنالَ وفى الأيام لينٌ وأيبستْ … فلم ينتقص ذاك النوالَ المعوَّدا

اذا بَلَغَ الزُّوَّارُ بابَك أُلقيتْ … رحالُ ذليلٍ عَزّ أو حائرٍ هَدَى

وقَلَّ من الآرابِ(٢) قُلٌّ(٣) ضممتَه … وقد جاز فى الآفاق نَهبا مطرَّدا

تُغلَّقُ أبوابُ الملوكِ أمامَه … ويَرعَى لديها الجهلُ وهى لَقًى سُدَى

تدافعه آدابُها وأكفُّها … مدافعةَ السّرح البعيرَ المعبَّدا(٤)

كما شاءها كانت ببعدك دولةٌ … جفوتَ، فقد صارت كما شاءها العِدا

فموكبها بعد السكينة نافرٌ … ومركبها صعبٌ وكان ممهَّدا

عَدَا الدهرُ فيها إذ نأيت بصرفه … وكان آحتشاما منك يمشى مقيَّدا

فإن يك ضَرَّت(٥) هجرةٌ بعثَ "أحمدٍ" … فقد حطَّ هجرُ "الرَّىِّ" رتبةَ "أحمدا"

تعزَّلَ عنها والمقاليدُ عنده … ووازرها والكدُّ فيمن تقلَّدا

---

(١) فى الأصل "حازنى". (٢) الآراب جمع أرب وفى الأصل "الآداب". (٣) القُلّ الذي لا أحد له. (٤) المعبَّد: البعير المهنوء بالقطران لجربه. (٥) فى الاصل "ضرب".

أيخشى "ٱبن إبراهيمَ" فَوتَ وِزارةٍ ... وقـد حازها سقفَ السماء وأبعـــدا
ولمـا بدت للعـين وَقْصـاءَ(١) جهمـةً ... وكانت تريك البـدرَ والظبيَ أجيـدا
معنَّسـةً أفنيت(٢) عمــرَ شبابهـا ... فلم يبقَ إلا الشيبُ فيهـا أو الردى
نهضتَ على الإحسان فيهـا ولم تقم ... وعيشِـــك إلا وهى تُزعِجُ مَقْـعَدا
تزوّجتَهـا أيّامَ تُنكِحُ لــذّةً ... وَسرَّحتَ إذ كان النكاحُ تمــرُّدا
وخلَّفتَهـا قاعا يغــرُّ سرابُهـا ... يَدَىْ(٣) حافرٍ لم يُسْقَ منهـا سوى الكُدَا(٤)
قليـــلِ ٱطلاعٍ فى العواقب لو درى ... مشَـــقَّةَ ما فى مَصــــدرٍ ما توَرَّدا
تَلبَّسهَـا جهـــلا بأنك لم تكن ... لتـنزِعَها لو كنتَ تنزِعُ ســؤدُدا
تحـــدّثنى عنــك الأمانى حكايةً ... بما أنا لاقٍ منك كالصوتِ والصدَى
وكم زائرٍ منّـا حملتَ ٱقــتراحَه ... مضى ساحبـا رِجْلا وآب مقـــوَّدا
ومثـــلىَ لو دونى أتاك بنفســـه ... ذُنابَى(٥) وولَّى عنـــك رأسا مســوَّدا
عسى عزمةٌ أشوتْ فمثَّلتَ كاتبـا ... يقرطِسُ أحيـانا فأمثُـلُ منشـــدا
وقائلةٍ : هـــل يدركُ الحظَّ قاعدًا ؟ ... فقلتُ لها : هل يقطعُ السيفُ مغمَدا!
سيلقَى بهـا "الكافى" عهودا وثيقةً ... لقــد زادها الإســـلامُ حقًّا وأكّدا
رضيتُ ـ وإن جدّ(٦) الجدوبُ ـ تعفُّفا ... وعيشـا مع الوجه المصون مبــدَّدا
ومَيــلا بنفسى عن لقـاء معاشرٍ ... أحتُّهـــمُ(٧) صخـرا وأعصِرُ جلمـــدا
أرادوا بخـــلٍ أن يُذَمّوا فيُعـرَفوا ... خمولا ، كما أعطيتَ أنت لتُحمَدا
أعالج نفسـا منهـــمُ مقشـعِرَّةً ... وأنفـا اذا شَمُّـوا المـذلةَ أصيـدا

(١) الوقصاء : قصيرة العنق، وفى الأصل "وقضاء" وهو تحريف . (٢) فى الاصل "معبِّسة أفيك" وهو تحريف . (٣) فى الأصل "بذى" وهو تحريف . (٤) يقال : أكدى الحافر اذا حفر فبلغ الكدا وهى الصخور فلا يمكنه أن يحفر . (٥) الذُّنابى : الذنَب . (٦) بالأصل "جرّ" . (٧) حتَّ : فرك وقشر .

هو المنقذى من شرك قومى و باعثى ... على الرشد أن أصفى هواى "محمدا" (١)
وتارك بيت النار (٢) يبكى شراره ... علىّ دمًا أن صار بيتى مسجدا
عليك بها وصالة رحم الندى ... اذا اشتمل الشعر العقوق أو ارتدى
هجرنا لها اللفظ المقلقل قربه ... الى السمع والمعنى العوان المرددا
يخال بها الراوى اذا قام منشدا ... بما ملك الإطراب قام مغردا
لكم "آل ابراهيم" نهدى مدائحا ... وذمًّا الى أعدائكم وتهددا
اذا عزّ ملكٌ أن يدوم لمالك ... وطال على ذى نعمة أن يخلدا
فلا تعدم الدنيا الوساع مدبرا ... يقوم بها منكم ولا الناس سيدا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم يهنئه بعيد الفطر

أنت على حالتيك محمودُ ... إن كان بخلٌ لديك أو جودُ
يشقى ويرضى بك الفؤادُ كما الـ ... طرفُ اذا ما رآك مسعودُ
يا غصنًا دهره الربيعُ فما ... يفترق الماءُ فيه والعودُ
فات بك الحسنُ أن تحدّ ولا ... بدر بما انحطّ عنك تحديدُ
قم حدّث الليلَ عن أواخره ... إن مقامَ الصبوح مشهودُ
يا ظبيُ ، لو بتَّ فيه عدتَ وقد ... عنّ ظباءٌ "ببابلٍ" غيدُ
أما ترى الفطرَ صائحا : نوروزوا ... حلَّ حرامٌ وانحلَّ معقودُ
والبدر يدعو بحاجبٍ حاجب ... للعيدِ : بشرى هنالك العيدُ
فاسبق بها الشمسَ أختَها (٣) لهبا ... بقاؤها فى الزمان تخليدُ
صان اليهودىُّ خدرَها أن يُفَـ ... ـضَّ الختمُ أو تؤخذَ المقاليدُ

٩٤

(١) يريد النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) بيت النار : معبد المجوس . (٣) يكنى عن الخمر .

عَدَّ رجالا من قومه، لَهُــمُ ... فى فضلها عنــده أسانيــدُ
سنَّ له اللهــوُ أن يعظّمَها ... فهِىَ له فى الدنانِ معبـودُ
حمــراءُ، ما فازت الأكُفُّ به ... من لونها فى الخـــدود مردودُ
من فمِ إبريقها الى شَفة الـ ... ـكأس عمودُ الصباح ممـــدودُ
دينٌ من اللهو أنت عن باب إبـ ... ـليسَ متى حُدتَ عنــه مطرودُ
تغــنَّم اليــومَ من سرورك والـ ... ـساعةَ، إن الزمان معــدودُ
ما دام يدعونك الفـتى مَرَحا ... والغصنُ فينانُ والصِّــبا رُودُ (١)
غدا بياضٌ، يا قاتـــل الله ما ... تنشقّ عنــه من بِيضك السودُ
لا تجمعُ الشَّـيبَ والسرورَ يدٌ ... ولا يـتمُّ الـثراءُ والجـــودُ
لا أَخلَفَ المــالَ غيرُ متلفــه ... إن الغـــنىَّ البخيـــلَ مكدودُ
يا راكبا لم تُلِحْهُ هاجــرةٌ ... ولا ترامت بشخصـه البيـــدُ،
ولم تَقُــدْ حظَّــه مخاطَرةٌ ... تُنضَى اليهـا المهــريَّةُ القُــودُ،
بين مناه وبينــه غرضُ الـ ... ـرامى سَـــدادٌ منـــه وتعضيدُ، (٢)
قل لابن "عبدالرحيم": عشتَ فما ... يعــدَمُ فضــلٌ وأنت موجودُ
مَلَّكك المجـــدَ أنّ بابَك مفـ ... ـتوحٌ وبابَ الأرزاقِ مســدودُ
يزدحم الناس فيــه راجين را ... ضين، وحوضُ الكريم مورودُ
وأن عافيك ــ والمكلِّفُ مشـ ... ـنوءٌ ــ مُرادٌ لديــك مودودُ
لا هــو فى الذلّ بالسـؤال ولا ... بالمنِّ فيما مننتَ مكدودُ
يختلفُ النــاس من كرامتــه ... عنــدك مَنْ قاصــدٌ ومقصودُ

---

(١) رود أصلها رؤد وقد سهلت الهمزة وهو الغصن أرطب ما يكون وأرخصــه وهو هنا من المجاز .

(٢) التعضيد : ذهاب السهم شمالا و يمينا .

والبشرُ حتى يقالَ : بارقةٌ ... والحلمُ حتى يقالَ : جلمودُ
يُلبِسك المدحُ كلَّ ضافيةٍ ... لها بطول الإخلاق تجديدُ
دُرُّ المعالى فيها بوصفك منـ ... ـظومٌ ووشىُ الألفاظِ منضودُ
تَخْبُرُ منه ما أنت ناقده ... وأكثر الإنتقادِ تقليدُ
والشعر، ما لم توجدك آيتُهُ ... — إلا القوافى والوزنَ — مفقودُ
يتعبُ فيه الموفِّرون له ... وهو مع المُسْهلين موءود
بَقِيتَ منه لزائراتك بالـ ... ـثناءِ غيدا أكفاؤها الصِّيدُ
كلّ فتاةٍ مَحْدُوُّها يومَ تبـ ... ـغى الحظَّ إمَّا أتتك مجدودُ
صديقُها أنتَ، والحسود بها ... وبى على القرب منك مفؤودُ (١)
فى وجهه البشر حين يسمعها ... خوفا وفى قلبه الأخاديدُ
يَطرَبُ منها للشىء يُحزِنهُ ... وآسمُ بكاءِ الحَمامِ تغريدُ
لا آجتاز عيدٌ إلا عليك وإن ... أَجَزْتَ أن تُمطَلَ المواعيدُ

* * *

وقال وكتب اليه أيضا يهنّئه بعيد الفطر سنة تسع وتسعين وثلثمائة

اذا لم يُرْعَ عندكم الودادُ ... فسيّانِ القرابةُ والبعادُ
عهودٌ يومَ "رامةَ" دارساتٌ ... كما يتناوب الطلَلَ العهادُ
وأيمان تضيعُ بها المعانى ... وتحفظها الأناملُ والعِدادُ (٢)
تطيرُ مع الخيانة كلَّ جنبٍ ... وحبّاتُ القلوبِ بها تصادُ
أمعترِضٌ صدودُكِ "أمَّ سعدٍ" ... ببعض الشر، أم خُلُقٌ وعادُ؟ (٣)

(٩٥)

---

(١) فى الأصل "ولى". (٢) العداد : العدّ. (٣) عاد جمع عادة.

وعـــذلٌ فيـك أوجعَ نازلٌ بى … أنا الملسوعُ والعـذلُ العِـداد (١)
وعيبٍ وليس غيرُ الشيب شيئا … أُذادُ له بعيبٍ أو أُكادُ
وما مـنّى البيـاضُ فتجرِمينى … به ذَنْبـا ولا منـكِ الســوادُ
بأيمنِ ملتـقَى الماءين دارٌ … لمـرتادِ الهـوى فيهـا مَرادُ
وقفتُ ، ومسعِدون معى عليها ، … ألا يا دارُ ما فَعَلتْ "سعادُ" ؟
أقول لهـم أُعلّلُ فيكِ شوقى : … وشـيكا ينقـعُ الظمأَ الثّمادُ (٢)
خذوا من يومكم لغـدٍ نصيبا … من الأطلالِ ، إنّ اليومَ زادُ
توقّ الحبَّ تأمنْ كلَّ بغضٍ … فَـداؤكَ من دوائك مسـتفادُ
يخـوّفنى مَكايدَه زمانى … صَـغارَكَ (٣) لا أُحسُّ ولا أُكادُ
وقـدرتُه اذا لم يُعطِ بخـلٌ … وغايتـه اذا أعطى نَفـادُ
فقـل لبنيه : لستُ إذًا أخاكم ، … بعـادٌ بيننا أبـدا بعـادُ
أعان الله مسـكينا رجاكم … فإنّ رجاءَ مثلِكُمُ جهـادُ
رضـينا من قبائلـكم ببيتٍ … عمـادُ المكرماتِ له عمـادُ
بنى "عبدِ الرحيم" وكلُّ فخـر … يفـوت فبآسم نسـبتهم يُفـادُ
أعِــدْ ذكرَ التحيّــة فى أناسٍ … اذا بدءوا (٤) اليـك يدًا أعادوا
وقم وآخطب بحمدك فى ربوعٍ … وفـودُ المجـد عنهـا لا تُذادُ
ومبتسمين يُورى الملكُ منهـم … جِباها ، كلُّ واضحـةٍ زنادُ
رأَوا حفظَ النفوسِ اذا آستميحوا … ـــ وقد بخل الحيا ـــ بخلا ، فجادوا

---

(١) العداد : اهتياج وجع اللديغ ، ويقال عداد اللديغ سبعة أيام ، ويقال له مادام فيها : هو فى عداده . (٢) الثماد : الماء القليـل . (٣) صغارك أى هات ضيمك ومذلتك فإنى لا أحس . (٤) فى الأصل "أبدوا" .

فِدًى للمحسنين فتًى عُلاهم ... وناشرُها وقد درَسوا وبادوا [1]
دعيٌّ في السماح وليس منه ... متى آعترف الندى بك "يا زِيادُ" [2] ؟
دعِ العلياءَ يَسحَبْها عريقٌ ... بياضُك يومَ نسبته سوادُ
يطولُ ركابَه إن قام فيها ... ويقصُر عن مقلَّده النجادُ [3]
أيا "آبن عليٍّ" آعتقلتك منّي ... يدٌ لم تدرِ قبلك ما العَتادُ
عركتُ يدَ الخطوبِ وفيَّ ضعفٌ ... فلِنَّ وهنَّ أعباءٌ شِدادُ
لذلك تُستزاد الشمسُ نورا ... وحبُّك الذى لا يُستزادُ
وحظُّك من جَنَى فكرى ثناءٌ ... يطول، وطُولُه فيك آقتصادُ
اذا الشيءُ المعادُ أَملَّ سمعا ... تَكرَّر وهو طِيباً يُستعادُ
فما خُطِبَتْ بأبلغَ منه خاءٌ ... ولا نُطِقَتْ بأفصحَ منه ضادُ [4]
ألا لا تذكُرُ الدنيا بخيرٍ ... فتًى إلا وأنتَ به المرادُ
اذا حاز آمرؤ تأبيدَ نجلٍ ... أمدَّك من "أبى سعد" مدادُ
شبيهُك، والعلا منها آكتساب ... ومنها — وهو أفضلها — وِلادُ
وكنتَ البدرَ تمَّ فزِيدَ نجما ... كما أوفى بغُرّته الجوادُ
فعِشْ وآذخرْه للعافين كهفا ... وخيرُ ذخيرةِ الجسم الفؤادُ

* * *

وكتب اليه أيضا يهنّئه بعيد الفطر ويتقاضاه حاجةً

أبِالغور تشتاقُ تلك النجودا؟ ... رمَيتَ بقلبك مَرمًى بعيدا
وفيتَ فكيف رأيتَ الوفاءَ ... يُذِلّ العزيزَ ويُضوِى الجليدا [5]

(١) يرى المتمعن أنه آنتقل بجأة مع التعمية الى غرض آخر ولعله تهكّمٌ . (٢) يشير الى تهكمه الى زياد بن أبيه لأنه مجهول الأب . (٣) النجاد : حمائل السيف . (٤) فى الأصل "صاد". (٥) يضوى : يُضعِف .

أفى كلّ دارٍ تمـــرُّ العهـــودُ عليك ولم تنس منهـا العهـــودا ؟
فـــؤادٌ أســـيرٌ ولا يفتـــدى وجفنٌ قتيـلُ البكا ليس يُودَى(١)
ســـهرنا "ببابـــلَ" للنـــائمـ ـن عمّـا نقاسى "بنجدٍ" رقـودا
من العربيّـات شمسٌ تعـودُ بأحرارِ "فارسَ" مثلى عبيـــدا
اذا قـــومُها ٱفتخـــروا بالوفا ءِ والجود ظلّتْ ترى البخلَ جودا
ولو أنهـــم يحفظون الجوا رَ ردُّوا علىّ فـــؤادا طـــريدا
نعم جَمَـــعَ الله يامن هَــوِيتُ وصَدٌّ، عليك الهوى والصـــدودا
رنَتْ عينُـــه ورأت مَقتَـــلى ففـــوّقهـا ورمانى ســـديدا
قـــلوبُ الغـــوانى حديدٌ يقـالُ وقلبـــك نارٌ تذيبُ الحـــديدا
سأجرى مع النـاس فى شوطهم فعـالا بغيضـا وقـــولا وديدا
أغَرّ بِبِشْـــرِ أخى فى اللقـا ءِ لو تبـعَ الغيثُ تلك الرعـــودا
ويُعجبنى المـاء فى وجهـــه وفى قلبـــه الغِـــلُّ يُذكِى وَقودا
مُريبون أوســعُهم حجّـــةً وعذرا معى مَن يكون الحســـودا
وحادِ(٢) فلستَ ترى المســـتريـ ـحَ فى الناس من لا تراه الوحيدا
وحازت سجايا ٱبن "عبد الرحيم" ثنـاءً كسؤدُده لن يَبيـــدا
ومدحا اذا مات مجـــدُ الرجا ل أعطى الذى سار فيـــه الخلودا
تمهّدَ من "فارسٍ" ذِروةً تُحَطُّ "المجـرّة" عنهـا صعودا
مكانةَ لا تســـتفزّ العيـــو بُ فخـــرا ولا يغمِزُ اللؤمُ عودا
تشـابَهَ عِـــرقٌ وأغصـانُه كما بدئَ المجـدُ فيهـــم أُعيـــدا
فعُـــدَّ الكواكبَ منهـــم بنينَ وعُدَّ الأهاضيبَ منهـــم جدودا

---

(١) يودَى : تُدفَع دِيتُه . (٢) وَحادِ : كن وحيدا .

(٩٦)

سَعدتُ بحبِّك لو أننى لحظِّىَ منك رُزقتُ السعودا
إلامَ توانٍ يُميتُ الوفاءَ وعندى ضمانٌ يحُلُّ العقودا ؟
ونقصُ آهتمامٍ أُرَى مُكْرَهًا لجودك من أجله مستزيدا
أَمَا آن للعادة المرتضا ةِ من رحبِ صدرِك لى أن تعودا ؟
ولو لم يكن ماءُ وجهى يذوبُ بها ثمنا لم يَرُعنى جمودا
أمانٍ صدرنَ بطانًا وعدنَ خمائصَ ممّا رعَيْن الوعودا
الى الله محتَسبا(١) عنده بعثتُ هوًى مات فيكم شهيدا
على ذاك ما قصُرتْ دولة فطاولْ زمانَك بيضًا وسُودا
ولا تبرحنَّ بشعرى عليك عرائسُ يُجْلَيْنَ هِيفًا وغِيدا
تخالُ اليمانىَّ حاك البرودَ اذا أنا قصَّدت منها القصيدا
ولى كلَّ عيدٍ بها وقفةٌ أناشدُ عَطفَك فيها نشيدا
تهانٍ يغُصُّ التقاضى بها، فهل أنا لا أتقاضاك عيدا ؟

***

وكتب الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب يهنئه بعيد الفطر

أنا اليومَ ممّا تعهدين بعيدُ تُريدين منى والعَلاءُ يريدُ
طوَى رَسَنِى عن قبضة الحبّ خالعا قُواه، وقدمًا كنتُ حيث يقودُ
هوًى — وليالى اللهو بيضٌ — وهبتُهُ اليها، وأيّام الكريهة سودُ
وهِيفٌ رقاقُ موضعِ الهَيْف(٢) فتْنَنى وهنَّ جسومٌ حلوةٌ وقدودُ
دعينى وخُلْقًا من سنِيَّ آستفدته عزيزا فمعدودُ السنين مفيدُ

(١) فى الأصل "مستحسبا".
(٢) الهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة وهو أهيف وهى هيفاء وجمعهما هِيفٌ.

ولا تحسبيني صِبْغَ لونين فى الهـوى أتوبُ وتبــدو فرصــةٌ فأعودُ
ولا كامنا فى الحىّ أنظــرُ سِربَهُ على خدعة الأشراكِ كيف أصيدُ
وحَصَّ غرابى يا ٱبنـة القومِ أجدلٌ(١) بصـيرٌ بأوكار الشبابِ صَـيودُ
أراكِ تَرَيْنى ناقصا ونقيصتى ليـالٍ وأيامٌ عـلىّ تزيـدُ
لكلِّ جـديدٍ باعترافِكِ لذّةٌ فمـا لكِ عفتِ الشيبَ وهو جـديدُ
تأخّرتِ بالصمصامِ وهو مصمِّم وخالفتِ رأىَ الرمح وهو سـديدُ
متى(٢) ضنَّتِ الدنيـا علىّ فأبصرت لسانِىَ فيهـا بالسـؤالِ يجـودُ
اذا كنتَ حرّا فاجتنبْ شهواتِهـا فإن بنيهـا للزمانِ عبيـدُ
وبِنْ فى عيون النـاس منهـم مباعدا اذا ٱشتبهوا وٱسـلم وأنت وحيـدُ
وقل بلسان الحـظّ، إن خطيبَهُ بليغٌ ومَن أعيا عليـه بليـدُ:
اذا شئت أن تلقَ الأنامَ معظّما فلا تلقَهم إلا وأنت سـعيدُ
ورُبَّ نجيبٍ "كٱبن أيّوب" واحدٍ تراه مع الحـالاتِ حيث تريدُ
صديقٍ، وما يُغنِى صديقُك لم يُطِقْ ثقيـلا ولم يقرُب عليه بعيـدُ؟
أَعُدُّ سجـايا الأكرمين وتنقضى وأمُّ سجـاياه الكرامِ ولودُ
اذا قمتُ أتلوهنّ، قالت لِىَ العُلا: أَعِد، والحديثُ المستحبُّ يعـودُ
وصدَّق وصفى — والمحبُّ بمعـرِضٍ من الريْب — آياتٌ عليـه شهودُ
يدٌ فى النـدى ماءٌ، وقلب اذا ٱلتوتْ عليـه حبـالُ المشكلات حـديدُ
ومخضوبةُ الأطرافِ لم تُصبِ عاشقا عميـدا، وكم أودَى بهنّ عميـدُ
قواطع أوصالِ البـلاد سـوائر وما ثار عن أخفافهنّ صـعيدُ
اذا نارُ حربٍ أُضرِمتْ أو مكيدةٌ فهنّ لهـا وما ٱحـترقن وَقـودُ

(١) الأجدل: الصقر. (٢) فى الأصل "مضى".

(٩٧)

وعلّمه أن يصنع المجدَ مَنبِتٌ عريقٌ وبيتٌ فى السماء قعيدُ
وحامون بالرأى الجميع حِماهُمُ ووَفْرُهُمُ عند الحقوق شريدُ
مطاعيمُ أرواحِ الشتاء(١)، اذا طغت سواجرُ(٢) فى أبياتهم وركودُ
قيامٌ الى أضيافهم وعليهِمُ ولكنّهم عند الملوك قُعودُ
سخا بِهِمُ أنّ السخاء شجاعةٌ وشجّعهم أنّ الشجاعةَ جودُ
وُقيتُ من الحسّاد فيك فكلّ من يَرَى ودَّك الباقى علىَّ حسودُ
يودّون ما أصفيتنى من مودّةٍ وما أَصطفِى من شكرها وأُجيدُ
لبعضِهِمُ من بعضهم متخلَّصٌ وتأبَى غلولٌ بينهم وحقودُ
وعذراء ممّا آستنجبَ الفكرُ وآرتضَى معقَّلةٌ فى الخِدرِ وهى شرودُ
نجومُ سجاياك الصِّباحُ اذا سرت قلائدُ فى أعناقها وعقودُ
اذا يومُ عيدٍ زفّها قام ناصبا لتجهيزِ أُخرى مثلِها لك عيدُ
لها بعدما يفنَى الزمانُ وأهلُه بقاءٌ على أحسابكم وخلودُ

***

وقال يمدح العمدة ذا النباهتين آبن الصاحب ذى السياستين أبى محمد بن مكرم ويهنّئه، وقد خلع عليه خلعةً مشرقةَ الجمال والجلال، وأضيف الى ألقابه عزّ الجيوش ويصف الخِلَعَ والحُملان

إمّا تقومونَ كذا أو فآقعدوا ما كلّ من رام السماءَ يَصعدُ
نامَ على الهُونِ الذليلُ ودرَى جفنُ العزيز لِمَ بات يَسهَدُ

(١) يشير بذلك الى الذين يقال لهم: مطاعيم الريح فى العرب، زعم آبن الأعرابىّ: أنهم أربعة أحدهم عمّ أبى محجن الثّقفىّ ولم يسمّ الباقين، وقال أبو الندى: هم كنانة بن عبد ياليل الثقفى عمّ أبى محجن، ولبيد ابن ربيعة وأبوه كانوا اذا هبت الصبا أطعموا الناس وخصوا الصبا لأنها لا تهب إلا فى جدب، وفى المثل "أقرَى من مطاعيم الريح". (٢) السواجر السيول تملأ كل شىء.

أخفكّم سعيا الى سـودَدِه أحقُّكم بأن يقالَ : سـيِّدُ
عن تعبٍ أُوردَ ساقٌ أوّلا ومَســحَتْ غرّةَ سَبّاقٍ يدُ
لو شرُفَ الإنسان وهو وادعٌ (١) لقطعَ الصمصامُ وهـو مغمَدُ
هيهات أبصرتَ العلاءَ وعشَوا عنـه فضلّوا سُبلَه وتَجِـدُ
يا عمـدةَ الملكِ وأىُّ شرفٍ طالَ ولم ترفعه منكم عَمَـدُ ؟
لله هـذا اليومُ يوما أنجـزالـدهـرُ به ماكان فيه يَعِـدُ
لما طَلعتَ البدرَ من ثَنِيّةٍ تُجلَى بها عينٌ وعينٌ ترمَدُ
من شَفَقِ الشمسِ يُسَدَّى ثوبُها وتُلحَمُ (٢) الجـوزاءَ أو تُعـمَّدُ
دقّ وجلّ فهـو إن لامستَهُ سَبْطٌ وإن مارسته مُجعّـدُ
متــوّجا عمامــةً وإنما عمامةُ الفارس تاجٌ يُعقدُ
ممتطيا أتلــعَ (٣) لـو حبستَهُ تحتـك قيل : فَدَنٌ (٤) مُشيَّدُ
مناقــلا بأربعٍ كأنّما يلاطِم الجليـدَ منها جَلْمَـدُ
وقّــرها خوفُك فهــو مطلَقٌ يَنقُلُها كأنّه مقيّــدُ
خَفَّ بطبع عِتقِــه وآده (٥) ثِقَــلُ الحُلَى فمشيُه تأوُّدُ (٦)
مقـلّدا مهنّـدا ما ضمّـه قبلَك إلا خافــه مقـلَّدُ
أبيض (٧) لا يعطيك عهدا مثـلُه اذا أخـوك حالَ عمّـا تعهَدُ
اذا آدرعتَ فى الدجى فقَبَسٌ وإن توسّـدتَ الثرى فعضُـدُ
ما آعتددتَ كسبَ العزِّ إلا مَعَهُ، والمــرء مَشّاءٌ وما يُعَـوَّدُ

---

(١) الوادع : الساكن المستقر، وفى الأصـل " دارع " . (٢) فى الأصـل " يحلم " .
(٣) الأتلع : الطويل الجيد، ويريد به الفرس . (٤) الفدن : القصر العظيم . (٥) آده : أثقله . (٦) التأوّد : الآنحناء والآنعطاف . (٧) الأبيض : السيف .

ما زال "فخر المُلك" فى أمثالها يرشُدُ فى آرائه ويسعدُ
فكيف لا وأنت من فؤاده عزًّا وعينيه المكانُ الأسودُ
ولو ركبتُ أرحلا لكان لى فيك بُراقٌ بالمنى مزوَّدُ(١)
أنت الذى جمعتَنى من معشرٍ شملُ العلاء بينهم مبدَّدُ
كأننى آخذُ ما أعطيهُمُ من مِدَحى اذا نطقتُ أُنشِدُ (٩٨)
أبحتَنِي مجدَك إذ أرحتنى ممّن أذمُّ منهُمُ وأحمَدُ

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى عيد الفطر

ليتَك لمّا لم تكن مُسعِدا أو مصلحا لم تكن المفسدا
كنتُ كثيرا بك فيما يَرَى ظنّى، فكثَّرتَ عديدَ العدا
وشى وقد قدَّمتَه رائدا، لا تبعث الظلمة مسترشِدا
يسومنى الغدرَ بعهد "اللِّوى" ما حقُّ من يغدِرُ أن يَعهَدا
غيرِى أبو الألوانِ فى حبِّه يشكو الهوى اليومَ ويسلو غدا
أصبو الى "طَيْبةَ" من "بابلٍ" ما أقربَ الشوقَ وما أبعدا
يا فارسَ "الغيداء" يبغى "مِنًى" بلِّغْ — بلغتَ الرشأَ الأغيدا — :
يا حبذا الذكرى وإن أسهرتْ بعدك والدمعُ وإن أرمَدا
لا تأخذِ النَّفرَ بتفريقنا فربّما عاد لنا موعِدا
"بالغور" دارٌ و"بنجدٍ" هوًى يا لهفَ من غار لمن أنجدا
ما كان سَلمى يوم فارقتكم يا "سَلْمَ" منّى حاملا أجلدا
سجيّةٌ فى الصبر عَوَّدتُها قلبى والقلبُ وما عُوِّدا

(١) فى الأصل "ومَزَيَّدُ" ولعله تحريف .

لم تُدنِى الأيامُ من عدلهـا قـــطّ فألقى الجـورَ مستبعَدا
وإنمـا يُنكِرُ مِن عَيشــهِ أنكدَهُ مَنْ عَرَفَ الأرغـدا
حـوادثٌ أعجبُ من كرِّها أن أتشكّاها وأن أُحسَـــدا
ليتَ بنى الدنيـا الـتى لا تَرَى لى نســبا منهـا ولا مَـــولدا
كفتّهُمُ عـنِّىَ أو ليتهُـــمْ كانوا جميعا "للحسين" الفدى
للقمرِ الفـــردِ وهـــل مالكٌ فى الأفقِ غيرُ البدرِ أن يُفرَدا
لا يَحسَبُ الطيِّبَ مِن ماله ما لم يكن معـــترضا للجَـــدَا
وكانَ أغنَى حسبا عنـــدهُمْ من لم يزل أفقـــرَ منهـــم يدا
والأبيض الرأيِ اذا ما شكا خابطُ ليـــلٍ رَأيَهُ الأســـوَدا
وفارس القَـــولةِ لم يَســـتقِمْ فى ظهـــرها الفارسُ إلا ٱرتدى (١)
وسالك الخطبِ وقـــد أظلمتْ مَحجَّـــةٌ بالنجـــم لا تُهتَـــدَى
ما شِـــيمَ منكم صـارمٌ مغمَدٌ إلا وأمضى منــــه ما جُـــرِّدا (٢)
ولا قَضَى اللهُ عـــلى ســـيِّد قضـاءَهُ إلا ٱجتبَى ســـيِّدا
إن بدأوا تمِّم أو نَقَصُـــوا أنعمَ أو حطُّوا عُـــلًا شـــيَّدا
كأنه أُرضِعَ ثـــدىَ النُّهى أو شاب من حُنكتِه أمردا
لا عاقَ أنـــوارَكِ يا بدرَهُـــمْ ما يَنقُصُ البـــدرَ اذا زُيِّدا
ولا أغبّتكم (٣) عـــلى عادِهـا — ما أفطر الصـائمُ أو عيَّدا ـــ ،
بوا كرٌ من مِـــدَحى تقتَفِى فى صونهـا آثارَكم فى النـــدى

(١) ارتدى : تقلّد سيفه ولعل معناه أنه يقضى بقوله ما يقضيه غيره بسيفه ؛ أو لعله محرف عن
وفارس الجولةِ لم يســتقِمْ فى ظهرها الفارسُ إلا ردَى
ومعنى ردى : سقط . (٢) فى الأصل "فيه" . (٣) أغبتكم : تركتكم .

تجلو علـى الألبـاب أحسـابكُمُ   بواديًا فى حَلْيِهـا عُـودَّا
تبـقَ على الدهر وِسـاعَ الخُطَا   فى جَوْبِها الأرضَ طِوالَ المدى
يزيدهـا تـرديدُهـا جِـدَّةً   ويُخلـِقُ القـولُ اذا رُدِّدا

* * *

ولما وصلت القصيدة العينيّـة الى أبى الحسن محمد بن الحسن الهُمانىّ ، تفقّده بهديّة جميلة زائدة على قدر عمله وتمكّنه ، وكتب اليه كتابا منصـفا يسـتوفى معانىَ الاعتذار والتشوّق ، فأخّر الجوابَ عنه الى أن ألحقه بهذه القصيدة ، واتفق نفوذُها الى الكوفة فى آخر شهر رمضان يهنّئه بالعيد

لا تَلمَسُ الشـمسَ يدُ   فما يَرُدُّ الحسَـدُ ؟
ما لمُـريدِ حسـنِها   إلا الأسى والكمدُ
يَفْـنَى نزولا ولهـا   عـلاؤهـا والخُـلُدُ
أرى نفوسا ضَـلَّةً   تَنشُـدُ ما لا تجِـدُ ٩٩
تحسَب بالكسب العلا   ءَ والعـلاءُ مُـولَدُ
أفضَـحُها مفنِّـدُ   لو سـدّ غيظا فَنَـدُ
وكلّ قلبٍ قُـرحة   يشِفُّ عنـه الجسدُ
أبـرُدُهُ بعَـذلى   لو أن نارا تـبْرُدُ
هيهات من دوائهـا   وداؤها " محمَّـدُ "
فات عـلى أطماعـهِ   حمى العيون الفـرقدُ
شَـوَّقها لحـاقَـهُ   جَهلُ الحظوظِ المسعِدُ
ونِعَـمٌ نابتـةٌ(١)   مـع الربيع جُـدُدُ

(١) فى الأصل " تأتيه " .

حـــدَّثهـا أضغاثَهـا (١) هذا السرابُ المُوقَــدُ
والصبحُ فى تكذيبها إن بلغوه الموعــدُ
يا حاســدى " محمّد " لا تطلبوه وٱحسُــدوا
شريعــةٌ مـــورودةٌ لو أصــدَرتْ مَنْ يَرِدُ
منتّكُمُ جـدودُكـم أَن السبيلَ جِدَدُ (٢)
تنكّبوا فإنما على الطريق الأســدُ
أغيــدُ لا يُنجِى الرقا بَ من يديه الجَيَدُ (٣)
أوفَى عـــلى مَرقَبِـه لكفّه ما يرصُــدُ
أزبُّ (٤) ما مِن قِـرّةٍ (٥) خِيطت علِيــه اللِّبدُ (٦)
اذا غـــدا لسفرٍ أقســـمَ لا يُــزَوَّدُ
النـاجياتُ عنــده وذيّــةٌ (٧) ونَقَــدُ
قد قلتُ لمّا أجمعوا وأنت عنهـــم مفردُ
تخبِــطُ عشواؤهُمُ : ما فعــل المُقَــوِّدُ (٨) ؟
البـــدرُ فى أمثالها حنادسا يُفتقَــدُ
ضاع بياضُ ناركم والليلُ بعـــدُ أسْودُ
أكرمُكم أحقُّكم بأن يقالَ : سـيّدُ
دلَّ عـــلى آياته فما لنا نُقــلِّدُ

---

(١) الأضغاث جمع ضِغثٍ وهو ما ٱختلط من الخبر والأمر فلا تعرف حقيقته . (٢) الجَدَد : الأرض الغليظة المستوية . (٣) الجَيَـد : طول الجيد وحسنه . (٤) الأزبّ : الكثير الشعر على وجهه . (٥) القِرّة : البرد . (٦) اللبد جمع لبـدة وهى كل شـعر أو صوف متلبّد . (٧) الوذيّة : الحقيرة . (٨) المقوِّد : الذى يقود الدابّة .

وناقصُ الشِّكة (١) مضـ ـعوف الحشا معوَّد (٢)
صمّ القنا الصِّلابِ من خَـوَرِهِ تَقَصَّدُ (٣)
يطولها شوارعا وهو لَقًى موسَّدُ
إذ الكمالُ كلُّه فى جسد يجدَّدُ
ما تَلِدِ الأرضُ كذا والأرضُ بعدُ تَلِدُ
قل لبنى الآراب (٤) تُجـ ـنَى والمنى تُشَرَّدُ
والحاجِ يُلقَى دونهـ ـنّ اللَّحِزُ المُزيِّدُ (٥) :
الكوفةَ الكوفةَ يا مغوِّرٌ يا منجدُ
ما الناس إلا رجلٌ والأرض إلا بلدُ
مَن راكبٌ مُربِعةً (٦) تمَّ عليها العَدَدُ ؟
موضوعةَ الرحل تُدَ سّ حَكْمَها (٧) وتَرِدُ
يَمُدُّ قيد الرمح ظـ ـلّا قَصرُها المشيَّدُ
تحمله مُخفَّفةً ولو علاها " أُحُدُ "
تَخدّ فى الصخر ملا طِمَ (٨) عليها تَخِدُ
عَجْلَى اذا ما الساق صا دت ما تُثيرُ العَضَدُ
لم يدر لحظُ ضابطٍ ما رجلُها وما اليدُ
بلّغ — بلغتَ راشدا تسرى، ويحدو مُرشِدُ — :

(١) الشكة : السلاح . (٢) المعوّد : المسن من قولهم عوّد البعير أى صار عَوْدا .
(٣) تقصد : تتكسر قصَدا أى قطعا . (٤) فى الأصل " الآداب " . (٥) اللحز المزيّد : البخيل الذى يزيّد ماله أى يُنميه . (٦) المربعة : من ذوات الخفّ التى دخلت فى السنة السابعة .
(٧) الحكم وضع الحَكَمَة فى فم الدابّة وهى ما أحاط بحنكى الدابّة من لجامها وفيها العذاران . (٨) ملاطم ، جمع مَلطم وهو الخد وفى الأصل " ملاطيم " .

شـــوقا يقُضُّ نَبلُه الـ(١) ـأَضـــلاعَ وهى زَرَدُ
دام عـــلى حصاة قلـ ـبى ويذوب الجلمـدُ
أفنى الوَقـودُ كبـدى فهـــل يُحسّ المُوقِـدُ
كم يُسعِد الصبرُ تُرَى ؟ بعـــدك خان المسعدُ
على مَن الفضلُ — وقد فارقتَـــه — يعتمدُ ؟
يا طولَ ذمّى للنوى ، هـل من لقاءٍ يُحمَـــدُ ؟
متى؟ فقد طال المدى ، لكلِّ شىء أمـــدُ
يا باعثَ النعمى التى آياتُهـا لا تُجحَـــدُ
لو كُتِمتْ تطلَّعتْ من حسن حالى تَشهدُ
كانت سَـــدادَ رحْلة أصيب فيها المقصِـدُ
رممتَ منهـا ثُلَمـاً(٢) ما خلتُهـا تُســدّدُ
علّك من مطلٍ بالـ شـكر عليهـا تجـدُ
ما كان تقصيرا، فهـل يقتصـر المجتهـــدُ ؟
لكنّهـا عارفـــةٌ من الثناء أزيـدُ
أفســدنى إفراطُها ، بعضُ العطاء يُفسـدُ
والجود ما أسرفَ والـ ـإمســاك فيـــه أجودُ
والآن رثّتْ مُسْكةٌ(٣) فاسمـع لهـا أجـــدِّدُ
تأتيك بشرى ما تسو د أبـــدا وتســـعَدُ
وما تصوم مُرضِـــيًا بقـاك أو تُعيِّـــدُ

(١) يقضّ : يدقّ ، وفى الأصلى "يفضّ". (٢) الثلم جمع ثُلمة وهى فُرجة المكسور والمهدوم.
(٣) المُسكة : ما يُتمسَّك به .

سنينَ لا يضبطهـ ـنّ فى الحساب عَـدَدُ
إن عافنى دهرٌ أقو مُ أبـدا ويُقـعِدُ
عن المثول اليوم ما بين يديك أُنشِـدُ
فربّما قمتُ غـدًا، إنّ أخا اليومِ غـدُ

* * *

قال وقد رثى الشريف الرضىّ رضوان الله عليه بالقصيدة الميميّة، وشقّت على (١٠٠)
جماعةٍ ممّن كان يحسدُ الرضىَّ بالفضل فى حياته أن يُرثَى بمثلها فى وفاته، ونسبه قومٌ
الى السرف فيما آدعى له ولنفسه من اللحاق به وشدّة الأنس معه، حبّا لأن تضاف
بعضُ المحاسن اليهم، وطعنوا فى غرضه من الإقرار بالتوحيد، وتكلّموا فى ذاك،
وكان فيهم مَن رثاه بما ظاهرُه التأسّى، وباطنه الشماتة، بشِعرٍ لا يسرُّ سامعا،
ولا يملك فَهِما، فأسِفَ لمكان قصوره عمّا كان يجب أن يقدر على قوله، وعمل
هذه القصيدةَ يرثيه، ويلوِّح بذكرهم، ويزيد فى غيظهم

أقـريشُ، لا لفمٍ أراكِ ولا يدِ فتوا كلى، غاض الندَى وخلا النَّدى (١)
خواسِتٍ، فآلتقى بأوقصٍ (٢)، وآسئلى من بزَّ ظهرَكِ، وآنظرى من أرمدِ (٣)
وهِى الذُّحولَ (٤) فلستِ رائدَ حاجةٍ تُقضَى بمطرورٍ (٥) ولا بمهنّـدِ
خلّاكِ ذو الحسبين أنقاضا (٦) متى تُجذَبْ على حبل المذلّةِ تَنقَـدِ
قمـرُ الدُّنا أضحت سماؤكِ بعده أرضا تداسُ بجائرٍ وبمهتـدى
فاذا تشادقت الخصومُ فلجلجى واذا تصادمت الكماةُ فعـرِّدى

---

(١) يقال توا كل القوم : آتكل بعضهم على بعض، والندىّ : النادى . (٢) الأوقص : العنق القصير . (٣) الأرمد : الذى به رمد . (٤) الذحول جمع ذحل وهو الثأر أو العداوة والحقد .
(٥) المطرور : المحدّد ويريد به سنان الرمح . (٦) الأنقاض جمع نِقْضٍ وهو المهزول من السير ناقة كان أو جملا .

يا ناشدَ الحسناتِ طوِّف فاليا (١) عنها وعاد كأنه لم يَنشُدِ
اهبِط الى "مُضرٍ" فسلْ "حمراءَها": مَن صاح "بالبطحاء": يانارُ آخمدى ؟
بكرَ النبيُّ فقال : أُردى خيرُها، إن كان يصدُقُ "فالرضىُّ" هو الرَّدى (٢)
عادت أراكةُ "هاشم" من بعده خَوَرا لفأسِ الحاطبِ المتوقِّدِ
فُجعتْ بمعجزِ آيةٍ مشهودةٍ ولربَّ آياتٍ لها لم تُشهَدِ
كانت اذا هى فى الإمامةِ نوزعتْ ثم آدعت بك حقَّها لم تُجحَدِ
رَضِىَ الموافقُ والمخالفُ رغبةً بك وآقتدى الغاوى برأى المرشِدِ
ما أحرزت قصباتِها وتراهنتْ إلا ظهرتَ بفضلةٍ من سؤدُدِ
تَبِعتكَ عاقدةً عليك أمورَها وعُرَى تميمك (٣) بعدُ لمّا تُعقَدِ
ورآكَ طفلا شِيبُها وكهولُها فتزحزحوا لك عن مكانِ السيِّدِ
أنفقتَ عمرَك ضائعا فى حفظها وعقَقت عيشَك فى صلاحِ المفسدِ
كالنار للسارى الهدايةُ والقِرَى من ضوئها ودخانُها للُموقِدِ
مَن راكبٌ يسع الهمومَ فؤادُهُ وتُناط منه بقارحٍ متعوِّدِ؟
ألف التطوّح (٤) فهو ما هددته يفرى فيافى البيدِ غيرَ مهدَّدِ
يطوى المياهَ على الظما وكأنه عنها يَضِلّ، وإنّه لَلْمهتدى
صُلبُ الحصاةِ يثورُ (٥) غيرَ مودِّع عن أهله ويسير غيرَ مزوَّدِ
عُدِلتْ جَوِيَّتُهُ (٦) على آبنِ مفازةٍ مستقرِبٍ أَمَمَ (٧) الطريق الأبعدِ
يجرى على أَثَرِ الدِّرابِ (٨) كأنه يمشى على صَرْحٍ بهنّ مُمرَّدِ (٩)

(١) فاليا : باحثا . (٢) الرَّدِى : الهالك . (٣) التميم : جمع تميمة وهى خرزات تنظم فى السير ثم يعقد فى عنق الصبي آتقاءً من العين . (٤) فى الأصل "التطرح" . (٥) فى الأصل "ينور" . (٦) الجوّية : الأرض غير الموافقة . (٧) الأمم : القرب . (٨) الدراب جمع دَرْب وهو المضيق فى الجبل وفى الأصل : "الضراب" . (٩) الممرّد : المطوّل المملّس .

يغشى الوهادَ بمثلها من مَهبِطٍ ... ورُبَا الهضابِ بمثلها من مَصعَدِ
قَرِّبْ، قرُبتَ من التلاع فإنها ... " أمّ المناسك " مثلُها لم يُقصَدِ
دأبا به حتى تُريحَ " بيثربٍ " ... فتنيخَه نِقْضًا(١) بباب المسجدِ
وٱحثُ التراب على شحوبك حاسرا ... وٱنزِلْ فعزِّ " محمّدا " " بمحمّدِ "
وقل : ٱنطوى حتّى كأنك لم تلدْ ... منه الهدى وكأنّه لم يولَدِ
نزلت بأمّتك المضاعة فى ٱبنك ال ... مفقودِ بنتُ العَنقَفيرِ المُؤيِدِ(٢)
طرقَتْه تأخذُ ما ٱصطفتْه ولا تَرِى(٣) ... مكرا وتقتُل من نحَتْه ولا تَدِى
نشكو اليك وَقود جاحمِها وإن ... كانت تخصّك بالمُلِظِّ(٤) المكمِدِ
بكت السماءُ له وودّت أنها ... فقدت غزالتَها ولمّا يُفقدِ (١٠١)
والأرضُ وٱبن الحاج سُدّتْ سبلُهُ ... والمجدُ ضيم فما له من مُنجِدِ
وبكاك يومُك إذ جرتْ أخبارُهُ ... ترَحا وسُمِّيَ بالعبوس الأنكدِ
صبغتْ وفاتُك فيه أبيضَ نحرِه ... يا لَلْعيون من الصباح الأسودِ
إن تُمسِ بعد تزاحمِ الغاشين مه ... جورا بمَطرحَةِ الغريبِ المُفرَدِ
فالدهرُ ألأمُ ما علمتَ وأهلُه ... من أن تروحَ عشيرَهم أو تغتدى
ولئن غُمِزت من الزمان بلينٍ ... عن عَجْمِ مثلِكَ أو عُضِضت بأدردِ
فالسيفُ يأخذُ حكمَهُ من مِغفرٍ(٥) ... وطُلًى(٦) ويأخذُ منه سِنُّ المبردِ
لو كان يعقِلُ لم تنلْك له يدٌ ... لكن أصابك منه مجنونُ اليدِ
قد كان لى بطريفِ مجدِك سلوةٌ ... عن سالفٍ من مجدِ قومِك متلَدِ

---

(١) النِّقض : المهزول من السير ناقة كان أو جملا . (٢) العنقفير المؤيد : الداهية الشديدة .
(٣) ولا ترى : ولا تظهر نارها أى أنها تطرق فى الظلام . (٤) الملظّ : الملازم، ويريد به الحزن .
(٥) المغفر : خوذة من الزرد تقي الرأس . (٦) الطلي : الأعناق .

فكأنكم – ومدًى بعيدٌ بينكم – يومَ ٱفتقدتُكَ زُلتمُ عن مَوعِـــدِ
يا مثكلا أمَّ الفضـائلِ(١) مـ ورثا يُتمًـا بنـاتِ(٢) القاطناتِ الشُّــرَّدِ(٣)
خلّفتَهـنَّ بمـا رضينك ناظما ما بين كلِّ مُرجَّزٍ ومُقَصَّـدِ
فُتِحتْ بهنّ ـ وقد عدمتُكَ ناقدا ـ أفـواهُ زائفــةِ(٤) اللُّهى لم تُنقَـدِ
ورُثيتَ حتّى لو فَرقتَ مميِّزًا راثيك من هاجيك لم تَستَبعِدِ
غادرتنى فيهـم بمـا أبغضتهُ أدعو البيوعَ الى متـاعٍ مُكسَدِ
أشكو ٱنفـراد الواحدِ السارى بلا أُنسٍ و إن أحرزتُ سَبقَ الأوحدِ
واذا حفِظتُك باكيا ومؤبِّنـا عابوا عليك تفجُّعى وتـلدُّدى(٥)
أحسنتُ فيك فساءهم تقصيرُهم، ذَنْبُ المصيبِ الى المغـيرِ المُعضِدِ(٦)
كانوا الصـديقَ رددتَهم لى حُسَّدًا صلَّى الإلهُ على مكثِّرِ حُسَّدى
يغـترُّ فيك الشامتون وإنه يومٌ هُمُ رهنٌ عليــه الى غـدِ
وسيسبرونى كيف قطعُ مُجـرَّدى إن كان حَزَّ ولم يعمِّقْ مُغمَدى
وتُثـير(٧) عارمــةُ الرياح سحـائبى من مُبرِقٍ فى فضلٍ وصفك مُرعِدِ
فتقَتْ بذكرِك فأرها فتفاوحت نعما تَأَرَّجُ لى بطِيب المـولدِ
تزداد طولا ما ٱسـترحت فإننى أرثيك بعــدُ وحُرقتى لم تَـبرُدِ
ماء الأسى متصبب(٨) لى لم يَغِضْ فى صحن خدٍّ بالبكاء مُخَـدَّدِ
لو قـد رأيتَ مع الدموع جدوبَهُ ـ فرطَ الزفيرِ ـ عجبتَ للراوى الصَّدِى

---

(١) أمّ الفضائل : العلم . (٢) يشير الى قصائد المرثىّ التى نظمها . (٣) فى الأصل "التنود" . (٤) فى الأصل "رائقة" . (٥) التلدد : التحيّر . (٦) المغير المعضد : السهم يذهب فى الغور شمالا و يمينا . (٧) فى الأصل "تُسير" وفى القرآن الكريم "هو الذى يُرسل الرياح فتُثير سحابا" . (٨) فى الأصل "متسبب" .

لا غـــيرّتك جَنائبٌ(١) تحت البـــلى | وكساك طِيبُ البيت طيبَ المَلحدِ
وقَرُبتَ، لا تبعُـــدْ، وإن علالةً | للنفس زورا قولتى لا تبعُـــدِ

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم يهنّئه بالنيروز وبعيد الفطر الذى آتفق معه، وبسلامته، وكان ورد قادما، ويذكر رسم خلعة شتويّة أخّرها عنه

حاشاك من عاريةٍ تُرَدُّ | ابيضَّ ذاك الشَّعَرُ المسودُّ
أشرفَ بازىٌّ على غرابه | حتى ذوَى الغصنُ ولان الجَعْدُ
أتعبنى بخاضبٍ مُصـــدَّدٍ | لو كان من هُجـــومه يُصَـــدُّ
وثالمٍ بلقطـــه ثَنيَّـــةً | معروفةً من يومها تُسَـــدُّ
يصبغ ســـوداءَ ودون أخذه | بيضـــاءُ تَخفَى تارة وتَبـــدو
أَخلقَ جاهى فى ذوات الخُمْرِ(٢) مذ | لِيثَ(٣) خمـــارٌ لِىَ مُســـتَجَدُّ
قلنَ(٤) — وقد عتبتُ فى وثائقٍ — | نقضنها(٥) — : ما غادةٌ وعهدُ
نافَى بك الشيبُ بطالاتِ الصِّبا | الليـــلُ هزلٌ والنهـــارُ جِدُّ
فقلتُ : نصلٌ لا يُذَمُّ عِتقُهُ، | قلنَ : فأينَ المـــاءُ والفِرِندُ ؟
كانَ قناةً فغـــدا حنِيَّةً | ظهرُك، ما القضيبُ إلا القدُّ
سائل "بنى سعدٍ"، وأىّ مأثمٍ | لم يتقلَّدْ منك ظلمـــا "سعدُ" ؟
أهندُ قالت : ملَّنى، وحلفتْ ؟ | تحلَّلى حالفـــةً يا "هنـــدُ"
أَمُنْكِ بين أضلعى جنايةٌ | أعجبْ بهـــا نارا خباها(٦) زَنْدُ !

(١) جنائب جمع جنوب وهى ريح تقابل الشمال . (٢) الخمر جمع خِمار وهو مثل النقاب .
(٣) ليث : لُفَّ . (٤) فى الأصـــل "قلتُ" . (٥) فى الأصل "نقضتَها" .
(٦) خباها لغةٌ فى خَبأها .

وعدُكِ لم أُخْلِف[1] يومَ "بابلٍ"؟ بل كان سحرا وآسمُــهُ لى وعدُ
خصرُكِ ضعفا واللســانُ مَلَقًا دقًّا عليك أن يصحَّ عَقدُ
ضاع الهوى ضياعَ من يحفَظُه ومات مع أهــل الوفاء الودُّ
أُنْجُ ربيحَ العِرضِ وآقعدْ حَجرةً[2] منفردا، إن الحسامَ فردُ
كم مســتريحٍ فى ظلالِ نعمةٍ وأنت فى تأميــله تَكُدُّ
طالك بالمـال ولو أريتَــهُ صَــونا رآك مَعَهُ تَعَــدُّ
ملكتُ نفسى مذ هجرتُ طمعى اليأسُ حُرٌّ والرجاءُ عبــدُ
ولو علمتُ رغبــةً تسوق لى نفعا لَخفتُ أن يَضُرَّ الزهدُ
جرَّبتُ أخــلاقَ الرجال فإذا بسَمِحِها مع السؤال نَكْدُ
ورمتُ أيديهــم بكلِّ رُقيــةٍ تلين والأيدى معى تَشْــتَدُّ
لم يعِنِى فضــلٌ أداريهم به وإنمــا أعيا علىّ الجَــدُّ
ما كان مَن شَعْشَعَ لى سرابَهُ غَرَّ فمى وقلتُ : ماءٌ عِــدُّ
فى الناس مَنْ معروفُهُ فى عنُقٍ غُلٌّ ، وفيهــم مَن جَداه عِقدُ
مثلُ "الحسينِ" إن طلبتُ غايةً فاتت، وهل مِثْــلٌ له أو نِدٌّ ؟
فات الرجالَ أن ينالوا مجــدَه مشمِّرٌ للمجــدِ مســتعِدُّ
غَلَّسَ فى إثر العــلا وأشمسوا فجـاء قبــلا والنجومُ بَعــدُ
ومن بنى "عبد الرحيم" قمرٌ كلُّ ليـاليه تمـامٌ ســعدُ
ما نطفةُ المزنِ صفَت طاهرةً أطيبُ ممّـا ضمَّ منــه البُرْدُ
لاينْهُ لا تُلفِ القضيبَ عاسيًا[3] وآصعُبْ يزاحمْك ثقيلا "أُحْدُ"

---

(١) فى الأصل "خلف" . (٢) حَجرة : ناحية . (٣) عاسيا : يابسا .

من المحامين على أحسابهم … بمالهم، فالفقرُ فيهم مجدُ
لا يتمنّون على حظوظهم … أن يَجِدُوا دنيا اذا لم يُجدُوا
سخوا ولم تَبْنِ عليهم "طيٌّ" … وفصُحوا ولم تلدهم "نَجْدُ"
كانوا الخيارَ وفَرَعْتَ زائدا، … والنارُ تعلو وأبوها الزَّندُ!
يا مؤنسى بقربه سلْ وحشتى … بعدَك : ما جرّ علىَّ البُعدُ!
أكلَّ يومٍ للفراق فيكمُ … تعمدٌ(1) يسوءنى أو قصدُ؟
ما بين أن يَحبُرَنى(2) لقاؤكم … حتى النوى فنعمةٌ وجُهدُ
وكيف لا وأنتمُ فى نُوَبى … يدٌ وظَهرٌ وفمٌ وعَضْدُ
ريشُ جَناحى بكُمُ مُضاعَفٌ … وحبلُ باعِى منكُمُ مُمتَدُّ
كم تحملون كُلَفِى ثقيلةً … كأنّ حَملى ليس منه بُدُّ
مبتسمين والثرى معبِّسٌ … بيضَ الوجوهِ والخطوبُ رُبْدُ
قد فَضَلَتْنِى سَرَفا ألطافُكم … فحسبكم! لكلِّ شيءٍ حَدُّ
أَبْقُوا علىّ إنما إبقاؤكم … ذُخرٌ ليومِ حاجتى مُعَدُّ
شِيبكُمُ والنُّصَفاءُ منكُمُ … والغُرُّ من شبابكم والمُرْدُ
فى نجوةٍ أيدى الخطوب دونها … بُترٌ(3) وأجفانُ الليالى رُمْدُ
أراك فيها كلَّ يومٍ لابسا … ثوبا من النَّعماء يستجدُّ
يزورك الشِّعرُ به فى مَعرِضٍ … منشِدهُ يُحسبُ طِيبًا يشدو
وربما أذكرُ، ما أنساكَ من … رسمى آتفاقٌ ساءنى لا عَمْدُ
سيفُكَ فى الأعداء لِمْ خلَّفتَهُ … مجرَّدًا ليس عليه غِمدُ؟

---

(١) فى الأصل "تعمُّه". (٢) يحبرنى : يسرنى، وفى الأصل "يجبرنى". (٣) بُتْرٌ جمع بتراء أى مقطوعة، وفى الأصل "تتروا".

وكيف طِبتَ أن يُرى فريسةً نفسًا وأيامُ الشتاء أُسْــدُ
يَحتشِمُ النيروزُ من إطلاله (١) والمهرجانُ يقتضيكَ بعــدُ

* * *

وآتفقتْ للأستاذ الجليل أبى طالب محمد بن أيّوبَ سَفْرةٌ الى سُرَّ مَنْ رَأَى وما يجاورها من البلاد لهفوةٍ لحقت الجَنَبَةَ (٢) التى يتعلّق بها، ومات أخوه وهو غائبٌ، ولحقه قُصودٌ من الزمان شُغِلَ عن التوجّع له فيها فكتب اليه (١٠٣)

خليلُكَ مَن صفا لك فى البعادِ وجارُك مَن أذمَّ على الودادِ
وحظُّك من صديقك أن تراه عدوًّا فى هواك لمن تعادى
وربَّ أخٍ قَصِىِّ العِرق فيه سلوٌّ عن أخيك من الوِلادِ
فلا تغررْك ألسنةٌ رطابٌ بطائنهنَّ أكبادٌ صَوادى
وعِش إمَّا قرينَ أخٍ وفىّ أمينِ الغيب أو عيشَ الوحادِ
فإنى بعدَ تجريبى لأمرٍ أنستُ ـ ولا أغشُّك ـ بآنفرادى
تريدُ خلائقُ الأيّام مَكرا لتُغضبنى (٣) على خلُقٍ وعادى
وتغمزنى الخطوبُ تظنُّ أنى ألينُ على عرائكها الشِّدادِ
وما "شهلانُ" تشرف قُنَّتاه بأحملَ للنوائب من فؤادى
تغرَّبُ فى تقلُّبها الليالى علىّ بكلّ طارقةٍ نآدِ (٤)
اذا قلتُ: آكتفت منى وكفَّتْ نزتْ بالداء ثائرة العِدادِ
رعَى سِمنُ الحوادثِ فى هُزالى كأنَّ صلاحَهن على فسادى
فيوما فى الذخيرة من صديق ويوما فى الذخيرة من تِلادى

---

(١) الإطلال : إهدار الدم . (٢) الجنبة : الناحية . (٣) فى الأصل : "لتعصينى" .
(٤) النآد : الداهية .

يذمُّ النــومَ دون الحرص قومٌ وقلتُ لرقدتى عنـه : حَمَـادِ (١)
وما كان الغِنَى إلا يسـيرا لو ٱنّ الرزقَ يبعثـه ٱجتهادى
وضاحكةٍ الى شَـعرٍ غريبٍ شُكِمتُ به فأسلس من قيادى
تَعُـدُّ سِنِيَّ تَعجَبُ من بيـاضى وأعجبُ منه ـ لوعلمتْ ـ سوادى !
أمانٍ كلَّ يـومٍ فى ٱنتقاصٍ يساوقُهنَّ همٌّ فى ٱزديادِ
وفُرقــةُ صاحبٍ قَلِقِ المطايا به قَلَقُ المـدامعِ والوسادِ
تُخَفِّضُ بعـدَه الأيّامُ صـوتى على لَسَنِي (٢) وتَخفِضُ من عمـادى
وتُخمِدُ عن ضيوف الأنس نارى وكنتُ بقـربه وارى الزنادِ
أقيمُ ولم أقمْ عنــه لِمُسْلٍ ويرحَــلُ لم يَسِرْ منّى بزادِ
كأنّا إذ خُلقنا للتصافى خُلقنا للقطيعــة والبعادِ
أرى قلبي يطيش اذا المطايا الى الرابين ياسَرهنَّ حادى
ولم أحسب "دُجَيلا" (٣) من مياهى ولا أنّ "المَطيرةَ" (٤) من بلادى
ولا أنى أبيت دعاى يحـدو الى "تَكريتَ" (٥) سارية الغوادى
ومن صُـعَداء أنفاسى شِرار تمـرُّ مع الجَنوب بها تنادى :
أأحبـابى أثار البينَ بينى وبينكُمُ مساخَطةُ الأعادى
سقت أخلاقُكم (٦) عهـدى لديكم فهنَّ به أبرُّ من العهـادِ
وردَّ علىَّ عنـدكُمُ زمانٌ مَجُـودُ الروضِ مشكورُ المَرادِ
أصابت طيبَ عيشى فيـه عينى فقــد جازيتُها هجــرَ الرقادِ

(١) يقال حَمَادِ له كقَطَامِ بمعنى حمدًا له وشكرًا . (٢) اللَّسَنُ : الفصاحة . (٣) دجيل : اسم نهير . (٤) المطيرة : اسم قرية من نواحى سامراء وكانت من متنزهات بغـداد وسامراء . (٥) تكريت : اسم موضع . (٦) فى الأصل "أخلاقكم".

فلا تحسب ــ وظنُّك فىّ خيرا ــ بقاىَ ــ وأنت ناءٍ ــ من مُرادى

ولا أنّى يسُرُّ ســوادَ عينى بما عُوِّضتُ من هــذا السوادِ

وكـيف وما تَلفُّ المجـدَ دارٌ نأتْك، ولا يَضُمُّ الفضـلَ نادى

فإنْ أصبرْ ــ ولم أصبر رُجوعا الى جَــلدٍ ولم أحمل بآدِ[(١)] ــ ،

فقـد تُحنَى الضلوعُ على سَقامٍ وقد تُغضَى الجفونُ على سهادِ

وكنتُ ، وبيننا إن طال ميلٌ وإما عرضُ "دجلة" وهى وادى ،

اذا راوحتُ دارَك لجّ شـوقى فلم يُقنِعه إلا أن أُغادى

فكيف وبيننـا للأرض فَرْجٌ يماطِل طُــولَه عَنَقُ[(٢)] الجيـادِ !

ومعترَضُ "الجزيرة" والخوافى من "القاطول[(٣)]" تلمع والبوادى

وُفودٌ من مطايا المـاءِ[(٤)] سـودٌ ، روادفُها تطول على الهـوادى

اذا كنّ الليـالى مقمـراتٍ فراكِبُهنّ يخبــطُ فى الدّآدى[(٥)]

لهنّ من الرياح الهـوجِ حادٍ ومن خُلُجِ[(٦)] الميـاه العوجِ هادِى

اذا قمصت على الأمواج خِيلتْ على الأحشاء تقمِصُ أو فؤادى

فهل لى أن أراك وأن ترانى وهل من عُدّتى هى أو عتـادى ؟ ١٠٤

سأنتظر الزمانَ لهـا ويـوما يطيل يدَ الصديق على المعـادى

ظمئنا بعــدكم أسفا وشــوقا كما جِيــدتْ[(٧)] بكم يُبْسُ البلادِ

لعل "محمدا" ذكَرتْه نُعمَى ترانى ناسيا فيـه آعتقـادى

---

(١) الآد : القوة ، وفى الأصـل "نآدِ" . (٢) العنق : ضرب من ضروب السـير .

(٣) القاطول : اسم نهر مقطوع من دجلة حفره هارون الرشيد وبنى على فوهته قصرا وسماه "أبا الجند" لكثرة ما كان يسق من الأرضين وجعله لأرزاق جنـده . (٤) مطايا المـاء : السفن .

(٥) الدآدى جمع دأدأة وهى آخر ليال الشهر المظلمة وقد تقـدمت . (٦) خلج جمـع خليج .

(٧) جيدت : أصابها مطر جَوْدٌ .

وعـــل اللهَ يجبُر بالتــداني ... كسيرةَ قانطٍ، حَسْبُ التمـادي
وأقربُ ما رجوتُ الأمرَ فيـه ... على الله آعتمادُك وآعتمادي
فلا تعدَم ــ ولا يعدَمْك ــ خلّا ... متى ما تعْـدُهُ عنك العـوادي
يُزِرْك كـرائما متكفِّلاتٍ ... بجمع الأُنسِ قيـل له : بَدادِ (١)
نواحبَ (٢) فى التعـازى والتشاكى ... جبائبَ للتهـانى والتهـادى
طوالعَ فى ســوادِ الهم بيضًـا ... طلوعَ المكرماتِ أو الأيادى
اذا جرّتْ ذلاذلَهـا " بجـوٍّ " ... تضوّعَ حاضرٌ منــه وبادى
لهـا فعلُ الدروع عليك صونا ... وفى الأعداء أفعـالُ الصِّعادِ
ربَتْ يا " آلَ أيّوبٍ " وأَثَّتْ (٣) ... رُباىَ بكم على السَّنَةِ الجمـادِ
فهــل رجلٌ يدُلّ اذا عَدِمتم ... على رجلٍ وفىّ أو جــوادِ
ومَن أخذَ المحاسنَ عن ســواكم ... كمَن أخذَ المناسبَ عن " زيادِ "

* * *

وكتب الى الأستاذ الجليـل أبى سعد محمـد بن الصاحب الأجلّ أبى القاسم آبن عبد الرحيم يهنّئه فى النيروز وهى أوّل ما عمل فيه

سلمتِ ــ وماالديارُ بسالمـاتٍ ــ ... على عنَت البـلى يا دارَ " هندِ "
ولا برِحتْ مفوّفةُ الغـوادى ... تُصيب رباكِ من خَطَإٍ وعمـدِ
بموقِظـــةِ الثرى والتربُ هادٍ (٤) ... ومُجـــديةِ الحيا والعـامُ مُكدى
على أنى متى مطـــرَتْكِ عينى ... ففضلُ ما سقاكِ الغيثُ بعدى
أميــلُ اليكِ يجـذبنى فـؤادى ... وغيرُكِ ــ ما آستقام السيرُ ــ قصدى

(١) بدادِ كقطام بمعنى تبدَّدْ . (٢) فى الأصل "نوائب" . (٣) أثّت : كثر نباتها والتفّ .
(٤) يريد " هادئ " بمعنى ساكن .

وأُشفق أن تبـدِّلك المطايا ... بوطأتهـا كأنَّ ثراكِ خـدّى
أرى بكِ ما أراه فمستعيرٌ ... حشاى وواجدٌ بالبين وجـدى
وليتكِ إذ نحلتِ نحولَ جسمى ... بقيتِ على النحول بقاءَ عهـدى
وما أهلوكِ يومَ خلوتِ منهم ... بأوّلِ غـدرةٍ للدهر عنـدى
سـلى الأيام ما فعلت بأنسى ... وعيشٍ لى على "البيضاء" رغدِ ،
وفى الأحداج عن رشإٍ حبيبٍ ... على لونيـه من صِلةٍ وصدِّ
يماطلُ ثم يُنجِــزُ كلَّ دَيْنٍ ... ولم ينجز "بذى العلمين" وعدى
تبسّم "بالبراق" وصاب غيث ... فلو مُلِّكَ الفِـداءُ لكنتُ أفدى ،
ثنـاياه وفاه ولا أغالى ... بمـا فى المزن من برقٍ وبَرْدِ
ألَا مَن عائدٌ ببيـاضِ يومٍ ... لعينى بين "أحناء" و"صمدِ" ؟
وعينٍ "بالطُّوَيلع" بارزاتٍ ... على قَسَماتِهنّ حياءُ "نجــدِ" ؟
نظرنَ — فما غزالته ؟ — بلحظٍ ... ومِسْنَ — فمـا أراكته ؟ — بقدِّ
وبلهـاء الصِّبا تبغى سِقاطى ... اذا حلّلتهـا هزَلتْ بجِـدّى
تَعدُّ سنىَّ تعجَبُ من وقارى ... ولم يجـتزْ مراحَ العمـر عَدِّى
فمـا للشَّيْب شـدَّ علىّ ركضا ... فطوّح بى ولم أبلغ أشُـدِّى !

⁂

يعـيّرنى ولم أره شآنى[1] ، ... تنبـه حظّه بخـمولِ جَـدّى
ووَدَّ على غضـارة[2] حُلّتيــهِ ... مكانَ الرقع من أسمـال بُردى
وما ورقُ الغـنى المنفوضُ عنّى ... بمعرٍ من حُسام المجـدِ غمـدى
حملتُ — وليس عن جَلَدٍ بقلبى — ... حُمولةَ واسع الجنبين جَـلْدِ

---

(١) شآنى : سبقنى . (٢) الغضارة : النضارة ، وفى الأصل "غضاضة" .

تبادهني النوائب مستغرّا فأدفعها بعزمةِ مستعدّ
يزِلُّ الخوفُ عن سكنات قلبي زليلَ الماءِ عن صفحاتِ جِلدى
دع الدنيا تَرِفُّ على بنيها وتُجلِبْ بالجفاء علىّ وحدى
وفِرْ(١) أموالَهم تنمو وتزكو فليس كنوزُها ثمنا لحمدى
لعل حوائل الآمال فيهم تُطَرِّقُ من ” أبى سعدٍ “ بسعدِ
فتى عَقدتْ تمائمُه فطيما على أُكرومةٍ ووفاءِ عَقدِ ١٠٥
وربّته على خُلُق المعالى غرائزُ من أبٍ عالٍ وجَدِّ
فما مجّت له أُذُنٌ سؤالا ولا سمحتْ له شَفَةٌ بردِّ
اذا اخضرّت بنانُ أبٍ كريم فصبغتُها الى الأبناء تُعدِى
تطاولَ للكمال فلم يُفُتْهُ على قُربِ الوِلاد مكانُ بُعدِ
وتمَّ فعلَّق الأبصارَ بدرا ولم يَعلَقْ له شَعَرٌ بخدِّ
رآه أبوه — وابن الليث شبل — لسَدَّة ثُغرةٍ وهو ابن مَهدِ
فقال لحاسديه : شَقِيتُم بى وهذا ابنى به تَشقَوْنَ بعدى
جَرَى ولِداتِه فمضى وكدُّوا لو انَّ الريحَ مُدرَكَةٌ بكدِّ
اذا سبروه عن عَوصاءَ أدلَى بها فنجا على غَرَرِ التحدّى
دَعُوا دَرَجَ الفضائل مزلِقاتٍ لماضٍ بالفضائلِ مستبِدِّ
وما حسدُ النجومِ على المعالى — ولو ذابَ الحصا حسدا — بمُجدى
” أبا سعدٍ “ ولو عثروا بعيبٍ مشوا فيه بحقٍّ أو تعدّى
وقد تسرى العيوبُ على التصافى فكيفَ بها على حَنَقٍ وحِقدِ
ولكن فتَّهم فنجوتَ منهم نجاءَ اللحنِ بالخصمِ الألدِّ

(١) فر : صن أو كثِّر .

ومَلَّكَكَ الفخارُ فلم تنــازَع ... بقُــلٍّ فى النــدىّ ولا بحَشْــدِ
أبٌ لك يُلجِمُ العليــاءَ طولا ... وخالٌ فى عِراصِ المجـد يُسدِى
ولم يعدِلْ أبا لك "يَعرُبِيًّا" ... زميلٌ مثلُ خالك فى "مَعَــدِّ"
جزيتُك عن وفائك لى ثنــاءً ... يودّ أخى مكانَك فيــه عنـدى
ولولا الودُّ عزّ عليك مدحى ... ولولا الفضــلُ عزّ عليك ودّى
بنى "عبد الرحيم" بكم تعــالت ... يدى وورى على الظلمــاء زَندى
وإن أودَى "بنيسابور"(١) قومى ... بجَــدُّكُمُ من الأملاك جدِّى
وأصدقُ ما محضتُ القومَ مدحى ... اذا ما كان مَجْــدُ القوم مَجْـدى
تُفــاعِينى(٢) لتُردِيَنى الليــالى ... فأذكــرُكم فتنهسُنى بدُرْدِ
وأزحَمُ فيــكُمُ نكبَاتِ دهــرى ... بعصبةِ "غالبٍ" وبنى"الأشدِّ"
لذلك، ماحبوتكُمُ صفايا ... ذخائرُ خيرُ ما أحبو وأهــدى
طوالعُ من حجابِ القلب، عفوى ... بهنّ يبــذُّ غايةَ كلِّ جُهـدِ
تجوبُ الأرض تقطعُ كلَّ يوم ... مدَى عامينِ للسارى المُجِدِّ
يرِينَ(٣) ــ وبعدُ لم يُروَينَ ــ حسنا ... كأنّ سطورَهن وُشُــوعُ بُرْدِ
اذا رَوَّت رجالَكُمُ كُهولا ... سأرنَ(٤) لصبيةٍ منكم ومُردِ
ولولا كم لمـا ظفرت بكفءٍ ... يَسُرُّ ولا سعت قدما لرشـدِ
ولكن زفّهـا الأحــرارُ منكم ... فمــا أشقيت حرّتَهـا بعبـــدِ
فَضَلتم سؤددا وفضَلتُ قـولا ... فكلٌّ فى مــداه بغـــير ندِّ
بكم خُتم النـــدَى وبِىَ القوافى ... بقيتم وحدكم وبقيتُ وحــدى

---

(١) فى الأصل "بنوسابور" . (٢) تفاغينى : تداهمنى كالأفعى . (٣) يرين : يضئن من ورى الزند يرى . (٤) سأرن : أبقين من السؤر وهو البقية من الماء .

* * *

وكتب الى أبى الحسين أحمد بن عبد الله ، الكاتب وهو أحد الرؤساء المشهورين ، وقد آنحدر الى واسط مستدعًى للنظر ، يتشوّق أيامَ آجتماعه ، ويستوحشُ لبعده ، ويذكُر ما يرجوه له من آستقامة الأمر ، ويهنّئه بعيد الفطر سنة آثنتى عشرة وأربعمائة

تَظُنُّ ليالينا عُـوَّدا ... على العهد من "بُرقَتَىْ ثَهمَدا" ؟

وهل خبرُ الطيفِ من بعدهم ... اذا طاب يصدُقُك المَوعِدا ؟

و ياصاحبِي ، أين وجهُ الصباح؟ ... وأين غدٌ ؟ صِفْ لعينى غدا

أسدُّوا مَسارحَ ليل "العرا ... ق" أم صبغوا فجرَه أسودا

وخافَ الضلوعِ زفيرُ أبَى ... وقد بَرَدَ الليلُ أن يبرُدا (١٠٦)

خليلَىَّ ، لى حاجةٌ ما أخفَّ ... "برامةَ" لو حَمَلتْ مُسعِدا

أريدُ لِتُكتَمَ وآبن الأرا ... كِ يفضحُها كلّما غرَّدا

و "بالرمل" سارقةُ المقلتين ... تَكْحُل أجفانُها المِروَدا

اذا هُصِرتْ هُصرتْ بانةً ... وإن سئلتْ سئلتْ جَلمدا

أُحبّ وإن أخصبَ الحاضرون ... ببادية الرمل أن أَخلُدا

وأهوى الظباءَ لأمّ البنينَ ... بما تُشبهُ الرشأَ الأغيدا

وعِيناً يرِدنَ لصابِ(١) "الغوير" ... بأنقعَ من مائه للصدَى

فليت وشَيْبى بحامِ(٢) العذار ... زمانَ "الغضا" عاد لى أمردا

ويا قلبُ قبلَك ضلَّ القلو ... بُ لو كنت أملك أن تُنشَدا

(١) لصاب جمع لِصب وهو مضيق الوادى ، ويقال : "أعذب من ماء اللصاب" . (٢) حام آبن نوح وهو أبو السودان وذكرُهُ هنا كناية عن السواد .

أرى كبدى قُسِـمتْ شُقّتين ... مع الشـوق غَوّر أو أنجـدا
"فبالنَّعف" ضائعــةٌ شُعبةٌ ... وأخرى "بمَيسانَ" ما أبعـدا !
وما خلتُ لى "واسطا" عُقْلةً(١) ... تعـلِّمُ نـومِىَ أن يَشرُدا
ولا أننى أستشمّ الجَنــو ... بَ أطيبَ ريحِىَ أو بَـردّا
وأطـرحُ منحـدِرا ناظرى ... لهـا أبتـغى رفدَها المُصعِدا
وأحمَـدُ من نشرها أنه ... اذا هبّ مثّلَ لى "أحمـدا"
ولا كنتُ قبلَك فى حاجـةٍ ... لتحمِلَ عُنْـقى لريح يـدا
أسالكَ "دجـلةَ" تَجرى به ... محايِدةً مـوجَهـا المُـزبِدا ،
صُهابيّـةُ اللون قاريّةٌ ... تخـالف صبغتُهـا المـولدا
تَحِنّ وما سمعتْ فى الظلا ... م غـيرَ غناء النَّـواتى(٢) حُـدا
لهـا رَسَنٌ فى يمين الشّمال ... اذا ضـلّ قائفُ(٣) أرضٍ هَدَى
تحمَّلْ ــ سلمتَ على المهلكاتِ ... وساقَ لك اللهُ أن تَرشُـدا ــ ،
رسائلَ عنّى تُقـيم الجُـوحَ ... وتسـتعطف العُنُقَ الأصـيدا
أجيرانَنـا أمسِ جار الفـرا ... قُ بينى وبينكُمُ وآعتـدى
جفا المضجعَ السَّبْطَ جنبى لكم ... محُافَظَـةً ونـفَى المَـرقَدا
وأوحشـتُمُ ربعَ أُنسى فعاد ... يُهَـدِّم بانيــهِ ما شَـيَّدا
وفاجأنى بينُكُمْ بغتـةً ... ولم أكُ للبين مســتعِدا
ففى جَسدى ــ ليس فى جُبّتى ــ ... نوافـذُ ما سـلَّ أو سَـدَّدا
تمنتك عيـنى وقلبى يَـراك ... بشوقِىَ ــ حاشاك أن تُفقَدا ــ

---

(١) فى الأصل "عقله" . (٢) النواتىّ جمع نوتىّ وهو الملّاح . (٣) القائف : الذي يعرف الأثر .

كأنّىَ سُرعةَ ما فُتّنى عدمتُك من قبلِ أن تُوجَدا
لئن نازعتْنى يدُ الملك فيك فلم أستطع بدفاعٍ يدا،
لحظٌّ عساه ـ وإن ساءنى ـ يكون بما سرَّنى أعودا
دعوك لتعدلَ ميْلَ الزمانِ ويُصلحَ رأيُك ما أفسدا
يسومون كفَّك سبْرَ الجراح وقد أخذتْ فى العظام المُدَى
سيُبصر مستقربا من دعا ك موضعَ تفريطه مُبعَدا
ويعلم كيف انجفالُ[1] الخطوب اذا سُلَّ منك الذى أُغمِدا
وإن كان منكِبُه منجبا درى أىَّ صَمصامةٍ قُلِّدا
وقبلك لو أثلثَ الفرقدين خابطُ عشوائهم ما اهتدى
ولما رأوك أمام الرعيل ألقَوا الى عنُقك المِقوَدا
وأدنَوا لحمل المهمّات منك بَزلاءَ[2] عجْلِزةً[3] جَلْعَدا[4]
اذا ثقُلَ الحملُ قامت به وإن ظَلعتْ نهضتْ أجلدا
تكون لراكبها ـ ما استقام دون خِطار الفيافى ـ فِدَى
وتُضحى على الخِمْس لا تستريب عَجَرفةً أن ترى الموردا
تُطيعُ اللسانَ فإن عوسرتْ أثاروا بها الأسَدَ المُلْبِدا
اذا ما الفتى لم تَجِدْ نفسُه بهمّتها فى العلا مَصْعَدا،
سوى غلَطِ الحظِّ أو أن يُعَدَّ فى قومه نَسَبا قُعدُدا،[5]
فلله أنت ابنُ نفسٍ سمتْ لغايتها قبلَ أن تُولَدا
اذا خُيِّرَ اختار إحدَى اثنتين إمّا العَلاء وإما الرَّدى

(١) الانجفال: الهروب بسرعة. (٢) البزلاء: الناقة المسنة. (٣) العجلزة: الناقة الشديدة. (٤) الجلعد من الإبل: الصُّلب الشديد. (٥) القعدد: البعيد الآباء من الجد الأعلى.

١٠٧

كأنى أراك وقد زاحموا بك الشمسَ إذ عزلوا الفَرقدا
وخاطوا النجومَ (١) قميصا عليك ولاثوا السحابَ مكانَ الرِّدا
وصانوك عن خرقٍ فى الحلى فخلوّا طلى خيلك العَسجدا
وان أخلَق الدهرُ ألقابَهم بما كثر منها وما ردّدا ،
رضُوا بٱختيارِىَ أن أَصطفى لك اللّقَبَ الصادقَ المُفرَدَا
فكنّيتُ نفسَك : أمَّ العلاء وسمّيتُ كفّك : قطرَ النَّدى
وهل سمعوا فى ٱختلاف اللغاتـ بلجّة بحرٍ تُسمَّى يدا !
مُنًى فيك بأتْ يدى منذُ شمْـ ـتُ عارضَها المُبرقَ المرعِدا
فَتَمَّ فراغُ عهودى فقد أمِنتُك من قبلِ أن تعهدا
فلا ترمينَّ بحقٍّ ورا ء ظهرِ النسيئة مُلقًى سُدى
ولا يَشغلَنَّكَ عِزُّ الوُلا ة عن حُرُماتى و بعدُ المَدَى
فليس الوفىُّ المُراعى القريبَ ولكنّه من رَعَى الأبعدا
تحلّيتُ طَعمةَ عيشى المريـ ـر يومَ لقيتُك مسترغِدا
وأيقنتُ أن زمانى يصيـ ـر عبدِىَ مذ صرتَ لى سيّدا
وأَصبح من كان يقوى عَلَّ وغايتُه فىَّ أن يَحسُدا
وقد كنتُ أصعبَ من أن أصا دَ رأسا وأعوزَ أن أُوجَدا
اذا ٱستام ودّىَ أو مدحتى فتًى رام أخنسَ (٢) مستطرِدا
يفالتُ قَطْعا حبالَ القنيصِ يرَى كلَّ موطنه مشرَدا
فآنستنى بمديح الرجال وذلّلتَنى لقبول الجَدا

---

(١) فى الأصل "وخاطرا" . (٢) الأخنس : الأسد ، وفى الأصل "أخيس" .

ولو راض خلقُك لؤمَ الزمان لعلَّمه المجدَ والسؤددا
فما أمكنَ القولُ فآسمع أُزِرْكَ قوافِيَ بادئةً عُوَّدا
قواضيَ حقِّ الندى والودا دِ مثنًى تؤمك أو موْحَدا
اذا أكلَ الدهرُ أعواضَها(١) من المال عمَّرَها سرمدا
لو آسطاع سامعُ أبياتها اذا قام راوٍ بها منشِدا،
لصيَّر أبياتَها سُبحةً ومثَّلَ قِرطاسَها مَسجِدا
مهنِّئةً أبدا من علاك بما اسأنفَ الحظُّ أو جدَّدا
وبالصوم والعيدِ حتى تكو نَ آخرَ من صام أو عيَّدا
وحتى تُرَى واحدا باقيا كما كنتَ فى دهرِنا أوحدا

***

وكتب الى الصاحب أبي القاسم بن عبد الرحيم، وهو مقيم بواسط فى النيروز، يجزيه على عادة الإتحاف ويتشوّقه، وقد آتفق ذلك فى عشر عيد النحر

أخْلقَ الدهرُ لِمّتى وأجدّا شعَراتٍ أريننى الأمرَ جِدّا
لم يزلْ بى واشى الليالى الى سمـ ـع معير الشباب حتى آستردّا(٢)
صِبغةٌ كانت الحياةَ فما أفـ ـرقُ أودَى دهرى بها أو أردَى
يا بياض المشيب بِعْنِى بأيّا مك ليلا نضوتَه مسودّا
يا لها سرحةً تَصاوَحُ تَنّو ماً(٣) وعهدى بها تفاوَحُ رَندا
لم أقل قبلها لسوداءَ : عطفًا وآقترابا، ولا لبيضاءَ : بُعدا
عدَّتِ الأربعون سنِّى تمامى وهى حلّت عُراىَ عَقدا فعقدا

(١) أعواض جمع عِوَض وهو الخلف والبدل . (٢) فى الأصل "لى" . (٣) التنّوم واحدته تنومة وهي شجرة يضرب لون ورقها الى السواد .

بانَ نقصِي بأن كَمَلتُ وأحسسـ ـت بضُعفي لمّا بلغتُ الأشُدّا
رجعتْ عنّيَ العيون كما تر جعُ عن حاجب الغزالة رُمْدا
ليت بيتا "بالخَيْف" أمسِ آستضفنا ه قَرانَا ولو غَراما ووَجْدا
(١٠٨) وسقاةً على القليب آحتسابا عوّضونا اللّمى شِفاءً وبَرْدا
راح صحبي بفوزة الحجّ يحدو ن، وعَنسي باسم البخيلة تُحدَى
ولحاظي مقيّداتٌ "بسلعٍ" فكأنّي أضللتُ فيه المَجْدَا
ربَّ ليلٍ بين "المُحصَّب" و"الخَيـ ـف" لبسناه للخلاعة بُرْدا
وخيامٍ بسفح "أُحْدٍ" على الأقـ ـمار تُبْنَى، فحَيِّ يا رب "أُحْدَا"
لا عدا الرَّوْحُ في "تِهامةَ" أنفا سًا اذا آستُروِحتْ تمنَّيتُ "نجدا"
وأعان الرقادُ حَيْرةَ طَرفٍ لم يجِدْ في الطّلاب يقظانَ رُشْدا
نمتُ أرجو "هندا" فكلّ مثالٍ خَيَّلَتْ لي الأحلامُ إلّا "هندا"
عَجَبا لي ولآبتغائي مَودّا تِ ليالٍ طباعُها لِيَ أعدا(١)
نطَقَتْ في نفوسها وتعفّفـ ـتُ، فما وُدُّ من يرَى بك صدّا
أجلبتْ(٢) جِلدتي عريكةُ دهري فرمَى بي وقام أملَس جِلْدا
كلّ يومٍ أقولُ: ذمًّا لعيشي فاذا فاتني غدًا قلتُ: حَمْدا
زفراتٌ على الزمان اذا آستبـ ـردتُ منها تنفُّسا زدن وَقْدا
يا لحَظّي الأعمى أما يتلقّ قائدا يبتغي الثوابَ فيُهْدَى!
يا زمانَ النفاقِ ما لك زاد اللهُ بيني وبين أهلك بُعدا
مَن عذيري من صحبة الناس ما أخـ ـفرَها ذمّةً وأخبثَ عهدا
كم أخٍ حائمٍ معي واصلٍ لي فاذا خَنّقتْ به الحالُ صدّا

---

(١) يريد أعداء. (٢) أجلبت: تركت عليها جُلبَة وهي القشرة التي تعلو الجرح.

وصــديقٍ سَبْطٍ وأيامــه وُسْــطى فلمّـا آنتهتْ تقلّص جَعْـدا
ليتـه غـيرَ منصِـفٍ لِىَ إسـعا دا عـلى الدهر منصفٌ لِىَ وُدّا
واذا لم تَجِــدْ من الصبر بُدًّا فتعـزّلْ وَجِدْ من الناس بُدًّا
يدفع اللهُ لى ويحمى عن ”الصا حبِ“ فَــردا كما وَفَى لِىَ فـردا
أَجِنَتْ(١) أوجــهُ الرجالِ فما أنـكَرْتُ من بِشرِ وجهِه العـذبِ وِرْدا
كيفما خالَفتْ عِطاشُ أمانيـنا اليــه كان النمـيرَ العِـدّا(٢)
مَلَكَ الجــودُ أمرَه فحــديث الـمال عن راحتيه : أعطَى وأجـدَى
زد لحـاجا اذا سألتَ وإلحـاحا عليــه يزِدْك صــبرا ورِفْـدا
لا ترَى — والمياهُ تُعطى وتُكدِى — حافــرًا قطّ فى ثـراه أكدَى(٣)
كلمـا عرَّضَتْ له رغبــةُ الدنـيا توانى عنهـا عَفافا وزُهــدا
كثَّر النـاسُ مالَهـا ، وآقتناها سِـيَرا تَشرف الحــديثَ وحَمْــدا
لحقتْــه بغـاية المجــد نفسٌ لم تحـدِّد فضـلا فتبلغ حــدّا
عــدَّت الفقر فى المكارم مُلكا وفَنـاءَ الأيّام فى العــزّ خُــلدا
وأبٌ حَــطَّ فى السماء ولو شا ء تخطّى مكانَهـا وتعــدَّى
من بهـاليلَ أنبتوا ريشة الأرض وربُّوا عِظامَهـا والجِــلْدا
أرضعتْهـا أيديهــمُ دِرَّة الخصـب فـروَّت تِلاعَها والوُهْــدا
بين ”جَمٍّ(٤)“ منهُمُ و”سابورَ(٥)“ أقيا لٌ(٦) يعــدُّون مَـولد الدهر عَــدّا
لهــمُ حاضرُ الممالك إن فا خــر قومٌ منهـا بقفرٍ ومبــدى(٧)

(١) أجنت : صارت آجنـة أى متكدرة متغيرة ، (٢) النمير العـد : الزاكى الكثير .
(٣) أكدى من قولهم : أكدى الحافر أى بلغ الكدا وهى الأرض الصلبة وقد تقدم . (٤) جَمّ : اسم أحد ملوك الطبقة الأولى من الفرس وتاريخه من أعجب التواريخ وفى الأصل ”خم“ . (٥) سابور : اسم أحد الأكاسرة . (٦) أقيال جمع قيل وهو الملك من ملوك حمير . (٧) المبدى : البادية .

أخـــذوا عُذرةَ الزمانِ وســدُّوا ... فُرَجَ الغِيـــلِ(١) يقنصون الأُسْدا
ســيَرُ العـــدلِ فى مآثرهـم تُر ... وَى وحسنُ التـــدبيرعنهـم يؤدَّى
واذا اغـبرّتِ السنونَ وأبدَى ... شَــعثُ الأرض وجهَها المُــربَدَّا
طـردوا الأَزْلَ(٢) بالــثراء وقامــوا ... أثرَ المحـلِ يخلُفون الأَنْدا(٣)
تُوِّجوا مُضغةً، وساد كهولَ الـ ... ـنـاس أبناؤهـــم شــبابا ومُردا
عـــدَّد الدهرُ ســيّدًا ســيّدًا منـ ... ـهم وعدَّ "الحسينَ" جَدًّا بجَدًّا
حَبَسَ النـاسَ أن يُجاروك فى السؤ ... دُدِ تعريجُهم وسَــيْرُك قَصــدا
ووقَى المُلْكَ زَلّةَ الرأى أن صر ... تَ بتـــدبير أمرِهِ مســتبِدّا
لك يومٌ عنـــه مِراسٌ مع الحــر ... بِ يردُّ الســوابقَ الشُّــعْرَ(٤) جُرْدا
تركبُ الدهرَ فيـه ظَهْرا الى النصـ ... ـر وتستصحبُ الليـالِىَ جُنــدا
وجـــدالٌ يوما ترَى منك فيـــه ... فِقَـــرُ الوافـدين خَصْما ألَدّا
كلّ عَوصـاءَ يسـبِق الكَلِمُ الهــدَّ ... ارُ فى شــوطها الجـوادَ النَّهْــدا(٥) ١٠٩
أنا ذاك الحـــرُّ الذى صــيَّرتْه ... لك أخلاقُـك السـواحرُ عبــدا
مُعلقٌ من هواك كفِّى بحبـــلٍ ... لم يـــزده البعادُ إلا عَقْــدا
ملَكَ الشـــوقُ أمرَ قلبى عليـــه ... مذ غـــدا البينُ بيننا ممتـــدّا
أشتكى البعـدَ وهــو ظلمٌ ولـولا ... لذّةُ القـــربِ ما أَلِمتُ البُعــدا
ليت من يحملُ الضعيفَ على الأخـ ... ـطارِ ألـــقَى رَحـلى اليـــك وأدّى
فـتروّت عيـــنى ولو ساعـــةً منـ ... ـك، فإنى من بعدها لا أَصْـدَى
وعـلى النأىِ فالقـــوافى تحيّا ... تُك منّى تسرى مَراحا ومَغْـدَى

---

(١) الغيل : عرين الاسد . (٢) الأزل : الضيق والقحط . (٣) يريد الأنداء جمع ندى .
(٤) الشُّعر جمع أشعر وهو ضد الأجرد . (٥) النّهد : الفرس الحسن .

كلّ عذراء تفضَح الشمسَ فى الصبـ ـح وتُـورِى فى فحمة الليـــل زَندا
لم تُدنَّس باللمس جسما ولم تَصـ ـبُغْ لهـا غَضّـــةُ اللواحـظِ خدَّا
أَرِجاتُ الأعطافِ مُهـــدًى جَناها لك يُهـــدى الى الربيع الوَرْدا
فتلقَّ الســـلامَ والشوقَ منهـا ذاكَ يُشْكَى وذا يطيبُ فيُهــدَى
وآحْبُ جيـدَ النيروز منهـا بطوقيـ ـن وفصِّـــل لليلة العيـــدِ عِقْـدا
وتسـلَّمْ من الحوادث ماكـ ـرّ علـى عَقْبِــه الزمانُ وردَّا
ما أبالى اذا وجـــدتُك مَنْ تَفـ ـقِدُ عينى – لا أبصرتْ لك فَقدَا –

*
* *

وكتب الى ربيب النّعمة أبى المعمّر بن الموفّق يهنّئه بعيد الفطر

اذا فُطمتْ قَـرارةُ كلِّ وادى فدَرَّتْ " باللوى " حلمُ(١) الغوادى
ومرّت تهتـــدى بالريح فيـــه مطايا الغيثِ مثقَـــلةَ الهوادى
ففُتِّحتِ الرُّبا خـــدّا وسُــدَّت بشكر المزن أفـــواهُ الوهـادِ
أناديـــه وتَنشُـــدُه المغـانى ولكن لا حياةَ لمن تُنـادى
وما أرَبِى الى سُقيا ربـــوعٍ لهـا من مقلتى سارٍ وغادى
حملتُ يدَ السحاب الجَوْن(٢) فيهـا ولســتُ معوّدا حمـــلَ الأيادى
ولو بكت السماءُ لهـا وجفـــنى تيقَّنَتِ البخيلَ من الجـــوادِ
ضَممتُ " بمَسْقَطِ العَلَمينْ " صحبى وقد صـاح الكَلالُ بهم : بَدادِ
على أرَجِ الـثرى لمـا ضَـــللنـا تضوَّعَ منـــه فى الأنفاس هادى

---

(١) حلم جمع حلمة وهى الثؤلول فى وسط الثدى يمتص منه الحليب وهى هنا مجاز. (٢) الجون: الأسود.

وقد سـقط السُّرى والنجم هاوٍ عيونَ الركب فى حـطّ الرقادِ (١)

نَدامَى صـبوةٍ دارتْ عليهـم بأيدى العيس أكوابُ السهادِ

اذا شربوا السُّرى آقترحوا عليه صـفيرَ حمامةٍ وغِناءَ حادِى

ولما عزَّ ماءُ الرَّكب فيهم وقفتُ أَحُلُّ من عينى مَزادى

تحوم وقد تقلّصتِ الأداوَى (٢) على أجفانِىَ الأبلُ الصوادى

أجدَّكَ هل ترى بذيول "سلمى" نَضارةَ حاضرٍ وخيامَ بادِى ؟

خرقن لكلّ عينٍ فى سواد الـ ـخدورِ خَصاصةً (٣) مثلَ السوادِ

وما أتبعتُ ظُعْنَ الحىِّ طرفى لأغنمَ نظرةً فتكونَ زادى

ولكنّى بعثتُ بلحظ عينى وراءَ الركب يسألُ عن فؤادى

وفى نُوّامِ هذا الليل شمسٌ وَفَى سهرى لها وجَفَا وسادى

اذا ذُكرتْ نزتْ كبدى اليها هبوبَ الداء نُبِّهَ بالعِدادِ

عجبتُ يَضيمنى زمنى وأرضَى ويحصُدنى ولم أبلغْ حَصادى

وتُنفِقُ مسرفاتٍ من شبابى لياليه الصعابُ بلا آقتصادِ

وعهدى بالتشابُهِ والتنافى يجرّانِ التصادقَ والتّعادى

فما بالُ الليالى وهى سُودٌ يُزالُ بها البياضُ من السوادِ (٤)

توقَّ الناسَ إن الداءَ يُعدى وإن قرُبوا لحظُّك فى البِعادِ

---

(١) هكذا بالأصل ولعله

وقد سَمَط السُّرى والنجم هاوٍ عيونَ الركب فى خيط الرقادِ

وسَمَط بمعنى علّق ، وهذا يقرب من قوله فى قصيدة أخرى

والحىّ إمّا خالفٌ أو حاضرٌ خيطُ الكرى فى جفنه قد آنعقدْ

(٢) الأداوَى جمع إداوة وهى وعاء صغير من جلد يُتّخذ للماء ، وفى الأصل "الأوادى" .

(٣) الخصاصة : كلّ خرق فى باب أو برقع أو نحوه . (٤) يشير بذلك الى الشيب .

ولا يغــــرُرْك ذو مَلَقٍ يغطِّى … أذاه وجمـــرُهُ تحتَ الرَّمادِ
كِلا أخـويك ذو رَحِـمٍ ولكن … أخوك أخوك فى النُّوبِ الشِّدادِ
عذيرِىَ من صـديقِ الوجهِ يَحْنِى … أضالِعَــه عــلى قلبٍ مُضادِى (١)
لوى يدَه عــلى حَبــلٍ لعُنْقِى … وقال : ٱضمُمْ يديك على ودادى
تمنَّى — وهو ينْقُصُنى — تمامى ، … وأينَ الزِّبْرِقانُ (٢) من الدآدى ؟ ١١٠
ومجتمعين يرتفــدون عيبِى … فلا يَزِنُ ٱجتماعُهُــم ٱنفرادى
اذا ٱنتسبوا لفضــلٍ لم يزيدوا … على نسبِ "ٱبن حرب" من "زِيادِ"
أُلامُ على عُزوفِ النفسِ ظلمـا … وما لومى عــلى خُلُـقِ وعادى
ويخـدعنى البخيـلُ يريـد ذمّى … وهـل عنـد الهشيمة من مَرادِ
كفانى "آلُ إسماعيلَ" إنى … بلغتُ بهـم من الدنيـا مُرادى
وأنّ "محمدا" دارَى نفـارى … فلانَ له وأسلسَ من قيـادى
رقَى خُلُق بأخــلاقٍ كرامٍ … ألانت من عرائكه الشِّـدادِ
وكنتُ أذمُّ شرَّ النـاس قِــدْما … وعيبَهُــمُ فصحّ على ٱنتقـادى
وكم خابطتُ عشــواءَ الأمانى … وكاذَبنى على الظنّ ٱرتيـادى
فلمّـا أن سللتُ على الدياجى … "ربيبَ النعمة" ٱستذكَى زِنادى
وأَنبضَ من يديه لى غديرا … وقــد أعيـا فمى مَصُّ الثِّمادِ
جلا لى غُرّةً رَويتْ جمـالا … أُسَرُّ بها ووجهُ البــدرِ صـادى
تفـاديهـا السماءُ بنـيِّريْهـا … فتعــرِفُ حظَّهـا فيما تُفـادى

(١) فى الأصل "مصاد" . (٢) الزبرقان : القمر ليلة تمامه ، والدآدئ من تفسيرها .

من الوافين أحلاما وصـبرا … اذا الحُـلَّى هفت "بحلومِ عادِ" (١)
بنِي البيض الخفـافِ توارثوها … مع الأحساب والخيـلِ الوِرادِ
تَضاحَكُ فى أكفّهـم العطايا … وتكلحُ عنهُـمُ يوم الجِـلادِ
مطاعيمٌ اذا النكباءُ قَـرّت … وجَبَّ القحطُ أسنمةَ البـلادِ
لهم أيدٍ اذا سُـئلوا سِباطٌ (٢) … موَصَّـلةٌ بأسـيافٍ جِعـادِ
اذا كلّت من الضَّرب المواضى … أعانوها بأفئـدةٍ حِـدادِ
طوَوا سلَفَ الفخارِ فـلم تُوَصَّمْ … طوارِفُهـم بمعـروفِ التـلادِ
اذا الأحسابُ طأطأتِ ٱستشاطوا … عـلى متمـرّد الشرُفاتِ عادى
يَعُـدُّ المجـدُ واحدَهم بألفٍ … من النجباء فى قِيَمِ البـلادِ
اذا وَلدوا فـتًى سعت المعـالى … تَبـاشَـرُ بينهـا بالإزديادِ
نموْك أغرَّ من ملكٍ أغرٍّ … جـوادا بالكرائم من جـوادِ
أخا طَعمينْ : حُلْوُك للـموالى … بلا منٍّ، ومُرُّك للعادى
اذا لم يختضِبْ لك غربُ سيفٍ … دما خضَّبتَ سـيفا بالمِـدادِ
فأنتَ اذا ركبتَ شهابُ حربٍ … وأنت اذا جلست شهابُ نادى
اذا رجع الحسيبُ الى نجـارٍ … قـديم أو حديثٍ مسـتفادِ
فحسبك "بالموفَّق" من نجـارٍ … وبيتِ "الباهليّـةِ" من عتَـادِ
ومن يُسـنِدْ الى طرفيك مجـدا … يبِتْ من جانبيـه فى مِهادِ
فـداؤك داثرُ الأبيـات يأوى … الى وقصـاءَ لا طئـةِ العمادِ (٣)

---

(١) حلوم عاد : يريد بها "أحلام عاد" والعرب تضرب المثـل بها لما تتصوّره من عظم خَلْقها وتزعم أن أحلامها على مقادير أجسامها . (٢) تقـدّم تفسيرها وفى الأصـل "بساط" .
(٣) اللاطئة : اللاصقة بالأرض .

يتـوبُ اذا هفا غَلَطا بجـودٍ ولم يتُب آتقـاءً للمَعـادِ
اذا جاراك فى مِضمارِ فضـلٍ عَدَتْه عن اللحاق بك العـوادى
اليـك سَرَتْ مطامعُنا فعادت مَواقـرَ من ندًى لك مسـتعادِ
يَخِـدْنَ فصائلًا(١) فيـدعنَ وَسْمًا لأرجُلهنّ فى الصُّمّ الصِّـلادِ
يقـادحْنَ الحَصَى شَررا كأنّا حذوناها مَناسمَ من زِنادِ
حَملن اليـك من تحف القـوافى غرائبَ من مثانٍ أو وُحادِ
هـدايا تفخر الأسمـاعُ فيها على الأبصـار أيّامَ التهـادى
مخلَّصـةً من الـكلم المعنَّى بطول الكرِّ والمعنى المُعـاد
نوافثَ فى عقود السـحر تُمْنَى فصاحتُهـا الى رمـلِ العِقـادِ(٢)
تمنَّى — وهى تُنْظَمُ فيك — أن لو تكونُ ترائبـا مهجُ الأعادى
تُخالُ العربُ عجـزا عن مـداها نبيطَ العُـربِ لم تنطِقْ بضـادِ
لأيّام البشـائر والتهـانى بهـا نشرُ الروائح والغـوادى
يجِّـرُ ذيلَهـا يومٌ شريفٌ فيجعلها على عيـدٍ مُعـادِ
شواهـدَ أن جدّك فى آرتقاء الـ ـسعود وأنّ عمـرَك فى آمتـدادِ
كفاها منك عفوُك فى العطاء الـ ـجزيل وقد وفَتْ لك بآجتهادى
فكيف خلَطْتَنى بسـواى فيما أنلتَ وأنت تَشـهدُ باتحـادى !
تمـادَى بى جفاؤك ثم جاءت مواصَـلةٌ أعقُّ من التمـادى
ألم تك لى من الذَّهَب المصـفَّى يدٌ بيضـاءُ تُشرِقُ فى الأيادى

(١) الفصيل : ولد الناقة اذا فصل عن أمه وأنثاه فصيلة وجمعها فصائل ، وفى الأصل "فضائل" ومعنى البيت : أن مطامعه تسير الى الممدوح وهى فصائل صـغيرة حتى اذا عادت من عنده مثقلات بالندى أثرت أخفافها فى الجلاميد لشدة وطئها شأن المثقل بالأحمال . (٢) العقاد جمع عَقَدٍ كجبل وجبال وهو الرمل المتعقد المتراكم ويريد به البادية لأنها مهد الفصاحة .

منوِّهــةٌ اذا آنتشرتْ بذكرِى ... ولائقــةٌ بمجــدِك وآعتقــادى
رضــائى أن تهــزّك ريحُ شــوقٍ ... الى قرْبِى ويوحشــك آفتقادى
اذا ما لم يكن نيـــلا شريفـا ... فحسـبِى من صِـلاتك بالودادِ

*
* *

وكتب الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب يهنّئه بالنيروز

نبهتُهُ فقـام مشـبوحَ العَضُـدْ ... أغلبُ(١) لو سِـيمَ(٢) الهوانَ ما رقَـدْ
فى يده مــدْروبةٌ مَــزيدةٌ ... ودِرعُــه سابغـةٌ من اللَّبَـدْ
اذا غـــدا لم يَحتشِمْ هاجرةً ... وإن سرَى لم يخش من ليلٍ بَرَدْ
إن همّ لم يُحبَسْ على مَشْــورةٍ(٣) ... وإن غَـدَا لسـفرٍ لم يسـتعِدْ
لكلّ باغى قنَصٍ طــريدةٌ ... تنفُــر منـــه وله كلُّ الطَّــرَدْ
هبَّ بلبَّيك وقـــد دعـــوته ... مكتفيا بقــوله : الى الأَبَدْ
وخيرُ من سانَد ظهـرى أَسَـدٌ ... أو رجلٌ فى صــدره قلبُ أسـدْ
وقال : فى لَهَـاةِ أىّ خطـــرٍ ... تقـذِفُ بى وعَرِض ما أىِّ بلدْ ؟
وما الذى رابك؟ قلتُ : حاجةٌ ... فى أفُقِ المجـدِ، فقام فصَـعِدْ
يسـبِقنى ســعيا لمـا أُريده ... حـتى لقـد أدرك بى ما لم أُردْ
فـردَيْن إلّا صـارمين آعتنقـا ... وضامرَيْن وردَا أيـن قَـدَدْ(٤)
تُضـمِرُ أحشاءُ الدياجى والفـلا ... منّى ومنـــه جسدين بجســدْ
كأنّ إِثرَيْنـا اذا ما أصـــبحا ... على الثرى مسحبُ رمح أو مَسَدْ
حـتى بلغتُ مسرحَ العــزّ به ... بأوّل الشــوط وأقرب الأمَــدْ

(١) الأغلب : الأسد . (٢) فى الأصل " شم " . (٣) المشْوَرة والمشُورة : الاسم من أشار عليه بكذا . (٤) قدد : اسم ماء والمشهور آستعماله " قُدَيْد " مصغرا .

وربَّ عزمٍ قبلها ركبتُه ... ففتُّ أن أُظلَمَ أو أن أُضطهَدْ
وغارةٍ من الكلامِ شنَّها ... على اللئامِ كلُّ معنًى مطَّرِدْ
شهدتُها مغامرًا وكنت بالـ ... ـحضّ عليها غائبا كمن شهِدْ
ولذةٍ صرفتُ وجهى كَرَما ... عنها وفيها رغبةٌ لمن زهَدْ
لم يعتلقنى بأثامٍ[(١)] حبلُها ... ولم ينلنى عارُها ولم يكَدْ
وحَلَّةٍ طرقتُ من أبياتها ... أمنعَها بابا وأعلاها عَمَدْ
والحىّ إما خالفٌ أو حاضرٌ ... خَبَطُ الكرى بجفنِه قد آنعقَدْ
وليس إلا بالنُّباح حَرَسٌ ... لهم وإلا مقلة النارِ رَصَدْ
فبتُّ أَستقرِى الحديثَ وحدَه ... وغيرُهُ لولا العفافُ لى مُعَدّْ
ودون إرهابِىَ حدُّ صارمٌ ... عانقتُه ومِقوَلٌ منه أحدّْ
وكم " بذاتِ الرمل " من نافرةٍ ... بغير أَشراك الشبابِ لم تُصَدْ
أحسنُ من بذلِ هواها منعُها ... ومن وصالِ الغانياتِ ما تَصُدّْ
نومِىَ محفوظٌ اذا ما زرتُها ... وموضعى إن غبتُ عنه مفتَقَدْ
يُعجِبُ قلبى مطلُها لطول ما ... يكُرُّ بى المطلُ اليها ويَرُدّْ
لله أحبابٌ وفيتُ لهُمُ ... بما آستحقُّوا من أسًى ومن كمدْ
لم يَكفِهم شِقوةُ عينى بعدهم ... حتى آستعانوا بالدموع والسَّهَدْ
مضوا بجمّات الحياة معَهم ... وعوَّلوا بشفَقى على الثَّمَدْ
صحبتُ قوما بعدهم، حبالُهم ... سحيلةٌ[(٢)] الفتل رخيّات العُقَدْ
وما على مَن كَدَّهُ حَرُّ الظما ... اذا رأى الماءَ الأُجاجَ فوَرَدْ!
يضرِبُ قومٌ فى وجوهِ إبلِى ... وقد كفاهم أنها عنهم حيَدْ

(١) الأثام : الإثم . (٢) سحيلة الفتل : غير مبرمة الغزل .

لا تُعـجِل الكُومَ(١) الى ذيادها ... فهى قِمـاحٌ عنكُم لو لم تُذَدْ
ما للبخيـــل يحـامى جانبى ! ... متى رآنى عاكفا على النَّقَـــدْ(٢) ؟
يسـتُر عنّى القعبَ دافَ(٣) حنظلا ... فيــه وقد أمرَّ فى فىَّ الشُّـــهُدْ
ما أبصرَ الدهرَ بمـا أريده ... لو كان فى الحكم علىّ يقتصـــدْ
١١٢ أنزلنى مـــنزلةً بين الغـــنى ... والفقرِ لم يخـلْ بها ولم يَجُـــدْ
وشرُّ أقسـامك حظٌّ وسَـطٌ ... أرعنُ لم تَخمُـل به ولم تَسُـــدْ
أغرَى الليـالى بِىَ أنّى عارفٌ ... بالسهل من أخلاقهنَّ والنَّـكَدْ(٤)
وأننى أقـــدحُ فى صروفهـا ... بعزمـةٍ تُضىء لى على البُعُـــدْ
تُطلعـنى على اليقيـــن ظنَّـتى ... كأنّ يومى مُخـــبِرى بسرِّ غـدْ
يا بائـعى مرتخِصا بثمـــنى ... سوف يذُمّ مستعيضٌ ماحمِـــدْ
مثلى نُضـارا ضنّت الكفُّ به ... لو كان فى النـاس بصـيرٌ ينتقِدْ
قد فطِنتْ لحظِّهـا مَطالـــبى ... وأبصرتْ عينى الضلالَ والرَّشَـدْ
وقـــد علمتُ أىَّ برق أمترى ... مُزنتَـــه وأىَّ بحـــرٍ أستمِدّْ
ووسَّعتْ أيدى "بنى أيوبَ" لى ... وبشرُهم ملء المـــنى مالا ووُدّْ
فما أبالى ـــ وهُم الباقون لى ـــ ... مَن ذا فَنِي فى الناس أو مَن ذا نفِدْ !
ولا أروم الرزقَ من غـــيرهمُ ... وإنمـا أطلبُ من حيث أجِـــدْ
المـانعون بالجـــوار والحمى ... والناهضون بالعـــديد والعُـدَدْ
والغامرون المَحْـلَ من جودهمُ ... بكلّ كفٍّ ذاب فى عامٍ جَمَـدْ
والضـاربون فى اليفاع والذُّرَى ... اذا بيوتُ الذلِّ عاذتْ بالوُهُـدْ

---

(١) الكوم : جمع كَوْماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٢) النقد : الأسافل من الناس .
(٣) داف : خلط . (٤) النكد : الشديد الصعب من نكِد عيشه أى اشتدّ وعسر .

تضىء تحت الليـــل أحسابهم لضيفهم إن حاجبُ النار خمدْ
مدُّوا الى الحاجات من ألسنهم ذوابلا منذ آستقامت لم تَمِـــدْ (١)
لا نتّقيهـا هامــةٌ بمغفرٍ ولا يداريهـا عن الجسم الزَّردْ
تبهَــر فى الأسماع كلَّ جائفٍ (٢) اذا آستقامت لُحمــة الجُرح فسدْ
تعرَّفوا (٣) بالمجـــد حتى سافرت أخبارُهم بطيبــهِ وهم قُعُــدْ
وآختلفوا، لا أخطأتْ بِهمهِمها أمنيَّــةٌ صوبَ نداهم تعتمِدْ
وأفســدوا الدنيـا على أبنائهـا فما ترى مثلَهُـــمُ فيمن تلدْ
هُمْ ما هُمُ أصلا ! ومِن فروعهم أبلجُ أَرْبَى طارفًا على التّــلَدْ
وفَى بمجــدِ قومِـهِ "محمدٌ" فبرّهم وربّمـا عَقَّ الــولَدْ
وبانَ من بينهــمُ بهــمّةٍ خَلَّةٌ كلَّ ســؤددٍ منهـا تُسَدّْ
تمَّ وبدرُ التمِّ بعــدُ ناقصٌ وزاد والبحــرُ المحيطُ لم يزِدْ
ودبَّر الدنيـا برأىٍ واحــدٍ يأنُفُ أن يَشرَكه فيها أحــدْ
تراه وهو فى الجميـع واحــدا والبـدرُ فى حَفْلِ النجوم منفرِدْ
اذا آستشار لم يزد بصــيرةً ولا يـلوم رأيَه اذا آســتبدّْ
حتى لقـــد أصبح بآتحـاده يتيمةَ الدهرِ (٤) وبيضــةَ البلدْ (٥)
قام فنال المكرماتِ متعبا، وفاز بالراحة مخفوضٌ قعــدْ
وخامَ (٦) عن حمـــل الحقوق معشرٌ فــلم يرعْــه حملُها ولم يؤدْ

(١) تمد : تمل . (٢) الجائف : الذى ينتهى الى الجوف من قولهم : جافه بالطعنة : أى بلغ بها جوفه، وفى الأصــل "حايف". (٣) تعرّفوا : تطيّبوا . (٤) يتيمة الدهر : الدرة الثمينة لا نظير لهـا . (٥) بيضة البلد : هى بيضــة النعام وقد تجىء مرة فى موضع المدح وتارة فى موضع الذم، فاذا مُدِحَ بها الرجل أريد أنه واحد البلد الذى يُجتَمع اليه ويُقبَلُ قولُه وأنه فردٌ ليس مثله أحد فى شرفه، واذا ذُمّ بها أريد أنه منفرد لا ناصر له بمنزلةِ بيضةٍ قام عنها الظليمُ وتركها لا خير فيها ولا منفعة .
(٦) خام : نكص وجبن، وفى الأصل "حام" .

ولو درى النـائمُ أىَّ قـــدَمٍ … يُحرِزها الساهرِ لأشـتاق السَّهَدْ
وربّمـا برّح بالعينِ الكرى … وكانت الراحــةُ داءً للجســدْ
تسلّمتْ مِن القذى أخلاقُهُ … والمـاءُ يَقـذَى بالسِّـقاء والزَّبَدْ
وآنتظم القــلوبَ سِلكُ ودّه … فمـا يَرَى من لا يُحبّ ويَوَدّْ
لا رفَقَ الغيظُ بقابٍ محفَـظٍ (١) … عليك إن لم يقل الشّـعرَ آعتقدْ
جارك يرجو أن يكون لاحقا، … سومُ السَّحوق (٢) فات أن يُجنَى بيدْ
ينقـاد للذِّلّة طـــوعَ نسبٍ … حيرانَ فى الأحساب أعمى لم يُقَدْ
يدين بالبخل اذا سِيلَ فإن … أخطأ يوما بنـــوالٍ لم يَعُــدْ
مـدّ بحبـــلِ شرّه فآنفصمت … أســبابُه وأنت بالخـير تُمَــدّْ
فكلّما جاز مـــدًى جاوزتَه … مقاربا للمجـد من حيث بعُــدْ
بك آعتلقتُ ويدِى وحشـــيّةٌ … وضمّ أنسى شمـــلَه وهـو بَدَدْ
وآرتاض منّى لك خُلُقٌ قامصٌ … لم يدر قبـلُ ما العطاءُ والصَّـفَدْ (٣)
ملكتَ قلـبِى شـعَفا فمـا وَفَى … بقدرِ وجدى بك صبرى والجلَدْ
حـــتّى حـــوانى أوّلا فأوّلا … وواحدٌ أوّلُ ألفٍ فى العـــددْ
كم أيكةٍ أنبتَهـا جودُك لى … تُربُ ثراها طيِّبٌ والمـاءُ عِـــدّْ ١١٣
وكلمـا صَوَّح منهـا غُصُنٌ … عاد بهـا جودُك غضّـاتٍ جُدَدْ
قـد ملأتْ أوعيـتى ثمـارُها … فقَدْك (٤) إن ردَّ عبابَ (٥) السيلِ قَدْ
لم تبق فىَّ خَـــلّةٌ تســدُّها … وإنمـا الخَلّةُ بالمـال تُسَــدّْ

(١) محفظ : مغضب . (٢) السحوق ؛ النخلة الطويلة . (٣) الصفد ؛ الوثاق والصفد أيضا بمعنى العطاء . (٤) قدك : حسبك . (٥) العباب : معظم السيل وآرتفاعه وكثرته ، وفى الأصل "عنان" ، ومعنى البيت : فحسبك إن كانت لفظة حسب (قد) ترد عباب السيل .

لى فيك من كلّ فقيـــدٍ خلَفٌ فابقَ فمـا يضرُّنى مَنْ أَفتقدْ
اذا الســـنانُ سَلِمتْ طـريةً عُلياهُ[1] فلتمضِ الأنابيبُ قِصَـدْ[2]
وٱضرب بسهمٍ فى العـلاء فائزٍ من يدِ عُمـــرٍ فائزٍ لا يُقتَصَـــدْ
تُنفَضُ عنك الحادثاتُ شُـــعبًا حيثُ التهانى حافلاتٌ تحتشـدْ
كلّ صبـاحٍ شمسُ إقبالك فى فُتوقـــهِ مفتنـــةٌ شمسَ الأبدْ
جذلانَ بين مادحٍ وحاسـدٍ فموجباتُ المدح يوجبن الحسدْ

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير أبى القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ، وقد غاب عن بغداد أَنِفًا من النظر، ذاهبا مع الحميَّة يستوحش له، ويذكر مكان الاستضرار ببعده، ويتفاءلُ له بسرعة العودة، وأنفذها اليه فى سنة خمس عشرة وأربعمائة

خاطرْ بها إمّا ردًى أو مُرادْ وردْ لها أين وجدتَ المَرادْ
ولا تُماطلْها بجمّاتِها معـــلّلا أظماءَها بالثِّمادْ
باعدْ عزيزا بين أســـفارها فعـــزّةُ النجمِ السُّرى والبعادْ
للهِ رامٍ بلُبَانَاتِـــهِ طولَ الليالى وعروضَ البلادْ
يُقـدِمُ إما مبلغا نفسَـــه معـــذرةً أو بالغا ما أرادْ
يحفِـــزُه الضيمُ فتنبو به مضاجعُ الغيـدِ ولينُ المهادْ
اذا أحسَّ الهُونَ صاحتْ به نخوتُه، أو طارَ، أو قيلَ : كادْ
يَعجُمُ منـــه الدهرُ إن رابهُ جَلْدَ العصا صُلبَ حصاةِ الفؤادْ
سمتْ به الهمّةُ حـــتى نجا منفردا من بين هـــذا السوادْ

(١) فى الأصل "غرباه"، ومعنى البيت اذا سلم أعلا السنان محددا فلتتكسر الأنابيب وهو على سبيل المثل للبيت الذى قبله . (٢) قصد جمع قِصْدة وهى الكسرة .

مولّيـا آخــرَ حاجاتــه خزائمَ العيس ولُجْــمَ الجيادْ
أَقسمَ مهما ٱكتحلتْ عينُـه بمثــله لا ٱكتحلتْ بالرقادْ
وبات مغمورَ العـــلا شاكرا ميســوره، يقنَعُ بالإقتصادْ
يرضَى من الحظّ بما جاءه عفوا، وما الحظّ سوى الاجتهادْ
ينـام للضـــيم على ظهـــره مُراوِحَ الخــدّ وثيرَ الوسادِ
إن راعه من يومـــه رائعٌ قال : عُدُوًّا (١)، فرَسُ الذلّ عادْ
ما أكثرَ المُنحِى على مجـــده لبُلغـــةٍ تُرجَى ورزقٍ يُفادْ
ومؤثرَ المـالِ على عرضـــه مجتهـدا ينقُصُ من حيث زادْ
عَـــدِّ عن الدنيا وأبنائها وبـــعْ مودّاتهـــم بالبعادْ
ما هـــذه الدهمـاءُ (٢) إلا دَبًى (٣) ينشُرُه فى الأرض حُبُّ الفسادْ (٤)
إلّا فـــتًى يأنف من عيشـــةٍ لغـــيره فيها عليـــه ٱعتدادْ
ودولةٍ تخطُبُ راياتُهـا باسم ســـواه فى رءوس الصِّعادْ
مثل "أبى القاسم" غيران يسـ ـتفيد من عزّته ما ٱستفادْ
يجـــود بالنفس كما جاد أو يسود بالواجب من حيث سادْ
هيهات ! قامت معجزاتُ العلا فيـــه وبانت آية الإنفـــرادْ
لا تـلدُ الأرضُ له من أخٍ، أعقَمها من بعـدِ طولِ الوِلادْ
شـاد به اللهُ بُنَى (٥) مجـــده راسـيةً، واللهُ ما شـاء شـادْ
بانَ من النـاس فما عابه شيءٌ سوى تشـبيهه بالعبـادْ
أبلجُ فى كلّ دُجَى لحمةٍ عمياءَ لا يقـــدَحُ فيها الزنادْ

---

(١) العُدوّ : العدوان . (٢) الدهماء : الجماعة من الناس . (٣) الدبى : الجراد الصغير .
(٤) فى الأصل "السفاد" . (٥) بنى جمع بُنية وهى ما بنيته ، وفى الأصل "بنا" .

(١١٤)

يصيبُ بالأول من ظنّه فليس يُستثنَى ولا يُستعادْ
تهفو قُوَى الحلم، وغضباتُه تأوِى الى مستحصِفاتٍ شِدادْ (١)
أرهفَ من آرائه ذُبَّلا ترودُ للطعن أمامَ الطرادْ
وقاد للأعداء رقّاصةً (٢) تعزِفُ — لولا يدُه — أن تُقادْ
معرِّقاتٍ (٣) كان أُمّاتُها ربائطا ما بين أبياتِ "عادْ"
يشكُمُها إن خلعتْ لُجْمَها ما جرَّ من فضلِ نواصى الأعادْ
خضّبها الطعنُ بماء الطُّلَى فشُهْبُها (٤) فى شَعَراتِ الوِرادْ (٥)
يحالفُ الصبرَ عليها فتىً ما بدأَ الكرّةَ إلا أعادْ
يبذُلُ فى حفظ العلا مهجةً تكبُرُ أن تَفدِيَها نفسُ فادْ
يَرَى طلابَ العزّ أو بَردَهُ فى حرّ ما يَشرَبُ يومَ الجِلادْ
شجاعةٌ سبّبها جودُه، إن الفتى يشجُعُ من حيث جادْ
يا راكبَ الدهماء (٦) لم يُحفِها سَيْرٌ ولا حنّتْ لتغريدِ حادْ
حدَّدها الطالى فما عابها على بياضِ الجسم لُبْسُ الحِدادْ
لا تلتوى من ظمأ والثرى مُكْدٍ وأكبادُ المطايا صَوادْ
يَحفِزُها من مثله سائقٌ يَضِلُّ خرّيتُ الفلا وهو هادْ
راكبُها وهو على ظهرها موطَّأُ الجنبِ قليلُ السهادْ
يكرعُ فى صافٍ قليلِ القذى عَذبٍ ويرعَى أبدا بطنَ وادْ
بلّغ — بلغتَ الخيرَ — خيرَ آمرئٍ شُدَّتْ عليه حَبَواتُ البوادْ

---

(١) مستحصفات : مجدولات محكمات . (٢) يريد بقوله رقاصة : الخيل كثيرة الرقص وهو ضرب من الخبب. (٣) معرّقات تمتدّ عروقها أي أصولها ، وفى الأصل "معرفات". (٤) الشهب : البيض . (٥) الوراد : الحمر . (٦) الدهماء : الناقة الشديدة .

قل للوزير : آعترقَتْ (١) بعــدكم	عظمى نيوبُ الأزَماتِ الحِدادْ
وآرتجع البخــلُ وأبنــاؤه	ما أَسأرتْ عندىَ كفُّ الجوادْ
غاض النــدَى بعــدك يا بحرَهُ	وبانَ مذ بِنتَ بفضـلِ السّدادْ
وآغبرّ جوٌّ كنتَ خضَّرتَهُ	فشمَطتْ فيــه الرُّبَا والوِهادْ
دِينٌ من العــدل عفا رسْمه	شَرَعتَهُ للنــاس بعـــدَ آرتدادْ
وسُنّةٌ فى المجــد قد قُوضتْ	أقمتَ من أطنابهـا والعِمادْ
ومهملٌ من كلِمٍ نادرٍ	نفَّقتَهُ (٢) مدحُك بعـدَ الكسادْ
عاد يُــوَفَّى أجرَهُ كاملا	عندك حيًّا قبــلَ يومِ المَعــادْ
عَرَفْتَهُ والنــاسُ مِن حاسدٍ	أو جاهــلٍ بالقولِ والإنتقادْ
أوحشتَ بالبعد فلا أُوحِشتْ	منــك مغانى الكرم المستفادْ
وشُلَّ (٣) سَرْحُ الأمرِ من قبضة الـ	ـراعى فأمسَى هَجمــةً (٤) لا تذادْ
معطَّلَ المجلسِ والمنــبرِ الـ	ـمركوبِ عارى السرجِ رِخوَ البِدادْ (٥)
تعــلَّقَ المســكُ أطرافَــه	منــه برُســغَىْ قاطع لا يصــادْ
كأنمــا صــاحَ غرابُ النوى :	بدادِ فيـــه بعـــدَ جميعٍ بدادْ
قد أسِــفَ الرأسُ على تاجه	وأنكرَ العاتقُ (٦) فقْــدَ النّجادْ (٧)
ووَجْهُ "بغــدادَ" على حسنه	أسفعُ (٨) مكسوفٌ عليــه آربدادْ (٩)
كانت حريمــا بك ممنوعــةَ الـ	ـظهر فعــادت وهى دارُ الجهادْ
فى كلّ بيتٍ من أذًى عَوْلةٌ	تُبــدَا ومن خوفٍ أنينٌ يُعــادْ

(١) اعترقت : نزعت ما دليه من لحم . (٢) نفّقه : روّجه . (٣) فى الأصل "سلّ" .
(٤) الهجمة : من الإبل ما بين السبعين الى المائة أو الى دونها . (٥) البداد : بطانة تحشى وتوضع على الدابة وقاية لظهرها . (٦) العاتق : موضع نجاد السيف من الكتف . (٧) النجاد : حمائل السيف . (٨) الأسفع : الشاحب المتغير اللون مما يقاسى من المشاقّ . (٩) الأربداد : التغير .

وكيف لا يُنكَرُ عهــدُ الحمى … يفوتُه العـامُ بصوبِ العِـهادْ !
يا مبدئَ الإحسان فينـا أعدْ … فالبدر إن مرّ مع الشـــهر عادْ
قم فأثِرْها عزمــةً لم تــنمْ … ضُعفا ولم تنقُصْ لغــيرِ آزديادْ
عاجلْ بهـا جَذْعَ أنوفٍ طغتْ … وأرؤسٍ قــد أينعتْ للحَصادْ
يحسبهـا الأعداء قد أُخمِـدتْ … وإنمـا جمــرُك تحتَ الرَّمادْ
لا تأخــذِ الدهــرَ بزلّاته … وسَــعْهُ بالعــفو وبالإعتمادْ
ولا تُكشِّفْ عن صدورٍ خبتْ … أضغانُهـا من قاتلٍ أو مُضـادْ
فكلّمـا تُبصــره صـالحـا … فإنمـا يصلُح بعــد الفسادْ
أنا الذى ردّ زمانى يــدى … من بعد شــدّى بكم وآعتضـادْ
وطمِعتْ فىّ ذئابُ العــدا … حتى حلا مضغُ لهـا وآزدرادْ
وفُتَّ فى حالى وفى عيشــتى … بطلبى ظِلَّكُمُ وآفتقـادْ
لا نَسِيَ اللهُ لكم والعــلا … ما زدتُمُ فى عُــدّتى أو عَتادْ
ونعمــة أثقلتُمُ كاهلى … بحملهـا وهى يدٌ من أيادْ
كم ناخسٍ ظهرى على شكركم … وحاســدٍ فى مدحكم أو مُعادْ
ومنكِرٍ حفظى لكم يرتمى … مَقاتـلى من خطأٍ وآعتمادْ
وليس للخابــطِ إلا العشَـا … مِــنّى وللخارطِ إلا القَتـادْ
وناشطاتٍ أبــدا نحوكم … من عُقَــلِ الفكرِليانِ المَقـادْ
ســوافرٍ عن غُرَرٍ وُضَّحٍ … ينصَــعُ منهنّ ســوادُ المِــدادْ
يَخلِطنَ فرضَ الحقّ فى مدحكم … بخالص الحبِّ وصــفوِ الودادْ
حافظــة فيكم عهودَ النــدَى … حفظَ الرُّبَا عهدَ السوارى الغوادْ
وقلّمـا يــرعى أياديكُمُ … فى القرب مَنْ لم يرْعَها فى البعادْ

*
* *

وقال وقد بلغــه تشوُّقُ الأمير الأجلّ نور الدولة أبى الأغرّ دُبَيْس بن علىّ بن مَزْيَد الى ما يسمعه من شعره، وٱقتراحه أن يُخَصَّ بشىءٍ يَجمعُ فيــه بين أن يحفظه وبين أن يكون مديحا له، وتوسّط بعضُ كتّابه فى هذا، فكتب اليه يمدحه، ويذكر بعضَ أعدائه ممّن نجمَ عليه فى جُمــادى الأولى من سنة ستّ عشرة وأربعمائة

أمِنْ "أسماءَ" والمسرى بعيدُ ... خيالٌ كلّمــا بخلَتْ يجودُ؟
طوَى طىَّ البرودِ عِراصَ "نجدٍ" ... وزار كما تأرَّجتِ الــبرودُ
يشقُّ الليـــلَ والأعداءَ فردا ... شجاعا وهو يذعَرُه الوليـــدُ
مواقِدَ "عامرٍ" ومَسروحَ "طىٍّ" ... وما قطعت برملتها "زرودُ"
له ما للبــدورِ من الدياجى ... فأرّقَـــنى وأصحـابى هُجـــودُ
فتممتُ له أطوّقــه عنــاقا ... يدا ضعُفتْ وباعُهـا شـــديدُ
يدُ القنَّاصِ تخفُـقُ أين مُدَّتْ ... حبالتُــه فتضبِطُ ما تصــيدُ
فيا لكِ سُحـرةً سُرِقتْ لو آنى ... غدًا فيهـا يــتمّ لِىَ الجُحـــودُ!
وكيف وتُربُ "بابلَ" سَلْخَ شهرٍ ... وأردانى(١) بريَّاها شُــهودُ!
أَمَا ومشعشِعين "بذاتِ عِرقٍ" ... صِلًا(٢) يَقْرِى "العِراقَ" له عمودُ،
ورامٍ سهمَ عينيــه "بسَاجٍ" ... و"بالزوراء" يقتُلُ مَن يريدُ،
لَمَـا وفَتِ الصوارمُ والعوالى ... بمـا جنتِ المحاجرُ والقــدودُ
وكم يأوى "المشقَّرَ" من غزالٍ ... تحاذر من كِناسَتِه الأسودُ
تُقلِّمُ حولَه الأظفـارَ عَيْنٌ ... ويُهْتَمُ دونَه الأنيـابَ جيــدُ
وأبيضَ من نجوم "بنى هلالٍ" ... وجوهُ العيشِ بعــد نواه سودُ

(١) الأردان جمع رُدنٍ وهو الكمّ. (٢) الصلا: الوَقود.

هويتُ له الذى يهواه حتّى حلا إعراضُه لى والصدودُ
نفضن الحبَّ أسمالا وعندى لهنّ على القلى حُبٌّ جديدُ
ورُحنَ وقد سفكنَ دمًا حراما تصيح به الأناملُ والخدودُ
أما تنهاك عن عيدِ(١) التصابى مواضٍ من شبابك لا تعودُ ؟
وقادحةٌ لها فى كلّ يومٍ ذبولٌ من نشاطك أو خمودُ
طوالع فى عذارك لا الأحاظى قَسَمْنَ طلوعَهنّ ولا السعودُ
وقالوا : حلَّمتْكَ ، فقلت شوقا : متى مبدى الخلاعةِ لى يعيدُ ؟
يَجُرُّ عَلَىَّ أبيضُها خمولا وكنت بجاهِ أَسْوَدِها أَسودُ
ولم أر كالبياض مذمَّمًا فى مواطنَ وهو فى أخرى حميدُ
فتلحاه العوارضُ والمَفَالِى وترضاه الترائبُ والنهودُ (١١٦)
عدمتُ مكارم الأيّام ، مَنْ ذا الـ ـشقىُّ بها ومَنْ فيها السعيدُ ؟
مع الفضل الخصاصةُ والتمنّى وحولَ العجزِ تزدحم الجدودُ
تُقامُ على الفقير وما جناها اذا وجَبتْ على المثرِى الحدودُ
وما لك من أخٍ فى الدهر إلا أخوك طريفُ مالِك والتليدُ
مَحَضْتُ الناسَ مختبرا فكلٌّ بكِىءٌ(٢) دون زُبدته زهيدُ
هُمُ حولى مع النُّعمى قيامٌ وهم عنّى مع الجُلَّى قُعودُ
توقَّ تحيةَ ابنِ العمِّ يوما فربَّ فمٍ بقُبلته يكيدُ
ولا تخدعْك مسحةُ ظهرِ أفعى فتحتَ لثاته نابٌ حديدُ
وأغلبُ ما أتاك الشرُّ ممّن تذبّ الشرَّ عنه أو تذودُ
وحَولك من قبيلك من تكون(٣) الـ ـقليلَ به وإن كثر العديدُ

(١) العيد : ما يعتادك من هم أو مرض أو نحوه . (٢) البكىء : الناقة لا تدرّ .
(٣) فى الأصل " يكون " .

مُـــداجٍ أو مُبادٍ أو حسودٌ ... وشرُّهُمُ على النِّعمِ الحســودُ
ومولًى عرشُــه بك مشمخرٌّ ... بطول الحفر يَهــدِمُ ما تشيدُ
نصحْتُ لمارقٍ من "آل عوف" ... لو آنّ النصحَ يبلغ ما أريدُ
وقلتُ له : قناتَك لا تدعهـا ... تُوصَّمْ بالعــقوق ولا تميــدُ
وبيتَــك لا تبدّلْ فيــه غدرا ... فإنّ عليــك ما يَجْنِي النُّــدودُ (١)
ولا تعبَثْ بعــزٍّ "مَزيَدِيٍّ" ... لتَنقُصَــه وأنت به تزيدُ
هم ٱلتحموك معــروقا (٢) وضمُّوا ... عزيبَــك وهو منتجِسٌ طريدُ
ومــدّوا ضَبْعَك المغمورَ حتى ... سمــا بك بعــد مهبِطه صعودُ
الى نادٍ تفــوه به وتغشَى ... وسامرةٍ يُشَبُّ لهــا وَقــودُ
عُنُوا بثراك وٱغترسوك حــتّى ... بسقتَ على العِضاهِ وأنت عودُ
وربُّوا نعــمةً لك لا يغطّى ... عليهــا الستــرَ غَمطُك والجُحودُ
فمــا غَــنِيَ المبصَّرُ وهو باغٍ ... بمــا تُجدِى المَشُورةُ أو تُفيــدُ
وقام يقــودُها سُوقًا (٣) عجــافًا ... أعزُّ من القيام بهــا القــعودُ
يَلوثُ جبينَــه منهـا بعــارٍ ... تبيــد المخــزياتُ ولا يبيــدُ
فكيف وأنت طير البغى فيها ... جرت لك بالتى عنهــا تحيــدُ
نزلتَ لهــا بدار الهُــون جارا ... لأقــوامٍ تُضــامُ وهــم شهودُ
صديقَ العجزِ أسلمك الأدانى ... بجُرمك وٱســتراب بك البعيدُ
تَقَاذَفُــك المهامهُ والفيــافى ... وتُنكِــرك التهــائمُ والنُّجودُ
فمــا لك ــ لا وَألتَ (٤) ــ وأنتَ حُرٌّ ... يُجيرك مِن عشيرتك العبيدُ

---

(١) الندود : النفور والشرود . (٢) معروقا : منزوعا ما عليك من لحم . (٣) سوق جمع ساق . (٤) يقال : وأل فلانا : آتخذه موئلا .

وأن الجارَ لا حيٌّ عزيزٌ بأسرته ولا ميْتٌ فقيدُ
ولو بأبى الأغرِّ صرختَ فاءتْ عليك فضولُ رأفته تعودُ
إذن لأثرتَ عاطفةً وحِلماً تموتُ له الضغائنُ والحُقودُ
وكان الصفحُ أبردَ فى حشاه اذا التهبتْ من الحَنَقِ الكُبودُ (١)
وعاد أبرَّ بالأنساب منكم وبالقربَى لو انك تستعيدُ
نتجتَ من المنى بطنا عقيما نَمَى بك والمنى أمٌّ ولودُ
أتنشُدُ ما أضلَّ الحزمُ منها ؟ أطِلْ أسفا فليس لها وجودُ !
وتوعدُه وذلك ذلُّ جارٍ، متى اجتمع المذلةُ والوعيدُ ؟
تريدون الرءوسَ وقد خُلِقتم ذُنابَى لا انتفاعَ بأن تريدوا
ويأبى اللهُ إلا "مَزْيَدِيًّا" على "أسَدٍ" يؤمَّرُ أو يسودُ
فدعْها للذى جفَلتْ اليه وسلْه العفوَ فهو به يجودُ
دَعُوا قوما يخاصم فى علاهم رقابَكُم المواثقُ والعهودُ
بأىِّ سلاحكم قارعتموهم أبَى الماضى الشبا ونبا الحديدُ
وإنّ سيوفَكم لتكون فيهم مكاوىَ لا تَنُشُّ لها الجلودُ (٢)
ففخرا يا "خُزَيْمُ" فكلُّ فخرٍ الى أنواركم أعمى بليدُ
لكم نار القِرى وندَى العشايا وفرسانُ الصباح وَعَوْا فنُودوا (٣)
وأنديةٌ وألسنةٌ هُبوبٌ اذا انتُضيتْ (٤) وأحلامٌ رُكودُ
ومنكم كلُّ ولّاجٍ خروجٍ وذو حَزْمَيْن صدّارٌ وَرودُ
موقَّرُ ما أقلَّ السرجُ ثَبْتٌ اذا مالت من الرَّهَجِ اللُّبودُ

(١) الكبود جمع كبد . (٢) تنش : تصوّت . (٣) فى الأصل "فتودوا" .
(٤) فى الأصل "انتضبت" .

١١٧

اذا "مُضَرٌ" تطَامَنَ كلُّ بيتٍ … لهـا وعلا بربوتهـا الصـعيدُ ،
وكانت جمرةَ الناسِ، ٱحتبيتم … وفيكم عزٌّ ســورتهـا العتيدُ
بَنَى لَكُمُ "أبو المظفارِ" مجدا … على موت الزمانِ له خلودُ
وقدّمكم على الناس ٱضطرارا … مقاماتٌ وأيامٌ شُــهودُ
إجارةُ "حاتمٍ"(١) ودمٌ شريقٌ … به لبّاتُ "حُجْرٍ"(٢) والوريدُ
وطعنــةُ "حاتم" وطَرٌ قديمٌ … قضى "مَروانُ" فيها ما يريدُ
وصاحتْ باسم صامتَ نفسُ حرٍّ … "ربيعُ المقترين"(٣) بهـا يجودُ
و"صخرٌ"(٤) "ذابَ "صخرُ" على قناكم … ولان لكم به الحجر الشــديدُ
ويومُ "عُتَيْبةٍ" عَلَمٌ عريضٌ … تَبَاشَــره المواسمُ والوفــودُ
كرائمُ من دماء بارداتٍ … لديكم لا دِيَاتِ ولا مَقيــدُ
وإنّ "ببابلٍ" منـكم لبحـرا … لو آنّ البحرَ جاد كما يجودُ
اذا الوادى جرى مِلحا أُجاجا … ترقـرق ماؤه العـذبُ البَرودُ
فتًى السنِّ مكتهلٌ حجاهُ … طريفُ الملك سؤدُده تليــدُ
اذا ٱشتبهتْ كواكبهم طلوعا … "فنور الدولة" القمرُ الوحيدُ
أناف به وقــدّمه عليكم … أبٌ كَرِمٌ(٥) أناف به الجـــدودُ
أغرُّ قَسِيمُهُ(٦) السيفُ المحلَّى … ومسحبُ ذيله الروضُ المجودُ
يعود اذا تغــرَّب فى العطـايا … ويُقلع فى الهَنَـاتِ فلا يعــودُ

(١) يشير الى حاتم الطائى حين أجاره عمرو بن أوس . (٢) يشير الى حجر بن عمرو الكندىّ يوم ذبحته بنو أسد . (٣) يشير الى جدّ لبيد بن ربيعة وكانت العرب يسمونه "ربيع المقترين" لسخائه وقد قتلته بنو أسد، وفى قول : إن قاتله "صامت بن الأفقم" المذكور فى صدر هذا البيت . (٤) يشير الى صخر بن عمرو بن الشريد يوم طعنه ربيعة بن ثور الأسدىّ ؛ ولهذه الإشارات قصص طويلة ولعل وجه الفخار بها أن ممدوح مهيار يمتّ بالنسب الى بنى أسد الذين منهم كل من مر ذكرهم . (٥) كرم : كريم . (٦) القسم : النظير .

بليـلُ الريقِ من كَلِمٍ سـديدٍ يقـوم بنصره رمحٌ سـديدُ
تراغتْ حـول قبّتـه بِكارٌ شـفار الجازرين لهـا قُتـودُ
تراه الخيلُ أفرسَ من تمطّتْ به والجيشُ أشجعَ من يقـودُ
ويَغـنَى ثم يُفقِرُ راحتيـه مقالُ المادحين : الفقرُ جودُ
مَن الغـادى ينقِّلُه حِصانٌ مفدَّى السبق أو عَنْسٌ وَخُودُ
اذا ركب الطريقَ، وفَى بشرطى أخٌ منـه على أربى عقيـدُ
اذا بلّغتُ عن " إنسانَ " (١) ينزو وراء ضلوعـه قلبٌ عميـدُ
يرى المرعى الخصيبَ يصدّ عنه ويظمأُ وهو يمكنه الوُرودُ
فقـل لأمير هذا الحيِّ عنى : أيُجمَعُ لى بك الأملُ البـديدُ ؟
أحِنُّ الى لقـائك والليالى علىّ مـع العوائق لى جُنـودُ
وتجـذبنى نوازعُ موقظاتٌ اليـك وراءها قَـدَرٌ رَقُودُ
وكم وعَدتْ بك الآمالُ نفسى ويقضى الدهرُ أن تُلْوَى الوُعودُ
فهـل من عطفـةٍ بالود؟ إنى على شحط النـوىْ خِلّ ودودُ
محبٌّ بالصفاتِ ولم أشاهِـدْ كأنى من نجيِّكُمُ شهيدُ
وكم مَلِكٍ سـواكم مدّ نحوى يديه فقصَّر البـاعُ المـديدُ
ومعصوبٍ بذكرِى أو بشِعرِى أحوِّل عنـه شعرى أو أحيـدُ
أحاذر أن تبـذّلَنى أكفٌّ سوائمُ صـاننى عنهـا الغُمودُ
لعـلّ علاكُمُ وندى يديكم سيُنهِضنى بمُثقِـلةٍ تؤودُ
ومُجتمِعٍ عليهـا القـولُ، أنّى بهـا والقولُ مشـترك فريدُ
من الغرّ الغرائبِ لم يَعِبْهـا الـكلامُ الوغـدُ والمعنى الرديدُ

(١) إنسان : اسم ماء .

نوادر تلقــط الأسماعُ منهــا · عن الأفواه ما نَثَرَ النشــــيدُ
تَســـير بوصفكم وتُقيم فيكم · خوالدَ فهى قاطنــــةٌ شرودُ
وليس يَضُرُّ راجيكــم لِرِفــدٍ · تَلَوُّمُهُ [إذا](١) قصَــدَ القصــيدُ

* * *

(١١٨) وقال وكتب بهــا فى النيروز الى أبى الحسن جابر يهنّئه وينتصره على قوم كان يستضرّ بمعاملتهم فى معيشةٍ له

جَـــمَّ لهــا الوادى وعزَّ الذائدُ · وطاب ما حـــدَّثَ عنهــا الرائدُ
نخلِّهــا راتعـــةً مجـــرورةً · وراءهــا الأرسانُ والمَقاوِدُ
يُخلِفُ ما آستُسلفَ من جِرّاتهــا · كهلٌ(٢) أثيثٌ ومَعينٌ باردُ
حيثُ المغـــيرُ لا ينالُ فرصـــةً · منهــا ولا يطمعُ فيهــا الطاردُ
تذبُّ عنهــا من سِماتِ ربّها · صـــوارمٌ ليس لهــا مَغامدُ
اذا بدت فى عُنُـــقٍ أو حارِكٍ · فهى عليهــا أعينٌ رواصــــدُ
ونَمْ فقـــد حرَّمَها هـــذا الحمى · وضمَّها وهى دُخَانٌ شـاردُ
وأعجــزَ النــاسَ جميعا رَعْيُهــا · فاليـــومَ يرعاها جميعا واحـــدُ
أَرْوَعُ لا يغلِبُـــه المكــرُ ولا · تـــدِبُّ فى حريمـــه المَكايدُ
أعارها عينا فكــانت عُـــوذَةً · لهــا وشيطانُ الزمان ماردُ
أفرشَها "كافى الكفاةِ" أمنَـــهُ · فالظلُّ سَكْبٌ والنســـيمُ باردُ
دانَ بتاجِ الحضرةِ الدهرُ لهــا · وحلَّ حبـــلَ الذلِّ عنهــا العاقدُ
وصـــدَّقَتْ أَنَّ الربيعَ بعـدَهــا · بـــوارقٌ من يده رواعــــدُ
غاصتْ غصونُ المجد تحتَ مائها · فأورقَ الذاوِى وقام المــائدُ

---

(١) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل .   (٢) الكهل : النبت تم طوله وظهر نوره .

وضَحِكَ القاطبُ من وجه الثرى وسالَ وادى المكُرماتِ الجامدُ
وبشّر الفضلُ بقايا أهلِهِ : لا تقنطوا ، فى الناسِ بعدُ ماجدُ
نقلَ لأبناء الطّلاب والمنى والحاجِ ضاقتْ بهم المَقاصدُ ،
يتاجرون المجدَ فتخيسُ(١) فى أيديهم البضائعُ الكواسدُ :
تضمّكم حَنوتُه(٢) وأنتمُ عِزُونَ(٣) فى الآفاق أو بدائدُ
زَمَّ الأمور فلَوَى أعناقَها ساعٍ الى الغايات وهو قاعدُ
ودبّر الدنيا على عِلاّتها فصَلَحَتْ والدهرُ دهرٌ فاسدُ
ماضٍ له من عزمه مجرَّدٌ يذُبُّ من جهلِ الزمانِ غامدُ
يَرَى بوجهِ اليوم صدرَ غدِهِ تُعطيه ما فى المَصدرِ المواردُ
لا يأخذ التدبيرَ إلا مِن عَلٍ فالناسُ يحطُّونَ وهو صاعدُ
رأى آنتهاءَ مجدِهِ مبتدَأً لمّا أعانَ الكفَّ منه الساعدُ
أسهرَهُ حبُّ العلا منفرِدا وهو على ظنِّ العيونِ راقدُ
جَدَّ وقارا والزمانُ هازلٌ وجادَ عفوا والسحابُ جامدُ
ولاحَ فى المُلك شِهابا فوَرَى زنادُهُ والمُلكُ نجمٌ خامدُ
منتصرا بنفسه لنفسه كالليث يشرَى(٤) ما لَهُ مساعدُ
لا يَملكُ الحفظُ عليه أمرَهُ ولا تُفرِّى حِلمَه الشدائدُ
يُنهِضه الكمالُ من أثقالِهِ بأوسُقٍ تلفِظها الجلامدُ
مدَّ على الدولة من جناحه ما مدَّ عطْفا لبنيه الوالدُ
حتى آستقامتْ وهى بَلهاءُ الخُطَا عمياءُ ما بين يديها قائدُ

---

(١) تخيس : تكسد . (٢) الحنوة : العطفة . (٣) عزون جمع عِزَةٍ وهى العصبة المجتمعة من الناس ، وفى الأصل "عزين" . (٤) يشرى : يتقدّم و يلجّ .

كم قــدَمٍ قبلَك قــد زَلَّتْ بهــا ضُعفا وكــفٍّ لم يُطِعها الساعدُ
وضابطٍ لم يُغنِـــهِ ــ لمّـا طغتْ أدواؤُها ــ التجريبُ والعــوائدُ
يَحرُسها وليس من حُمـاتِهـا مثـــلُ الشَّـــغَا(١) ينقُصُ وهو زائدُ
جاءت على الفَـــتْرةِ منـــه آيةٌ معجِزةٌ قامت بهـا الشواهـــدُ
مَوهِبـــةٌ فاجئـــةٌ لم تُحتَسَبْ ولم تســـوِّفْه بهـا المَواعـــدُ
كنتَ خبيئا ترقُبُ الأيامُ فى إظهـارِه الميقاتَ أو تراصِـــدُ
كالنارِ فى الزّند تكون شَرَرا بالأمس وهو اليومَ جمـــرٌ واقدُ
فأبرزَتْـــك للعيونِ كوكبا يَزهَرُ لم تَجـــرِ به العـــوائدُ
يَفــديك محظوظون وجهُ عجزِهم بِغَلَطِ النّعمة فيهـم شاهـــدُ
قــد سَرَق الدهرُ لهـم سـيادةً ليس لهـا من المَساعى عاضدُ
تَنافَرُ الأقلامُ عن أيمانِهـم وتَقشـعِرُّ منهـــم الوسـائدُ (١١٩)
لم يَنظِموا المجـــدَ كما نَظَمتَـــهُ ولا حلَتْ عنـــدهم المَحامـــدُ
ولا أَعانَ طارفا من حظِّهم مجـــدُ أبٍ مثـــلِ أبيـك تالدُ
وخيرُ من شاد الفخارَ رافعٌ، أُســـرَتُهُ لِمَـا بَنَى قواعِـــدُ
وبعضُ عليـاءِ الفـتى مَكاسبٌ بنفســـه وبعضُهـــا مَوالدُ
وليهنِـــكَ الأمرُ الذى ذلَّ به لك العـــزيزُ وأقـــرّ الجاحـــدُ
ولانَ فى يديك منـــهُ مَرِسٌ(٢) مُـــلاوِذٌ مَن رامَـــهُ مُحايدُ
يَنقُصُ من قـــدرِك وهو فاضلٌ على وسِـــيعات الأمانى زائدُ
ومُشرِفاتٌ فُضُـــلٌ لِبستَهـا تَزلَقُ عنهـا المُقَـــلُ الحـــدائدُ
كلِبـــدةِ الليثِ سَطَا وحسنُهـا كالوشيِ تكساهُ الدُّمَى الخـــرائدُ

(١) الشغا : الزائد من الأسنان . (٢) المرس : الشديد المراس .

لو كانت الأفلاكُ أجسادا لَمَا كان لها من مثلها مَجاسِدُ
باطِنَةً وظاهر جمالُها فالحسنُ منها غائبٌ وشاهدُ
تَسحَبها فى الأرض ولفخْرها مَعالِقٌ فى الجو أو مَعاقدُ
وكالسماء عِمَّةٌ صِبغَتُها قد جاءها من الزمان وافدُ
مقدودةٌ منها ، ومن نجومها فى طَرَفَيْها سائرٌ وراكدُ
إن لم تكن تاجًا فقد أكسَبَها نورُك ما لم يُكسَ تاجًا عاقدُ
وضاربٌ الى "الوجيهِ"(١) عِرْقُهُ بأربع تَشقَى بها الأوابدُ(٢)
من اللواتى نَصرتْ آباءَها فى السبق أمهاتُها الرِّدائدُ
وصَبَحتْها(٣) بالصريف(٤) عُلَبًا(٥) قبلَ عيالِ ربِّها الولائدُ
خاضَ الظلامَ فاهتدى بغُرَّةٍ كوكبُها لمقلتيه قائدُ
يجاذبُ الريحَ على الأرض ومن قلائدِ الأفْقِ له قلائدُ
حَلْيٌ من التبرِ اذا خَفَّ بها أُثقِلَ فهو تحتها مُجاهدُ
ينصاعُ "كالمرّيخ" فى التهابِهِ وأنت فوق ظهره "عُطاردُ"
غرائبٌ من الحِباءِ(٦) جُمِعَتْ بها لك الفوارِكُ الشواردُ
تبرَّعَ المَلْكُ بها مبتدئا وكلُّ بادٍ بالجميل عائدُ
قد كنتُ عيَّفتُ لك الطيرَ بها مستيقِظا والحظُّ بعدُ هاجدُ
وبَرَقَتْ لى فى المنى سيوفُها من قبلِ أن تُبرِزَها المَغامدُ
عِلْما بما عندَك من أَداتِها وأنها سيفٌ وأنت ساعدُ

---

(١) الوجيه : اسم فرس . (٢) الأوابد : جمع آبدة وهى الوحش . (٣) صبحتها : سقتها الصَّبوح وهو اللبن يحلب بالغداة . (٤) الصريف : اللبن ساعةَ يُحلَبُ ، وفى الأصل "الصرير" . (٥) العُلَب جمع عُلبة وهى قَدَح ضخمٌ من جلدٍ أو خشب يُحلب فيه . (٦) الحِباء : العطاء ، وفى الأصل "الحياء" .

فلم يَخُــنِّى فارسُ الظنِّ ولا ... غَرَّتْنِى المَخَايِلُ الشواهــدُ
وبعــدُ ، لى فيك رجاءٌ ناظرٌ ... الى السماء وحسـابٌ زائــدُ
حتى يُشَــقّ للزمانِ رمسُــهُ ... وأنت باقٍ والعــلاءُ خالدُ
بك آستقاد الفضــلُ ودماؤه ... مطــلولةٌ وعزّ وهو كاســدُ
نصرتَهُ والنـاسُ إمّا جاهــلٌ ... بحقّــه أو عارفٌ مُعـاندُ
ورِشْتَ من أبنـائه أجنحةً ... طار حَصيصها ريشُــهُ البــدائدُ
تُعطِى وأنت مُعــدِمٌ وإنمـا ... يُعطِى أخوك البحــرُ وهو واجدُ
زرعتَ عنــدى نعمــةً سالفةً ... أنت لهــذا الشكر منهـا حاصدُ
عَطفا على ذكرى ووصفا فخــرُهُ ... باقٍ علىَّ والزمانُ بائدُ
ونَظَــرا بَدأْتَنى برأيــه ... لو أن باديه الىّ عائــدُ
لكن أردتَ الخــيرَلى ودونه ... حوائلٌ من زمنى حــوائدُ
فهــل لأرضى لك أن تَبُلَّهـا ... على الجُــدوب سُحْبُك الجــوائدُ ؟
غَرَسْتُ منك بالولاء والهــوى ... غرْسا فمـاذا أنا منــه حاصدُ
أُنظرْ، فقد قدَرتَ ، فى مَظْلَمــةٍ ... كنتَ على إنصافها تعاهــدُ
وآقضِ ديونَ المجــد فيها وآرعَ لى ... ما تقتضى الأواصرُ التــوالدُ
ولا تكن — حاشاك — من معاشرٍ ... تَخــذُلُ أقــوالهَم العقـائدُ
كانوا يدى وريحُهــم راكدةٌ ... وأُسرتى والحظُّ عنهـم عاصد (١)
فحين هبّت عاصفا رياحُهــم ... قــلَّ الوفىُّ ونَأَى المساعدُ
غَنَّيتُ أَنْ أسكرَنى جفـاؤهم ... وفى غِنـائى لَهُــمُ عَرابــدُ
وبُخَــلاء لا تُهــنّا نعمــةٌ ... هُمُ اليهـا السُّبْلُ والمَقاصــدُ

---

(١) العاصد : الملتوى المنحرف .

اذا كَرُمتَ لؤمــوا سَفارَةً / وإن قربتَ فهُــمُ أباعــدُ
تُغــالِقُ الأرزاقَ أيمــانُهُــمُ / تَضِجُّ من مطلِهــم المَواعــدُ
لا يُرتَجى حُكمُ القــريض بينهــم / ولا يُخاف اللّغْــوُ والعَــرابدُ
وكيف أبغِي فى النّبيطِ منهُــمُ / والعُجمِ أن تنفعَنى القصــائدُ
تلافَ بالفضــل الوسيعِ ما جَنَى / مُسلِمُهــم عــلىّ والمُعاهــدُ
حاشاك يشــقَ واحدٌ بفضــلِه / على زمانٍ أنتَ فيــهِ واحــدُ
قد طال صونى سمعَك المشغولَ عن / بثِّــك ما ألقَ وما أكابدُ
ونَقَبَتْ(١) جســمى وقلبى صابرٌ / من زمنى نيــوبُهُ الحــدائدُ
ولم يدعْ تحت الخطوب فَضْــلةً / فىّ تدبُّ نحــوها الأوابدُ(٢)
وأعوزَ المُقــامُ أن أَسْطيعَهُ / وسُــدِّدَتْ عن سيرىَ المَقاصــدُ
أيقتُــلُ الزمانُ مثــلى هَــدَرا / وأنت ثأرى والزمانُ عامدُ ؟
أنت بفضــلى شاهدٌ فــلا أمتْ / هَزْلًا وتضييعــا وأنت شاهــدُ
أعدْ مع الإثقالِ نحوى نظرةً / تَنعشُــنى لحــاظُها الروائدُ
لعلّها يا خيرَ مَن يُدعَى لهــا / تَصلُحُ شيئــا هــذه المفاســدُ
وآبتعْ بهــا الشكرَ فعنــدى عوَضٌ / تَضْمنُــهُ(٣) القــواطنُ الشــواردُ
كلّ مطــاعٍ أمرُها مسـلَّطٌ / فى الشــعر ملقاة لهــا المَقــالدُ
سائرة تنشرها الركبانُ أو / عامرة بذكــرها المَشــاهدُ
ترَى الكلامَ عُجُــزًا وطَرَفًا / وكلُّهــا وســائــطٌ فرائــدُ
اذا رأتْ عِرض كريمٍ عاطــلا / فهى له العــقودُ والقــلائدُ

---

(١) نقبت : جعلت به نَقْبًا أى خَرقا . (٢) الأوابد : غرائب الكلام ويريد بها القصائد .
(٣) فى الأصل " تضمه " .

تحمِـلُ من وصفك ما يحمِـلُهُ عن روضة الحَزْنِ النسيمُ البـاردُ
طالعـــة بهـا التهانى أنجما ما كــرَّ نوروزٌ وعيـدٌ عائدُ
يفنى بنـــو الدنيـا وأنت معَهَا باقٍ على مرّ الزمان خالدُ
تَبـقَ عليك والذى نأخـــذُه من الجـــزاءِ مضمحِلٌّ بائـــدُ
محامِدٌ يحسُـدُك النـاسُ لهـا والنـاسُ إما حامدٌ أو حاســـدُ

* * *

وقال يصف دَواةً

وخرقاءَ مُعـرِقةٍ فى الضـلا ل شاقك فى القَصد إرشادُها
اذا سُقيتْ فبما أُطعِمَتْ مرنَّقـــة، ماؤها زادُها
وإن رَشَفَتْ ريقَها ألسُنٌ وقاءَتْ ففى القىءِ أكبادُها
تَقطَّع منهـا فـلا ترعوِى وتُعـدَى بها وهى عُـوّادُها
ترى زوجَهـا أبدا فوقها ومن غيرِه جاء أولادُها

* * *

وقال يمدح أهل البيت

بكى النـارَ سَـتْرًا على المَوْقِـدِ وغار يغـالطُ فى المُنجِـــدِ
أحبَّ وصان فورَّى هوًى أضـلَّ، وخاف فلم يَنشُـــد؟
بعيـد الإصاخة عن عاذلٍ غنيُّ التفـــرّدِ عن مُســـعِدِ
حمولٌ على القلب وهو الضعيفُ صبورٌ عن المـاء وهو الصَّدِى
وقورٌ وما الخُـرقُ من حازمٍ متى ما يَرُحْ شيبُه يغتـدى
ويا قلبُ إنْ قادك الغانيـاتُ فكم رسَنٍ فيك لم ينقـــدِ
أفِقْ فكأنى بهـا قـــد أُمِرَّ بأفواهها العـذْبُ من مَوْردِي

وسُوِّدَ ما ٱبيضَّ من ودّها … بمـا بيّض الدهرُ من أَسـودى
وما الشيبُ أولُ غـدرِ الزمان … بَلَى من عوائده العـوَّدِ
لحَـا اللهُ حظّى كما لا يجـودُ … بمـا أَستحق وكم أَجتـدى
وكـم أتعلَّلُ عيشَ السقيم … أذمُّ يومى وأرجُو غـدى (١٢١)
لئن نام دهرِىَ دون المُـنَى … وأصـبح عن نَيلهـا مُقعِـدى
ولم أك أحمَــدُ أفعـالَه … فلى أُسـوةٌ ببنى "أحمـدِ"
بخـير الورى وبنى خـيرِهم … اذا وَلَدُ الخـيرِ لم يُـولَدِ
وأكـرمِ حىّ على الأرض قام … ومَيْتٍ توسّــد فى مَلحَـدِ
وبيتٍ تَقاصَرُ عنـه البيوتُ … وطال عَلِيًّـا على الفرقَـدِ
تحـومُ الملائكُ من حـولِه … ويُصـبحُ للوَحْىِ دارَ النَّـدى
ألا سَلْ "قريشا" ولُمْ منهُـمُ … مَن ٱسـتوجبَ اللومَ أو فنِّـدِ
وقل : ما لكم بعد طول الضلا … ل لم تشكروا نعمة المرشــدِ؟
أتاكم على فَــترةٍ فٱســتقام … بـكم جائرين عن المَقصــدِ
وولّى حميــدا الى ربّــه … ومَن سَنَّ ما ســنَّهُ يُحمَـدِ
وقد جعـلَ الأمرَ من بعـده … "لحيـدَرَ" بالخـبر المُسـنَدَ
وسمَّـاه مـولًى بإقــرارِ مَنْ … او ٱتبَـعَ الحـقَّ لم يَجْحَدِ
فملتم بها ــ حسدَ الفضل ــ عنه … ومن يكُ خيرَ الورى يُحسَــدِ
وقلــتم : بذاك قضى الآجتماعُ … ألا إنمـا الحــقُّ للمفــرَدِ
يعزُّ على "هاشمٍ" و "النبيِّ" … تلاعُبُ "تيمٍ" بها أو "عَدِى"
وإرثُ "عــلىٍّ" لأولاده … اذا آيــةُ الإرثِ لم تُفسَـد
فمِن قاعدٍ منهُـمُ خائف … ومِن ثائرٍ قامَ لم يُسـعَدِ

تَســلّطُ بغيـا أكفُّ النفا ... ق منهـم على ســيِّدٍ ســيِّدِ
وما صُرِفوا عن مقام الصــلاةِ ... ولا عنِّفوا فى بُنَى المســجِدِ(١)
أبوهم وأمهُــمُ مَن علمـ ... ـتَ فانقُصْ مَفـاخِرَهم أو زِدِ
أرى الدِّينَ من بعدِ يومِ "الحسين" ... عليــلًا له الموتُ بالمَرصــدِ
وما الشِّركُ لله من قبــله ... اذا أنت قستَ بمســتبعَدِ
وما آل "حربٍ" جَنَوا إنمـا ... أعادوا الضــلال على من بُدِى
سيعلم مَن "فاطمٌ" خصمُهُ ... بأىّ نكـالٍ غــدًا يرتدى
وَمَنْ ساءَ "أحمدَ" يا سِبطَهُ ... فبـاءَ بقتلك، ماذا يــدى؟
فــداؤك نفسى ومَنْ لى بذا ... كَ لو أن مولًى بعبدٍ فُــدِى
وليتَ دمى ماسَقَى الأرضَ منك ... يقوتُ الرَّدَى وأكون الرَّدِى
وليتَ سَبقتُ فكنتُ الشهيدَ ... أمامَك يا صاحبَ المَشهَدِ
عسى الدهرُ يَشفِى غدًا من عدا ... كَ قلبَ مَغيظٍ بهــم مُكمَدِ
عسى سطوةُ الحقّ تعلو المُحـالَ ... عسى يُغلَبُ النقصُ بالسـؤدُدِ
وقــد فعَــلَ اللهُ لكننى ... أرى كبِدى بعــدُ لم تبرُدِ
بســمعى لقائمكم دعوةٌ ... يُلبِّى لهـا كلُّ مســتنجِدِ
أنا العبــدُ وَالاَكُمُ عَقــدُهُ ... اذا القــولُ بالقلبِ لم يُعقَدِ
وفيــكم ودادى ودِينى معًـا ... وإن كان فى "فارسٍ" مولدى
خَصَمْتُ ضلالى بكم فاهتديتُ ... ولولاكُمُ لم أكن أهتــدى
وجدتمــونى وقــد كنتُ فى(٢) ... يد الشِّرك كالصارم المغمَــدِ
ولا زال شــعرِى من نائحٍ ... يُنَقَّــل فيكم الى مُنشِــدِ
وما فاتنى نصرُكم باللسان ... اذا فاتنى نصرُكم باليــدِ

(١) بُنَى جمع بُنْيَة . (٢) فى الأصل "فى" .

*
* *

وقال وكتب بها الى الأجلّ العميد أبى منصور بن المزرّع فى رجب سنة تسع وأربعمائة، وقد أحسن له السّفارة، ووفى بكثير من الشرط فى المودّة

حرِّم عليها نُزُهاتِ الوادى ... وولِّها جوانبَ البلادِ
وغنِّها إنْ طرِبَتْ لصافرٍ ... آذانُها بَرْجِ الجِلادِ
وآسبِقْ بها الى العلا شوطَ الصَّبا ... لعلّها تُعَدُّ فى الجيادِ (١٢٢)
قد لفظتْكَ هاجدا وقاعدا ... مَكاسرُ البيتِ وحُجْرُ النادى[1]
كم التمادى تطلب العفوَ به؟ ... قد بلغَ الجهدَ بك التمادى
لا بد إن عفت تخاليطَ القذَى ... أن تُخلَطَ الأرجُلُ بالهوادى
ما العزُّ بين الحُجُراتِ كامنا ... ولا الغنَى فى الطُّنْبِ والعِمادِ
تفسَّحى يا نفسُ أو تطوَّحى ... إمّا الردى أو دَرَكُ المُرادِ
إن النفوس فآعلمى إن حُملتْ ... مسجونةٌ فى هذه الأجسادِ
خيرٌ من الزاد الوثيرِ والأذى ... أنْ أنفُضَ الأرضَ بغير زادِ
قد ملّنى حتّى أخى وأنكرتْ ... كلابُ بيتى فى الدجى سَوادى
كم أحملُ الناسَ على عِلّاتهم، ... قد جُلِبَ[2] الظهرُ وجُبَّ الهادى
فى كل دارٍ ناعقٌ يخبِطُ فى ... جنبيّ وهو خاطبٌ ودادى
وحالمٌ لى فاذا آستسعدتُه ... فى يوم رَوعٍ مال بالرقاد
يُعجبُه قربى لغير حاجةٍ ... فإن عرَتْ طارَ مع البعادِ
اذا عدمتُ عُدَدى ضحكتُ من ... تبجُّحى بكثرةِ الأعدادِ
أُنسا على ما خيَّلَتْ وخلَبتْ ... بروقُها بوحشةِ آنفرادى

---

(١) حُجْر جمع حُجْرة وهى الناحية. (٢) جلب: ظهرت به الجلبة وهى القشرة تعلو الجرح.

ما أنا — والحزمُ معى — بآمنٍ شريحتى[1] صدرى على فؤادى
قد شَمِتَ النُّقصانُ بالفضـلِ وقد تَسلَّط العجـزُ على السَّـدادِ
فاجفُ الوُصولَ وٱهجُ من مدحتَهُ فربّمـا تُصلِـحُ بالفسـادِ
ولا تجـلْ ودَّ "العميد" منحةً سيقتْ بقصـدٍ أو عن ٱعتمادِ
لكنّها جوهرةٌ يتيمـةٌ تقـذفها البـحارُ فى الآحادِ
جاءت بها — والوالدات عُقمٌ — مُقبِـلةٌ غريبـةُ الولادِ
خلِّ له النـاسَ وبعْهـم غانيـا به عـلى كثرتهم وفادِ
وحكِّم المجـدَ التايـدَ فيهمُ وفيـه وٱسأل ألسنَ الرُّوّادِ
بالأقربينَ الحاضرين منهُـمُ ما غاب من ذاك البعيدُ النـادى
وحبّذا بين بيوتِ "أَسَـدٍ" بيتٌ اذا ضـلَّ الضيوفُ هادى
أتلعُ طال كرما ما حـولَه تَشـرُّفَ الربْوِ[2] عـلى الوِهادِ
مُوضَحـةٌ عـلى ثلاثٍ[3] نارُهُ إن سَرِفوا[4] النيرانَ فى الرَّمادِ
بيتٌ وسيعُ البـاب مبلولُ الثرى ممهَّـدُ المجلِسِ رَخصُ الزادِ
إنْ قوَّضَ البيوتَ أصلٌ حائرٌ طُنُبَ بالآباءِ والأجـدادِ
تُرفَعُ عن "محمـدٍ" سُجوفُهُ جـوانبَ الظلمـاءِ عن زنادِ
أبلجَ يُورِى فى الدجى جبينُـه على خبـوِ الكوكب الوقّادِ
ساد وما حُلَّتْ عُرَى تميمـه بالأطيبَيْن : النفسِ والميلادِ
وجاد حتى صاحت المزنُ به : أكرمتَ يا مُبخِّلَ الأجـوادِ
من غِلمةٍ تحاشـدوا على النـدَى تحاشُـدَ الإبْلِ على الأورادِ

---

(١) الشريحة : كلّ سمين من اللحم ممتدّ . (٢) الربو : الرابيـة وهى ما ٱرتفع من الأرض .
(٣) يريد بالثلاث : الأثافىّ جمع أثفيّة وهى الحجر توضع عليه القدر . (٤) سرفوا : أغفلوا .

ودبَّروا المجـدَ فسدُّوا ما وَلُوا ... سـدَّ السيوف ثُغَرَ الأغمادِ

مشَوا على الدارسِ من طُرْق العلا، ... ويَقتفِى الرائحُ إثرَ الغادِى

يعتقبون دَرَجا ذروتَها ... تعاقُبَ العقودِ فى الصّعادِ

مَثنَى ووُحدانًا الى أن أحدقوا ... بهالةِ البدرِ على ميعادِ

للكَلِمِ المعتاصِ من سلطانهم ... عليه ما للجحفل المنقادِ

فهم قلوبُ الخيل مثلُ ما هُمُ ... إن خَطَبوا ألسنةُ الأعوادِ

هل راكبٌ ؟ وضَمِنَتْ حاجتَهُ ... غضبَى القِماص سَمحةُ القيادِ ؟

مُطلَقةُ الباعِ، اذا تقيَّدتْ ... من الكَلالِ السُّوقُ بالأعضادِ ،

تدرُّ قبل البوّ أو تطرَبُ من ... مَراحها قبلَ غِناء الحادى ،

لا يُتهِمُ الليلُ عليها نحرَهُ ... ولا يَخافُ عدوةَ العوادى ،

لها من الحق العريضِ ما آشتهتْ ، ... همَّك فى السرعةِ والإبعادِ ،

تَصدُقُها — واللّحَظاتُ كُذُبٌ — ... عينًا* قُطامِىٍّ(١) على مِرصادِ :

بلّغ — وفى عتابك الخيرُ — إذَن ... تحيةً من كَلِفِ الفؤادِ (١٢٣)

ينفُثُ فيها شجوَه كما آشتفى الـ ... ـمدنَفُ بالشكوى الى العُوّادِ

قُلْ لعميدِ الحىّ بين "بابلٍ" ... و"الطَّفِّ" جادت ربعَك الغوادى

ما آعتضتُ أو نمتُ على البين فلا ... بقَلِقِى بتَّ ولا سهادى

أشرَقنِى الشوقُ اليك ظامئا ... بالعذب من أحبابِىَ البِرادِ

ما زارنى طيفُ حبيبٍ هاجرٍ ... إلا آعترضتُ فثنَى وسادى

ولا نَسَمتُ البانَ تفليه الصَّبا ... إلا تضوّعتُك من أبرادى

---

(١) القطامىّ : الصقر أو الحديد البصر الرافع رأسه الى الصيد .

والبـــدرُ يحكيك فيشقَ ناظرى حتى كأنّ بيضَـه دآدى (١)
فهـل عـلى ماء اللقـاءِ بلّةٌ يُروَى بها هـذا النزاعُ الصادى ؟
مالك لا تسمحُ بالقـربِ كما تســمحُ بالمـالِ وبالإرفادِ ؟
أنت جـوادٌ والنـوى مَبخَـلَةٌ ما أعجبَ البخلَ من الجـوادِ !
ملّكتَنى بالودّ والرفـدِ معا، والرفــدُ من جوالبِ الودادِ
وقاد عُنْقى لك خُلْقٌ سلِسُ الـ ـجبل على صُـعوبة انقيادى
حملتُ منك اليدَ بعدَ أختِهـا بكاهلٍ لا يحمِـل الأيادى
ولم يكن قبـلَك من مآربى لمسُ يدِ المجْـدى ولا من عادى
مَواقفا أعطيتَ فيهـا مسرفا والبحـرُ يعطينى على اقتصادِ
فـما أذمُّ الحـظَّ إلا قمتَ لى بمِنَّـةٍ تكسبه أَحمادى (٢)
ولا أنادى النـاسَ إلا خِلتَنى إياك من بينهـمُ أنادى
ولم تكن تَخلُّبىٌّ برقُـهُ لا للحيـا اعتنَّ (٣) ولا الإرشادِ
يَحلِبُ مدحى بلسانٍ ذائبٍ مـع النفـاق ويدٍ جَمـادِ
ماعرَفَتْ فيه الندى "طىٌّ" ولا أغنـاه شـيخُ البيتِ فى "إيادِ"
يدخُلُ فى مجدِ الكرام زائدا غبينـةَ الأنسـابِ فى "زيادِ"
تسلَّطَ البخـلُ على جَنـابِهِ تسلُّطَ الخُلْفِ عـلى الميعـادِ
لَتعلَمَـنّى شاكرا مجتهـدا إن هو كافا (٤) عفـوك اجتهـادى
بكلِّ مغبـوطٍ بهـا سامعُها كثيرة الأحبـابِ والحسّـادِ
مصمَّت لهـا النـدىُّ، واسع نصيبُهـا الضخـمَ فمُ الإنشـادِ

(١) بيضه أى لياليه البيض والدآدى، تقدّم شرحها . (٢) أحماد جمع حمد . (٣) اعتنّ : ظهر واعترض . (٤) يريد "كافأ" .

غريبـــة حتى كأنْ ما طُبِعَتْ … من طِيبِ هذا الكَلِم المُعتـادِ
ترفَعُها عنايتى عن كُلْفة الـ … ـلفـظِ ومعنى الغـارة المُعـادِ
تغشـاك إما بالتهـانى بالعـلا … أو التهـادى بُكـرة الأعيـادِ

* * *

قال وكتب بهـا الى الأمير أبى الذواد المفرِّج بن علىّ بن مَزْيَد أخى نور الدولة دُبَيْس ، يمدحه و يصف ملاقاته للأسـد وظفره به ، وقد أطال سؤاله فى ذلك، وأنفذها فى شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وأربعمائة

بعينيكِ يومَ البينِ غَيْبى ومَشهَدى … وذُلُّ مَقـامى فى الخليط ومَقعَدى
وقَوْلى ـ وقد صاحوا بها يُعجِلونها ـ : … نَشَدتكُمُ فى طارقٍ لم يزوَّدِ
أناخ بكـم مستسقيا بعضَ ليلةٍ … ولم يدْرِ أن الموتَ منها ضحى الغد
أتحمون عن عضّ الضراغم جاركم … و يقتُلُنى منكم غزالٌ ولا يدِى ؟ (١)
ومازلتُ أبكى كيفَ حُلَّت "بحاجرٍ" … قُوَى جَلَدى حتى تداعَى تجـلُّدى
وعنّفنى "سعدٌ" على فرط ما رأى … فقلتُ : أتعنيفٌ ولم تكُ مسعدى ؟
أسفتُ لحلمٍ كان لى يومَ "بارقٍ" … فأخرجه جهلُ الصبـابة من يدى
وما ذاك إلا أن عجِلتُ بنظـرةٍ … قَتلتُ بهـا نفسى ولم أتعمّـدِ
تحرّشْ بأحقاف (٢) "اللوى" عُمَر ساعة … ولولا مكانُ الريب ، قلتُ لك : ازدد
وقل صاحبٌ لى ضلَّ "بالرمل" قلبُهُ … لعلّك أن يلقاك هادٍ فتهتـدى
وسـلّمْ على ماءٍ به بَرْدُ غُلّتى … وظلِّ أراكٍ كان للوصل مَوعدى
وقل لحَمـام "البانتين" مهنّئا : … تغنَّ خليًّـا من غرامى وغَرّدِ
أعنـدكُمُ يا قاتلينَ بقيّـةٌ … على مهجةٍ إن لم تمتْ فكأن قَدِ ؟ (١٢٤)

(١) لايدى : لايدفع الدِّية . (٢) أحقاف جمع حِقْف وهو ما اعوجّ من الرمل واستطال .

ويا أهل "نجدٍ" كيف بالغور عندكم بقاءُ تهامىٍّ يهيم بمُنجد؟
ملكتم عزيزا رقَّــه فتعطَّفوا على مُنكِرٍ للذلّ لم يتعوَّد
أغدرا وفيكم ذمّةٌ عربيّـــةٌ وبخلا ومنكم يستفادُ ندى اليـدِ ؟
فليت وجوهَ الحىّ أعدتْ قلوبَهُ ففجَّرَ لى ماءً بها كلُّ جلمــدِ
وليتكُمُ جيرانُ "عوفٍ" تلقّنوا خلالَ الندى والجودِ من "آل مَزيَدِ"
من الضيّقى الأعذارِ والواسعى القِرَى اذا ما "جُمادى" قال لليّلة: آبرُدى
ولفَّ على خيشومه الكلبُ مُقعيا يرى الموتَ إلا ما آستغاث بموقد
وشـدّ يديه حالبُ الضَّرع غامرا على مُصفر(١) قد مسّه الجدبُ مثمِد(٢)
وباتَ غلامُ الحىّ يُسـند ظهرَه من النَّضـد(٣) الواهى الى غيرِ مُسند
هنالك يأوِى طارقُ الليـل منهمُ الى كلّ رطْبٍ مُثمِرِ النبتِ مُزبِدِ(٤)
كريم القِرى والوجهِ ملءِ جفانِه رحيبِ الرواقِ مُنعِمِ العيش مُرفِدِ
قليـل على الكُوم الصـفايا حنوُّهُ اذا السيف ردَّاهنَّ للساقِ واليـدِ
كمثـــلِ "أبى الذوّادِ" لا متعلِّلٍ اذا سُـئل الجـدوَى ولا بمُنكِّدِ
فتًى، بيتُـــهُ للطارقين، وسيفُهُ لهـامِ العـدا، والمـالُ للمتزوِّدِ
ويوماه إما لآصطباحِ سُـــلافةٍ تُصـفِّقُ أو داعى صـياحٍ ملدَّدِ
وَفَى بشروطِ المُلك وهو آبن مَهدِه وسُـوِّدَ فى خيط التميم المعـــقَّدِ
وجادَ على العلّات والعـامُ أشهبٌ بأحمرَ من خير الرحالِ وأسودِ
ولم تحتبسه عن مساعى شيوخه سِنُوه التى حلَّتــه حِليَـةَ أمرِدِ
أناف بجـدَّيه وأســندَ ظهرَهُ الى جبلين من "عَفيفٍ" و"مَزْيَدِ"

---

(١) المصفر : المفتقر . (٢) المثمد : القليـل المـاء . (٣) النضـد : السرير .
(٤) المزبد : المتور، وفى الأصل "مزيد" .

له فى ملوك الشرقِ والغربِ منهمُ نجومُ السماءِ من ثريًّا وفرقدِ
أيارا كبَ الوجناءِ يخبط ليلَه على الرزق لم يقصد ضلالًا لمَقصدِ،
ترامت به الآفاقُ ينشُدُ حظَّه فلم يُعطِه التوفيقُ صفحةَ مُرشِدِ،
أنخها تُفرِّجْ همَّها "بمفرِّجٍ" وطلِّق شقاءَ العيش من بعدُ وٱسعدِ
وَرِدْ جَمّةَ الجودِ التى ما تكدَّرتْ بَمنٍّ ورِدْ ظلَّ المنى المورِقَ النَّدى
وبِتْ فى أمانٍ أن يسوءَك ظالمٌ علَتْ يدُهُ أو أن تُراعَ بمعتدى
حَماك "أبو الذوّادِ" مالكُ أمرِهِ على كلّ حامٍ منهُمُ ومذوِّدِ
أخو الحرب إمّا مُخمِدٌ يومَ أُوقدتْ وإمّا شَبوبٌ نارَها غيرُ مُخمِدِ
له الخطوة الأولى إذا السيفُ قصَّرتْ به ظبتاه فهو يوصل باليدِ
اذا ٱبتدر الغاراتِ كان سهامُها له من قتيلٍ أو أسيرٍ مصفَّدِ
خفيف أمام الخيلِ رسغُ جوادِهِ اذا الخوفُ أقعَى بالحصانِ المعرِّدِ
ولما كفى الأقرانَ فى الرَّوع وٱرتوتْ صوارمُهُ من جاسرٍ ومسرَّدِ (١)،
تعرَّضَ للأُسدِ الغِضابِ فلم يدعْ طريقا لذى شِبلين منها ومُفرَدِ
حماها الفريسُ أن تُطيفَ بأرضه وشرَّدَها عن غابِها كلَّ مَشرَدِ
وهانتْ فصارتْ مُضغةً لسلاحه ممزَّقةً فى صَعدَةٍ أو مُهنَّدِ
ويومَ لقيتَ الأدرعَ الجهمَ (٢) واحدا جرى مُلبِدٌ يشتدُّ فى إثر مُلبِدِ
نَصبتَ له لم تستعن بمؤازرٍ عليه ولم تُنصَر بكثرةِ مُسعِدِ
وقفتَ وقد طاش الرجالُ بموقفٍ متى تُمثِّلْه الفرائصُ تُرعَدِ

---

(١) الجاسر: من لامِغفَرله ولا درع، والمسرد: لابس السَّرْدِ وهو الدرع. (٢) الأدرع الجهم: الهجين العابس.

فأوْجرتَهُ(١) نجـــلاءَ أبقتْ بجنبِه ... فُتوقا اذا ما رُقِّعتْ لم تُسَـــدَّدِ
تَحـــدَّرُ منها لَبَّتاه وصـــدرُهُ ... على ساعدٍ رِخوٍ وساقٍ مقيَّـدِ
فلم تُغنِـهِ إذ خان وثبـةُ غاشِمٍ ... ولم ينتقذه منك إقعاءُ مُرصِـدِ
رأى الموتَ فى كفَّيكَ رأْىَ ضرورةٍ ... فأوردَ منـــه نفسَه شرَّ مَوْرِدِ
وأحرزتَهـا ذكرا يخصُّـك فخْرُهُ ... تَناقَلُه الأفواهُ فى كلِّ مَشـــهَدِ
جمعتَ الغريبينْ : الشجاعةَ والنَّدَى ... وما كلُّ مُرْدٍ للكُماةِ بمُرفِـــدِ
وقمتَ بإحكام الســـيادةِ ناظما ... عُراها فما فائتك حُلَّةُ ســـيِّدِ
أتانى من الأنبـاء أنك مغـرمٌ ... بفضلِ مديحى عارفٌ بتوحُّدى
حبيبٌ اليك أن تُزَفَّ عرائسى ... عليك تَهادَى بين شـادٍ ومُنشِدِ ١٢٥
متى ما تَجِـدْ لى عنـد غيرك غادةً ... مخـــدَّرةً تَغبِطْ عليهـا وتَحسُدِ
فقلتُ : كريمٌ هزَّه طيبُ أصله ... وواحدُ قومٍ شاقه مـدحُ أوحدِ
وليس عجيبا مثلُها عنـــد مثلِهِ ... اذا هبَّ يقظانا لهـا بين رُقَّدِ
فأرســـلتُها تُلقِى اليـك عنانَهـا ... وغـــيرُك أعيتْــه فلم تَنقــوَّدِ
لها فارسٌ من وصفِ مجدك دائسٌ ... بأرساغِها ما بين طَودٍ وفدفـدِ
يرى كلَّ شىء فانيـا وردآؤه ... على عُنُقٍ باقٍ فى الزمان مخـــلَّدِ
متى تَجزِها الحسنَى بحقِّ ابتـدائها ... تَزُرْكَ بعينٍ تملأ السـمعَ عُوَّدِ
فوفِّرْ على عجـز البُعول صَـداقَها ... وعرِّسْ بها أمَّ البنين وأولدِ
وصُنْها وكرِّمْ نُزْلهـا إنّ بيتَهـا ... كبيتك فى أُفْق السماء المشـــيَّدِ
وكن "كعلىٍّ" أوفكن لى "كثابتٍ" ... وفاءً وإعطاءً وإنْ شئتَ فازددِ

(١) أوجرته : طعنته ، وفى الأصل " أوخزته ".

وقال وكتب بها الى الأجلّ عميد الرؤساء أبي طالب محمّد بن أيّوب يمدحه ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى شعبان سنة ثمان عشرة وأربعمائة

أمنها – على أنّ المزارَ بعيدُ – خيالٌ سَرَى والساهرون هُجُودُ؟
طوى "بارقا" طيَّ الشجاعِ "وبارقٌ" خطارٌ يفلُّ القلبَ وهو حديدُ
يجوبُ الدجى الوحشيَّ والبيدَ وحدَهُ فكيفَ وكسرُ البيتِ عندك بِيدُ!
نعم! تُحمَلُ الأشواقُ والعيسُ ظُلَّعٌ ويَمشِي الهوى والناقلاتُ قُعودُ
وتتّسع البلوى فيمضى مصمِّما جبانٌ عن الظلِّ الخفوقِ يحيدُ
من المبلغى؟-والصدقُ قصدُ حديثِهِ- وفى القول غاوٍ نقلُهُ ورشيدُ،
عن الرمل "بالبيضاءِ": هل هِيلَ بعدنا وبانِ "الغضا": هل يستوى ويميدُ؟
وهل ظبياتٌ بين "جَوٍّ" "ولعلعٍ" تمرُّ على وادى "الغضا" وتعودُ؟
سوانحُ للرامين، تصطادُ مثلَها وحوشُ الفلا، وهى الرماةَ تَصيدُ
ويوم "النقا" خالفنَ منَّا فعاذلٌ خلىٌّ ومعذولُ الغرامِ عميدُ
سفكنَ دمًا حُرًّا وأهونُ هالكٍ دمٌ حكمتْ عَينٌ عليه وجيدُ
حملن الهوى منّى على ضُعف كاهلٍ وَهَى، وتقولُ الحاملاتُ: جليدُ
تطلعتِ الأشرافَ[(1)] عينى ريادةً لقلبى سفاها والعيونُ ترودُ
وما علمتْ أنّ البدورَ "برامةٍ" وجوهٌ ولا أنّ الغصونَ قدودُ
وقالوا: غدًا ميقات فُرقةِ بيننا فقلتُ "لسعدٍ": إنه لوعيدُ
غدًا نعلنُ الشكوى، فهل أنت واقفٌ تسائلُ حادى الركبِ: أين يريدُ؟
وهل تملك الإبقاءَ أو تجحد الهوى ووجهُك قاضٍ والدموعُ شهودُ

---

(١) الأشراف جمع شَرَفٍ وهو: ما شَرُف وآرتفع من الأرض .

وقد كنتُ أبكى والفـــراقُ دَعَا بِهِ (١) — دلالٌ أدارِى عطفَــه وصـــدودُ
فمــا أنا منْ بَينٍ رجاءُ إيابِهِ — وعـــودٌ تُقَضَّى دونه وعهـــودُ (٢)
هل السابق الغضبانُ يملكُ أمرَه ؟ — فمــا كلّ سير اليعملاتِ وخيدُ ! (٣)
رويدا بأخفــافِ المطىّ فإنمــا — تداسُ جباهٌ تحتهــا وخـــدودُ
عذيرى من الآمال أمّا ذراعهــا — فرحبٌ وأمّا نَيْلُهــا فزهيـــدُ
يُرينك أنّ النجمَ حيثُ تحطُّـه — وأنّ زمامَ الليث حيث تقــودُ
ودون حصاة "الرملِ" إن رُمتها يدٌ — دفوعٌ، وسهمٌ للزمانِ ســديدُ
سقَى الناسَ كأسَ الغدرِ ساقٍ مُعدِّلٌ — متى يُبْـدِ قبـلَ السكر فهو معيـــدُ
فمستـــبردٌ يهـــنَى بأوّلِ شَربةٍ — ومستـــكثِرٌ يثـــنى له ويزيدُ
ونَحّى "ابنَ أيّوبٍ" فأصبح صاحيًا — وفاءٌ عريقٌ فى الوفاءِ تليـــدُ
فلو لم يُبرِّزْ يومَ كلِّ فضيــلةٍ — كفَى أنه يومَ الحِفَـاظِ وحيدُ
حـــوانى وأيّام الزمانِ أراقمٌ — وهَبَّ عنّى والخطوبُ أســودُ
ولبَّى دعائى والصـــدَى لا يُجيبنى (٤) — بيقظتِـهِ والسامعون رُقـــودُ
وأنهضَنى بالدهرِ حتى دفعتُـــه — وجانبُـــه وعرٌ علىّ شـــديدُ
وقد قعدتْ بى نُصرةُ اليدِ أختَهــا — وقُلِّصَ عنى الظـــلُّ وهو مديدُ
تكفَّلَ لى بالعيشِ حتى رعيتُـهُ — على وخَـــمِ الأيّام وهو رغيـــدُ
وأطلقَ من ساقَىَّ حتى أنافَ بى — على أَرَبِى والحـادثاتُ قيـــودُ
فمــا راعنى من عقّنى وهو واصــلٌ — ولا ضرّنى من غابَ وهو شهيدُ

(١) فى الأصل "دعابةٌ". (٢) فى الأصل "عهود". (٣) اليعملات جمع يعملة وهى الناقة النجيبة المطبوعة على العمل. (٤) الصدى : رجوع الصوت وترديده.

من القوم مدلولٌ على المجدِ واصلٌ اذا ضلَّ عن طُرْقِ العلاء بليدُ
عتيقُ نجارِ الوجهِ أصيدُ صرَّحتْ به عن صفاياها غَطارِفُ صِيدُ
كرامٌ تُضيءُ المشكلاتُ برأيهم ويُنظَمُ شملُ المجدِ وهو بديدُ
يَسُودُ فتاهم فى خيوطِ تميمهِ ويشأَى(١) كهولَ الناس وهو وليدُ
إذا نزلوا بالأرض غبراءَ جعدةً أماه(٢) حصًا فيها وطابَ صعيدُ
كأنَّ نصوعَ الروض حين تسحبَّتْ مآزِرُ منهم فوقَها وبُرودُ
سخا بهمُ أنَّ السخاءَ شجاعةٌ وشجّعهم أنَّ الشجاعةَ جودُ
لهم بابنهم ما للسحابة أقلعتْ من الروض يومَ الدَّجنِ وهو صَخود(٣)
وماغابَ عن دارِ العلا شخصُ هالكٍ مضَى وبنوه الصالحون شُهودُ
"أبا طالبٍ" لايُخالف الفخرُ دوحةً وأنتَ لها فرعٌ وبيتُك عُودُ
بَغَى الناسُ أدنَى ما بلغتَ فطُيِّرتْ رياحُك عَصفًا والبُغاةُ رُكودُ
وشالَ بكَ القِدحُ المعلَّى وحطَّهم وليس لهاوٍ بالطباعِ صعودُ
فلوكلَّمتْك الشمسُ، قالتْ: لحِقتَ بى علاءً وإشراقا، فأينَ تريدُ؟
أقرّ لك الأعداءُ بالفضل عَنوةً، ومعترِفٌ من لم يسَعْهُ جُحود
وكيف يُمارِى فى الصباحِ معاندٌ وقد فَلَقَ الخضراءَ منه عمودُ؟
تسمَّعْ من الحسادِ وصفَك وٱغتبطْ فأعجبُ فضلٍ ما رواه نديدُ
وإن نَكَأوا شيئا فإن فصاحتى وراءك كَرٌّ فى الكلام عتيدُ
وبين يدَىْ نُعماك منّى حميَّةٌ لها مَدَدٌ من نفسها وجُنودُ
اذا رامحتْ حربًا رأيت كماتَها تلاوَذُ من أطرافها وتَحيدُ

---

(١) يشأى: يسبق. (٢) أماه: كثر ماؤه. (٣) الصَّخود: الشديد الحرّ.

أذودُ بها عن سَرح عِرضك كلّما تطلّعَ فيــه للفريسـةِ سِـيدُ (١)
اذا نَشَطتْ من عُقلةِ الفكرِ أرسلتْ بهـا طَلِقاتٍ وثُبهنّ شُــرودُ
مطايا لأبكار الكلام اذا مشى على حسكِ (٢) السَّـعدانِ (٣) منـه رديدُ
نطقتُ بها الإعجازَ فالمؤمنون لى على دِينهـا بين الجنـانِ خُلودُ
ويحسـدنى قومٌ عليهـا وحظُّها شـقٌّ وحظّ المقرفاتِ سـعيدُ
تمنَّوا على إخصابهم جدبَ عيشِها وأنهُـم خُصُّـوا بهـا وأُفيـدوا
ولم أحسبِ البلوى عليها مُزاحِمٌ ولا أنَّ ضنكَ العيش فيـه حسودُ
لها النسبُ الحرُّ الصريحُ، اذا طغت عليك إماءٌ غــيرها وعبيــدُ
يزورك منها — والنساءُ فواركٌ — كواعبُ تُصْـفيك المودّةَ غيـدُ
لهنّ جــديدٌ من نوالك كلّمـا أتى طالعـا يومٌ بهنّ جـديدُ
فـفى كلّ يومٍ مهـرجانٌ مقـلَّدٌ بهنّ ونـيروزٌ لديك وعيــدُ

***

وقال يمدحه أيضا وكتب بها اليه فى المهرجان الواقع فى سنة عشرين وأربعمائة وفيها نبذة من المعاتبة

تمنَّاها بجهلِ الظنِّ "سعدُ" وما هى من مطايا الظنِّ بعـدُ
وخالَ ظهورَها قُعُـدا لِيانا فرحَّلَ وهى مُزلِقــةٌ تكُدُّ
وراوحَها القِعابَ (٤) ليعتشيهـا (٥) فضرعٌ زلَّ أو خِلفٌ يَنِـدُّ

---

(١) السِّيد : الذئب . (٢) الحسك : الشوك . (٣) السّعدان نباتٌ من أفضل مراعى الغنم له شوك ، وفى المثل "مرعًى ولا كالسّعدان" . (٤) القعاب جمع قَعْب وهو القدَح الضخم يُحلب فيه ، وفى الأصل "العتاب" وهو تحريف . (٥) فى الأصل "لتغتشيها" ولم نعثر لهـا على تفسير يتفق ومعنى البيت .

براثنُ أَوْسَقَتْهُ دما صبيبا … وفى قــومٍ لها أَقِطٌ[1] وزُبدُ
لعلّك "سعدُ" غرَّك أن تراها … على الجِرَّاتِ[2] تأكلُ أو تَرُدُّ
وأنّ العــام أخلفَها فجاءتْ … حبــائلَ فى حبائلها تُمَـــدُّ
مفلَّلَةً[3] على الأعطانِ فوضَى … هببتَ تظنُّ أنّ الفَلَّ[4] طردُ
وما يُدريكَ من يحمِى حماها … ويحضُرُ[5] ذائدا عنها ويبــدو[6]
وإنّ وراءها لقنًا تلظَّى … وأســيافًا وألســنةً تُحَـــدُّ ١٢٧
ومنتقِصَ الطبائع إن أخيفت … لَشَدُّ الأُسْدِ أهونُ ما يَشُـدُّ
اذا صــاح الإباءُ به تنزّى … يُطيع الغيظَ أغلبُ مستبِدُّ
ومشحوذا! من الكَلِم المصفَّى … به الأعراضُ تُفرَى أو تُقَدُّ
اذا عصبَ اللَّهاةَ الريقُ ناضت … دوافقُ منــه واديهـا مُمَدُّ
تحاشَدُ "يعربٌ" إن قال: نصرا … وتغضَبُ بالطباع له "معدُّ"
فما لك — لا أبا لك — نتَّقيها … وفيهـا السيفُ والخصمُ الألدُّ
طغَى بك أنْ ونَتْ عنك القوافى … وخافَ فُتورِها دأبٌ ووخْدُ
لئن دَرِدَتْ فلا يَغررْك منهـا … أراقمُ يزدرِدنَ وهنّ دُرْدُ
وإن نأت البــلادُ برافديهـا … فقــومٌ آخرون لهـا ورِفْدُ
ولم يَقعُدْ عن المعروف جُندٌ … من الكرماء إلا قام جُنــدُ
وكم من حاضرٍ دانٍ كفانى … رجالا لَفَّهُمْ ســفَرٌ وبُعدُ
ولم أعــدَمْ نوالَهُمُ ولكن … وجوهٌ بعــدَها ألمٌ ووجــدُ

---

(١) الأقط : الجبن المتّخذ من اللبن الخاثر . (٢) الجرة : ما يفيض به البعير فيأكله ثانية . (٣) مفللة : مهزومة . (٤) الفلّ : الانهزام . (٥) يحضر : أقام بالحضر .

(٦) يبدو : ينزل البادية .

سقى اللهُ "آبنَ أيوبٍ" سماءً ... تروح سحابُهـا ملأى وتغدو
وإلا ماءُ خـــديه حيـاءً ... وإلا خـــلّةٌ منـــه وودُّ
وأىّ خلالِه كرمًا سـقاه ... كَفى وسقَى نميرٌ منـــه عِدُّ
أخوك فلا تغـيّرِه الليـالى ... اذا لم يُرعَ عند أخيك عهدُ
ومولاك الذى لا الغلُّ (١) يسرى ... به ظَهْرًا ولا الأضغانُ (٢) تحـدو
تَضَـيّفَهُ وأنت طريدُ ليـلٍ ... رمى بك فيـه إقتـارٌ وجهدُ،
وقد ألقت بكلكلها "جُمادَى" (٣) ... لخيط سمائهـا حلٌّ وعَقْـــدُ،
وهبّتْ من رياح "الشام" صرٌّ (٤) ... عسوفٌ (٥) لم تَرضها قطّ "نجدُ"،
وأبوابُ البيوت مقـــرّناتٌ (٦) ... فـــلا نارٌ ولا زادٌ مُعَـــدٌّ،
تجدْ وجهًا يضىء لك الدياجى ... كأنّ جبينَه فى الليـــل زَندُ
وكفًّا تهرُبُ الأزماتُ منهـا ... تَرقرقُ سَـبْطةً والعـامُ جَعدْ
وبِتْ وقِـراك ميسرةٌ وبِشرٌ ... وزادُك نُخبَـةٌ وثراك مَهدُ،
تمـامَ الليلِ وآغدُ بصالحات ... من الأخلاق إن تَركتْك تغدو
شمائلُ أصلُها حَسَبٌ وخِـيرٌ (٧) ... وزهـرةُ فعالِها كرمٌ ومجـدُ
تقلّبــها أبًا فأبًا مـــؤدٍّ ... كما أخَذَ الغـــلا إرثا يُرَدُّ
تَتمُّ به اذا حُسِبَ المسـاعى ... عن الآباءِ عِـــدّةُ ما يُعَـدُّ
تفرّدَ بالمحاسن فى زمانٍ ... تنــكّرَ أن يقـالَ : البدرُ فردُ

---

(١) فى الأصل "الغيل". (٢) فى الأصل "الأظعان"، وقد رجحنا كلمتى "الغل والأضغان" ليستقيم معنى البيت، ومعناه: أن مولاك من لا يتخذ الحقـد ظهرا يركبه ولا يحدوه الضعن فينساق أمامه لاقتراف الشرّ والأذى. (٣) يقال للشتاء عند العرب: جمادى. (٤) الصرّ: الريح الشديدة الصوت والبرد. (٥) العسوف: التى تمرّ فلا يثنيها شىء. (٦) مقرّنات: مشدودة بالحبال كناية عن إحكام إغلاقها، وفى الأصل "مقرّمات". (٧) الخير: الشرف والأصل.

وجاراه عــلى غَرَرٍ رجالٌ   لهم شــدٌّ وليس لهم أشــدُّ
فقصَّر كلُّ منتفخٍ هجينٍ   ومرَّ أقبُّ[1] يطوِى الشوطَ نهدُ[2]
ثقيــلٌ والحلومُ مشعشَعاتٌ   نصيعُ العِرض والأعراضُ رُبْدُ
ملكتُ به المنى وعلى الليالى   ديونٌ بعدُ لى فيــه ووعدُ
وكان نوالُ أقــوامٍ ضمانا   أسوِّفه وجودُ يديه نَقْــدُ
أحــدَّ بنصره نابىَّ حــتّى   فَرَسْتُ به الخطوبَ وهنَّ أُسْدُ
وعاد أشلَّ كفُّ الدهر عنّى   بأنك[3] لى به ســيفٌ وزندُ
فلا يعدَمْك معتمِرٌ[4] غريبٌ   له بك أسوة[5] : صَبْرٌ وحَشْدُ
ولا يَفْقِدْك مــنّى مستضىءٌ   بهَدْيِك فى الظلام وأنتَ رُشْدُ
وردَّ عليك رائحــةً ثنــائى   عزائبَ[6] مثلُها لك يُســتَرَدُّ
خمائصَ أو يَجِدنَ اليك مرعًى   خوامسَ[7] أو لهنَّ نداك وِرْدُ
حواملَ من نتاج الجود ملءَ الـ   ـجيوب فمــالُهــا شكرٌ وحمدُ
من الكلم الذى إن كان حدٌّ   لغاياتِ الفصاحة فهو حــدُّ
سبقتُ به المَقاولَ[8] مستريحا   ففتُّهمُ وقد نَصِــبوا وكدُّوا
تكرُّ عليــك واحدةً ومَثْــنَى   بهنّ وفودُها ما قام ”أُحْدُ“
ليوم المهرجان وكان عُطْلًا   وشاحٌ من فرائدها وعِقْــدُ
سلبتُ الناس زينتَهــا ضنينا   بهــا وبرودُها لك تُستجَدُّ ١٢٨
وأَعتقَنى من الحِرص اقتناعى   بما تُولِى، ومَولى الحرصِ عبدُ

---

(١) الأقبّ : الفرس الدقيق الخصر الضامر البطان . (٢) النهد : الفرس الحسن الجميل .
(٣) فى الأصل ”بآية“ . (٤) المعتمر : الزائر والقاصد للشىء . (٥) الأسوة : ما يتأسى به الحزين . (٦) العزائب : الإبل تبعد عن المرعى ، وفى الأصل ”غرائب“ .
(٧) الخوامس : الإبل ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع . (٨) المقاول جمع مِقول وهو الفصيح المبين .

* * *

وقال يهنئ كمالَ الملك أبا المعالى بن أيّوب بالمهرجان ، ويستوحش لبعد غيبته ، وأنفذها اليه

أمكَنَتِ العـاذلَ من قِيـادِها فانـتزع الرحمـةَ من فؤادِها
ولوَّنت أخـلاقَها فقـد غدا بيـاضُها يشِـفُّ عن سـوادِها
والغانيـاتُ عَطفةٌ وصدْفَـةٌ (١) يُجـنَى لك الحنظلُ من شِهادِها (٢)
لا يملأُ الراقـدُ من أحـلامِهِ إلا كما يملك من ودادِها
أعلَقُ ما كنت بها طماعة أَنصـلُ ما تكونُ من إسـعادِها
مـتى تُكلَّفْ من وفاء شيمـةً تعـدْ الى شيمتهـا وعادِهـا
آهِ عـلى الرقّـةِ فى خـدودها لو أنهـا تسـرى الى فـؤادِها
"بالبـان" لى دَيْنٌ على ماطلةٍ يميس غصنُ البـان فى أبرادِها
سلَّطتِ الوجـدَ على جوانحى تسـلُّطَ الخُلف عـلى ميعادِها
يا طَـرَبًا لنفحـةٍ "نجـديّةٍ" أعدِلُ حرَّ القلبِ باسـتبرادِها
وما الصَّـبا ريحىَ لـولا أنهـا اذا جرت هبَّتْ عـلى بـلادِها
قل لمُحِيضِ العيسِ (٣) أغباسَ (٤) السُّرَى تأكلُ عَرضَ البيـدِ فى إسآدِها (٥)
موائرا ترى السَّـلامَ (٦) رمَضًا (٧) بينَ سُلاماها (٨) الى أعضـادِها
ذُبالُهـا تحت الدجى عيونُهـا لا تستشـيرِ النجمَ فى رَشادِها
تبغِى النـدَى وأين من مُرادِهِ طىَّ الفـلا وأين من مُرادِها

(١) الصدفة : الإعراض والصدّ ، وفى الأصل "صرفة" . (٢) الشِّهاد جمع شَهْد وهو عسل النحل . (٣) العيس : الكرام من الإبل . (٤) أغباس جمع غَبَس وهو ظلام الليل ، وفى الأصل "أعناس" . (٥) الإسآد : السير طول الليل . (٦) السـلام : شجر . (٧) الرمض : حرقة الحرّ . (٨) السُّلامى : عظم فى فِرْسِن البعير أو عظامٌ صغارٌ طول إصبع أو أقلّ فى اليد والرجل .

عِنـدَكَ روضٌ وسحابٌ مغـدِقٌ ... إن صدَقتْ عينُك فى ٱرتيادِها
أيدى بنى "عبدِ الرحيم" أبحـرٌ ... أعـذبَها اللهُ عـلى وُرَّادِها
أيدٍ تَساوَى الجودُ فيها فٱكتفَى ... أَن يسألَ المُعْتامُ(١) عن أجوادِها
سـلالةٌ من طينةٍ واحـدةٍ ... مجموعُها يوجَـدُ فى آحادِها
اِرْمِ بهـم على الليالى تَنتصِفْ ... بهِمْ على ضعفك من شِدادِها
وشِمْهُـمُ على الخطوب تَنْتضِلْ(٢) ... بيضَ "السَّرَيْجيَّاتِ(٣)" من أغمادِها
أُنظرْ اليهـم فى سماواتِ العلا ... مرفوعـةً منهـم على عِمادِها،
ترَ النجومَ الزُّهرَ من وجوههـم ... ثابتـةَ السـعودِ فى أوتادِها
لهـم سناها ثمّ ما ضرّهُـمُ ... نقصانُ ما يَكثُرُ من أعدادِها
أسرةُ مجـدٍ شـهِدَ الفضلُ لما ... عُقِّبَ عنها بعـلا أشـهادِها
حسـبُك من آياتها دلالةً ... أن "كمالَ الملك" من أولادِها
حَىٌّ وقـرْبٌ غُرَّةٌ أبيّـةٌ ... كان النـوى يألَمُ من بعادِها
ما سكَنتْ أرضٌ الى حضورِها ... إلا بكتْ أخرى عـلى ٱفتقادِها
تـودُّ حبّاتُ القـلوب أنها ... — ما سافَرتْ — تكون من أرفادِها
عاد الى الدولة ظـلُّ عزّها ... وقـرّت الأرواحُ فى أجسادِها
وٱمتلأتْ من شُهبها أفلاكُها ... وضُمّت الغيـلُ عـلى آسادِها
يخطبُها قومٌ وفى حِبالكم ... نكاحُها وهـم بنـو سِفادِها
يا عجـزَ من يطمعُ فى قنيصِها ... والليثُ جثّامٌ عـلى مِرصادِها
أنت لها بعـدَ أبيـك ثُغـرةٌ ... غيرُك لا يكون من سِـدادِها

(١) المعتام : المختار . (٢) تنتضل : تجرّد . (٣) السريجيات : السيوف المنسوبة الى قين ٱسمه سريج .

وجهُــك فى ظلمائهـا سراجُهـا ... وكفُّك الذائبُ فى جَمـادِها
صدعتَ بالفضــلِ وكنتَ معجِزا ... تُطيعُك النفـــوسُ باجتهـا ِها
وأذعنتْ طـائعــةً مختـارةً ... بميلهـا إليــك وآنقيـادِها
إنْ ضلَّت الآراءُ باجتماعِها ... كفتْك آراؤك بانفــرادِها
أو عُبِــدَتْ أموالُ قـومٍ، شَرُفَتْ ... نفسُــكَ أن تكون من عُبَّادِها
كفتْكَ كسبَ العــزّ نفسٌ حرةٌ ... أحرزتِ العــزّةَ من ميــلادِها
وقدّمتك — فاجتُبيتَ سـيِّدا — ... أرومــةٌ طرفُك من تلادِها (١٢٩)
تُعــدِى معـاليها الى أبنـائها ... على زمان "هودِها" و"عادِها"
لكم قُــدامَى الأرضِ أو سُــلافُها ... كنتم رُبًّا والنـاسُ فى وهادِها
وجمّــةُ الملك تجِــمُّ لكُمُ ... ما طاب وآســتَغزَرَ من أورادِها
اذا نطقتم ســكتَ النـاسُ لكم ... على قُوَى الأنفـاسِ وآمتــدادِها
كـأنمـا ألســنُكم لهـاذمٌ(١) ... على القنـا تُشرَع فى صِعادِها
ميمـــونةُ النَّقْبـــة(٢) أين وُجِّهَتْ ... حَلّتِ المزنُ عُرى مزادِها
وإنْ سُــئلتم لم تَروا أموالَكم ... ناميــةً إلا عـلى نفـادِها
هَنَـا المعالى منــك يا خيرَ أبٍ ... يُكنَى بهـا جمعُــك من بدادِها
ذاك، وسلْ مذ غبتَ عن نفسى وعن ... ضراعـــةٍ لم تكُ فى آعتيـادِها
ونبـــوَةِ الأعينِ عـنّى فيكُمُ ... كأننى صُــيِّرتُ من سُهادِها
أَحَّرتُ نفسى بل قعدتُ حَجْــرةً(٣) ... مزمَّــلا بالذلّ فى بِجادِها(٤)
مخفِّضا قــولى متى قيـل : صَهِ ... خشعتُ بينَ هامِهـا وصادها

(١) اللهاذم جمع لَهذَم وهو السنان . (٢) النقبة : الوجه . (٣) حجرة : ناحيــة .
(٤) البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب .

بينَ رجالٍ كَمَنَتْ فضائلي عنهمْ كُمونَ النارِ في زنادِها
لم أرجُهُم وليتني لم أخشَهم، قلوبُهم تئنُّ من أحقادِها
تسلُقني باللوم فيكمُ ألسنٌ أقوالُها تصغُر في اعتقادِها
فكيفَ ـ معْ قناعتي ـ ظنُّك بي هل كان إلا المصَّ من ثمادِها
خلَّفتني جوهرةً ضائعةً بقلّةِ الخبرةِ من نُقَّادِها
لا حظَّ لي أرجوه عند غيركم من عُدَّةِ الدنيا ولا عَتادِها
تسكُنُ أحشائي الى حِفاظكم سكونَ أجفاني الى رقادِها
أنتم لنفسي في الحياة وبكم أنتظر العَونَ على مَعادِها
فأين كان صبرُكم على النوى من عَركها الصبرَ ومن جهادِها
وهل ـ وقد أمرضها بعادكم ـ كنتم بعَطفِ الذِّكْرِ من عُوّادِها؟
بلى! لقد واصلَها ما بلَّها من عَونِ أيديكم ومن إرفادِها
وقمتُمُ على النوى بلفتةٍ من نصرها شيئا ومن إنجادِها
فاغتنموا الآنَ تلافِي نقصِها في سَعةِ الأيّام وازديادِها
وعند نعماك لها إنْ قُضيتْ دَينٌ عليه جُملةُ اعتمادِها
مؤجَّلا قبلَ النوى وبعدَها من طارف الرسوم أو تِلادِها
فوكِّل الجودَ على نفسك في قضائها ومُرْهُ بافتقادِها
واعلم بأنّ الحالَ في تسويفها تَضيقُ حتى الوعد في إبعادها
واسلم لها واسع بها سوائرًا(١) بعفوها منك وباجتهادها
لك الطويلُ الشوطِ من خيولها فليس ترضَى لك باقتصادِها
لها بطونُ الأرض بل ظهورُها تصوَّبَتْ أو هي في إصعادِها

---

(١) هذه الكلمة وردت بالأصل هكذا ”سوا“ .

رَجْلَى ولا يعلَقُها ركبُ الفلا ... بإبلِ البيدِ ولا جِيادِها

تَسترقِصُ الأسماعَ أو تخالَنى ... أستخلفُ "الغريضَ" (١) فى إنشادِها

كأنّها على الطروس أنجمٌ ... لألأتِ الخضراء (٢) بآتقادِها

يكاد أن يبيضَّ من نُصوعها ... ما سوَّد الكاتبُ من مدادِها

تنفَّسُ الأيّامُ عن صوابِها ... فى وصف نُعماكم وفى رشادِها

ما دمتُمُ حَلْيا لمهرجانها ... فينا وتيجانا على أعيادِها

* * *

وقال وكتب بها الى ناصر الدين بن مُكرَم يشكر ما تقدّم من إنعامه، ويتنجَّزه الكريم من عاداته، وأنفذها اليه بعمان

هل تحت ليلك "بالغضا" من رائدِ ... يقتاف آثارَ الصباحِ الشاردِ؟

هيهات تلك نَشيدةٌ ممطولةٌ ... عند الغرام على المحبِّ الناشدِ

وكفاك عجزا من شجىٍّ ساهرٍ ... يرجُو الرِّفادةَ (٣) من خلىٍّ راقدِ

يا إخوةَ الرجلِ الغنىِّ أصابَ ما ... يبغِى وأعداءَ المُقِلِّ الفاقدِ

(١٣٠) صاحبتُ بعدكم النجومَ فكلُّكم ... إلبٌ (٤) علىّ وكلهنّ مساعدى

فاذا ركدن فمن تحيُّرِ أدمعى ... واذا خفقن فمن نُبُوِّ وسائدى

دُلُّوا علىَّ النومَ، إن طريقَه ... مسدودةٌ بعواذلى وعوائدى

وعلى الثنيَّةِ "باللوى" متطلِّعٌ ... طِلْعِى بمَربأة الرقيب الراصدِ

يَقِظٌ اذا خاف الرقيبَ تخطَّأتْ ... عيناه عن قلبٍ مُريدٍ عامدِ

(١) الغريض : هو مغنّ اسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد ولُقّب بالغريض لأنه طرىٌّ الوجه غضُّ الشباب، والغريض لغةً الأبيضُ الطرىّ من كلّ شئ . (٢) الخضراء : السماء . (٣) الرفادة : المعونة . (٤) الإلب : القوم يجتمعون على عداوة إنسان .

متجاهــلٌ ما حالُ قلبى بعــدَه ... جهــلَ العلــيم وغائبٌ كالشـاهدِ
والى جَنـوب "البـانِ" كلّ مُضرَّةٍ ... بالبـان بيـن موائسٍ ومــوائد
يمشين مشى مَهِا "الِجواءِ" تخالَتْ ... عنهنّ غيطانَ النقـا المتقـاودِ (١)
متقـلداتٍ بالعيون صـلائفًا ... وطُلًى ولم يحمِلن ثِقـلَ قـلائد
نافثتهنّ السحرَ يوم "سويقــةٍ" ... فاذا مَكايدهنّ فـوق مَكايدى
كنتُ القنيصَ بما نصبتُ ولم أخلْ ... أنّ الحبالة عُقـلةٌ للصائدِ
أنكرتُ حلمى يومَ "بُرقةِ عاقلٍ" ... وعرفتُـه يوم اللقـاءِ "بغامدِ"
وجعلتُ سمعى من نبال عواذلى ... غرضَ الغـرورِ لكلِّ سهم قاصـدِ
القلبُ قلبُكَ فامض حيث مضى الهوى ... بك من مضِــلٍّ سعيُهُ أو راشــدِ
ما دام يدعـوك الحسانُ فتًى وما ... دام الذوائبُ فى قِـرابِ الغامــدِ
فوَراء يومك من صِــباك ضُحَى غدٍ ... وعدٌ يسوءُك منــه صـدقُ الواعدِ
ولقــد سريتَ بليـلهِ وبصبحه ... فَخِماً وفى لَهَبِ البياض الواقـدِ
فاذا المشـيبُ مع الإضاءة حــيرةٌ ... واذا الشـبابُ أخو المضلّ الواجدِ
ومطيّــةٍ للّهــوِ عزّ فَقـارُها ... وصليفُهـا (٢) عن راكبٍ أو قائـدِ
ممـا آحتمَى من رحله بِقماصــهِ ... ومن الِخشـاش بأنفـه المتصايدِ
أعيا على ركب الصِّـبا أن يظفروا ... بمَغـالقٍ من غَرْزِها (٣) ومَعاقــد
قد رُضْتُهـا فــركبتُ منهـا طَيِّعا ... ينصاعُ بين مَراســنى ومَقاودى
وأخٍ رفعتُ له بحيَّ عـلى السُّــرى ... والنجمُ يســبحُ فى غــديرٍ راكدِ،
فوعَى فهبَّ يحُــلُّ خيـطَ جفونهِ ... بالكُرهِ من كفِّ النُّعاس العـاقد
غيرانَ قام على الِخطار مسـاعدا ... نصرَ الحسـامِ رفــدتهُ بالسـاعدِ

(١) المتقاود : المستوى . (٢) الصليف : عرض العنق . (٣) الغرز : ركاب الرحل .

حتى رجمتُ الليــلَ منــه بكوكبٍ ... فتقَ الدجَى وأضاء وجهَ مَقاصــدى
فردْينِ سَومَ الفــرقدين تمــايلا ... مســتأمنين على طريق واحــدِ
ومحجَّبٍ تدع الفــرائصَ هيبــةً ... أبوابُه من خافــقٍ أو راعــدِ
تتســابقُ الجَبَهاتُ دون سريرِه ... للفوزِ بين معــفَّرٍ أو ســاجدِ
لا تطمعُ الأقدارُ فى آســتنزاله ... بضــعائفٍ منهــا ولا بجــلائدِ
أذِنَتْ عليــه وســائلى وترفَّعتْ ... أســتارُه لمَقاصــدى وقصــائدى
وبعثتُ غُرَّ قلائدى ففتحنَ لى ... أبــوابَه فكأنهنّ مَقــالدى
"كعانَ" أو مَلِكٍ "عُمانٌ" دارُهُ ... دانى النوالِ على المَـدى المتباعِدِ
رانٍ علىّ عــلى آرتفــاع سمــائه ... بَرٍّ بوفــدِ مــدائحى ومَحامــدى
بعثتْ بصــيرتُه نَفَاقى[(١)] عنــدَهُ ... والشــعرُ يُبْضَعُ فى أوانٍ كاســدِ
وقضَى عــلى أنى الوحيــدُ بعلمــهِ ... فكفَى بذلك أنه من شــاهدى
ســبق المــلوكَ فبــذَّهم متمهلا ... جاروا ومَرَّ على الطــريق القاصــدِ
ومضَى عــلى غُــلَوائهِ متســنِّما[(٢)] ... لم تَرتفقْ[(٣)] مَســاعاتُه بمُعاضــدِ
طيّانَ[(٤)] لم يقضِ البوازلَ قبــلَه ... جَــذَعٌ ولم يُطِلِ القيامَ بقــاعــدِ
نَسَبَ السماءَ، يريد أين فخارُها ... منــه، فباهلَهــا بفخــرٍ زائدِ
وسمــا يمــاجــدُ قومَه بنجومهــا ... فثَــنَى ولم يظفَــرْ بنجمٍ ماجــدِ
غرسَ المعالَى "مُكــرَّمٌ" فى تربهــا ... فجنت حــلاوةَ كلّ عيشٍ باردِ
حَجْرًا عــلى الأقــدارِ فيما نفَّــذَتْ ... أحكامَها من صــادرٍ أو واردِ
لن تعــدَم الآفاقُ نجما طالعــا ... منهــا ينــوّر إثرَ نجــمٍ خامــدِ

---

(١) النفاق : الرواج . (٢) فى الأصل "متبسم" . (٣) ترتفق : تستعن .
(٤) الطيان : الطاوى وهو الجائع .

فالسـيفُ منهـم فى يمين المنتضِى كالسيف منهـم فى يمين الغامدِ
هم ما هُمُ ! وتفـرّقت آياتُهـم فى المجـد ثم تجمّعتْ فى واحـدِ
أحيت لهـم أيامُ محيي الأمّـةِ الـ معافى وهبَّتْ بالرّقودِ الهـاجـدِ (١٣١)
وتسنّمتْ دَرَجَ السماء بِذكرهـم أيامُ آثارٍ لهـم ومَشـاهـدِ
وإلى " يمين الدولة " افتقرت يدٌ فى الملك لم تُعضَدْ سـواه بعاضـدِ
نظمَ السياسـةَ مالكٌ أطرافَهـا لم تستعِنْ عَزَماتُه بمُرافِـدِ
وأقامَ ميـلَ الدولتين مؤدِّبٌ بثقافِـه خَطَـلَ الزمانِ المائدِ
سبقَ الرجالَ بسعيه وبقـومه والمجـدُ بين مَكاسبٍ ومَـوالدِ
جَرت البحارُ فما وفت بيمينـه فكأنَّ ذائبَها يُمَـدُّ بجامـدِ
ضنَّتْ بجـوهرِها وما فى حِرْزِها من مُنفساتِ ذخائرٍ وفـوائدِ
فاستخرجتْها كفُّه وسـيوفُه فسخَتْ بها لمؤمِّـلٍ ولرافـدِ
نامَ الرعاةُ عن البـلادِ وأهلِها عجـزا وعيناه شِهابًا واقـدِ
وحَمَى جوانبَ سَرحِـهِ متنصِّفٌ للشـاء من ذئب الغضا المستاسِـدِ
واذا الأسـودُ شممن ريحَ عرينـه كانت صوارِمُـه عِصِيَّ الذائد
ما بين " سَرَبْزَةٍ "(١) الى ما يَستقِى " وادى الأُبُـلَّةِ " هابطا من صاعدِ
يقظانُ يضرب وهـو غيرُ مبارِزٍ عزما ويطعن وهو غير مُطارِدِ
كفٌّ له تَحمِى وسيفٌ يُنتضَى ولحـاظُ راعٍ للرعيّـةِ راصـدِ
واذا بغَى باغٍ فبـاتَ يرومُـه باتت صوارمُـه بغـيرِ مَغامـد
ومطـوِّحٍ ركِبَ الخِطار فردَّه أعمى تحـيَّر ماله من قائـد
كفَّ الرِّعاعَ وجاء يطلبُ حاجـةً عسراءَ فى كفِّ الهمامِ اللابد(٢)

(١) سربزة : جزيرة فى أرض الهند يجلب منها الكافور . (٢) فى الأصل " اللائد ".

يَرمِى الكواكبَ وهى سعدٌ كلُّها ... بمَناحسٍ من جَدّه ومَناكِدِ
جُنَّتْ به الأطماعُ فٱستُغوِى بها ... يصبو الى شيطانها المتماردِ
خُبِّرتُه يبغِى "عُمانَ" وأهلَها ... فعرفت مَصدَرَه بجهل الواردِ
لم يُنجِه والموتُ فى حيزومِه (١) ... ما ضمَّ من حَفْلٍ له ومَحاشد
جمحَتْ به غَرّارةٌ من حَيْنه ... قذفتْه فى لَهَواتِ صِلٍّ زاردِ (٢)
نُسِفَتْ بأطراف الرماح جنودُه ... طَوْحَ السنابِلِ (٣) عن شفارِ الحاصد
من راكبٍ — وفؤادُه من صخرةٍ — ... جَوفاءَ (٤) أمَّ فواقِرٍ وأوابدِ (٥)؟
حدباءَ تسلك من عثار طريقها ... حُدْباً ذواتِ نواقصٍ وزوائدِ
فتظلّ طورا فى عنانِ سمائها ... صُعُدًا وطورا فى الحضيض الهامدِ
تَختبُّ قامصةً ولم تطأ الثرى ... وتظلُّ لا فى سبسبٍ وفدافدِ
يظمَا بها الركبانُ وهى سوابحٌ ... فى غامرٍ تيّارُه متراكِدِ
شنعاءَ لو طَرَقَ الخَيالُ بمثلها ... عينى لما أطبقتُ مقلةَ راقدِ
بلِّغْ — وليتَ رسائلى تقتصّها ... شفتى وغائِبَ المؤخَّر شاهدى —
أو ليت قلبى كانَ قلبَك أصمعًا (٦) ... فى أضلعٍ صُمِّ العظامِ أجالدِ
فأخوضَ بحرا من حميمٍ آجنٍ ... يُفضِى الى البحرِ الزُّلالِ الباردِ
قل إن وصلتَ "لناصر الدين" ٱستمع ... فِقَرًا تُجَمِّعُ كلَّ أنسٍ شاردِ
يا خيرَ من حَمَلتْ ظهورُ صواهلٍ ... فى المُلك أو ضمَّتْ صدورُ وسائدِ
وتعصّبُتْ بالنور فوق جبينه ... عَذَبُ (٧) اللواء تَحُفُّ تاجَ العاقدِ
أنا عبدُ نعمتك التى شُكِرَتْ اذا ... ما نعمةٌ نيطت بآخرَ جاحدِ

(١) الحيزوم : وسط الصدر . (٢) زارد : اسم فاعل من زرد الشىء : بلعه . (٣) فى الأصل "السنابك" . (٤) يريد بالجوفاء السفينة . (٥) الفواقر والأوابد : الدواهى .
(٦) الأصمع : الذكىّ . (٧) العذب جمع عذبة وهى خرقة تلفّ على رأس الرمح .

أغنيتنى عن كلّ مذمومِ الجَــدَا ألقـاه مضْطَرًّا بوجــهٍ حامــدِ
ونفضتَ عن ظَهرِى بفضلك ثِقلَ ما أوعيتُ من نُوبٍ علىّ شــدائدِ
كان الزمانُ يُسِرُّ لى ضِغْنا فقد أصلحتَ لى قلبَ الزمان الفاســد
وحفظتَ فىّ تكرُّما وتفضُّــلا ما أذكَرتْكَ قــدائمى وتلائدى
ذِمَمٌ لو آعتَصَمَ العُــداةُ بمثلها عقــدوا بهنّ لديك خــيرَ مَعاقدِ
ومن الذى يُرعَى ســواك لنـازح عن لحظه نائى المحــلّ مُبـاعدِ
متناقِص الخطــواتِ عنك ذكرُتَهُ فى سَكرةِ المُلْكِ العظيمِ الزائــدِ
أوليتَنى فى آبنى ونفسى خــيرَ ما أوليتَ فى ولدٍ شــفاعةَ والدِ
فلذاك كرَّ على مشقّة طُرقــهِ وكررتُ أطلبُ من نداك عــوائدى
تُعطى المــنى ونعــود نسألُ[(١)] ثانيـا فتعــود حبّـا للســماح العائدِ (١٣٢)
وتمــوتُ حاجتنا وينفَــدُ فقرُنا وسـؤالنـا ونداك ليس بنافــدِ
فاحكم بسنَّتك التى شَرَعَ النــدى لك شرعَها حُكمَ القــديرِ الواحــد
كَفِّلْ علاك بحاجتى واكفف يدى عن كلّ جَعد الكف جَعد الساعدِ
فالنـاسُ غيرَك من تضيق مجَالتى فيه وتُقتــل بالمِطالِ مَواعــدى
صنْ عنهــمُ شَــفَتى ودعنى واحــدا فى الدهر أشربْ من قَلِيبٍ واحــدِ
حاشا لمجــدك أن تُســدَّدَ خَلَّتى بمُشــارِكٍ لك فىّ أو بمساعــدِ
وآنصِتْ لهـا غُررًا لمدحك وحــده يُنظمنَ بين قــلائدٍ وفرائــدِ
من كلّ مخــلوعٍ لصادقِ حسنها فيهــا عــذارُ العـابدين لعابــدِ
عــذراءَ مفضوضٍ لديك ختامُها ، ما كلُّ عــذراءٍ تُزَفُّ بناهــدِ
تجلو عليك بيوتُهـا ما أُنشِــدت حــوراءَ ذات وشائح وقلائــدِ

(١) فى الأصل "وتعود سأل" .

كعقيلة الحىّ الحُــلولِ تمشّت الـ ـخُيَلاءَ بين وصائفٍ وولائــدِ
مما سبقتُ بخاطرى أمّاتِها وحويتُــهُ برقاىَ أو بمكايدى
خضعَ الكلامُ لمعجِــزى فى نظمِها فعنا لهــا من راكعٍ أو ساجــدِ
قد آمنَ الشــعراءُ بعــد فسوقهم بدلائلى فى فضلهــا وشــواهدى
وأطاع كلُّ منافق إن سَــره أو ساءه وأقــرَّ كلُّ معانــدِ
فاعطفْ لمهديها وحامــلِ تربِها وٱحمــلْ له حقَّ السفيرِ الرائــدِ
وٱردُدْهُ عن عَجَــلٍ كما عودّتَه برواجعٍ من نعمتيك ردائــدِ
وٱشــدُدْ يدًا بالخافقين مملــكا عنقيهــما من أتهُــمٍ ونجائــدِ
فى دولةٍ أختِ السعودِ وعــزّةٍ أمِّ النجــوم وعمــرِ ملكٍ خالدِ

***

وقال وكتب بها الى الوزير كمال الملك أبى المعالى

تهوَى ــ وأنت مُحلَّأٌ(١) مصدودُ ــ ماءَ "النَّقيب"، وإنه موردوُ
ويُقرّ عينَك ــ والوصالُ مصوّحٌ ــ غصنٌ يرفُّ على الحمى ويميــدُ
واذا رغبتَ الى السحاب لحاجةٍ لك مايصوب على "الغضا" ويجودُ
ما ذاك إلا أن عهــدَك لم يحُــلْ أفــا لحىٍّ فى "النخيــل" عهودُ ؟
ومن الشقاوة حافظٌ متجنّبٌ يقضى عليــه غادرٌ مــودودُ
قَسَما ــ ولم أُقسمْ بسكّانِ الحمَى عن رِيبــةٍ لكنه تأكيــدُ ــ
لهُمُ ــ وإن منَعوا ــ مكانُ مَطالبى وهُمُ ــ وإن كرِهوا ــ الذين أريدُ
أتنسَّمُ الأرواحَ وهى رواكدٌ منهم وتُجــدِبُ أرضُهم فأرودُ
وأكذِّبُ الواشى الىّ بغــدرهم وعلى الحــديثِ دلائلٌ وشهودُ

(١) المحلأ : الممنوع عن المـاء .

فهم الصـــديقُ ولا مودةَ عندهم ... وهم الأقاربُ والمزارُ بعيـــدُ
و" بأيمَنِ العلَمين " من أبياتهـــم ... ظبيٌ يُصادُ الظبيُ وهو يَصيـــدُ
لاهٍ اذا جمع الرجالُ حلومَهـــم ... حل العـــزائمَ خصرُهُ المعقودُ
يَرمِي القلوبَ وما دمٌ بمطـــوَّحٍ ... ما لم تُرِقه مقـــلةٌ أو جيـــدُ
وعدَ الوفاءَ وليس منـــه فغرَّنى ... ومن السرابِ اذا آغتررتَ وعودُ
أعنو له وأنا العـــزيزُ بنفســـه ... وألينُ عمـــدا والفؤادُ جليـــدُ
واذا عزفتُ فتُبتُ من دِينِ الهوى ... جذبَ الغـــرامُ بِمقوَدى فأعودُ
ولقد أحنّ الى "زرودَ" وطينتى ... من غير ما فُطرتْ عليه "زرودُ"
ويشوقُنى عَجَفُ(١) "الحجازِ"، وقد ضفا(٢) ... رِيفُ(٣) " العراق " وظلُّه المـمدودُ
ويُطَرِّبُ الشـادى فـلا يهتزُّنى ... وينـالُ منّى السائقُ الغِـرّيدُ
ما ذاك إلّا أنّ أقمـارَ الحمى ... أفلا كُهنَّ اذا طلعنَ البيـــدُ
طفِق العذولُ ــ وما آرتفدتُ برأيه ... فيهن ــ يُبـدِئُ ناصحا و يعيـــدُ
فأنا الذى صدعَ الهوى فى أضلعى ... ما لا يَلُمُّ العـــذلُ والتفنيـــدُ
ياصاحِ ، هل لك من خليلٍ مؤثِرٍ ... راضٍ بأن يشــقى وأنت سعيدُ؟
متقلقلٍ حـــتى تقــرَّ، وربّمـا ... بَـقَّى رقادَك سـاهرٌ مجهـــودُ
يَلقَى القواذعَ(٤) أو يقيك لسـانُه الـ ... ـمشهورُ فيـك وعزمُه المشدودُ
كذُبالةِ(٥) المِصبـاحِ أنت بضوئهـا ... فى الليـــلة الظلمـاء وهى وَقـودُ
من دون عِرضك نَثْلَةٌ(٦) منضوضة(٧) ... منـــه و إن لم يقضها(٨) " داودُ " ١٣٣

(١) العجف : ذهاب السمن وهو هنا كناية عن الجدب . (٢) ضـفا : فاض وسبغ .
(٣) الريف : ما أخصب من الأرض وكثر زرعه . (٤) القواذع جمع قاذعة وهى الهجر والشتيمة .
(٥) الذبالة : الفتيلة . (٦) النثلة : الدرع الواسعة وفى الأصل " شَلَّة " . (٧) فى الأصل مغضوضة . (٨) داود هو داود النبي عليه السلام وكان مشهورا بعمل الدروع و إحكامها .

قلَّ الثِّقاتُ فإن عَلِقتَ بواحدٍ ... فاْشدد يديك عليه فهو وحيدُ
لا يُبعِدِ اللهُ الألى حفِظ العلا ... بيتٌ لهم حولَ النجوم مَشِيدُ
واذا ٱقشعرّ[1] العامُ أغدقَ من ندَى ... أيديهم الوادى ورَفَّ العودُ
واذا سرى نقصُ القبائل أقبلتْ ... تَنْمِي المكارمُ فيهُمُ وتزيدُ
لا يعدَمُ الجودَ الغريبُ ومنهُمُ ... شخصٌ على وجه الثرى موجودُ
بيتٌ ، بنو عبدِ الرحيم طُنوبُهُ ... وأبوهُمُ ساقٌ له وعمودُ
تطغى رياحُ البِرّ فيه عواصفا ... ولها بأثناء[2] البيوت ركودُ
مِن حولِه غُررٌ[3] لهم وضّاحةٌ ... تبيضّ منهنّ الليالى السودُ
واذا أناخ به الوفودُ رأيتَهم ... ـكرما ـ قياما والوفودُ قعودُ
فاذا أردتَ طُروقَهُ لملمّةٍ ... "فأبو المعالى" بابُهُ المقصودُ
جاراهُمُ فأراك غائبَ أمسهم ... ـ رؤيا الزيادة ـ يومُهُ المشهودُ
ومضَى يُريدُ النجمَ حتى جازه ... شوطا ، فقال النجمُ : أين تريدُ؟
شرَفٌ "كمالُ المُلك" فى أطرافه ... حامٍ عن الحسب الكريم يذودُ
فصَحَ[4] البوازلَ وهو قارحُ عامه ... وأجابَ داعى الشَّيبِ وهو وليدُ
يقظانُ يقدَح فى الخطوب بعزمةٍ ... تسرى به وبنو الطريق هُجودُ
عَشِقَ العلا وسعَى فأدرك وصلَها ... متروِّحا وحسودُه مكدودُ
ووفَى بأشراطِ الكفايةِ داخلا ... من بابها ورِتاجُها[5] مسدودُ
عبِقٌ بأرواح السيادة عِطفُه ... فكأنه فى حِجرها مولودُ
لو طاول الغُمْرُ[6] المغفَّلُ خُلقَه ... شيئا تعلَّم منه كيفَ يسودُ

(١) اقشعرّ : لم يُصبْ ريًّا . (٢) فى الأصل "بأبيات" . (٣) فى الأصل "له".
(٤) فَصَح : من قولهم : فَصَحه الصبحُ بمعنى بان له وغلبه ضوءُه . (٥) الرتاج : الباب العظيم .
(٦) الغمر : الجاهل الأبله .

هَشٌّ لصدر اليوم إمَّا مالُه ... فيه وإمّا قربُه المنقودُ
لا قبلَ نائله اذا سُئل الندى ... وعدٌ ولا قبلَ اللقاءِ وعيدُ
واذا الخلالُ الصالحاتُ تكاملتْ ... فهى الشجاعةُ أو أخوها الجودُ
أفنَى الثراءَ على الثناءِ وعلمُهُ ... أنّ الفَناءَ مع الثناء خُلودُ
ولربّما بُلِي البخيلُ بموقِفٍ ... يُخزيه فيه مالُهُ المعبودُ
لك من خلائقه اذا مارستَه ... جنبانِ ذا سهلٌ وذاك شديدُ
فمع الحفيظة قسوةٌ وفظاظةٌ ... حتى كأنّ فؤادَه جُلمودُ
ومع المودّة هِزّةٌ وتعطّفٌ ... فتقول : غصنُ البانة الأُملودُ
يا أُسْرَةَ المجدِ التى لم تنتبهْ ... عن مثلها الأيامُ وهى رُقودُ
كُفِىَ الزمانُ العَينَ فى أعيانكم، ... إن الزمانَ عليكُمُ محسودُ
لولاكُمُ نُسِىَ الثناءُ ولم يكن ... فى الناس لا رِفدٌ ولا مرفودُ
ولكان قُلُّ الفضلِ أو ميسورُهُ ... يفنَى فَناءَ كثيرِه ويَبيدُ
بكُمُ رددتُ يدَ الزمانِ، وباعُهُ ... متوسِّعٌ بمَساءتى ممدودُ
وحَمَلتُ مضعوفا ثقائلَ خطبه ... وهى التى تُوهِى القُوَى وتؤودُ
وخلطتمونى بالنفوس فمن يقعْ ... جُنُبًا(١) فإنى منكُمُ معدودُ
واذا تلوّنَ معشرٌ بتلوُّنِ الدُّ ... نيا فعهدِى فيكم المعهودُ
وعُنيتَ أنت بخَلَّتى فسددتَها ... ونظمتَها بالجودِ وهى بديدُ
واذا تقاعدَ صاحبٌ عن نُصرتى ... فالنصرُ حظّى منكَ والتأييدُ
فلأجزينَّك خيرَ ما جازَى آمرؤٌ ... وجدَ المقالَ فقالَ وهو مُجيدُ
مما يُخالُ قوافيا ومعانيا ... بالسمعِ وهو حَبائرٌ وبُرودُ

(١) جُنُبًا : بعيدا غريبا .

ويكون زادَ السَّفرِ(١) فى ليل الطَّوَى ... ويقادُ تتبعـــه المهارى القُــودُ
من كلِّ مخـلوعٍ عِذارُ محبِّهـا ... فيهـا ومعـــذورٍ بهـا المعمودُ
وكأنهـا بين الشفاهِ قصـائدًا ... فــوق النحــورِ قلائدٌ وعقــودُ
عذراء تحسُدها ــ اذا أنصفتَهـا ... أوقاتَهـا منك ــ الكعابُ الرودُ
يحثُّها شــوقا لك النــيروزُ أو ... يأتى فيُطلِعَها عليــك العيــدُ
لك من بشائرها الخلودُ ودولةٌ ... تمضى بهـا الأيَّامُ ثم تعــودُ
ما أحسبُ الدنيا تطيب وأمرُها ... إلّا الى تدبيركم مردودُ
فبقيتم والحاسـدون علاكُمُ، ... لا خــيرَ فيما ليس فيــه حسودُ

(١٣٤)

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى عيد النحر يهنّئه، ويعرِّض بذكر بعضِ من جهِلَ قضاءَ حقِّه، ولم يُجازِ خدمتَه عند السلاطين

أنشُدُ(٢) من عهد "ليلَى" غيرَ موجودِ ... وأقتضِـيها مُعـارا غــيرَ مردودِ
رِضًا "بليلَى" على ما كان من خُلُقٍ ... جَعْــدٍ ونَيــلٍ كثيرِ المَنّ معــدودِ
من العــزيزات(٣) أنسابًا وأخبيةً ... فى صفوةِ البيتِ حلَّتْ صفوةَ البيــدِ
محبُّهـا قــد قضى فى كلِّ معــركةٍ(٤) ... قصيّةٍ عن بلاغِ الأينُــقِ القُــودِ
تُقَــتَّلُ من غيرِ ذُلٍّ عنــد أُسرتهـا ... بين القبابِ المنيعاتِ الأباديدِ(٥)
كم ليــلةٍ قد أرتنى حشوَها قمــرا ... وجوهُها البيضُ فى أبياتِهـا السُّــودِ

---

(١) السفر: المسافرون. (٢) دخل على هــذه الكلمة الزحاف المطوىّ وهو حذف الرابع الساكن وقد ورد كثيرا فى الشعر ومنه لمهيار أيضا فى نفس هذه القصيدة قوله

* أملس لا عرضه الوافى بمنتقص *

(٣) فى الأصل "العريرات". (٤) لعله يريد كلّ معركة من معارك الحب التى لا تخوض غمارها النوق لبعدها عن المعارك الحقيقية. (٥) الأباديد: المتفرقة.

من كلِّ هيفاءَ إلا الرِّدفَ تحسبهُ غصنا من البان معقودا بجُلمودِ
ما مستقيماتها للريح مائلةٌ لكن براهينُ عِزٍّ لى المواعيدُ
لُثْنَ العناقيدَ(١) فوقَ الخُمْرِ(٢) واختلفت شِفاهُهنَّ على ماءِ العناقيدِ(٣)
ورُحن يرمِين بالألحاظ مقتنصًا فما تصيَّدن إلا أنفُسَ الصِّيد
يا ليلَ(٤)، لو كان داءٌ تقتُلين به داويتِه كان داءً غيرَ مقصود
اليأسُ أروحُ لى والصبرُ أرفقُ بى من نومِ ليلكِ عن همِّى وتسهيدى
ما ماء "دِجلةَ" ممزوجا بغدركُمُ وإن شفَى باردًا عندى بمورودِ
ولا صَبَا أرضِكم هبَّت تروِّحنى وفاءَ وعدٍ لكم بالمطلِ مكدودِ
حسبي! سَمَحتُ بأخلاقى فما ظفِرت فى الناس إلا بأخلاقٍ مَناكيدِ
وصاحبٍ لينُ أيَّامِى وشدَّتُها فَرقٌ له بين تقريبى وتبعيدى
يمشى ابنَ دأيةَ(٥) فى ظلِّ الرجاءِ معى وفى النوائبِ يعدو عدوةَ السِّيدِ(٦)
وواسعِ الدار عالى النارِ يُوهمنى خِصبَ القِرَى بين مبثوثٍ ومنضود
يهوَى الأناشيدَ أن يكذِبَ سُمعَتَه ولا يَهَشُّ لأعواضِ الأناشيدِ
أغشاه غِشيانَ مجلوبٍ يُغَرُّ بما رأَى وأُصرَف عنه صَرفَ مطرودِ
يجُودُ مِلءَ يدى بالوعد يمطُلُه والمطلُ من غير عُسرٍ آفةُ الجودِ
فَدَى الرجالُ ــ وإن ضنُّوا وإن سمحوا ــ فتًى يهونُ عليه كلُّ موجودِ
لا يحسب المالَ إلا ما أفاد به ثناءَ محتسبٍ أو ذِكرَ محمودِ
كم جَرَّبَ المدحُ أملاكا وجرَّبه فصبَّ ماءً وحَتُّوا من جلاميدِ
أملسُ لا عِرضُه الوافى بمنتقَصٍ يوما ولا مالُه الواقى بمعبودِ

(١) يريد بالعناقيد الغدائر. (٢) الخمر جمع خِمار وهو شبه النقاب. (٣) يريد بماء العناقيد الخمر. (٤) يريد يا ليلى. (٥) ابن دأية: الغراب. (٦) السيد: الذئب.

مَن سائلٌ بالكرام السابقــين مَضَوا ... وخلَّفــوا الذِّكرَ من إرثٍ وتخليـــدِ؟
هذا "الحسينُ" نخذ عينًا ودعْ خَبرًا ... من الروايات عنهـــم والأسانيـــدِ
من ساكنى الأرضِ قبلَ الماءِ من قِدمٍ ... وعامريهــا وما ذَلَّت لتشــييدِ
كم حاملٍ منهـــمُ فضلًا، حمائلُهُ ... تُحَــلُّ عن عاتق بالتاج معــقودِ
لم يبرحوا أجبُــلَ الدنيا وأبحرَها ... أصلَيْن من شاهقٍ منهــا وممــدودِ
وحسَّنوا فى الندى أخلاقَ حلمهمُ، ... إنَّ الندى فى النُّهى(1) كالمـاء فى العودِ
يا آل "عبدِ الرحيم" آختار صُحبتَكم ... تأنُّـــقٍ فى آختياراتى وتجـــويدى
أُحِبُّكم وتُحبُّـــونى وما لَـــكُمُ ... فضـــلٌ ورُبَّ ودودٍ غــيرُ مودودِ
قرابةٌ بيننا فى "فارسٍ" وَصـفتْ ... عنّى وعنكم طهاراتِ المواليــــدِ
لا زال مـدحِىَ مـــيراثا يقابلكم ... عــنّى اذا الشــعرُ فى آذانكم نُودى
بكلِّ حســناء لو أحفَشــتُها(2) برزتْ ... للخــاطبين بروزَ الغــادةِ الرُّودِ(3)
من نسج فكرى تردّ العارَ دونكُمُ ... ردَّ السهام نبتْ عن نسج "داودِ"
ما أنبتتْ لِىَ شَجْـراءُ الرجاء بكم ... خِصــبا وما كرَّ دهرٌ عـودةَ العيــدِ
وما تبــاحُ المُــدَى مشــحوذةً أبدا ... صبيحةَ النحــرِ(4) من نحرٍ ومن جيــدِ (١٣٥)

***

وقال وكتب بها الى الوزير أبى المعالى يهنئه بالنيروز

أنذرَتْنى أمُّ "سعدٍ" أنَّ "سعدا" ... دونهــا ينهَـــدُ(5) لى بالشَّرِّ نَهْـدَا
غَيرةً أن تسمعَ الشَّربَ تُغنِّى ... باسمها فى الشِّعر والأظعانَ تُحدَى

---

(1) فى الأصل "اللُّهى" جمع لهوة وهى أجزل العطايا أو لعابها "اللَّها" جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق من سقف الفم، وكلاهما لا يتفق ومعنى البيت. (2) أحفشتها: ألزمتها الحِفْش وهو البيت الصغير من الشَّعَر. (3) الرود: الشابة الحسنة الناعمة، وفى الأصل "الغيد". (4) يريد بصبيحة النحر عيد الأضحى وبالثانية أعلى الصدر. (5) ينهد: يسرع.

قلت : يا لَلحبِّ من ظبيٍ رخيم ... صدتُه فاهتجتُ ذؤبانا[1] وأُسْدا

ما علي قومِك أن صار لهم ... أحدُ الأحرار من أجلكِ عبدا !

وعلى ذي نظرةٍ غائرةٍ ... بعثتْ سُقما الى القلب تعدَّى !

قَتلتْ حين أصابت خطأً، ... وقِصاصُ القتلِ للقاتلِ عمدا

أتُرانى طائعًا أضرمتُها ... حُرَقًا تأكلُ أضلاعى ووجدا !

سبّبتْ لى فيكِ أضغانَ العدا ... نظرةٌ أرسلتُها تطلبُ ودّا

وعلى ما صفحوا أو نقَموا ... ما أرى لى منكِ يا "ظبيةُ" بُدّا

أَجتلى البدرَ فلا أنساكِ وجها ... وأرى الغصنَ فلا أسلاكِ قدّا

فاذا هبَّتْ صَبا أرضكمُ ... حملتْ تُربَ "الغضا" بانا ورَندا

لامَ فى "نجدٍ" وما ٱستنصحتُه ... بابلىٌّ لا أراه الله "نجدا" !

لو تصدَّى رشأُ "السَّفحِ" له ... لم يلُم فيه ولو جارَ وصدّا

يصلُ الحولُ على العهد وما ... أنكرَ التَّذكارُ من قلبىَ عهدا

أفيروَى عندكم ذو غُلّةٍ ... عدِمَ الظَّلْمَ[2] فما يشربُ بَرْدا ؟

رُدَّ لى يوما على "كاظمةٍ" ... إن قضى الله لأمرٍ فات ردّا

وحمانى من زمانٍ خابطٍ ... أبدا فى عَطَنى شَلًّا وطردا

كلَّما أبصر لى تامكةً[3] ... كدَّها أو ردّها عظما وجِلدا

يصطفى الأكرمَ فالأكرمَ من ... نُخَبى أنفسَ ما كنتُ مُعِدّا

كلّما شُدّتْ بظهرى هَجمةٌ[4] ... ركب الشرَّ لها ركضا وشدّا

واقعا فى كلّ مَن كثّرنى ... بيدٍ خرقاءَ أو أصبحتُ فردا

---

(١) ذؤبان جمع ذئب . (٢) الظلم : ماء الأسنان وبريقها . (٣) التامكة . الناقة العظيمة السنام (٤) الهجمة : من الإبل ما بين السبعين الى المائة فاذا بلغت المائة فهى هنيدة .

أُكَلَةَ الصُّعلوكِ ، لا أُســنِدُ ظهرا … فى الملمّـاتِ ولا أَشتَدُّ عَضْــدا
غاب أنصـارى فمن شاء آتقانى … حذَر الإثمِ ومن شاء تعــدّى
شَقِيَتْ من بعـــدهم نفسى وهم … أىّ برجٍ نزلوه كان ســعدا
قل لأمــلاكٍ نأى عنّى بهـــم … ناقلُ الأقمـار قُربا ثُمَّ بُعــدا :
يا ســيوفى يوم لا أملِك عزًّا … وعيـــونى يوم لا أُورَد عِــدًّا
وشـــبابى إن دنوتم كان غَضًّــا … واذا رحتم مع البين آســتُرِدًّا
عجبــا لى كيف أبقى بعـــدكم … غير أن قد خُلِقَ الإنسـان جَلْدا !
غلبَ الشــوقُ فمــا أحمِــلُ صبرا … وجفا الناسُ فمــا أسألُ رِفــدا
أنا من أغراسـكم فانتصروا لى … قبــل أن تهشِمَنى الأيامُ حصدا
يا رســولى، ومتى تَبلُغْ فقــلْ … خيرَ ما حُمِّــل مأمونٌ فأدّى :
يا "كمالَ الملِك" يا أكرَمَ مَــن … يمّمَتْــه ظُعُنُ الآمالِ تُحــدَى
يا شهابا كلّمــا قال العـــدا : … كاد يخبــو، زاده الرحمنُ وقــدا
يا حساما كلّمــا ثلّمـــه الـ ضـ … ـربُ راق العــينَ إرهافا وحَــدًّا
ما بـــراك اللهُ إلا آيـــةً … فَتن النــاسَ بهــا غَيًّا ورُشْـــدا
وَثَبَاتُ الليثِ إن أُنكِــر فى … شَدَّةٍ كان مع الأخرى أشَــدًّا
كلّمــا عاند فيهــا حاســـدٌ … ظهـــرتْ باهرةً مَن يتحدّى
ولَكَمْ أنشرتَ إعجــازا بهــا … من فِعــالٍ طُويتْ لحــدا فلحدا
وبخيـــلٍ خامـــلٍ أعديتَـــه … كرما نال به الحمــدَ ومجـــدا
وزليـــقٍ منتهَى شاهقـــةٍ … حيثُ لا يصعَـــد إلا مَن تردّى
طَأْمَنَ(١) الجوُّ لهــا وآنحـــدرت … قُلَل الأجبال حتى كنّ وُهْــدا

(١) طأمَنَ : آنخفض .

حَرَصَ الكوكبُ أن يطلُعَها ... فهوَى عنهـا وما سدّ مَسـدَّا
وإذا الكيدُ مشَى يَسْمُتُهـا (١) ... طامعًا عاد وقـد خاب وأكدى ١٣٦
خفَّ من خطوك فيهـا ناهضٌ ... لم يسرْ فى التيه إلا سار قصـدا
يأخذ المجلسَ من ذِروتِهـا ... مالكا تدبيرَها حَلًّا وعَقْـدا
طرتَ فيهـا والعـدا واقعـةٌ ... تأكل الأيدى (٢) لهـا غيظا وحقدا
يُلعَنُ النـاسُ على عجـزهمُ ... وتُحيَّـا بالمسـاعى وتُفَـدَّى
فَرَّعَت للمجد منكـم دوحـةٌ ... كنتَ من أنضرها عـودا وأندَى
تـربةٌ بورك فى صَلصالهـا ... أنجبَتكـم والدا طاب ووُلْدا
طينةٌ — أعجِبْ بهـا — مجبولةٌ ... أخرجتْ سَلْمى وثَهْلانَ وأُحْـدا (٣)
يا عيـونَ الدهرِ، لا زالتْ بكم ... قَـذياتٍ أعينُ الحسّاد رُمدا
وتقاضَى الملكُ عنكم بسـيوفٍ ... منذ سُلَّتْ لم تكن تشتاقُ غمدا
كلَّمـا سُوِّد منكـم بأخيـهِ ... صـارمٌ يَمَّـمَ أمضَى وأحَـدَّا
وبَقِيـتم لبقـايا كـرَمٍ ... بكُمُ يُلحَمُ فى النـاس ويُسـدَى
لم تكن لولاكُـمُ أرماقُهـا ... أثرا يخـفَى ولا عينا تبـدَّى
يا نجـومي، لا يرُعْـنِي منكمُ ... غائرٌ باخَ (٤) ولا حَيـدانُ ندًّا
نوِّروا لى وآسرجوا فى طُـرُقى ... أقطعِ الأرضَ بكم جَمْـزًا (٥) ووَخْدا
أَجمعِ الحصـباء فى مـدحكمُ ... بلسـانى وأعـدُّ الرمل عَـدّا
وكما أَرْغمتُ من قبـلُ بكم ... آنُفًا (٦) آبيـةً أجـدعُ بعْـدا

---

(١) يسمتها : يقصدها ، وفى الأصل "يسمنها" . (٢) قوله "تأكل الأيدى" كنايةٌ عن عضِّهم أيديَهم من الغيظ . (٣) أحد وما قبله أسماء جبال . (٤) فى الأصل : "غابر" ؛ وباخ : خمد وآنطفأ . (٥) الجمز : الإسراع فى العَدْو . (٦) آنُف جمع أَنْف .

أبـــدا أنصُبُ نفسى دونكم ... عَلَما فـــرْدا وخَصّـاما ألدَّا
غـير أنى منـك يا بحـرَ النـدى ... أشتكى حظّى فقد خاب وأكدَى
عادةٌ تُمنَـعُ أو تُقطَع بتَّـا ... وحقـوقٌ وَجبتْ تُهمَلُ جِـدَّا
ووعـودٌ يجمـحُ المطـلُ بهـا ... أن يرَى ميقاتُهـا عنـدك حدَّا
بعـد أن قد كنتَ أحفاهم(١) وفاءً ... لى وأوفاهم لمـا أسلفتَ عهـدا
حاش للسُّحبِ التى عُوِّدتُهـا ... منك أن يَروَى بها الناسُ وأصدَى
نفثـةٌ من مذكِرٍ لم يألُ فى الـ ... ـصبر للحاجـةِ والأوطارِ جهـدا
بعث النـيروزُ يستعجلكم ... سائلا فى الوعد أن يُجعـلَ نقـدا
وهُوَ اليومُ الذى من بعـده ... سـوف تُفْنون مدى الأيام مدّا
فاقبلـوه شافعـا وآرضـوا به ... زائرا عـنِّىَ بالشـعرِ ووفـدا
أنتُمُ أكرمُ من يُهدَى له، ... والقوافى خـيرُ ما يُحبَى(٢) ويُهدَى

⁂

وقال يمدح عميد الرؤساء أبا طالب ويهنّئه بالنيروز

صدَّتْ "بنعمانَ" على طول الصدَى ... دعها فليس كلُّ ماءٍ موردا
لحاجـةٍ أمسَّ من حاجاتها ... تخطَّاتْ أرزاقَهـا تعمُّـدا
ترى وفى شـروعها ضـراعةٌ ... حرارةً عـلى الكبودِ أبردا
عادةُ عزٍّ جـذَبَتْ بخَطْمِهـا(٣) ... وكلُّ ذى عزٍّ وما تعـوَّدا
لا حَمَلَتْ ظهورُها إن حمَلَتْ ... رِجْـلا على الضيم تقَـرُّ أو يدا
إن لم يلقِهـا جانبٌ مقاربٌ ... فارمِ بها الجنبَ العريضَ الأبعـدا

(١) فى الأصل "أخفاهم". (٢) فى الأصل "يجبى". (٣) الخطم: مقدّم أنف الدّابة وفمها.

خاطرٌ ولو أردى الخطارُ، إنه ... لا يأمن الذلّةَ مَن خاف الردَى
لا يُحرزُ الغايةَ إلا بائعٌ ... بغلظةِ العيش الرقيقَ الرَّغَدا
يَطوي الفلا لا يستضيفُ مؤنسا ... والليلَ لا يسأل نجما مرشدا
اذا رأى مَطعمةً خافضةً ... عوَّذَ بالله ومالَ الحَيَدا
يُعطِي جِذابَ الشهواتِ عُنُقًا ... شمساءَ[1] لا تَعرف إلا الصَّيَدا[2]
تمارُس الأيّامُ منه كلّما ... حارنَ أو لجّ غلاما نَكِدا
يعزِفُ[3] إلا عن فُكاهاتِ الهوى ... وقد رأى فيه الحبيبَ المسعِدا
أَقسمَ بالعفّةِ : لا تيّمهُ ... ظبيٌ رنا أو غُصُنٌ تأوَّدا
ولا قَرَى[4] صَبابةً فؤادَه ... إلا السلوَّ حاضرا والجَلَدا
شأنَك يا بنَ الصَّبَواتِ فالتمسْ ... غيرى أخًا، لستُ لهنَّ ولَدَا
مولاكَ من لا يَخلُق الشوقُ له ... وجدا ولا طولُ البعاد كمدا
كأنما يَشهدُ من عَفافه ... على المشيبِ يافعًا وأمردا
موقَّرا متّعظا، شبابُه ... كأنما كان مَشيبا أَسْوَدا
تحسبه نزاهةً وكرمًا ... ومجدَ نفسٍ "بابن أيوبَ" آقتدَى
فِدَى عميدِ الرؤساء مُصفِرٌ[5] ... لو طاب لا يصلُح إلا للفِدَى
يرضَى بما ساق اليه غَلطُ الـ ... ـحظّ ولم يسعَ له مجتهدا
يعجَبُ من جهالةِ الأيّامِ فى ... وِجدانه ما لم يكن لينشُدا
تحسبه جاء يريد غيره ... فضلَّ عن طريقِه وما آهتدَى
وحاسدٍ، نخارُه معْ نقصِه ... فى الناس أن عادى العلا وحسَدا

(١٣٧)

---

(١) الشمساء : الممتنعة الأبيّة . (٢) الصَّيَد : رفع الرأس كبرا وزهوا . (٣) فى الأصل "يعرف" . (٤) قرى : أضاف . (٥) المصفر : المفتقر .

تُلهِبُ نارُ الغــيظ فى ضلوعــه ... جمــراً يقول حــرُّها : لا بَرَدَا
زال[1] بنصرِ مجــدِهِ غيران ما ... نازلَ إلا ظافــرا مؤيَّــدا
مدّ الى أخــذِ العــلا فنالهــا ... يدا تبــوعُ ساعــدا وعَضُــدا
تَقضِى له الأقلامُ من حاجاتهــا ... ما آستقضت الذابلَ والمهنَّــدا
ما زال يرقَى فى سماواتِ العــلا ... بروجَها الأســعدَ ثمَّ الأســعدا
مصاعــدا نجومَهــا حتى اذا ... تطاولتْ خلَّفَهــا وصــعِدا
رأى المعــالى بالمســاعى تُقتضَى ... والشرفَ المحرَزَ من كسبِ الندَى
فصاعبَ الأُســودَ فى أغيالهــا ... صرامــةً وجاودَ الغيثَ جَــدَا
وكلّمــا قيــل له : قِفْ تسـترحْ ... جزتَ المدَى، قال: وهل نلتُ المدَى ؟
ناهضَ ثِقلَ الدولتيــن فكفَى الـ ... ـمُلكَ الطريفَ ما كفاه المتــلَدا
وكان للأمرينْ منــه جُنَّــةً ... مسرودةً وصــارما مجــرّدا
فاغترسَ "القــادرُ"[2] يــومَ نصرهِ ... وآستثمرَ "القــائمُ بالأمر"[3] غــدا
قام بأمرٍ جامــع صــلاحَهُ ... فضــمَّه بنفســه منفــردا
فلستُ أدرى أَلِوَحيٍ هابط ... أم آختيــارا لقَّبــاهُ الأوحــدا ؟
وزارةٌ وفَّــرها لدَســتِهِ ... أنَّ أباه قبلُ فيــه آستندا
دبَّرها مستبصرا فلم يكن ... مفوِّضا فيهــا ولا مقــلِّدا
يُســنِد عن آبائه أخبــارَها ... صادقةً اذا آتهمتَ المُســنِدا
وأعتقُ النــاس بهــا من لم يزل ... مكــرَّرا فى بيتهــا مردَّدا
يا من مخضتُ النــاسَ فاستخلصتُه ... بعــدَ آجتهادى فاليــا منتقــدا

---

(١) زال : نهض. (٢) إشارة الى الخليفة القادر بالله. (٣) إشارة الى الخليفة القائم بأمر الله.

والبـازلُ العَـوْدُ وقد نبذتُهـم بَكِيَّـةً[(١)] معـرورةً[(٢)] أو نَقَـدا
ذلّلتَ أيامىَ وآسـتقربتَ لى غُلُبَّـةً[(٣)] وفاءها المسـتبعَدا[(٤)]
هوّنْتَ عندى الصعبَ من صروفها نخلتُ أفعاها الوَثُوبَ مَسَـدا
أعديتَهـا بحفظك العهـدَ فقـد صارت صديقا بعـد أن كانت عِدا
ولم تضـيِّع حُرَما أحكمها قـديمُ حقٍّ فيكُمُ وأكَّدا
أنتَ كما كنتَ أخًا مُخالِلًا بحيثُ قـد زدتَ فصرتَ سـيِّدا
فاسمـعْ أقايضْـك بهـا قواطنا سـوائرا معقَّـلاتٍ شُـرَّدا
عوالقـا بكـلِّ سمـيعٍ صَلِفٍ يلفِظُ أن يَقبـلَ إلّا الأجودا
ممّـا قهـرتُ فجعلتُ وعـره مُدَيَّنـا[(٥)] وحـرَّه مسـتعبَدا
مَطارِبا اذا آحتبى الراوى لهـا شككتَ هل غنَّى بهـا أم أنشـدا!
تُخالُ أَرجازا من آستقصارها وقـد أطال شاعرٌ وقصَّـدا
يَمضى الفتى الموسـومُ فى نخـارها صفحا وتُبقِى عِرضَـه مخـلَّدا
تَحمِـلُ أيّامُ التهـانى تُحَفًـا منهـا اليـك بادئاتٍ عُـوَّدا
ما دامت الغـبراءُ أو ما حَمَلَتْ مدحوّةً من الجبـال وَتِدا
سنينَ تطويهنّ حيًّـا سالمـا مُنَوِرِزا فى العـزّ أو معيِّـدا
لا الشـعرُ تَبلَى أبدا رسـومُهُ فيك ولا تُعـدَمُ أنت سَـنَدا

---

(١) البكيّة : الناقة أو الشاة قلّ لبنها، وفى الأصل "بلية". (٢) المعرورة : التى أصابها العُرّ وهو الجَرَب. (٣) غُلُبَّةً : قهرا، وفى الأصل "غَلبةً". (٤) فى الأصل "المستعبدا".
(٥) مديَّنا : مملّكا مذلّلا.

وقال يمدح كمال الملك أبا المعالى ويهنّئه بالمهرجان

رَدَّ عليها النومَ بعد ما شَرَدْ ... إشرافُها على شَرافٍ(١) من "أُحُدْ" (١٣٨)
وضمَّها منشورةً مجرى الصَّبا ... وعَطَنَ الدارِ وطينةَ البلَدْ
فعطفَتْ كلَّ صليفٍ ناشزٍ ... على الحشاشِ وعلى لينِ المَسَدْ
يقودها الحادى الى حاجته ... وهمُّها أخرى اليها لم تُقَدْ
وإنما تيمَّها "بحاجرٍ" ... أيّامُها "بحاجرٍ" لو تُستَرَدّْ
وصالحاتٌ من ليالٍ أخلقتْ(٢) ... عهودُها وهى مع الذِكْرَى جُدُدْ
يادينَ من أهل "الغضا" سقامُها ... ووجدُها بمدّعٍ ما لم يجِدْ
وحفظُها عهدَ ملولٍ ماطلٍ ... يذكر ما آسترعَى وينسَى ما عَهِدْ
وكم على "وادى الغضا" من كبِدٍ ... يحكم فيها بسوى العدل الكَمَدْ
ومن فؤادٍ بدَدٍ تلفِظُه ... ولائدُ الحىّ مع الحصا البَدَدْ
وصارمٍ ما شَقِىَ القَيْنُ به ... مذ سلَّه غُنجُ اللحاظِ ما غُمِدْ
ومن غزالٍ لا يُقِلُّ رِدفُه ... ضعفا وفى حباله عُنُقُ أَسَدْ
وقامةٍ لو لم يكن لشكلها ... فعلُ القناةِ لم تمِلْ ولم تمِدْ
بانات وادٍ مذ حَمَتْ شجراءَهُ ... رماحُ "قيسٍ" ما آختُلِى(٣) ولا عُضِدْ(٤)
تلاوَذُ الريحُ بكلِّ مرهفٍ ... غصنٍ اذا قام وحِقْفٍ إن قعدْ
حبائب "بالخيف" فى مَلاعبٍ ... هنّ النعيمُ وهى جنّاتُ الخُلُدْ
سقتْ دموعى حرَّها وملحُها ... عيشا بها بالأمس طاب وبَرَدْ

(١) الشَّراف: اسم موضع. (٢) فى الأصل "أخافت". (٣) ما آختُلى: لم يُقطع مابه من خَلًى وهو الرطبُ من النبات. (٤) ماعضد: ماقطع نباته بالمِعضد وهو آلة تستعمل فى قطع الشجر.

لو كان لى على الزمان إِمْرَةٌ — بطاعـةٍ قلتُ : أعـدْها لى أعِدْ
يا راكبا، تدوسُ للرزقِ به — حرَّ(١) الثرى والليـلَ وجنـاءُ أُجُدْ
ترى الطريقَ عَرضَـهُ وطُولَه — لقُطبها بين ذراعٍ وعَضُدْ
تطوى السُّرى طىَّ الرياح لا تُرَى — سائلةً : أين المَدَى وما الأمَـدْ
كأنّهـا من خِفَّـةٍ من مسّها الـ — أرضَ على أربَعِها لا تعتَمِدْ
تطلب نُجْحَ حاجها بجَهْـد من — أقسمَ لا يطلُبُ إلا ما يَجِـدْ :
ارجِعْ وراءَ فاسترحْ وأعفِها — ما كلُّ حظٍّ لك منـه أن تَكُدّْ
مَطرَحُ عينيك غِنَى مقترِفٍ(٢) — كفى بنى الحاجاتِ شُقّاتِ البُعُدْ
بجانب "الزوراء" قصرٌ قصدُهُ — بحرٌ اذا أعطى الغِنَى لم يقتصِـدْ
أيدى بنى "عبد الرحيم" مدُّه الـ — ـدّ ائمُ والبحـرُ يَغيضُ ويَمُـدّْ
قـد أفعمـوه وأباحوا وِردَه — مخـلَّدا عَذْبا فمن شاء وَرَدْ
قـومٌ اذا لم تَلْقَ منهـم واحدا — وإن لقِيتَ النـاسَ لم تَلْقَ أحدْ
صانوا حمى أعراضِهم، ومالَهم(٣) — وذِيَّةٌ(٤) علَى الطريق تُنتقَـدْ
وعَقَدوا لكلّ جارٍ ذمّـةً — وذمّـةُ المـال بهـم لا تنعقدْ
هم دبَّروا الأرضَ فلم يُعيِهـمُ — بثقلهـا تدبيرُها ولم يَـؤُدْ
ملوكُهـا اليـومَ وآباؤهُمُ — ملوكُها وما علَى الأرض وَتَدْ
تمطَّقوا(٥) السـؤددَ فى مهـودهم — من حَلَمِ ما أَرضعتْ من لم يَسُـدْ

---

(١) فى الأصل "جدّ الثرى"، والوجناء الأجد : الناقة القوية الموثّقة الخَلْق. (٢) المقترف : المكتسب. (٣) المـال عنـد أهـل البادية النَّعَم يذكر ويؤنث، يقال : هو المال وهى المال.
(٤) وذيّة : حقيرة مبتذلة وفى الحديث «أمن أجل دنيا دنيّة وشهوة وذيّة» وفى الأصل "ودية".
(٥) تمطقوا : تذوّقوا.

وطوّحوا وهم جِذاعٌ فُصُـــلُ (١) … بالقارح البـازل والقَرْم الأشَــدّْ (٢)
وكلّمـا نازعهـــم منـازعٌ … سـلّمَ مختـارا لهم أو مضْطَهَدْ
ولا ومَنْ قاد الصِّعابَ لهُمُ … وأوجدوا الفضلَ بهم وقد فُقِــدْ ،
وأظهـرَ الآيةَ فى آشتباههـم … بأسا وجودا وعنـاءً وجَــلَدْ ،
ما تَــلِدُ الأرضُ ولو تحفَّلتْ … مثلَ "كمالِ الملكِ"، والأرضُ تَلِدْ
رعَى بنى الدنيـا على آختلافهـم … منفــردا بمـا رعاه مستبِدّْ
لا مستشيرٌ يُبصر الشـــورى له … رأيا ولا منتصِحٌ فيرتَفِــدْ
وَحْدَةُ ذى اللِّبـدةِ، لا يُفقـــره … غَنـاؤه بنفســـه الى العَــدَدْ
تُحرِّم النـــومَ المبـاحَ عينُـــه … إزاء كـلِّ خَلَّةٍ حتى تُسَــدّْ
لا مُغلَقُ (١) الرأيِ ولا مضطربُ الـ … ـأحشاءِ تحت حادثٍ من الزُّؤُدْ (٢)
اذا أصاب فرصـــةً لعزمـــه … صمّمَ لا يســوّفُ اليومَ بغــدْ
مبـارَكُ النظرةِ، مَن أبصره … مصطبحا بوجهــه فقد سَــعَدْ
لو صيغت الأيامُ من أخلاقـــه … لم يعترضْها كـدَرٌ ولا نَكَدْ ١٣٩
لم يُسِمه الملكُ "الكمالَ" أو رأى … عن عفوه نقصانَ كلِّ مجتهدْ
ولا أرادتـــه العـــلا أباً لهـا … إلا وقـــد أفلحَ منهـا ما وَلَدْ
أقرّ بالفضـــل له حاســـدُه … ولو رأى وجـــهَ الجحـود لجَحَدْ
أفقره الجـــودُ وإن أغنـاه أن … ساد به، ولم يَسُــدْ مَن لم يَجُــدْ
فلا يزلْ عــلى الزمان منكمُ … مسلَّطٌ يَفــرِى الأمورَ ويقُــدّْ
ولا تَبــدَّلْ بســواكم دولةٌ … أنتم عـلى أرجائهـا سِتر يُمَــدّ

(١) فُصُل جمع فصيل وهو ما فُصِلَ عن الرضاع ، وفى الأصل "فضل" . (٢) القرم : الفحل .
(٣) فى الأصل "معلق" . (٤) الزؤد : الفَزَع .

ولا رأى سريُرها وسرجُها ... مِن غيركم مَن يمتطِى ويقتعِدْ
وكنتَ أنت باقيا مساوِقا ... بعمره وعزِّه شمسَ الأبَدْ
تَسبِى العطايا لك كلَّ حُرَّةٍ ... لولا نداك لم تكن لتُعتَبَدْ
بِنْتِ الخدور فى الصدور رضَعتْ ... ثدىَ النُّهى ونشأتْ من الكَبِدْ
لم تُمتَهنْ بلفظةٍ يلفِظُها ... من شرِّها السمعُ ولا معنًى يُرَدّْ
يَرقِى بها ودَّ القلوبِ ساحرٌ ... ما شاء بالنفثةِ حلَّ وعقَدْ
كل لسانٍ ثنوىٌّ مشرِكٌ ... وهو لكم فى شعره فردٌ صمدْ
ما دار — مذ دار الكلامُ — ناطقٌ ... بمثلها ولا جرتْ فى الصحْفِ يدْ
تغشاك منها كلَّ يومٍ تحفةٌ ... نخبةُ ما قال الخبيرُ أو نقدْ
رآك دون الناس أولى بالذى ... بالغ فيه من ثناء وآجتهدْ
ما نافقتْك مِدحةٌ ولم يَقلْ ... فيك غلوَّ الشعرِ إلا ما آعتقدْ

*
* *

وقال فى سرير

قام برِجْلٍ ومشى على يدِ ... ممترِيا للرزقِ من سيبِ يدِ
أهيفُ وهو فى السِّمانِ معرِقٌ ... وواحدٌ وهو كثيرُ العَدَدِ
يمدُّه حبلٌ ضعيفٌ فتلُه ... حتى يعودَ مُحْكما ذا جَلَدِ
يُشتِّتُ شملا كلّما فرّقه ... أَلَّفَ منه بين شملٍ بددِ
تُبصِر من عِظامه وجِلدِه ... اذا آكتسى اللُّجَيْنَ فوق العسجدِ

* * *

وقال فى رمّانةٍ حمراء

ما أمُّ أولادٍ كثيرٍ فى العـــددْ[(١)] تُروِى رِضاعا وهى بِكْرٌ لم تلدْ ؟
تبسِمُ عن عَذب الرُّضابِ باردِ لولا دمٌ يصـــبُغه قلت : بَرِدْ[(٢)]
أعجِبْ به ماءً زُلالا شَبِما[(٣)] تجمُعُــه فى أُهُبٍ[(٤)] نارٌ تقــدْ !
يا حسنَهـا مجموعةَ الشملِ ويا أضعافَ ما تَحسُنُ والشملُ بددْ

* * *

وقال فى الغزَلِ

" بالخَيْف " مُخطَفَةُ الحشا[(٥)] تهوَى الغصونُ لها القدودا
أخذَ الغـــزالُ نِفـارَها وأعارها عَينـا وجِيـــدا
أَلِفتْ مِطـال عِداتهـا[(٦)] يا ليتهـا تعـــدُ الصدودا
نثرتْ مـــدامعىَ الفــريـ ـدَ لنظمِ[(٧)] مَضحكِها[(٨)] الفريدا
قد كانـ رثَّ[(٩)] هواى فابـ ـتسمتْ فردّته جـــديدا

* * *

وقال فى غرضٍ من أغراضه

أعانقُ غصنَ البانِ منها تعِلَّةً فأُنكره مسًّا وأعرِفُه قـــدّا
وأعدِلُ لثمَ الأُقحوانِ بثغرها فأُرزَقُه برقا وأُحرَمُــه بَرْدا
فللهِ مَن لم أستعِض عنه غائبا ولم أر منـــه ظالمـا أبدا بُدًّا

---

(١) إشارة الى ما بالرمّانة من كثرة الحَبّ . (٢) إشارة الى حلاوتها ولونها . (٣) الشبم : البـارد . (٤) أُهُب جمع إهاب وهو الجلد . (٥) مخطفة الحشا كناية عن نحول الخصر . (٦) عدات جمع عدة وهى الوعد . (٧) الفريد : الدرّ المنظوم . (٨) مضحكها : مبسمها . (٩) رثّ : بَلِىَ .

قافيـــة الـــراء

(١٤٠)

وقال فى غرضٍ وهى أوّل قوله

بِدِين الهوى إِن صحَّ عَقدُك فى الهوى ... أعن مَلَلٍ(١) فى الهجر أم كاشحٍ أَغرَى؟
ألا قَلَّمـا يقضِى من الحبِّ حاجةً ... مُعنًّى بنفسٍ عُلِّقتْ حاجــةً أُخرَى
حلفتُ لئن كان الجفاء لغَــدرةٍ ... لقد أبصرتْ عيناىَ من عينكِ الغدْرا
أقول لطيفٍ منكِ وَسَّــدتُ خدَّه ... يميـنِى لمَّـا جلَّ عن يدِىَ اليسرَى:
نحـولى الذى عاينتَ من هجــرِ ليلةٍ ... فمـا ظنُّها بالجسم لو هَجــرَتْ عشرا

وقال فى مثله

ترنَّمتْ ترنُّم الأســيرِ ... وَرْقَاءُ فــوقَ وَرَقٍ نضــيرِ
تنطِقُ عن قلبٍ لهـا مكسورِ ... كأنهـا تُخْــبِرُ عن ضمــيرى
لَبَّيكِ يا حزينــةَ الصــفيرِ ... إِن آستجرتِ فبمستجيرِ
مثلكِ فى تبــلُّدِ المهجــورِ ... قَصَّ جَناحى زمنى فطــيرى
لكِ الخيارُ أنجـدى أو غورى ... وحيثما صار هواكِ صــيرى
وإن أردتِ الأمنَ أن تجورى ... فيمِّمى "بغدادَ" ثمَّ سِيرى
أو حَــوِّمى(٢) بربعهـا المعمــورِ ... مذ غاب فيه قمرى بالنــورِ
عسى تقولين لأهل الحُورِ: ... وا وَحْشتِى بعــدك للسرورِ

---

(١) فى الأصل "ملك". (٢) فى الأصل "أو حوى".

*
* *

وقال يُعزِّى الشريفَيْن السيّدَيْن الرضىّ والمرتَضى ٱبنىِ الطاهر أبى أحمد الموسوىّ عن خالهما أبى الحسين بن الناصر العَلَوِىّ، وكان تُوفِّىَ فَجْأَةً

خُدَعُ الزمانِ مــودّةٌ من ثائرٍ ... ومُـنَى الحيـاةِ وتيرةٌ(١) من غادرِ
نغــترُّ بالباقين منّـا، والذى ... فَرَسَ(٢) المقــدَّمَ رابضٌ للغـابرِ
وإذا ذوَى من دَوحــةٍ غصنٌ فيا ... سَرْعانَ ما يُـــودِى(٣) بأخرَ ناضرِ
يا عاشقَ الدنيـا، النجاءَ فإنّهـا ... إن ساعدتْ وصلَتْ بنيّـــةِ هاجرِ
لا تَخـدَعنَّك بالسرابِ فـلم تدع ... ظنًّا يُرجِّم فيـــه وجهُ السـافرِ
واردد لحاظَك عن زخارفها تفُزْ، ... إنّ البـــلاءَ موكّـلٌ بالنـاظرِ
خَذَل المحـــدِّثَ نفسَـــه بوفائها ... تصريحُها بالغدرِ فى "ٱبن الناصر"
مشت المنونُ اليـه غيرَ محصَّنِ(٤) الـ ... جَنَباتِ وٱغتالته غـــيرَ محاذرِ
ولو ٱنتحتْـــه لأنذرتْه وإنمـا ... شبَّ الفجيعــةَ أن أُصيبَ بعاثرِ
صَرعتْه مســبِلةَ الكِمامِ(٥) وإنمـا ... يقع التحفُّظُ من ذِراعَىْ حاسرِ(٦)
لم يُنجِــهِ البيتُ المطنَّبُ بالكوا ... كبِ والمعمَّـــدُ بالهلالِ الزاهرِ
والنسبةُ العليـاءُ إن هى شَجَّـرتْ ... زلِقتْ معارجُها بكــلِّ مُفاخرِ
وعصـائبٌ مضريّةٌ قرشـــيّةٌ ... خُلقـــوا لحفِظ وشائجٍ(٧) وأَواصرِ(٨)
يتراكضون الى تنجُّـــزِ ثأرِهم ... ولو ٱنه عنــــد الغمامِ السـائرِ
من كلِّ أبلجَ منكِباه لواؤه ... بضفيرتيْـــه السمهريّةَ ضافرِ

(١) الوتيرة: التريّث والإبطاء وفى الأصل "وثيرة". (٢) فَرَس بمعنى ٱفترس، والغابر: الحاضر. (٣) فى الأصل "يولى". (٤) فى الأصل "محض". (٥) الكمام جمع كم. (٦) الحاسر: المكشوف الذراعين. (٧) الوشائج جمع وشيجة وهى المشتبكة المتصلة. (٨) الأواصر جمع آصرة وهى العطف من قرابة أو رحم أو صهر.

بَرْدُ النسيم اذا تربَّع عنــده … حَرُّ الهجيرِ اذا عرا فى "ناجرِ"
أَنِسٌ بأسبابِ الطــلابِ كأنّه … ولو آمتطى النكباءَ(١) غـيرُ مُخاطِرِ
كلّا ولا أغنتْــه عفّةُ نفســه … عن عاجلٍ يُرضى سـواه حاضرِ
ولقـاؤه شـــهواتِه ببصــيرةٍ … معصومةٍ عنهـا وذيلٍ طاهرِ
نرجو لصالحنا تطاوُلَ عمــره، … تعبٌ رجاءُ ولادةٍ من عاقرِ
لو خُــلِّد آبنُ البرِّ أو أمِنَ الردَى … لعفافــه لم يولَد آبنُ الفاجرِ
أو كان يَسـلم بالشجاعة ربُّهـا … لم تَطوِ مقبــورا حَفــيرةُ قابرِ
بالكُرهِ فارق سيف "عمرٍو"(٢) كفّه … وتقلَّصت عن رمحه يدُ "عامرِ"(٣) (٤١)
سقت الغيوثُ "أبا الحسين" ثراكما … سقت "الحسينَ" أباك عينُ الزائرِ
ومن الغرام وفيــه ماءٌ هامعٌ … منــه دُعاىَ له بماءٍ قاطــرِ
أبكيك لا ما تستحقُّ، وجهدُ ما … تسعُ الصبابةُ أن تسيلَ محاجرى
وأُشارِك النُّــوَّاحَ فيــك بأنّنى … أرثيك(٤) فالتأبين نوحُ الشاعرِ
وأَمَا وبدرَىْ "هاشمٍ" ولَدَيْكَ ما … مبقيهما ذكـرا له بالداثرِ

---

(١) النكباء: الريح آنحرفت عن مهبّ الرياح. (٢) يشير الى عمرو بن معد يكرب وهو من شجعان العرب المشهورين بالبأس فى الجاهلية وقد أدرك الإسلام فأسلم ثم آرتدّ بعد وفاة النبيّ ثم أسلم وقد سأله عمر آبن الخطاب عن الحرب فقال: مرّةُ المذاق، اذا قَلَّصتْ عن ساق، من صبر فيها عُرف، ومن ضَعُفَ عنها تلف؛ وسأله عن السيف فقال: ثَمَّ قارعَتْك أمّك عن الثُّكل. (٣) يشير الى عامر بن مالك وهو أيضا من شجعان العرب المعدودين وكان يُسَمَّى "مُلاعب الأسنّة" وسُمِّى بذلك لقول أوس آبن حَجَر:

ولاعبَ أطرافَ الأسنّةِ "عامر" … فـراحَ له حـظُّ الكتيبة أجمعُ

(٤) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل وقد طاف بنا خاطر ونحن نصحح هـذا البيت لابأس من إيراده وهو

وأُشاركُ النُّــوَّاحَ فيك بأنّنى … فى الشعرِ فالتأبينُ نوحُ الشاعرِ

إن لا يكونا نسلَ ظهرِكَ فالذى … نشراه يابن الظَّهر ليس بناشرِ (١)
وإذا الفتى ضعُفتْ مؤازرةُ ٱبنــه … فى الأمر فابنُ الأختِ خيرُ مؤازرِ
أبواك وٱبنـاك الفخارُ بأسرِه … والمجــدُ يورَثُ كابرا عن كابرِ
لا تحسبَنَّ الموتَ راع حماهما … فالسارقُ المغتـالُ غــيرُ القاهرِ
أقسمتُ لو لِحقَاكَ قبـلَ وصوله … ما كانَ بينهما عليـك بقادرِ
مَنْ مُبلِغٌ حَيًّا يُجمِّعُ عِزُّهُ (٢) … غَرْبَىْ حُسامِ بنى "الحسين" الباترِ ،
صـبرا، وإن فُرِكَ (٣) العـــزاءُ فإنّه … كنزُ الثوابِ ذخيرةٌ للصـابرِ
هو حُكمُ عــدلٍ لا يُردُّ وكان ما … يَهِنُ القلوبَ لو ٱنه من جائرِ (٤)
حفِظَ العـلا لكما مشيِّدُ عرشِها … بكما فلا معمــورَ بعـــد العامرِ
واذا جَرَتْ ريحُ الحوادث عاصفا … فلتنحرِفْ عن ذا الخضمِّ الزاخرِ
وكفَى حســودَكما الشقىَّ علاجُهُ … غيظ الهجينِ من العتيقِ الضامرِ
لا غرَّنى منـــه السكوتُ فإنه … خوفَ العقابِ سكينةٌ فى نافرِ

* * *

وٱتخذ بعضُ أصدقائه من أولاد الرؤساء الكُتَّابِ فى داره بيتا للخَيش (٥) فى وسطه بركة مثمّنةٌ، قد نُصِبتْ فيها صَومعةٌ للحركات مُربَّعةٌ، لها أربعُ منائرَ مجوَّفةٌ فى جوانبها الأربعــة ، يتوسَّطُها عمودٌ عالٍ فى صورة الأسطوانة ، ينزل اليه المـاءُ من حَوضٍ

(١) ناشر بمعنى منشور، وهذا البيت ورد فى الأصل هكذا

إن لا يكونا نسل طهرك فالدى … نشراك يابن الطهــر ليس بناشر

(٢) هذا الصدر ورد فى الأصل هكذا

* من مبلغ حيلى مجمع غره *

(٣) فرك : كُرِهَ . (٤) فى الأصل "جابر" . (٥) قوله : للخيش أى لمروحة الخيش وهى نسيج كشراع السفينة ، يعلِّقها أهلُ العراق فى سقف البيت مبلولةً بالمـاء و يعملون لها حبلا يجذبونها به فيهبُّ منها نسيمٌ عليلٌ يُذهب أذَى الحرِّ .

مُشرِفٍ مرفوعٍ بناؤه على سمـاء البيت ، مصوّب اليـه بالحركاتِ ، حتى اذا آستقرّ المـاءُ فى قرارِ البركة فاضَ منه ثمَّ من الأربعةِ الجوانبِ فيضا يعلو حتى يكادَ بفضـلِ قوّته يلحَقُ بسقف البيتِ ، وقد عُمِلتْ لها تماثيلُ من الصُّفْرِ(١)، يُسمَّى كلُّ واحدٍ منها باسمٍ ، فتؤخذُ آلتُهـا فتركّبُ على ذلك العمود الأوسط ، ثم تُدارُ بحركةٍ من الحركاتِ فترُشُّ المـاءَ على سائر من يحويه البيتُ أو يقاربُهُ ؛ فمن التمـاثيل صورةٌ تُسمَّى "الخَرْكَاة"(٢)، اذا نُصبتْ وأديرتْ تَشَكَّلَ المـاءُ عليها بشكلِ "الخَركاةِ" وبقىَ معلَّقا لا يغيضُ ولا يسيلُ حتى تُقطعَ حركتُها ، ويوضع عليها من جوانبها الشموعُ اللِّطافُ المسرَّجةُ ، فتدور فيها من غير أن تطفئها ؛ ومنهنّ صورة تُسمَّى "العَروس" يُجعلُ لها ذلك العمودُ كالكرسيِّ ، فتدور راقصةً عليه ، وتُوصِّلُ فى دورانها المـاءَ الى رأسها بيدها ؛ ومنهنّ صورةٌ تُسمَّى "الجَمَل" على هيئته ، اذا نُصبتْ سارت مسيرَهُ بالمـاءِ المحرِّكِ لهـا ، ومنهنّ صورة سَمَّوها "الطَّنْبَلَنْب"(٣) فى هيئةِ رجلٍ ناشبٍ ، اذا نُصبتْ وأريد بعضُ حاضرى البيتِ بالبللِ ، صوّبَ سهمهُ ذلك اليه فأصابه ، فكيفما هرول لينجُوَ منـه كان المـاءُ تابعا له ما دام فى عَرْصَةِ البيتِ ، ثم يخرج المـاءُ من هـذه البركة الى بُستانٍ فى صحن الدارِ متناهٍ فى الحُسْن ، فيه صنوفُ النخلِ والسَّرْوِ وغير ذلك من الشجر وأنواع الرياحين والزَّهرِ ، ما يروق مثله ! وهواءُ هذا البيت مجلوبٌ من "بادَهَنْج"(٤) قد شُيِّد على سطحه مفتوحِ الجناحيْن لمَهبِّ الجَنوبِ والشَّمالِ ، فدخل

(١) الصُّفْر : النحاس . (٢) الخركاة [كما ورد فى محيط المحيط] بالفارسية القبة التركية و يقال فى تعريبها : خَرْقَاهَة ، وقد وردت فى شعر مهيار بالهمزة كما سيجىء . (٣) الناشب الذى يحمل النُّشّابَ وهى السهام . (٤) البادهنج : المَنفَذُ الذى تجىء منه الريحُ ، وسماه بعضُهم "راووق النسيم" وقد قال فيه أبو الحسن الأنصارىّ

ونفحة "بادهنج" أسكرتنا ... وجدتُ لروحهـا بَرْدَ النعيم
صفا جَرْىُ الهوا فيـه رقيقا ... فسمَّيناه "راووقَ النسيمِ"

مهيارُ رحمه الله على هذا الصديقِ ذات ليلةٍ، فسأله التعريجَ الى هــذا البيتِ والنظرَ الى عجائبه ففعل، ولما نُصبتْ التماثيلُ وجاءت النوبةُ الى المعروفِ "بالطنبلنب" رُكِّبَ نحوهُ وصُوِّبَ إليه فبلَّ ثيابَه، وكان فعلُه فى قلَّة نفعِ الفرارِ منه على ماقدّمناه؛ فعند ذلك سئل ذِكرَ البيتِ وما حواه ووصفَ الدارِ والبسـتانِ والبركةِ والبادهنج، فقال واصفا الحال بما يزيد حلاوةً، ويروق موضعُ الإصابة فيـه عند مُشاهـدةِ الموضع، وممازحا للرَّجُلِ بغرامة ما بلَّه من ثيابه

نديمى وما الناسُ إلا السُّكارَى أدِرْها ودعنى غـدًا والخُمـارا
من العجـزِ تركُ الفتى عاجلًا يَسُـرُّ لأمرٍ يُخافُ انتظارا
وعَطِّلْ كؤوسَـك إلا الكبيرَ تجِدْ للصـغيرِ أُناسا صِغارا
وقـرِّبْ فـتًى مائةٍ (١) أو يزيـ ـدُ قد أُكِلَ الشيبَ إلا الوقارا
تُسِـرُّ المَسَـرَّةَ أحشـاؤه ويُـبْرِزُ للعينِ طِينا وَقَارا
لصونٍ سـواه رأيتُ الغـلا مَ ينفُضُ عن كتِفَيْه (٢) الغُبَارا
وذى مِـبزلٍ (٣) كزنادِ المكـبِّ يَقـدَحُ بالبَزْلِ منـه شرارا (٤)
فسلَّ من النـارِ فى وجهه لسـانا، فأمسك فاهُ حِـذارا
وخادعَهُ عن خَلوقِيَّـةٍ (٥) تُذوِّبُ فى كأسها الجُلَّنـارا
جَنَتْ فقرَ شُرَّابِها المسلمين وأغنت "بغُمَّى" (٦) اليهودَ التِّجارا
عَقرْنا البُـدورَ (٧) لهم فى المهو رِ حـتى جلَوها علينا عُقارا
يطوف بها عاطـلُ المِعصَمينِ يُلبِسـهُ الجامُ منها سِوارا

(١) يريد بفتى مائة : الدَّنّ . (٢) فى الأصل " كفّيه " . (٣) المبزل : الحديدة التى يفتح بها الدنّ . (٤) قال القاموس : شِرار ككِتَاب واحدته شرارة بكسر الشين وورد بهذا الضبط أيضا فى محيط المحيط وفى أقرب الموارد، وقال المرتضى : الصواب أنه كسحاب وهو ما تطاير من النار .
(٥) خلوقية : نسبةٌ الى الخَلوق وهو نوعٌ من الطِّيب . (٦) غُمَّى : قرية من نواحى بغداد .
(٧) البدور جمع بَدْرة وهى الكيس يسع عشرة آلاف درهم .

شفيقٌ على الحبِّ من غيره ... اذا قلت : ما أحسن البدر غارا
ولا ومُقبَّلِهِ ما فَرَقْتُ ... أريقتُه الخمرُ أم ما أدارا
هنيئا لِلَهْوِىَ إنّى خلعـ ... ـتُ حلمِى له وتركتُ الوقارا (١٤٣)
وصرتُ فتى غَبَقاتِ الملوك(١) ... عشِيًّا ، أخا النشواتِ ٱبتكارا
ودادِىَ والدهرُ ما دامَ [دام](٢) ... وشعرِى والنجمُ ما سارَ سارا
وفيحاءَ من دورهم(٣) زرتُها ... وأخلِقْ بها جَنّةً أن تُزارا
تَلجلَجَ فى وصفها المحدّثون ... وحُدِّثَ "رِضوانُ" عنها فحارا
تعرَّبَ قاسمُها عادلا ... نخطَّ وتحسبه العينُ جارا
صُحُونا طِوالا كما تقتضِى ... شجاعتُنا وحصونا قِصارا
وشَقَّ لبستانها عن ثَرًى ... اذا طلَعَ النبتُ فيه أنارا
وقد بثَّ(٤) فى ظلِّ شجرائه ... عيونَ الأذى رِقبةً(٥) وٱستتارا
تخفَّرَ(٦) منها بمسلوبةٍ ... سوى ورَقٍ أُلحِفَتْهُ(٧) إزارا
من الهِيفِ حين يجورُ النسيمُ ... على غصنها لا تُطيق ٱنتصارا
نحولٌ عرَضْتُ له بالسِّمانِ ... وصُغرَى تجنّبتُ منها كِبارا
ومنشورةٍ سترَتْ نفسَها ... نخاطت قميصا ولاثت خِمارا
وعزّتْ فصانت سوى ساقها ... وما إن أباحته إلا ٱضطرارا
تُشمِّر عنه جلابيبَها ... لعادته أن يخوضَ الغِمارا
فكادت تُواريه ضنًّا به ... ومن حسنها أنّه لا يُوارَى

(١) غبقات جمع غَبْقة وهى شُرب العشىّ .
(٢) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل و يقتضيها السياق .
(٣) فى الأصل : "دونهم" .
(٤) فى الأصل "بات" ولا نظنها تؤدى المعنى .
(٥) فى الأصل "فيه" وهو تحريف .
(٦) تخفّر : ٱستجار ، وفى الأصل "تحمّر" .
(٧) فى الأصل "ألحقته" .

تُشكّكُنى وهى طـوع الريا ح تَتْبعُها يَمْنَـةً أو يَسـارا
أتدنــو لنُســعفَنى بالعِنـا ق فى مثلهـا أم تصدُّ ٱزورارا ؟
وتجلو عليـك بنـاتِ الفسيلِ (١) اذا كَستِ السَّـعَفاتُ الثّمـارا
غـــدائرُ غيـــدٍ يُضفِّرْنَهـا وتأبى عليهنّ إلا ٱنتشارا
جلبنا له (٢) المـاء من شـاهقٍ جزانا بحسْبِ الصعود ٱنحدارا
وما سال حـتى أسلنـا اللُّجينَ ولا عَزّ حـتى أهنَّا النُّضـارا
اذا ما تحـلَّق مسـتعليـا تَعلَّقَ بالطبـع يبـغِى الفِـرارا
فثَــوَّرَ خَمْسـا اذا ما نطقنَ بأخبارِهِ خِلتَ نقعا مُثارا
اذا جادهنَّ ندًى جُــدْنَهُ وإن فـرَّ طِرْنَ إليه نِفارا
هوِينَ الأَمانةَ حـتى ٱجتهـد نَ ليقضينَهُ ماءَه المسـتعارا
تَروسُ (٣) عليهنّ فى وسْطِهنَّ كُبرَى تعـولُ بنـاتا صِـغارا
برزنَ يُخيِّلْنَ للنـاظرين صوامعَ من حولهـا أو مَنـارا
اذا سـدَّدتْ لطعانٍ قَنًـا (٤) حذفْنَ اليهـا نُصولا طِـرارا
حوتْهنّ معجـزةُ الآيتينِ تجـودُ الحيـا وتُمِــدُّ البحارا
فمن بينِ خَرْكاهَ مضروبةٍ على تَلعـــةٍ حَمَلَتْهـا ٱغـترارا
تَــولَّى مَجَـاريَهـا فوقهـا من المـاء سمحٌ كريمٌ نِجـارا
اذا ما أُديـــرَ لهـا مرّةً لتُعجِبَ جادتْ فدارتْ مِرارا
لهـا آيةٌ لم تكـن قبلَهـا ولكن ظَهَرنا عليهـا ٱقتـدارا
ترى ظلَّهـا جامــدًا مائعا وتحمِـلُ ضدَّينِ ماءً ونارا

(١) الفسيل جمع فسيلة وهى الصــغيرة من النخل ويريد ببنات الفسيل النخل . (٢) الضمير فى "له" عائد الى البستان فى قوله * وشقّ لبستانها عن ثرًى *
(٣) تَروسُ : تتبختر . (٤) فى الأصل "قنى" .

ومثلِ العروسِ "عروسٌ"[1] تُديمُ … يداها على منكبيها النِّثارا
اذا ما جَلَوها أبتْ حِشمةً … بكرسيِّها أن تُطيق القَرارا
طلبنا لها الكُفءَ من قومها … فعزَّ وكان سوى الكُفءِ عارا
فعدنا نزُرُّ[2] عليها السُّجوفَ … فترضَى بها عفّةً وٱختفارا[3]
وكالظبيِ يُظلَم باسم الجمال … فيطغَى إباءً ويُغضِى ٱغتفارا
ويُزبِدُ فوه لُغاما[4] اذا … تفرّق عن شَفَتَيْه ٱستطارا
يسير رويّاً[5] اذا ما ٱغتدت … كبودُ المطايا عِطاشا حِرارا
ولولا الذى فعلَ "الطُّنْبَلَنْبُ" … لقد أنجدَ المدحُ فيه وغارا
ولكنّه خافرٌ للذما … مِ جاورتُه فأساءَ الجِوارا
بغانى فلم أنجُ مع نَهْضَتى … ورحبِ خِطَائِى[6] منهُ فِرارا
رمانى فأصمَى بسهمٍ له … يدور مع المتّقى كيفَ دارا
اذا هو فَوَّقهُ للثيا … بِ ألقَى جروحا تُضِلُّ السِّبارا ١٤٤
فأردَى ردائى وجاءت اليد … لك دُرّاعتى[7] تبتغى منكَ ثارا
قتيلى لديكَ فلا تذهبنَّ … عليكَ دماءُ ثيابى جُبارا[8]
وبيتِ اذا الدهرُ ضامَ الشتاءَ … تعوّذَ منه به فٱستجارا
صحِبتُ[9] الخريفَ به فى المصيفِ … وذكّرنى الليلُ فيه النّهارا

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ويقتضيها السياق لقوله فى النثر الذى تقدّم وصفا لما قيلت بسببه هذه القصيدة : "ومنهن صورة تسمّى العروس" . (٢) فى الأصل "نريها" . (٣) فى الأصل "وٱحتقارا" . (٤) اللغام : زبد أفواه الإبل . (٥) فى الأصل "عوبا" . (٦) الخطاء جمع خطوة ، وقد ورد فى الأصل هكذا "ورحت خطاى" . (٧) الدرّاعة : جُبّة من صوف .
(٨) هذا البيت ورد فى الأصل هكذا

فسلى لدىك فلا تذهبن * عليك وما ساى حبارا

(٩) فى الأصل "صبحتُ" .

وأهـــدَى الهواءَ له ناشـــرٌ جناحين لو حَمَّلاه لطارا
تنصَّتَ للـــريح مستفهما بأذْنين لا يحملان السِّرارا
اذا عَـــبَرَتْ مطلَقاتُ الريا ح يسلُكْنَه ظِلْنَ فيه أَسارى
فتلفِظُ منها السُّمومُ(١) الشّـــرارَ ويُلقِى الينا النسـيمُ الجِبارا(٢)
غرائبُ روَّضتَ يا ٱبن الكرام برأيك منها الشّـموسَ النَّوارا(٣)
وباهلتَ بالأرض فيهـا السما ءَ فٱعـترفت خجلا وٱنحصارا
وقبَّحتَ فى جنب تحسـينها(٤) بأعين أربابهن الديارا
فلو"صاحبُ السَّدِّ"(٥) لاحت له تبيَّن فيما بنـاه العَـــوارا
وقيستْ " لكسرَى " بإيوانه قَلَاهُ ولم يُعطَ عنهـا ٱصطبارا
أرتـــك بدائعها هِمّـــةٌ تُهينُ عليـك العظـيمَ ٱحتقارا
وفضْـــلٌ يُحَلِّيكَ(٦) يومَ الرِّها نِ مَنْ لا يُبِـذُّ(٧) ومَنْ لا يُجارَى
فأُقسِمُ بالله لو أنصـــفو كَ قِسْما ورَدُّوا الىَّ الخِيـارا
لمـا كنتُ أرضَى لك الخافقيْـ ـن مُلكا ولا جَنَّةَ الُخلد دارا

* * *

وأنفذ اليه أبو القاسم سعدُ بن الكافى الأوحد هدّيةً مقترنةً بهديَّةٍ من أبيه، وكتابا يعتذرُ فيه من التقصير عمّا فى نفسه من قضاء حقّه، فكتب اليه

بُلِّغتْ صبرا فقـالت : ما الخبرْ قلتُ : قلبٌ سِيمَ ذلًّا فنفـــرْ
لا تعـــودى فى هَوًى ظالمـــةً ربّمـا عاذ بحِـــلِم فانتصرْ

(١) السُّموم جمع سَمٍّ وهو الثقب . (٢) الجِبار : الأثر . (٣) الشموس النوار : الممتنعة النافرة . (٤) فى الأصل "تحصيابا" ولو راعينا التحريف لعلها تكون تحصينها . (٥) فى الأصل "البيد" . (٦) فى الأصل هكذا " وفصل بحملك " . (٧) فى الأصل " ينذ " .

نظرةٌ أعرضتُ عنها أعقبتْ غضبا آذنَ للقلب النظرْ
أرهفتْ سيفيْن في أجفانها كلَّ مَنْ غرًّا يبتْ على غررْ (١)
أقسمتْ مَن جَرحاه لا براء (٢) يا طبيبي متْ ودائي في الحَوَرْ
أرسلتْ ليلةَ صدّتْ طيفَها ناظرا أين رقادي من سَهَرْ
قال : حيّاني ، فقالت : نائما طرفُه؟ قال : نعم ، قالت : غدَرْ
يا هوَى حسناءَ! ما شئتَ لها من فؤادي ، غيرَ ذلٍّ وخَوَرْ
رُبَّ يومٍ باهلتْني بالصِّبا وصَغارٌ عندها حظُّ الكِبَرْ
وتنكَّبتُ (٣) مُدِلًّا وَفْرةً (٤) نَشَرَ العنبرَ عنها مَنْ ضَفَرْ
فرأت شَيْبا فقالت : غُيِّرتْ قلتُ : ما كلُّ شبابٍ في الشَّعَرْ
غُيِّرت بيضاءَ في سودائها قلتُ : مهلا! آيةُ الليلِ القمرْ
ما لغزلانٍ تصافيني الهوى ما استطاعتْ وأُجازيها (٥) الكَدَرْ
أنِستْ إذ يئستْ من قَنَصي فاستوى ما قرَّ منها ونفَرْ
وهل "الزَّوراء" إلا وطنٌ يخدعُ الشوقَ وفي أخرى الوطَرْ؟
يا ندامايَ بها النِّسيانُ لي ولكم منِّي حِفاظي والذِّكَرْ
كلَّ يومٍ أنا أبكي منكُمُ صاحبا بالأمس بقَّاني ومَرّْ
إنّ في "الرَّيِّ" و"سعدٍ" عِوضًا كلّما قايستُ طابَ وكَثُرْ
سوف أنجو راكبا إحسانَهُ كلُّ مركوبٍ سوى ذاك خَطَرْ
ساريا أجنُبُ كُبْرَى هِممي أطلبُ المرعَى لها حيثُ المطَرْ
خاب من رام المعالِي حاضرا والأماني في كَفالاتِ السَّفَرْ

(١) هكذا بالأصل ، وعلى هذه الصورة يكون قد دخل على هذا الشطر "الكفّ" وهو واقعٌ في كلمة "عَلَى" والكفُّ حذفُ السابع الساكن وهو عيبٌ . (٢) يريد لا برأ . (٣) تنكّبتُ : ألقيتُ على منكِبي وهو مجتمعَ رأس الكتف والعضد . (٤) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .
(٥) في الأصل "وإجارتها" .

(١٤٥)

ما الغِنَى والمجدُ إن زرتَ فتًى ذا تناهٍ وهو ناءٍ لم يُزَر؟
لا تباعِدْهُ الليالى إنّه أملٌ بين "جُمادَى" و"صفَرْ"
بأبى الساقى وبالغيثِ صدًى والفتَى الحلوَ الجَنَى والشُّهدُ مُرّ
عَلَّمتْ أعداؤه أموالَه لَمَمًّا(١) يمنعها(٢) أن تَستقِرّ
يافعٌ مكتهِلٌ من حلمه للصِّبا السنُّ وللرأىِ(٣) الكِبَرْ
يا أبا "القاسِم"(٤) صابتْ(٥) نِعمةٌ لك لم يعدُ بها الغيثُ الزَّهَرْ
لم أزلْ أصبرُ علما أنه أبدا يُعقَبُ خيرا من صَبَرْ
ناظرا عادكُمُ(٦) فى مثلها جَنَّةً لى من عذابٍ منتظَرْ
كان جُرحا جائفا(٧) فآندملتْ قرحةٌ منه وكَسرٌ فجُبِرْ
يا ملوكَ "الرِّىِّ" هل داركم الـ ـأرضُ طُرًّا أم تعولون البَشَرْ؟
وَسِعَ الناسَ جميعا جودُكم فآستوى من غابَ عنكم وحَضَرْ
واصلَتْ شاعرَهم نُعمَى لكم لم تدعْ مفحَمَهم حتّى شَعَرْ
حلِّ(٨) يا "سعدَ العلا" بَهماءَها(٩) مِن قَبولٍ بحُجولٍ وغُرَرْ
وآجلُ لى أُخرَى على الكافى متى آحْـ ـتشمتْ منه حياءً وخَفَرْ
عرفَتْ مَنَّكَ فيما قبلَها فأتتْ واثقةً تقفو الأَثَرْ
حاجةٌ تمّتْ ووافَى حظُّها حين نبّهتُ لها منك "عُمَرْ"(١٠)

---

(١) اللمم : الجنون . (٢) فى الأصل "تمنعها" . (٣) فى الأصل "والرأى" .
(٤) فى الأصل هكذا "يا باقسم" . (٥) صابت : مطرت . (٦) عاد جمع عادة .
(٧) جائفا : بالغا الجوف . (٨) فى الأصل "خلِّ" . (٩) البهماء : السوداء .
(١٠) لعلّه يشير بذلك الى قول بشار بن برد مادحا عُمَر بن العلاء :

اذا دهمتك عظامُ الأمور * فنبِّه لها عُمَرا ثمّ نَمْ

وفى رواية : اذا أيقظتك حروبُ العدا * فنبِّه لها عُمَرا ثمّ نَمْ

*
* *

وكان فخرُ الملك ليلةَ أنشدَه القصيدةَ اللاميّة التى أوّلها

* أروم الوفاءَ الصعبَ بالطلبِ السهلِ *

خلع عليه خلعةً نفيسةً، وأتحفه ببعضِ ما فى مجلسه من التحايا والألطاف، ثم وصل فخرُ الملك الى حضرة أمير المؤمنين القادر بالله رضوانُ الله عليه مستخرِجا خلعةً ولواءً للملك سلطان الدولة ، فقُدِّم وأُكرِمَ وبلغَ من التميز الى غايةٍ لم يُدركها أحدٌ من نظرائه، ونُوِّه بٱسمه فى الخطاب والتلقيب، وقُلِّد سيفا مُحلًّى بذهبٍ تشريفا له ، فقال يَذكُرُ ذلك، ويهنّئه بمكان المِنحةِ،ويَذكُر ما أتاه اليه، ويشكره عليه، ويسأل مُعاوَدة الرسم فيه، وأنشدها فى يوم المهرجان

فَكاكُك أيّها القلبُ الأسيرُ غدًا، لوقال حادى الركبِ: سِيرُوا
عسى الأظعانُ تُطلِعُ إن أثاروا هلالًا كان تكفُره الخدورُ
وإن أخذوك أنتَ وخلّفونى فسِرْ معهم فذاك لهم يَسيرُ
تَعلّقْهم عساهم أن يُذِمُّوا(١) عليك من الصبابة أو يُجيروا
لِمَن شَدَنيّةٌ(٢) سبقتْ عِجالًا فما تدرى أتقصِدُ أم تجورُ(٣)؟
يخوض الليلَ سائقُها أنيسا بآيةِ : لاحَ بين يديه نورُ
وكيف يَخاف تيهَ الليلِ رَكبٌ تَطلّعُ من هوادجه البدورُ
يناجزُ فى الوَداعِ معاتباتٍ لهنَّ كبودُنا ولنا الزفيرُ
أكنتَ معى بعينٍ أم بقلبٍ "برامةَ" والعيونُ إلىَّ صُورُ(٤)؟

(١) أن يذمّوا عليك : أن يأخذوا عليك الذمّة . (٢) الشدنيّة : الناقة المنسوبة الى موضع باليمن أو الى فحل من كرام الإبل . (٣) فى الأصل "أو" . (٤) صور : مائلة .

غداةَ أقولُ – وٱبتهجتْ جِبـاهٌ(١) عطفنَ علىّ وٱبتسمت ثغورُ – :
أَمَا من قُبلةٍ فى الله؟ قالوا : متى حَلَّتْ لشاربها الخمـــورُ؟
وقارَكَ وٱلتفتْ تَرَهُنَّ بِيضًا، كَبِرتَ! فقلتُ : مِسكينُ الكبيرُ
ألَا يا صاحِبَىَّ تمليَّانى، أطاعَ إبايَ(٢) وٱعتدلَ النُّفـــورُ
أرى كبدى وقد بَردتْ قليلا ، أماتَ الهمُّ أم عاشَ السرورُ؟
أم الأيامُ خافتنى لأنّى "بفخر الملك" منها أستجيرُ؟
ذرانى، عاد إمـــلاحى ... يرًا ويفعُمُ بعد ما نضبَ(٣) الغـديرُ
طغَى أملى وطال قصيرُ باعى ويَنْمِى الشىءُ أوّلُه حقـــيرُ
ولا تتعجّبا من خِصب رَبْعى فَربعى بعضُ ما جادَ الوزيرُ
ولكن بايعاهُ(٤) عن لسانى فإنّى حين أَعجِـزُ أستشيرُ
ظهـــورُك آيةٌ لله صحَّتْ بها الأديانُ وٱشتفت الصدورُ
وزالت شُبهةُ المرتابِ(٥) فى أن تُكشِّفَ عن ضمائرها القبـــورُ
رآك وميِّتُ الآمالِ حىٌّ بجودك والنـدَى الأعمى بصـــيرُ
فآمنَ "بالمسيح" وآيتيه وأَنْ نشأتْ من الطِّين الطُّيورُ
وأيقنَ أن "موسى" شقَّ بحرا بأن شُقَّت بكفّيك البحـورُ(٦)
ولمّا أن أتيتَ على فتــورٍ وبابُ ضلالةِ الأمم الفتـــورُ(٧)،
وأبصرَ قبلك الماضين مَرُّوا ولمّا تنتظِمْ بهم الأمـــورُ،

(١) فى الأصـل "حياة" . (٢) يريد إبائى . (٣) فى الأصـل "نضت" .

(٤) فى الأصل "بانعاه" . (٥) فى الأصل "المرتات" . (٦) يشير بذلك الى قوله تعالى (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَى بِإِذْنِى) . (٧) يشير بذلك الى قوله تعالى (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ) .

١٤٦

صبا "لمحمّدٍ" وأطاع فيه — وقال: الرُّسْل خيرهم الأخيرُ
أقول بمعجزاتك لا غُلوًّا — وكاتمُ نعمةِ المعطِى كفورُ
إذا الأسماء أُلزمتِ المعانى — فأنت الحقُّ والوزراءُ زورُ
رأيناهم وكلُّهُمُ شُكولٌ — مُصلِّيهم (١) لسابقهم نظيرُ
بكَ انتصر الملوكُ [وأنتَ (٢)] فيما — دَعوْك لنصره نِعمَ النصيرُ
فأنت الليلةُ القَمراءُ بانت — على الأخَواتِ واليومُ المطيرُ
حميتَ كبيرَهم إذ حُمَّ وقتٌ — تحوطُ به وقد كَبِرَ الكبيرُ (٣)
وماتت دولةٌ فأقمتَ أَخرَى — فلا موتٌ عصاك ولا نشورُ
وباشرتَ الخلافةَ فاطمأنّتْ — على أمرٍ ومطلبُه عسيرُ
ويومَ (٤) العهدِ والوافى قليلٌ — أطاعك منبراها والسريرُ
ألينَ عليك مُعجَمُها المُعاصِى — وخَفَّ اليك مجلسُها الوقورُ
درَى "الفِهرىُّ" حين أسفَّ قومٌ — وطِرتَ بأىّ قادمةٍ تطيرُ
رآك بهَدْيِهِ لجزاك خيرا — وقد يتفرَّسُ الرجلُ البصيرُ
وأعطاك التى نشزتْ (٥) قديما — وإن هى أُغليتْ فيها المهورُ
وأفرشك الكرامةَ لم يدُسْها — جبانٌ (٦) فى الملوك ولا جسورُ
مقالا فى اصطفائك واعتقادا — يُحيلُ على اللسان به الضميرُ
وقلّد سيفَه بيدَيْه سيفا — طويلٌ نجادِهِ عنه قصيرُ
حساما كان "للمنصور" حِصنا — ولم يك للمدينة بعدُ سورُ

(١) المُصَلِّى : الجواد يأتى فى الحلبة ثانيا . (٢) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل فرجّحناها ليستقيم بها المعنى والوزن . (٣) كبر : أسنَّ وهرِم وقد ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

حميت كبيرهم أو حمّ وقتٌ — تحـوط أوكبر الكبيرُ

(٤) هذه الكلمة فى الأصل "يو" . (٥) فى الأصل "نشرت" . (٦) فى الأصل "جنان".

وصـاحَبَ بعــده الخلفاءُ تِرْبا رفيقا حين يجلِسُ أو يثورُ
تـــذلُّ له المنـابرُ يرتقيهـا وتألفُـــه المناكـبُ والجورُ
وما كفؤٌ له لولاك كفؤا ولكنّ الذُّكورَ لهـا الذُّكورُ
أميرُالمؤمنـينَ يقول : خـذْهُ فإنّـك فى تقـلُّده الأمـيرُ
ولو عَقلتْ "عُقَيْلٌ" شاورتنى فكنتُ برأيِ ناصِحِهـا أشـيرُ
فورتِ مكانَ لم تجِـدى ثباتا ، ويقتُـلُ ذِكرَهُ البطلُ الفَرورُ
إذنْ فتزحزحى عن دارِمُلْكٍ لغـيرِكِ ضَرعُهـا ولكِ الدُّرورُ
أغرَّكِ "بالجزيرةِ" ما أغرنا ! نظارِ(١) فقـربَ ما آرتجع المغـيرُ
فـلا تتـوهَّمى بالشــرِّ لينا فقــد يتألَّقُ النَّصـلُ الطـريرُ
تخطَّتْها ــ وإن وسِعتْكَ ــ مَرعًى فكم دارٍ تُبِـيرُ(٢) كما تُمِـيرُ(٣)
ويَقطَعُ عُضوَه المرءُ آضـطرارا وإن أَلِفتْ مَنابِتَهـا الشُّـعورُ
سمعتَ بشائرَ الظفَـرِ آستمعْ لى أُعِـدْ خبرًا وأنت به خبـيرُ
أنا المولى صنعتَ اليــه نُعمَى أخى فيهـا حسـودٌ أو غيورُ
جذبتَ من القُنوع بهـا ذراعى فطارت دون أخمَصِىَ النسـورُ
نفائسُ لم ينلْهنَّ آقـتراحُ الـ ـمُنَى فيما تُسَـدِّى أو تُنِـيرُ(٤)
بَرَدْتَ علـى الزمان بهـا فؤادى وكان عليـه مِرجلُه يفورُ
وها هى نالت الأيّامُ منهـا فجـدِّدْ ، أَخلَقَ الظِّلَ الدُّثورُ
يزور المهرجانُ برسم قـومٍ ولى رسمٌ يشـوق ولا يزورُ
وقوم يكرمون على الأَسَامِى فتُرخَى الحُجْبُ عنهـم والسـتورُ

(١) نظارِ كقطامِ بمعنى آنتظرى . (٢) تُبِـيرُ : تُهلك . (٣) تُمِـيرُ : تُطعم .
(٤) تُنير : تُلحِم .

١٤٧

يقولُ الشعرُ ـ إن حضروا وغبنا ـ فدى الغُيَّاب ما قال الحُضورُ (١)
يكرِّرُ غابرٌ (٢) ما قال ماضٍ وقِدْمًا أخلقَ المعنَى الكُرُورُ
وأحلَى القوِ أسلمُه منالا فما هذى الشقاشِقُ والهديرُ
تَطَبَّعتِ القرائحُ واطمأنَّتْ فَلِمْ يتكفئونك يا صبورُ
بهذا الحكمُ حين تحالباها (٣) نقائضَ (٤) حاز زُبدتَها "جريرُ"

⁂

واتصلتْ من مجد المعالى مؤيّد الملك رحمه الله مقاماتٌ فى وصفه، وأفعالٌ جميلةٌ فى الثناء عليه، ومعاضدةٌ على بعض الناس ممن اعتمد أذيَّتَه، وعنايةٌ حاضرةٌ وغائبةٌ بشئونه يُؤثَر بعضُها من مثله ويُكبَر، وما زال مؤثِرا على قديم الوقت لأن يخصّه بشىء من شعرٍ، موافقا لما يبعثه على ذلك، فقال يشكره ويهنّئه بعيد الفطر، ويُعرِّض بذكر الرجُل الذى آذاه، وأعانه عليه

ينام على الغدر من لا يَغارُ ولا يُظلَمَ الحرُّ فيه انتصارُ
علَىَّ لعينِى اختيارُ الحبيبِ وإن خاننى فإلَىَّ الخِيارُ
ملكتُ فؤادى على "بابلٍ" وعقَّ أخاه الفؤادُ المُعارُ
وفيمن سمحتُ به للخُمو لِ أبيضُ ليلٍ سُراه نهارُ
اذا شكرتْ حُقْبُهُ (٥) خصرَه تظلَّمَ من مِعصَميْه السِّوارُ

---

(١) فى الأصل "قدا". (٢) الغابر: الحاضر والماضى وهو من الأضداد والمراد به هنا الحاضر. (٣) يريد: بهذا كان الحكم. ويريد بالتثنية فى "تحالباها" جريرا والفرزدق وكلاهما من كبار الشعراء فى دولة بنى أمية وكانا يتهاجيان وقد وُضع فى أهاجيهما كتابٌ اسمه "نقائض جرير والفرزدق".
(٤) النقائض جمع نقيضة وهى أن يقول شاعر شعرا فينقض عليه شاعر آخر حتى يجىء بغير ما قال، فيقال هذه القصيدة نقيضة تلك التى قالها فلان ومنه "كتاب نقائض جرير والفرزدق" المارّ ذكره وفى الأصل "نقائص". (٥) الحقب جمع حقاب وهو شىء تشدّه المرأة على وسطها وتعلّق به الحلي.

وبدرٌ وما عُـــدَّ من شهره ... سوى هجره والتجنّى سِـــرارُ
تطلّـــعَ يُتبِعـــنى مقلتيـــ ... ـه مختمرا من حُلاه الخِمارُ
وكنتُ الحليمَ وفى مثلها ... تخِفُّ الحلومُ ويهفـو الوقارُ
أُحبُّ الجفـاءَ عـــلى عـــزّةٍ ... ولا أحمل الوصلَ والوصـلُ عارُ
قَضيتَ وتهوَى، ويرضَى الفتى ... بطيفٍ يزور وربعٍ يُـــزارُ
وهبّتْ تـــلوم عـــلى عفّـــتى ... وتحـــذر لو قد كفاها الحِذارُ
تقول : القناعـــةُ موتُ الفـــتى ... اذا أُلفتْ والحيـاةُ اليسـارُ
وما الناسُ — لو أنصفتنى الحسا ... بَ — والأرضُ إلا صديقٌ ودارُ
وما آرتبتُ حـتى رأيتُ اليمِيـ ... ـنَ تُعقَد فى الحقِّ عنهـا اليسـارُ
وتَطمعُ بالشـعر لى فى الغنى، ... متى نَصـــح الطمعَ المستشـارُ؟
ولم تدرِ أنّ المسـاعى الطوا ... لَ آفتُهن الحظوظُ القِصـارُ
وما علمُ طِبِّـــك من علّتى ... وصـــبرىَ والكرمُ الإصطبارُ
اذا لم يبِينُ(١) أَسًى أو أُسًى(٢) ... فكيف يَبِينُ غـنًى وآفتقارُ
خَـــبَرتُ رجالا فما سرّنى ... عـــلى الودّ ما كشفَ الإختبارُ(٣)
ولمّـا غلِقتُ برهن الوفاء ... لهم تركونى "بنجدٍ" وغاروا
فلا يُبعِـــد اللهُ مِن ظلمهـم ... أخلّاءَ حَصُّـوا جَناحى وطاروا
وجرّبتُ حظّى بمـدح الملوك ... مِرارا وكلّ جناهـا مُرارُ(٤)
وكم من مُقامٍ توقّـــرتُ فيـ ... ـه طاروا له فرحا وآســـتطاروا

(١) يبِينُ : يبِنْ، من قولهم : بيّنَ الصبح لذى عينين بمعنى بان . (٢) الأسى بالفتح : الحزن، والأسى بالضم جمع أُسوة وهو ما يتعزّى به الحزينُ . (٣) فى الأصل "الآختيار". (٤) المرار : شجر مُرٌّ اذا أكلته الإبل قلَصت شفاهُها .

وخفَّتْ مسامعُ هنَّ الجبالُ ... وجفَّتْ أناملُ هنَّ البحارُ
وأُخرَى ولم يأتني نفعُها ... ويا ليت لم يأتِ منها ضِرارُ
اذا ما دعوتُ "زعيمَ الكفاة" أدركني الماءُ والحطبُ نارُ
وقام لها ناهضَ المنكِبْين ... يُقلِّصُ عن قدَميْه الإزارُ
اذا خاض نَقْعَى حِمًى أو حِجًا ... تفَرَّج عن حاجبيْه الغمارُ
كريمٌ تبرَّعَ بالنصر لى ... وبالخيلِ من دون نصرى آنتشارُ
أَبَى أن أضامَ وردَّ الفِرارَ(١) ... علىّ وأقصى سلاحى الفِرارُ
بلا قَدَمٍ نتقاضاه لى ... فتُرعَى له ذمّةٌ أو ذِمارُ
بلى! فى التجانس حقٌّ جناه ... علىّ، وجارُك بالجنس جارُ
عجبتُ لباغىَّ أن أسترَقّ "وكسرَى" أَبِى ولسانى "نِزارُ"
أرادَ لنقصٍ به بذلَهُ ... وربحِى فى بيع عِرضى خَسارُ
أمانٍ(٢) أصابت له فى سواى ... وخابت معى والأمانى قِمارُ ١٤٨
دمُ الفضلِ ثارَ بِهِ أن يُطَلَّ ... فتًى لا ينام وللمجدِ ثارُ
قؤولٌ اذا الألسنُ المطلَقات قيَّدَها حَصَرٌ وآنكسارُ
يُرَى فَوْرُهُ واصفا غَوْرَهُ ... وهل يصفُ النارَ إلا الشّرارُ
كفى الدولتين عناءُ "الحسين" من يُستشارُ ومَن يُستجارُ
وقُلِّبتا وإليه مصيرُ أمريْهما وعليه المَدارُ
وقمتَ ودون المَقام الحميدِ ... مزالقُ يصعُبُ فيها القَرارُ
وقبلكَ قد جرَّبوا وآجتَنَوا ... وبعدَك وانتصحوا وآستشاروا
وحلَّوا بسيماك مَن جرَّدوه لو قُطِعتْ بالحُلِىِّ الشِّفارُ

---
(١) فى الأصل "القزار" . (٢) فى الأصل "أما إن" .

فــذاك مُدِلٌّ عــلى عجــزه يُــؤمَّرُ وهــو عِيالٌ يُمارُ
طريرُ العِيانِ صدىٌّ اللسـانِ خُطَا لفظـهِ خطأٌ أو عِثارُ
اذا نشر الكِبرُ أعطافَــه طوت بشره الغَــرَماتُ(١) الصِّغارُ
لثــوب الرياســةِ ضيقٌ عليـ ـه معْ وُسْـعِ أثـوابِه وآنشمارُ
غريبٌ اذا أنت فيهـا آنتسبـ ـتَ أدلَى به نسبٌ مســتعارُ
جزتك عن المُلك يومَ الجـزاء وعن فخـره يومَ يُجزَى الفخارُ،
غوادٍ من الحمـدِ والإعترافِ غوارفُ من كلِّ عذبٍ غِزارُ
تجــودك(٢) نَعماءَ تزكو النفو سُ(٣) فيهـا وتَغْــنَى عليهـا الديارُ
وعــنّى ســوائرُ إما تحــطُّ الرّ واةُ وقاطنــةٌ حيث ساروا
عــذَارَى يُحلَّى لهنّ الجمـالُ ويُخلعُ فى حبّهنّ العــذارُ
يُخَيَّـلُ ما نشرَتْ من علاك عيابا(٤) مــتى نشرتْهـا التِّجارُ
اذا حَــبَّرتْ أمّهاتُ القــريـ ـض أخبـارَها وبنـــوه الكِبارُ،
تمنَّــوا بجهــدِهـــمُ عفــوَها على ما سَبَوا غيرَهـــم أو أغاروا
يُقــرُّ لمجــدك إكثارُهـا بمـا(٥) سـلَفتْ أنّه الإقتصـارُ
فإن شفَع العبــدُ فى مذنبٍ نجت وجروحُ الأمانى جُبـارُ(٦)
وإن بلَغ الشكرُ حـقَّ آمرئ فغا يتُهـا معَــك الإنتصـارُ

---

(١) الغرمات جمع غرمة وهى المرة من الغَرْم. (٢) فى الأصل "يجودك". (٣) فى الأصل "النوس". (٤) عياب جمع عيبة وهى ما توضع فيها الثياب. (٥) فى الأصل "ما".
(٦) جبار: هدر وفى الأصــل "حبار" وهو تحريف.

* * *

وبلغه عن أبى منصور بن ما سرجيس عتابٌ جميلٌ، وذكرٌ طيّبٌ، وتشوّقٌ شديدٌ، وتشوُّفٌ الى الوقوف على شىء من شعره، فراسله يسأل ذلك دفعاتٍ، ويخطبُ ودّه، ويرغبُ اليه فى غِشيانِهِ، فأحبَّ أن يكونَ أولُ ما يفسح به المودّةَ أمرا يخصُّه، فكتب اليه هـذه القصيدةَ، وأنفذها يوم فِصح النصارَى بعد الخجل وتكرُّر الرغبة

شواردُ حظٍّ لا يَقِرُّ نَفُورُها ... ورِبقةُ همٍّ لا يُفكُّ أسيرُها

وصحبةُ أيّام تُعَدُّ حظوظُها ... قِصارا اذا عُدَّتْ طِوالا شهورُها

ونزعٌ بأطماعٍ ضعافٍ تمدُّها ... أمانىُّ لم يَقبَلْ يمينا مُعيرُها

أمرُّ على عَميائها أستدلُّها ... وآوِى الى بَلهائها أستشيرُها

بوارقُ ما للعين إلا وميضُها ... ولا للثرى العطشانِ إلا غُرورُها

تعجَّبُ من صبرى وعندى خَلوبُها ... ومُصعِقُها وعند غيرى مَطيرُها

أجِدَّك لم يأنس فمى بشديّها ... فأسئلُ عن أخلافها ما دُرورُها

وجاذبتها ثم آستمرّ ضرورةً ... مَرِيرِى(١) على ما ساءنى ومَرِيرُها

كأنّى اذا لم أقضِ منها لُبانةً ... وقد نضَبتْ أوطارُها ونُذورُها،

وأنّى ترانى أغسلُ الدمَ موجعا ... أو العارَ فآعلم ثَمَّ أنى عقيرُها

عطاءٌ على التقتير إلا غديرةً ... تزاحَمَ حول الأربعين قَتيرُها(٢)

غرابيبُ(٣) من لون الشبيبةِ وُقَّعٌ ... أسَفَّ(٤) من الأيّام بازٍ يُطيرُها

(١) المرير: الحبل اذا أحكم فتله وآشتد ويقال: استمرّ مريره أى آستحكم عزمه. (٢) القتير: الشيب أو أوّل ما يظهر منه. (٣) غرابيب: سود، وهو وصف لموصوف محذوف يراد به الغربان على جرى عادة العرب فى تشبيه الشيب. (٤) أسفّ: دنا فى طيرانه من الأرض حتى كادت رجلاه تصيبانها.

(١٤٩)

تُقسِّى القلوبَ بعدها وحشةً لهــا كأنَّ قلوبَ الغانيات وُكــورُها
تُرِى بوجوهٍ أنهــا بجمالهــا تصيدُ وما الأَشراكُ إلا شــعورُها
أجاور فى شـيبى عيونا قــويّةً على جِزَلِ الشَّيبِ المغالِطِ حُورُها
وكلّ بياضٍ فضــلةٌ لا يليقُهــا اذا لم يكن إلا السواد يَضـيرُها
سلا جمراتِ البين بى : كيف دُستُها يوقَّــدُ بالأنفاس تحتى ســعيرُها
حملتُ بقلبى منهــمُ وهو حَبَّــةٌ ومن عِيسهم ما لا تُقِــلُّ ظهورُها
تلفتُّ بالأظعانِ رَفعا ومَهبِطا تعوَّجُ لى أو تســتقيمُ ســطورُها
بعشواءَ من فــرطِ البكاء كأنما تواعــدَ نارُ الحىِّ بَيْنًا ونورُها (١)
وفيمن نكِرتُ الحلمَ من جَزَعٍ له صبورُ مقاماتِ الوداع شكورُها
اذا أخمتنى قــولةٌ فُصِــحتُ له (٢) وأقتــلُ ألفاظِ الإناثِ ذُكورُها
يدير كئوسا مُرَّةً من لحاظه وفى فيــه أُخرَى حُلوةٌ لا يُديرُها
من العـــربيَّاتِ الكرائمِ درّةٌ تُخاض اليها من "تميم" بحورُها
تلوم آمشاعى فى القناعة جالســا فهــل ثورةٌ تُرضِى المَعالى أثورُها ؟
وأوحدنى كما ترينَ وعفَّ بى فســادُ مودّاتٍ أرَى وفجورُها
وأبنــاءُ عَلّاتٍ (٣) أخوها غنيُّهــا الـ ـصريحُ ومولاها الهجينُ فقــيرُها
وجوهٌ يصــفِّيها النفاقُ وتحتهــا بطائنُ من غِشٍّ يشِــفُّ (٤) كُدورُها
أضمُّ القــوافى لى تنىءُ عليهِــمُ وليس وراء الخِـــدر إلا نُفورُها
وأوحشها ممَّن تُقَـــلِّدُ أنه سواءٌ حصاها عنــده وشذورُها
وأن قياما بالفِناء لذَودِها أعزُّ اذا لم يَرعَ خِصبا مسـيرُها

---

(١) مرجع الضمير فيه قوله عشواء فى أول البيت . (٢) فى الأصل "فضحت". (٣) أبناء العَلّات هم بنو أمّهاتٍ شتّى وأبٍ واحد، الواحد : عَلّة . (٤) فى الأصل "يسف" .

أفى نُصرة الأعرابِ من حسدٍ لها؟ ومنهم بواديها ومنهم حُضورُها !
وفى قومها من "فارسٍ" للسانها عدوٌّ، فسل فى "قيصرٍ" مَن نصيرُها
لعلَّ غلامًا أدَّبَ الملكُ رأيَه تئطُّ(١) به أرحامُها فيُجيرُها
وما ضرَّ فى غير "الكُفاةِ" آرتخاصُها(٢) اذا ما غلَت عند "آبن عيسى" مهورُها
اذا ما دعتْ أفضى اليه آفتراعُها فكان فتاها مَن أبوه وزيرُها
سعى للمعالى سعيَها وهو يافعٌ وأكبرُها من ساد وهو صغيرُها
وهِيبَ وما طَرَّتْ خميلةُ وجهه وأولَى النصولِ أن يُهابَ طريرُها
أراك وما أسديتَ بعدُ صنيعةً يقول الرضا عنها ويَشهَدُ زُورُها
تَخالَفُ أقوالٌ عليك آتفاقُها وتكثُرُ أوصافٌ اليك مصيرُها
لقد نخر النادى أبٌ عَدَلَ آبنَه اذا خاف نجلاتِ الرجالِ نخورُها
وفى شطَطِ الآمالِ فيك لنفسه وأكثرُ آمالِ النفوس غُرورُها
لمدَّ على العلياء منك فنالها يدًا يذرعُ(٣) الرمحَ الطويلَ قصيرُها
لكم وفضةُ(٤) الآراءِ تبتدهونها(٥) فتُصمِى(٦) اذا الآراءُ أشوى(٧) فَطيرُها(٨)
وما وهنتْ فيما تُقلِّبُ دولةٌ وأنتم لها إلا وفيكم(٩) جُبورُها(١٠)
لقد علمتْ كيف آطرادُ نظامها ليالِيَ إذ تُلقَى اليكم أمورُها
اذا ذُكرتْ أسماؤكم هشَّ تاجُها لأيّامه منكم وحنَّ سريرُها

---

(١) تئط : ترقّ وتحنّ . (٢) فى الأصل "تحاصها" . (٣) يذرع : يقيس بالذراع، وفى الأصل "يدرع". (٤) الوفضة : المرّة من الوفض وهو العدْو والإسراع . (٥) تبتدهونها : تقولونها على البديهة . (٦) تصمى : تصيب المقتل . (٧) أشوى : أصاب شواه لا مقتله . (٨) الفطير : الرأى الذى يبدو من غير تروٍّ ومنه " إياك والرأىَ الفطير" . (٩) فى الأصل " الا فيكم" . (١٠) الجبور : جبر العظم .

حلفتُ بمـا يحى الحـير أحلّه ... ويوقدُ ممـا قَـلَّدتْه ضُـفورُها (١)
رَعَوها الربيعَ فالربيعَ وعطَّنـوا ... عليها الى أن ضاق عنهـا سيورُها (٣) (٢)
تسـاقُ الشهورَ والليـالى هـديّةً ... الى ساعة تُوفَى "بجَمْعٍ" أُجورُها
"ببطحاء" لو ما أنبتَ الدمُ روضةً ... لروَّضَ من جارى طُلاها صخورُها (٤)
لقد سرَّ سمعى ما آستطاع مخـبِّرى ... بودِّك ، والأخبـارُ نَزْرٌ سرورُها
سلاما ووصفـا وآشتياقا بغَيبـةٍ (٥) ... ذكتْ لوعتى منهـا وشبَّ زفيرُها
فإنّك للآداب والـودِّ خاطبٌ ... بشـيرُ العلا فيما خَطبتَ بشـيرُها
فقل : كيف تنبو روضةٌ غاضَ برهةً ... جدَا المـاءِ عنها ثم فاضَ غديرُها؟
محاسنُ أيقظتَ العلا فى طلابهـا ... فقـد (٦) نام هاديهـا وقام ضريرُها
فليتك — إن كان المبلّغ صادقا — ... أجابك عفـوا سهلُهـا وعسيرُها
فتحتُ لك الأبوابَ عنها وقد أَبَى ... زماناً حفيظـاها (٧) وحُصِّنَ سُورُها
لئن كانت "الزَّبَّاءَ" (٨) عِزًّا ومَنْعَـةً ... فأنت لها من غير جَدْعٍ "قصيرُها"

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصـل هكذا : والظاهر من السياق أنه يريد أن يُقسِم بالبُدْن التى تُهـدَى وقد حاولنا تصحيحه وتصحيفه على وجوه شتى فلم نوفّق الى ما يرضى الذوق الأدبىّ فأثبتناه كما هو حرصا على أمانة النقـل . (٢) عطَّنوا : اتخذوا لهـا العطَنَ وهو المناخ . (٣) سيورها : جلودها . (٤) الطُّلَى : الأعناق . (٥) فى الأصل هكذا "بعسه" ومنه بدلا من منها . (٦) فى الأصل "فقل" . (٧) حفيظاها : حارساها . (٨) الزباء : ملكة الجزيرة وكان "جذيمة الأبرش" قد وترها بقتل أبيها فغررته وأرته أنها تريد الزواج به فلما قدم عليها قتلته وكان "قصير" من أهل الرأى والحجا عند "جذيمة" ومن ثقاته فذهب الى "عمرو بن عدىّ" وطلب منه أن يثأر لخاله من "الزبّاء" وآحتال على ذلك "قصير" بأن جدع أنفه وخرج كأنه هارب من "عمرو بن عدىّ" حتى قدم عليها ، فلما سألته عن سبب جدع أنفـه قال لهـا : زعم "عمرو بن عدىّ" أنى غرّرتُ خالَه وغششتُه ومالأتُكِ على قتله فصدَّقتْه وأكرمته ، وما زال بها حتى هيّأ "لعمرو" الفرصة فسار اليها برجاله فلمـا رأته وعلمت أنها لا محالة هالكة مصّت خاتمـا فى يدها به سمٌّ وقالت : بيدى لا بيد عمرو ؛ وقصتها طويلة .

ولولا الودادُ ما بَرزنَ سـواهما وقد برَزتْ بالغانيات خدورُها
ولا عاقها فى عَرضِها(١) لمعاشرٍ معارفَها عُجْمُ البصائر عورُها (١٥٠)
اذا آتسعتْ أيمانُها لعطيّةٍ وراجعت الأخلاقَ ضاقت صدورُها
ولكنّها نفسٌ يطاعُ صديقُها على حُكمها فيها ويُعصى(٢) أميرُها
تمَلُّ بها لا طيبَ نشرٍ يفوتها اذا لومستْ ولا جمالَ يبورُها
أزورُ بها دُورَ الملوك طليعةً تـرود لِىَ الأخلاقَ ثم أزورها
وفَسِّحْ(٣) لها فى زينة الفِصحِ موضعا تقوم به، تُتْلَى عليك عُشورُها
ونَلْ وأبوك العزَّ ما حنَّ فاقدٌ وقام على السَّبْع الطِّباقِ مديرُها
وأوفَى بها شُعثٌ لكم يُدرسونها "مزاميرَ" يستوفى اللُّحونَ "زَبورُها"
مُكبِّين للأذقانِ يحتضنونها يصانُ عن الصفح العنيف سُفورُها
تفوتكُمُ بالسمع، والعينُ ما رأتْ ودلَّ على ما فى القلوب نذيرُها
فأُقسمُ لو قُضَّتْ(٤) ضلوعى بعدها لما آلتأمتْ إلا عليكم فُطورُها(٥)

*
* *

وكتب اليه مؤيّد السلطان ذو المجد بن زين الكُفاة بن الصاحب الأوحد ذى السياستين أبى محمد بن مُكرم وهو مؤمَّرٌ على عُمانَ وأعمالِ البحر، يذكر أيّامَ مصاحبته إيّاه فى الصِّبا، ويتشوَّقُ قربَهُ، ويصفُ آستيحاشَه لمكانه، ويحثّه على زيارته، ويرغِّبه فى فوائد الإلمام به، ومنافع غشيانِه، فأجابه عن كتابه نثرا بما آشتملَ على وصف العذر فى التأخّر والآرتفاع لسلوك البحر، وقَرَنَ الكتابَ بهذه القصيدةِ يمدحه، ويعرِّض بذكر إنسانٍ عتَبَهُ على المودّة، وقصده بالأذيّة من أهله، ويذمُّ اليه بعضَ من ببغداد من مدبِّرى الأمور، ويصف السفينةَ البحريَّة وأنفذها اليه

(١) فى الأصل "تعرضها". (٢) فى الأصل "وبعض". (٣) فى الأصل هكذا "رتبة الفسح". (٤) فى الأصل "فضت". (٥) فطور جمع فَطْرٍ وهو الشَّقُّ.

بين "النقا" "فثنية الجِزْعِ" سمــراءُ ترقبُ بالقنـا السُّمرِ
رصفَتْ قلائدَها بمـا سفكتْ من فيضِ دمعٍ أودمٍ هَــدْرِ
ماشئتِ من حَبِّ القلوب أوالـ أجفان فى بيضٍ وفى حُمْــرِ
نزلتْ "منًى" أُولَى ثلاثِ "منًى" فقضت نجـيزة ليلة النَّفْـــرِ
وجلَتْ لأربع عشرة قمــرا والشهــرُ ما أوفَى عـلى العَشْرِ
تَرمِى الجِمـارَ وبين أضلعنـا غرضٌ لهـا ترميــه بالجمــرِ
من لى على عَطْـلَى بغـانيـةٍ شبَّتْ وشِبْتُ وعمرُها عُمرى
لم تنــوِ فى قَسَمٍ تحِلَّتَــهُ إلا اذا حلفتْ على الهَجــرِ
قالت ولِمت فى ضنا جسدى: طَـــرْفى علَى إسقامه عُذرى
وٱستُسقِيَتْ لظَماىَ ريقتَهـا فاستشهدتْ بالآى فى الخمــرِ
وتقــول للعـــذّالِ مُغضَبةً: شيَّبتُــه من حيثُ لا يدرى
قبَّلتُ عصيـانًا عوارضَــه عمدا فأعدى شَعرَهُ ثَغــرى

* * *

وأَخٍ مع السرّاء من عُــدَدى وعلىّ فى الضــرَّاء والشـــرّ
تطوِى حشـاه عـلى تبسُّمِهِ أضلاعَ مُشرجَةٍ(١) على الغِمــرِ(٢)
مولاى والأحداثُ مغمَــدةٌ فاذا ٱنتُضِينَ فَرَى كما تَفْـرى
تَعِبٌ بحفظ هَنـاتِ مَيسَرَتى حتى يعــدِّدَهـا على العُسرِ
الدهرُ أَلْيَنُ منـــه لى كنفـا لو كان يتركنى مـع الدهرِ
ومغيِّم المعــروف يخــدعنى إيمـاضُ واضحتيــه بالبِشرِ
سكَنَ اليفاعَ(٣) وشبَّ مَوقِـدَه نارا يغُـــرِّبهـا ولا يَقْــرى
ذى فطنــةٍ فى الشكر راغبــةٍ وغبـاوةٍ بجوالب الشكـــرِ

---

(١) مشرجة : مضمومة . (٢) الغِمر : الحقد والغلّ . (٣) اليفاع : نقيض الحضيض .

فاذا مدحتُ مدحتُ ماطرةً ... واذا عصرتُ عصرتُ من صخرِ

لا طاب نفسًا بالنـــوالِ ولا ... مَحْضَ المودةَ زُبدةَ الصَّـــدرِ

وأرادنى من غــير ثروتهِ ... أن أستكين لذلَّة الفقـــرِ

يجو بعِــرضى أن يضـام له ... عَرْضُ الفلاةِ(١) وغضبةُ الحُــرِّ

وتنجُّـــزُ الأيّام ما وعـــدتْ ... فى مثــله وعواقبُ الصـــبرِ (١٥١)

"ومؤيّد السلطان" عاليـــةً ... يَدُه بتأبيـــدى وفى نصرى

لو شئتُ فُتُّ سُرَى النجوم به ... وخَفِيتُ(٢) عن ألحاظها الزُّهرِ

ولبلّغتْنِى المجـــدَ سابحـــةٌ ... بالظَّهرِ(٣) ليست من بنى الظهرِ

ترتاح للضَّحضاحِ(٤) خائضـــةً ... [وتكُدُّ](٥) بالمتعـــمِّقِ الغَمـــرِ

تجـــرى الرياح على مشيئتها(٦) ... فتُخالُ طائرةً بمـــا تجـــرى

واذا شراعاها لهـــا نُشِـــرَا ... خفقَتْ بقادِمتيْن من نِسرِ(٧)

فى جانبٍ لينٌ يُدَفِّعُهـــا ... وخِطـــارُها فى جانبٍ وَعْرِ

يحـــدو المطىَّ الزاجرون له ... وتُســـاقُ بالتهليـــل والذِّكْرِ

من لى بقلبٍ فوقها ذَكَـــرٍ ... مُصْغٍ لعـــذلى تابعٍ أمرى

قالوا : الشجاعـــةَ ! إنّه غَرَرٌ ... متقاربُ الميقاتِ والقـــدْرِ

---

(١) فى الأصل "الفلاء" . (٢) فى الأصل "حفيت" . (٣) يريد وصف السفينة بأنها تسبح بظهرها وهو جِرْمُها الذى فى الماء وأنها ليست من الإبل ذوات الظهر . (٤) الضحضاح : الماء القريب القعر . (٥) هذه الكلمة غير موجودة بالأصـل فرجّحناها لاتزان البيت أولا ولإتمام المعنى بها ثانيا . (٦) فى الأصل "مشيتها" . (٧) فى الأصل "نشر" وفيه نظر الى قول مسلم بن الوليد فى وصف السفينة

اذا أقبلت راعت بقُنّة قَرْهبٍ * وإن أدبرتْ راقت بقادمتَىْ نَسرِ

قوله : بقنـــة قرهبٍ أى برأس ثور وحشىّ مسنّ ، و يراد بقوادم النسر المقاذيف .

يومان فى لُجٍّ فإن فَضُـــلا ... بزيادةٍ فبليـــلة العِـــبْرِ (١)
هيهـات منّى ساحلٌ يَبَسٌ ... والبحرُ يُفضى بى الى البحـــر
القصـدُ والمقصودُ من شَـبَهٌ ... فى الجـود أو حدٌّ من الغَـزْرِ (٢)
ما أَنَّ (٣) إلا أنَّ ذا أجِنٌ ... مِلحٌ وذاك زلالةُ القَطْـــرِ
جارَى الملوكَ فبــذَّهم ملك ... سبق القـوارحَ فى سِنِى مُهُـرِ
وأَرَى بنى الستين عجـــزَهُمُ ... فى الرأى وهو آبنُ آثنَتَىْ عَشْرِ
لا طارفُ النعماءِ مـــنتزعٌ ... فيهـا ولا مستحدثُ الفخـرِ
من وارثى العلياء ما آغتصبوا ... مجـــدا ولا ملكوه بالقهـــرِ
أرباب بيتِ مكارمٍ عقـدوا ... أطنـابَه بأوائـــل الدهرِ
ضربوا على الدُّوَل آستهـامهمُ (٤) ... وتقاسمـــوا بالنَّهْى والأمرِ
فى كلّ أفْقٍ منهُـمُ عَـــلَمٌ ... مَرعَى العفاةِ وسَـــدّةُ الثَّغْـرِ
أبناء "مُكْرَمَ" وهى مَعرِفةٌ ... نصروا آسمهـا بإهانة الوفـــرِ
قَطَنـوا (٥) وسار عطاؤهم شَبَهـا ... بالبحـر قامَ ومُلْكُه (٦) يســـرى
فى كلّ دارٍ من مواهبهـــم ... أثرُ الحيـا فى البــلدة القفـرِ
وملكتَ ياذا المجـد غايتَهم، ... ما للبِهـامِ (٧) فضـــيلة الغُـــرِّ
زيَّدتَهـــم شرفا وبعضُهـــمُ ... لأبيه مثـلُ الواوِ فى "عمرو"
ســدُّوا بك الغاراتِ منفردا ... فملأتَ صفَّ الجحفـــلِ المَجْرِ (٨)
ودجا ظـــلامُ الرأى بينهُـــمُ ... فوضَحتَ فيـه بطلعةِ الفجـرِ

(١) العبر : الساحل والحافة . (٢) الغزر : كثرة الدَّرِّ . (٣) ما أنّ : ما هاج وما ثار حتى أشبه صوته الأنين ويريد البحر . (٤) الأستهام : الأقتراع . (٥) فى الأصل "فطنوا" . (٦) مُلْكه مثلّثة : ماؤه وفى الأصل "ملكنه" . (٧) البهام : السود . (٨) الجحفل المجر : الجيش الكثير .

وأبوك يومَ "البصرةِ" اعترفت ... قِمَمُ العـدا لسيوفه النُّكرِ
ألقى عصًا من عزمةٍ بترتْ (١) ... آياتُها حدَّ الظُّبا البُتْرِ (٢)
لقفتْ على "الكَرَجىّ" ما أفكتْ ... كفَّاه من كيدٍ ومن مَكْرِ
فمضى يخيِّر نفسَه خَوَرا ... ذلَّين من قتْلٍ ومن أسرِ
يجدُ الفرارَ أحبَّ عاجلةً ... لو كُفَّ غربُ الموتِ بالفَرِّ
ورأت "عُمانُ" وأهلُها بك ما ... أغنى الفقيرَ وأمّنَ المثرى
صارت بجودك وهى موحشةٌ ... أُنسَ الوفودِ وقبلةَ السَّفْرِ
يفديك مبتهجٌ بنعمته ... أسيانُ (٣) فى المعروف والبِرِّ
ألهاه طيبُ المالِ يُحرِزُهُ ... عن طِيبِ ما أحرزتَ من ذِكْرِ
يبغى عِثارَك وهو فى تعبٍ ... كالليل طالبُ عثرةِ البدرِ
قد قلتُ لما عقَّ : دع مِدَحِى ... زينُ "الكفاةِ" أبرُّ بالشِّعرِ
أُترِكْ مقاماتِ العلاء له ... متأخِّرا فالصدرُ للصدرِ
يا نازحا ورجاءُ نعمتهِ ... منّى مكانَ السَّحْرِ (٤) والنَّحرِ
هل أنت قاضٍ فِىَّ نذرَك لى؟ ... فلقد قضت فيك المنى نذرى
أيّامَ لى وحدى الوفاءُ وكلّ ... النـاس من نَكْثٍ ومن غدرِ
وأرى نداك اليومَ فى نفرٍ ... لم يُشرَكوا فى ذلك العصرِ
أُردد يدى ملأى وحاش لمن ... يعتامُ جودَك من يدٍ صِفْرِ
واعطفْ علىَّ كما (٥) صددتَ أَذُقْ ... طعميك من حُلوٍ ومن مُرِّ
والبسْ من النعماء سابغةً ... لا تدَّريها (٦) أسهمُ الدهرِ

(١) بترت : قطعت . (٢) البتر جمع أبتر وهو القاطع من السيوف . (٣) الأسيان : الحزين .
(٤) السحر : الرئة . (٥) فى الأصل "بما" . (٦) لا تدريها : لا تجعلها غرضا لها .

تَعمَى النـــوائبُ عن تأمُّلِهـا وتُطيلُ فيهـا نَومـــةَ السُّكرِ
مهما تَعُـــدْ[١] خَلَقًا بِجِدَّتِهـا تـــزداد بالتقليبِ والنشـــرِ
وٱسمـــعْ أَزُرْكَ بكلِّ مائلةٍ عينَـــ الضجيعِ خريدةٍ بِكْرِ
نَسْجُ القريحـــةِ ثوبُ زينتها وحُلِيُّهـا من صـــنعة الفكرِ
من سحرِ "بابلَ" نفثُ عُقدتها[٢] سارٍ و"بابلُ" منبِتُ السِّحرِ
وكانمـا سـاقَ التِّجارُ بهـا لك من "صُحَارَ"[٣] لطيمةَ العطرِ
تُمسى لهـا الآذانُ آذنـــةً ولو ٱنهنّ حُجِـــبنَ بالوَقْـــرِ[٤]
حتى أراكَ وأخمَصاكَ معـا قُرطانِ "للعَيّوق"[٥] و"النَّسرِ"
هذى الهَـــدِىُّ[٦] علىَّ جَلوتُهـا وعليكم الإنصـافُ فى المَهـــرِ

* * *

وكتب الى الأستاذ أبى طالب بن أيّوب فى النيروز

لعـــلَّ لهـا مع النَّسرينِ[٧] سِـــرًّا فدعهـا طائراتٍ أن تَمُـــرًّا
ركائبَ واثقينَ من الأمانى وأظهُـــرِها بمـا قتلتْـــه خُبْرًا
تـــلوح خواطفـا فتظُنُّ أمرًا بهـا فى الســـيرِ وهى تُريد أمرا
ســـواءٌ عنـــد أعينهـا سِرارا[٨] قطعنَ الشهرَ أو ساينَ بـــدرا
ولولا أن يخضن مع الدرارِى سوادَ الليـــلِ لم يُخْلَقنَ[٩] حُمـــرا
يُحَطُّ المَيْسُ[١٠] منهـا عن جُنـــوبٍ محلَّقَـــةٍ وكُنَّ رحَلنَ شُـــعرا[١١]

(١) فى الأصل "بعد" . (٢) فى الأصل "نفت" . (٣) صُحار: قصبةُ عمان وهى بلد مشهور بخيراته وطيب هوائه وكثرة أسواقه؛ واللطيمة: العِيرُ تحمل الطيب . (٤) الوقر: الصمم . (٥) العيوق والنسر: اسما كوكبين . (٦) فى الأصل "هادى" ، والهـدىّ: العروس . (٧) النسران: كوكبان يقال لأحدهما: النسر الواقع وللآخر النسر الطائر . (٨) السرار: ليـالى آخر الشهر . (٩) فى الأصل "يحلقن" . (١٠) الميس: الرحل . (١١) شُعْرا جمع شَعْراء وهى الكثيرة الشعر على بدنها .

اذا أرسلنَ فى الحاجات خَطْبًا(١) حَبَوْنَكَ ثيبًا منها وبِكرا
يَكُنَّ الى فَوارِكها(٢) شفيعًا يُقرُّ نِفارَها ويكُنَّ مَهْرا
وراءَ العزِّ نطلبُهُ فإما وصلنا أو بلغنا فيه عُذرا
وماء تُحبس(٣) الأنفاسُ منه وتُستشرَى(٤) به اللَّهَوَاتُ حَرَّا
وردت مع القطا الكُدرىِّ منه أَجُونًا(٥) من بقايا الصَّيف كَدْرا(٦)
أُسيغُ شرابهُ المكروهَ حلوا اذا قايستُه بالذلِّ مُرَّا
وبيتِ قِرًى تشرَّف ساكنوه يَفاعا يَقسِرون العيشَ قَسْرا
نزلتُ به وفيه غِنًى لقوم وسرتُ بجودهم وتركتُ فَقرا
وكالمُهَراتِ فى فَتَياتِ حىٍّ حَكيْنَ رماحَه نخطِرنَ سُمرا
يُردن الخيرَ إلا أنَّ قولا يُظنُّ المستريبَ بهنَّ شَرَّا
خلوتُ بنومهنَّ فلم أوسِّدْ يدى جنبًا ولا جنَّبتُ نُكْرا
ورحتُ وقد ملأتُ الودَّ عينًا بما أودعتُها وملأتُ صدرا
وقافيةٍ على الراوى لَجوجٍ خدعتُ نِفارَها حتى آستقرَّا
تموتُ بموتِ قائلها القوافى وتبقَى لى وللممدوح ذِكْرا
فَصحتُ "ليعرُبٍ" فيها كأنِّى عَجُمتُ "ببابلٍ" فنفثتُ سِحرا
طلبتُ لها من الفتيان فَذًّا(٧) يكون لعِقدها المنظومِ نَحرا
فلم يَعْدُ "آبنَ أيوبَ" آختيارى وقد عمَّقتُ فى ذا الناسِ سَبْرا

---

(١) خطبا : مخطوبة . (٢) الفوارك جمع فاركة وهى المبغضة زوجها . (٣) فى الأصل "يحبس" . (٤) تستشرى : تُفسَد بما يصيبها ، من قولهم : استشرَى البعير عرًّا أى فسد جلده بما أصابه من الجرب . (٥) الأجون : الماء المتغير . (٦) الكدر : الذى فيه كدرة مثل أكدر وكَدِر . (٧) فى الأصل "قذا" .

وما طـــوّفت فى الآفاق إلا وجـــدتُك أنتَ أينَ طلبتُ حُرّا
جنَبتُ بك الهـــوى كهلا كأنى جنبتُ يدِى الشبـابَ المسبـكَرّا (١)
وعلّقتُ المـــودّةَ منك كفّى على زلِقٍ متينِ الفتـــلِ شَزْرا (٢)
دعوتُك والحـــوادثُ ذاهبـاتٌ بِسرحِ (٣) تصـــوّنى طردا وطَـــرّا
وقد طَلَقتْ بنـاتُ الصـــبرِ منّى كأنى لم أكن للصّـــبرِ صِهرا
فكنتَ أخى هوًى وأَبِى حُنُـــوًّا ونفسى نُصـــرةً وبُنَىَّ بِـــرّا
حملتَ حمـالةَ الأيّامِ عـنّى قُلُوصا (٤) فكَّنى منهـا وكَـرّا
مغارمُ أَشكَلَتْ، أقضَيْتَ حتّى الـ ـمودّةِ أم قضَيْتَ بهنّ نَذْرا ؟
أشرتُ الى يديك فصُبتَ (٥) عفـوًا وقد أتعبت أيدى المزن غَفْـــرا
ولمـا ثلّمتْ منّى الليـالى أريتُك خَـــلّةً فســددتَ عَشْرا (١٥٣)
مَكارمُ لم تُسـابَقْ فى مـــداها وقد حَرَصَتْ عليهـا الريحُ حَضْرا
وأخـــلاقٌ صفت من كلِّ غِشٍّ سكرتُ بهـا وما عوطيتُ خمـــرا
ملكتَ حسابَها إرثا حـــلالا فصرنَ لديك حقًّا مســـتَقِرّا
أبًا فأبًا من الأعـــلام فيها نعـــدّهمُ اليك هـــلمَّ جـــرّا
لَعَمْرُ الحاســـديك، وهـــل يُبَقّى لهم حَسَـــدُ الكمالِ عليك عَمْـــرا؟
لقـــد ليموا بمـا نقمـــوا وإنى لأوسعُهم بمـا حســـدوك عُذرا
أَقلْنى العجـــزَ إن قَصّرتُ وصفا لمـا أوليتَ أو قَصّرتُ شكرا
فإنَّ علىّ جَهْـــدَ الفكرِ قـــولا وليس علىَّ عنـــد الغيثِ قَطْـــرا

---

(١) المسبكر : التامّ المعتدل . (٢) الشزر : فتل الحبـــل عن اليسار وهو أحكم لفتله .
(٣) السرح : المـال السائم، وفى الأصل "بشرح" . (٤) القلوص : الوثب . (٥) صبت من صاب المطر يصوب بمعنى انصبّ ونزل، وفى الأصل " قضيت " .

على أنّ القــوافى الغُــرَّ عنى ... كوافلُ بالذى أَرضَى وسَرَّا
تروح عليك أو تغــدو التهـانى ... بهنّ حــوافلَ الأخـلاف غُزْرا
اذا مَطَرَتْ ترى الأحسابَ بيضا ... بمـا يُثنِينَ والأعراضَ خُضْرا
كأنـ لطيمــةٌ منهـا أُنيختْ ... ببابك ، فارتدعْ[1] ما شئتَ عِطـرا
تعــدّ الدهرَ نيروزا وعيــدا ... وصــوما راجعا أبدا وفِطــرا
فتصحَبُــه بأنفذَ منــه أمرا ... على الدنيـا وأطولَ فيــه عُمرا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى النيروز

هل عند ريح الصَّبا من "رامةٍ" خبرُ ... أم طاب أن صاب روضاتِ اللّوى المطرُ؟
علامةٌ لك مـن "أمّ الوليد" أتت ... تعــلو الرياحُ بهـا والمزن تحــدرُ
كأنّ ما هبَّ عِطــريًّا مجاسِــدُها[2] ... منفوضــةً وكأنّ البـارقَ الأُشُرُ[3]
هـــوًى ترامت به الأيّام تُبعــدُه ... وقرَّبتْــه لك الآياتُ والذِّكَرُ
ونازلٌ "باللوى" يسليك صــورتَهُ ... تيهُ الطريق و ينسيك آسمَــهُ الحذَرُ
سرى الى الشرق مشتاقا وما فُقِــدتْ ... عينٌ له "بلوى خبتٍ"[4] ولا أَثَرُ
يُجشِّمُ البــدرَ أن يشقَى برؤيتــه ... ويلبَسُ الليــلَ زوّارا فيعتكرُ
ما آستوطنـ البيـدَ لولا أنه رشأٌ ... وما آمتطى الليــلَ لولا أنه قمــرُ
يا مِنّــةً للكرى لولا حلاوتُهـا ... ما ذُمَّ ـ وهو وفاءٌ فى الهوى ـ السهرُ
مدَّ الظلامُ بهـا قبــلَ الصباح يدا ... بيضاءَ بانَ بهـا من أمســه السحَرُ

---

(١) يقال : آرتدع بالطيب بمعنى تضمّخ .
(٢) المجاسد جمع مُجسد وهو القميص يلى الجسدَ .
(٣) الأُشُر : حدّة ورقّة فى أطراف الأسنان .
(٤) لوى خبت : آسم موضع ، وفى الأصل "خبث" وهو تحريف .

فى الضـاربين على "البَلْقـاءِ" باديةً ... يَسبِي لهـا الحرَّ من أبنائه الحَضَرُ
تُصبِي الأحاديثُ عنهـا وهى نازحــةٌ ... والسـمعُ يعلَق ما لا يعلَق البصرُ
سمراءُ غارتْ عليهـا ــ وهى تُشبِهها(١) ... فى القدّ واللون ــ تحميها القنا السُّمُرُ
تَلينُ خَلْقًا و يجفـو خُلْقُها فكأنْ ... فى جسمِها المـاءِ(٢) أُلْقِي قلبُهـا الحَجَــرُ
"سعديّة" تدّعِى أنــ الوفاءَ لهـا ... من صُلب "حاجبَ" حبلٌ ليس ينبتِر(٣)
فـا لها وفــؤادى فى خِفارتِهـا ... والشـوقُ يرعاه ظلمـا ليس ينتصرُ
لوشاء بعـدُ جِوارِى وهو مطّـرِحٌ ... من شاء، قال: "التميميّون"قد غدروا
ما أنكرتْ "أمُّ خير" وهى معرضة؟ ... أغيرَأنْ لونتْ من لِمّتى الغِيَرُ؟!
وَفَى الصِّبَا للهـوَى إذ(٤) كان حالفه ... لا يُخلَقُ الحبُّ حتى يُخلَقَ الشَّعَرُ
أرى المنى بعـدُ تُملِي لى سـوالفَها ... وفى المشيب الذى آستقبلتُ مزدجَرُ
أشتاق حاجاتِىَ الأولَى وتجـذبنى ... الى آتبـاع النُّهى حاجاتِىَ الأُخَــرُ
ما أشرفَ الحلمَ لولا ثِقل محمِـلِهِ ... وأجمَـلَ الصمتَ لولا قولهم: حَصَرُ
وما أعزَّ الفـتى فى ظلِّ عفّتِـهِ ... لو شُـوور الحزمُ أولو صحّت الفِكَرُ
ما لكَ(٥) فى الحرِص إلا فضـلُ ذلّته ... والرزقُ يفعل فيـه ما آشتهى القـدَرُ
خُلْقانِ فى هــذه الدنيـا مُعاسرةٌ ... ما طولِبتْ، وبها إن تورِكت يُسُرُ
قنعتُ منهـا بمـا بلَّ الصـدَى كِبَرًا ... من همّتى ظنَّ قـومٌ أنه صِــغَرُ
أسوِّفُ العيشَ حسنَ الظنِّ أجـبُرُه ... على فسادٍ وجَــبْرُ الظنِّ منكسرُ
مرقِّعا بالمنَى أرجــو غدا فغــدا ... تأتى الحظوظُ وحظّى بعــدُ منتظَرُ
رضًا بنفسِىَ أو ودِّ آمرئ ثِقــةٍ ... أغنَى به، وغنىُّ المـالِ مفتقِــرُ ١٥٤

(١) فى الأصل "نشب". (٢) يريد فى جسمها الذى هو كالماء. (٣) ينبتر: ينقطع، وفى الأصل "ينتشر". (٤) فى الأصل "إن". (٥) دخل الطىّ على هذه الكلمة وهو حذف الرابع الساكن وقد كرر كثيرا فى هذه القصيدة.

وإن مدحتُ ففخـــرٌ(١) لا أعابُ به ... ولا يكذِّبُ إخبـارى به الخُـــبرُ
اذا غلوتُ بقـــوبٍ فيـــه لم ترنى ... الى المـــروءة فيما قلتُ أعتـــذرُ
حدِّثْ بفضلِ بنى "عبدِ الرحيم" وما ... طابوا على قِـــدَمِ الدنيا وما كثُروا
وآستشهد الصُّحُفَ الأولى بما نقلت(٢) ... عنهـــم وما قصَّت الآثارُ والسِّـــيَرُ
المكتفيـــن اذا غابوا بشُهرتهـــم ... عن الشهادة والكافين ما حضَروا
أبنـاء ذِروة هـــذا الملكِ قد فرَعوا ... سَنامَه يطلبون النجمَ ما آنحـــدروا
تملَّكوا قَـــرَبَ(٣) الدنيـا وشِرعتَهـا ... لا يَردُ النـاسُ إلا كلَّ ما صـــدَروا
لا تستخفُّهـــم الأحداثُ إن طرقت ... عن الحُلومِ ولا يُطغيهـــم البطَـــرُ
اذا بـــلوتَ تُقـاهم أو بصـائرَهم ... فى نعمةٍ شَكَروا أو نكبةٍ صبَروا
تكلَّموا وأَرمَّ(٤) النـاطقون لهـــم ... لا يؤمَرون ولا يُعصَوْن إن أَمَروا
يُدعَون فى السنواتِ الشُّهبِ(٥) جامدةً ... فيفعلون بها ما يفعـــلُ المطـــرُ
غاض الفُراتُ وضنَّ المزنُ وآنبعثتْ ... فى المـــزنِ تُعصَرُ أيديهـــم فتنعصرُ
لو ركَّبوا فى أعاليهـــم أناملَهـــم ... [يوم](٦) الوغَى خُضِّرتْ أطرافُها الحُمُرُ
إن كنتَ فيمن طواه البينُ ممـــترياً ... منهـــم فعنـــدك من منشورهم خَبَرُ
هذا "الحسينُ" حياةٌ خُلِّدتْ لهـــمُ ... ليسوا بأوّل موتَى بابنهـــم نُشِروا
صَـــلَّى(٧) فزادت على السُّبَّاق حَلبتُـــه ... محـــلَّقُ العُرفِ جارٍ خطـــوُه حُضُرُ(٨)
كالسهـــم أَحرزَ ذكرا يومَ تُرســـله ... لم يُعطِـــه أبواه القـــوسُ والـــوتَرُ
عُصـارة فضَلتْ فى الطِّيب طينتَهـا ... والخمـــرُ أطيبُ شيء منـــه يُعتصَرُ

(١) فى الأصل "فخر". (٢) فى الأصل "انقلبت". (٣) القرب: طلب الماء ليلا.
(٤) أرمّ: سكت. (٥) الشهب: البيض، و يكنى بالبياض عن الجدب والقحط. (٦) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل. (٧) صلَّى الجوادُ اذا جاء بعد الذى جلَّى. (٨) الحُضُر: آرتفاع الفرس فى عَدْوه وقد ضُمّت الضاد للضرورة الشعريّة.

لا يعدَم "الصاحبَ" ٱبنُ الليل قوّسهُ طـــولُ السُّرى وتَنَقَّ(١) عظمَه السَّفرُ
فـــوَّزَ فى البيـــدِ لا ظـــلٌّ يَفِيء له ظُهْـــرًا ولا يتّقيه من ندًى سَحَـــرُ
تَرمِى به غرضَ الأخطـارِ حاجتُهُ يحـــلو له المِلحُ أو يصفو له الكَدِرُ
يُحسُّ أو يـــتراءى(٢) كلَّ مُخلِفَـــةٍ(٣) لا سمعَ يَصـــدُقُه فيها ولا نظـــرُ
يَرى سمَاوتَه(٤) فى المـاءِ يُنكِـرُها من طول ما ٱختلفتْ فى عينه الصُّوَرُ
حتى اذا ملّت الأقـــدارُ شِقـوتَه وحان من سعيه أن يُدرِكَ الظفـــرُ
آنَسَ مِن جوده نارا مبشِّـــرةً بـــبَرْدِ عيشته من حيثُ تستعـــرُ
فجـاء يقتافُها حتى أصاب قِـــرًى يأخذُ منـــه ٱشتطاطَ النفسِ أو يذَرُ
بينا تكونُ البـــدورُ الطائفاتُ به ولائذا وتُذَكَّى للقِـــرَى البِـــدَرُ(٥)
فلا خلا منـــه ربعُ الفضـــلِ يَعمُره(٦) بالمـال يُقسَمُ والأقـــوالِ تُدَّخَرُ
وبَيْضـــةُ الملكِ يحميها فما كَرَبت(٧) مـــذ قام يَشعَبُها بالرأى تنفطِـــرُ
تيمَّنوا بٱسمـــه حتى لقـــد وثقـــوا لو سار فى غير جيشٍ أنهـــم نُصِروا
طلقُ النقيبـــةِ لم يعقِـــل سـعايتَه(٨) عن مطلبٍ "رجبٌ" يُخشَى ولا "صَفَرُ"
غَرَّرَ فى العـــزِّ حتى نال غايتَـــهُ وجانبُ العزِّ مركـوبٌ له الغَرَرُ
لو عِيبَ ما عابه شىءٌ يُزَنُّ(٩) به مِـــن النقيصـــةِ إلا أنه بَشَـــرُ
حلا له الحمـــدُ حتى ما لَه ثمـــنٌ يغـــلو عليـــه وحتى مالُهُ هَـــدَرُ

---

(١) تنقّ : استخرج النِّقْىَ وهو المخّ . (٢) يتراءى بمعنى يرى ، وفى الأصل "تنزأ" . (٣) المخلفة : السحابة تُطمِعُ فى النزول ثم تَنكُصُ عنه . (٤) سماوته : شخصه . (٥) يريد ذوات البدر جمع بَدرة وهى جلد السخلة . (٦) فى الأصل "يعموه" . (٧) كربت : يقال كرب يفعل أى كاد يفعل وهو من أفعال المقاربة و يكثر تجريد خبرها من أن و يقلُّ ٱقترانه بها والمشهور فيها فتح الراء ونُقِل كسرُها . (٨) فى الأصل "سعادته" . (٩) يزنّ به : يظَنّ به أو يتّهم به .

لو وَهَبَ المرءُ يوما نفسَه سَرَفا | لم يَهَبِ النفسَ إلا وهو مختصرُ
عَجمتُ أيّامَ دهرى صعبةً بكُمُ | فسالمتْنى وفى أيّامها خَوَرُ
وكان لى عندَ حظّى قبلَ ودِّكُمُ | ثأرٌ فقمتُ بكم كالسيف أثّئرُ(١)
فلتأتينَّكُمُ عنّى وبى أبدا | غرائبٌ وهى فى أوطانها فِقَرُ(٢)
تسرى مراكبَ للأحساب، تَعرِضُها | على العيون شِياتٌ(٣) كلُّها غُرَرُ
اذا تحلَّتْ فمعناها قلائدُها الـ | ـضار أو لفظُها أقراطُها(٤) الدُّرَرُ
ممّا ولَدتُ وإن خالفتُ منصِبَها | "كِسرى" أبى وأبوها نِسبةً "مُضَرُ"
تسرُّكم وتسوء الحاسدين لكم | ونفعُ قومٍ لقومٍ غيرِهم ضَرَرُ
فى كلِّ يومٍ جديدِ العهد مبتكرٍ | تسوقُها لكم الرَّوْحاتُ والبُكَرُ
لها بأحسابها طُولٌ وما قطَعتْ | سَيْرا وفيها عن استحقاقكم قِصَرُ
وقد سمعتم سواها قابلين له | فكيف يحلو لجانى النحلةِ(٥) الصَّبِرُ
وإن تشابهتِ الألفاظُ واتفقتْ | فرُمّةُ(٦) الحبل شكلا حَيّةٌ ذَكَرُ

* * *

(١٥٥)

وقال فى غرض له

ياليلةً ما رأتها أعينُ الغِيَرِ | لم ينجُ لى قبلَها صفوٌ من الكَدَرِ
كأنها ساهمتنى فى السرور بما | أولت فطالت، وعمرُ الليل فى القِصَرِ
يئست من صبحها حتى التفتُّ الى | وجهِ العِشاء أعزِّيه عن السَّحَرِ
كم يوم سُخطٍ صفا لى منه ليلُ رضًا | حتى وهبتُ ذُنوبَ الشمسِ للقمرِ

(١) أثّئر : أُدرِكُ ثأرى، وأصله أثتئرُ قلبت التاءُ ثاءً . (٢) فِقَر جمع فقرة وهى العَلَم من جبل، ويريد بذلك أن قصائده أعلامٌ فى مواطنها . (٣) شيات جمع شية وهى العلامة . (٤) فى الأصل "قراطها" . (٥) فى الأصل "النخلة" . (٦) الرمة : القطعةُ من حبل بال .

*
* *

وكتب الى حضرة مؤيّد الملك أبى علىّ الرّخّجىّ فى المهرجان وهو بواسط، يمدحه وقد آستبطأ خدمته، وأنكر تأخُّرها عنـه، ويذكر وقوفَ أمره فى أشياءَ أنعم بترتيبها من معيشته خلفاءُ له، وتولّى إنشادَ هذه القصيدة أبو طالب بن أيّوب

تَغـرَّبْ فبـالدار الحبيبـةِ دارُ وفُـكَّ المطـايا فالُمنـاخُ إِسـارُ
ولا تسأل الأقــدارَ عمّـا تجـرُّه مخـافةَ هُـلكٍ والسـلامـةُ عارُ
اذا لم يَسَعْها الأمنُ فى عُقـر دارِها نخاطِرْ بها، إنّ العــلاءَ خِطارُ
أرى إبِلى تَعصِى الحُـداةَ كأنمـا بـوازلُها تحتَ الحبـالِ بِكارُ
تَقامصُ من مسِّ الهوان جُنوبُهـا كأنّ الأذى طـردٌ لهـا وعَوارُ
تَحَسَّى(١) القذَى المنزورَ من ماءِ أهلِها وتأبىَ النمـيرَ العِـدَّ وهْو(٢) بحارُ
ومـذ علِمتْ أن الخَشاشـةَ(٣) ذلّةٌ ففى خَطْمها من أن تُخَشَّ نفارُ
لغـيرى قِـرَى ألبانِهـا ولحومِها ولاحِقَـةٌ(٤) من أُدْمِهـا(٥) وحُـوارُ(٦)
متى دبَّ ماءُ الضيمِ فيهـا فلم تعُـدْ مطىَّ قِفـارِ الأرض وهى قِفـارُ
وإن لم تُناضِلْ من عقودِ نُسوعِها(٧) نصـولُ نَعًى سيبَ اللِّصابِ(٨) تَبَارُ(٩)
ظِرَابُ(١٠) الغضا من تحت أخفافها سَفًا(١١) يطيشُ وأحقافُ "الغويرِ" حِفارُ

---

(١) تحسَّى محـذوفة التـاء الأولى بمعنى تشرب، وفى الأصـل "تحاشى" ولا تتّفق والمعنى.
(٢) فى الأصل: "وهى". (٣) الخَشاشةُ: العود يوضع فى أنف البعير. (٤) اللاحقة: الناقة تقبل اللقاح، وفى الأصـل "لاخة". (٥) الأدم جمع أدماء وهى التى فى لونهـا سمرة.
(٦) الحُوار: ولد الناقة من حين يرضع الى أن يُفطم. (٧) نسوع جمع نِسع وهو سَيْرٌ أو حبلٌ من أَدَم تشدّ به الرِّحال. (٨) اللِّصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادى، ويقال: "أعذب من ماء اللصاب".
(٩) التَّبار: الهلاك. (١٠) ظِراب جمع ظَرِب وهو ما نتأ من الحجارة وحُدَّ طَرَفُه، وفى الأصـل "طراب". (١١) السفا: التراب الذى تَسفيه الريح.

كأنّ السياطَ يَقتلِعنَ اذا هــوت ... ســفائنَ منهـا ، والسرابُ بِحارُ
مُقامى على "الزَّوراء" وهى حبيبــةٌ ... مع الظُّلم غَبنٌ للعُــلا وخَسارُ
وكم حَلَّةٍ مجفــوَّةٍ ولهـا الهــوى ... وأُخرَى لهـا البغضـاءُ وهْى تُزارُ
وفى غيرها المجــدُ الذى كان مَرّةً ... لهـا شرفٌ فى قُــربه ونخـارُ
اذا حملتْ أرضٌ تراب مــذلَّةٍ ... فليس عليهـا للكـريم قَــرارُ
وكم عزمةٍ مرتاضةٍ قــد ركبتُهـا ... نخضْتُ بهـا الحاجاتِ وهْى غِمارُ
وذى سِــنَةٍ فجَّعتُ بالنوم عينَــه ... وأجفانُه عَطْفًا عليــه طَــوَارُ(١)
صَحَا لى وقد ناديتُ من سَكرةِ الكرى ... وقــد دار فى عينَيْــه منــه عُقارُ
تنجّزتُ أقصَى جودهِ وهــو كارهٌ ... ولم يك للمــولَى عــلىّ خِيـارُ
وليلٍ أضافَ الصبحَ تحت جَناحه ... وحُصَّ فــلم يرفعْهُ عنــه مَطـارُ
هجمتُ عليــه قادحا ببصــيرتى ... دُجاهُ، وليــلُ الزِّبرِقانِ(٢) نَهـارُ
ومُشتَرِفٍ(٣) من العفـافِ ٱطلاعتُــهُ(٤) ... وقــد نام واشٍ وٱســتقام نوارُ(٥)
فــلَم يَتَــوَصَّمْنِى وسَادُ عــلوتُه ... بعيبٍ ولم يَشْهَــدْ عــلىَّ إزارُ
وقافيةٍ أسهلتُ مجــرَى طريقهـا ... لهـا فى حُلوقِ القائلين عِثـارُ
نُضـارٌ من القــول الذى لم يُرَدْ به ... لُجَــينٌ ولم يوجد عليــه نُضـارُ
اذا ما ٱستبقْن الحسنَ يُسطْن عن فمى ... شَرَدْنَ فــلم يُعــلَقْ لهن غُبـارُ(٦)
يعــيّرنى قــومٌ خلوٌّ معـاطنى ... وفيهــم رُغاءٌ(٧) ما ٱشتَهَــوا ونُعـارُ(٨)

---

(١) الطَّوار: ما كان على حَدّ الشيء أو بحذائه. (٢) الزبرقان : البدر. (٣) المشترف : المكان يشرف عليــه . (٤) ٱطلعته : طلعته وعلمته . (٥) النَّوار : النُّفورُ من الرِّيبــة .
(٦) فى الأصل "عمار" ولعلها "عِصار" وهو أيضا الغبار الشديد. (٧) الرغاء : تصويت الإبل ، وفى الأصل "دعاء" . (٨) النعار : الصياح والتصويت بالخيشوم ، وفى الأصل هكذا " نعار" .

ولا عيبَ أن أهزلتُ وحدى وأَسمَنوا اذا أنا أنجـدتُ العــلاءَ وغاروا
ولستَ ترى الأجسامَ وهى ضئيلةٌ نواحــلُ إلا والنفــوسُ كِبارُ
خفيتُ ونُورى كامنٌ فى قَناعتى وما كلُّ ما غَــمَّ الهــلالَ سِرارُ
وكيف أذود النومَ أخشى خَصاصةً ولى من كلاءاتِ الوزيرِ جِــوارُ
ونعماه، إن دهرى أغار حُماتَه على الحُرِّ من مسّ الهـوانِ، تَغارُ
اذا ضمّنى "مــؤيّد الملك" مانعـا فما لدمِ الأيّامِ عنــدىَ ثارُ
نُكولى اذا أمسكتُ أطرافَ حبله قُــوًى وآفتقارى فى ذَراه يَســارُ (١٥٦)
سقى اللهُ ماءَ النصر كفًّا بنانُها(١) غصـــونٌ لها دُرُّ البحار ثِمارُ
وحيَّـا على رغم الكواكب غُرَّةً(٢) أسِــرَّتُها للمعتفين منارُ
ترى الرزق شَفَّافا وراء آبتسامِها كما شَفَّ عن لَمـعِ البروق قِطارُ(٣)
وزاد آنبساطا فى الممالك راحةٌ يمــينُ الحيا إن جاودتْه يَسـارُ
من القــوم لو(٤) طار الفخارُ بمعشرٍ الى غايةٍ فــوق السماء لطاروا
بَنِى الملكِ، والدنيا بماءِ شبابها وأيّامُها زُغْبٌ(٥) تــدبُّ صِغارُ
خيامٌ على أطنابها "زُنجيّــةٌ" لها فى سماواتِ الفخار ديارُ
وزيريّةٌ جَدًّا فجَــدًّا يعُــدُّها على المجــدِ عرقٌ ضاربٌ ونِجارُ
يُراحُ عليها بالعشىِّ لَبــونُها(٦) اذا رُوِّحتْ على البيوتِ عِشارُ(٧)
وشَقَّ دُجُنّاتِ الخطــوبِ برأيه بصــيرٌ له سرُّ الغيــوب جِهارُ

---

(١) فى الأصل "بناتها". (٢) فى الأصــل "الكواعب" وليست بوجيهه ولعلها محرفة كما رجّحنا. (٣) طار جمع قَطر وهو المطر. (٤) فى الأصل "إن". (٥) زغب جمع أزغب وهو الفرخ نبت ريشه الخفيف. (٦) اللبون: غزيرة اللبن. (٧) عِشار جمع عُشَراء وهى الناقة مضى على حملها عشرة أشهر، وعُشراء وعِشار كنُفساء ونِفاس ولا ثالث لهما.

اذا ردّ فى أعطافه لحظاته ... تشعشع سربالٌ له وصدار (١)
قريبُ الجنى حلوٌ لأيدى عفاته ... وأشوس بين العاقرين مرارُ
اذا ما بدا للعين راقت بشاشةٌ ... عليه وراعت هيبةٌ ووقارُ
فيُطمِعُ فيه ثغرُه حين يجتدى ... ويؤيِس منه الأنفُ حين يغارُ
له اللهُ (٢) من مُلكٍ حميت سريرَه ... وغايتُه للطامعين وجارُ (٣)
وقد نام عنه الدافعون وكُشِّفتْ ... خَبَاياه للأبصارِ وهى عَوارُ (٤)
مددتَ بباعيْه فلم يُرَ معصمٌ ... له بارزًا إلا وأنتَ سِوارُ
وغرَّ بك الأعداءَ خُلْقٌ مسامحٌ ... لهم وخلالٌ أن رضيتَ خِيارُ
وما علموا أنّ النصولَ شوارعٌ ... على عَلَقِ (٥) الأكبادِ وهى طِرارُ
فإنَّ رقابَ الأُسْدِ دون عراكها ... مصارعُ للآجالِ وهى قِصارُ
وقد جرَّبوا عزميك والجودُ ساكنٌ ... على السَّلم والنقعُ الأغمُّ (٦) مُثارُ
وكم لك من يومٍ يخيمُ (٧) شجاعُهُ ... ولا يَصِمُ المهزومَ منه فِرارُ (٨)
تناكَرَ عنه المدّعون فلم يكن ... سوى اسمك للأبطالِ فيه شِعارُ
وقفتَ له والمرهفاتُ كأنّها ... دبًى (٩) فوق بَيْضِ (١٠) الدارعين مُطارُ
ولو أنَّ حدَّ السيف خانك دونه ... وَفَى لك جَدٌّ لم يعقْه عِثارُ
أَسِلْ (١١) مُزنَتَىْ كفَّيْك يَغرَقْ بها العدا ... وسِمْ (١٢) باسمك الأعداءَ فاسمُك نارُ

(١) الصدار : قيص صغير يلى الجسد . (٢) فى الأصل " لك الله " ولعله تحريف .
(٣) الوجار : الجحر . (٤) العَوار : العيب . (٥) العلق : الدم الغليظ الشديد الحمرة ، وفى الأصل "غلق" . (٦) الأغم : المظلم ، وفى الأصل " الأعمّ " . (٧) يخيم : يجبن وينكص ، وفى الأصل هكذا " يخم " . (٨) فى الأصل " قرار " . (٩) الدبى : الجراد .
(١٠) بيض جمع بَيضة وهى الخُوذة من الحديد توضع على الرأس . (١١) فى الأصل " أسا " .
(١٢) سم : فعل أمر من وسم بمعنى كوى ومنه الميسم وهو الحديدة التى يُكوَى بها ، وفى الأصل "شم" .

ولا تَلْقَ يـــومَ الرَّوع إلا مُصالتا … بجَـــدِّك إن كلَّت ظُبًا وشِـفارُ
فإنّ لجُرحِ الســـيف لا بـــدَّ ثائرا … [له] (١) وجراحات الجدود (٢) جُبارُ
قضى اللهُ فى حُسَّادِ ملكك أنهـــم … وَقودٌ وأنّ الغيـــظَ منك شرارُ
فألسنُهم غيظًا بواردُ (٣) رَطْبَةٌ (٤) … وأكبادُهم خافَ الضلـــوع حِرارُ
تناهوْا (٥) حِـذارا أن يُعَلَّى حديثُهـم … فما بين كلِّ آثنين فيك سِرارُ
ولاموا نجـومَ السعدِ جهلا وإنما … تدورُ لك الأفـــلاكُ حيث تُدارُ
تُواقِفُ أقدامَ الأســـودِ كأنما … جَنابُك عزًّا أن يُرامَ مُغَارُ
وتَخجَلُ من دفع الحقـــوقِ كأنما … لنائلك من فـــرط الحياء خِمارُ
أجبْ دعوةً ياســـيّد الوزراء لم … تُجبْها قريبا إذ دعتْك مِرارُ
تناديك عن شوق، مواقدُ نارها (٦) … فـــؤادى، وأنفاسى الحـــرارُ أُوارُ (٧)
أُدارِيه خوفَ الشامتين، وظاهرى … قِيـاسٌ لما فى باطنى وعِيـارُ (٨)
الى كم يُقِـلُّ البعدُ ظهرِى وكم يُرِى (٩) … لجنبى على جمـــر الفراق قَـــرارُ
كأنى حيـالَ البعـــدِ بينى وبينكم … يُقَـــدُّ أديمى أو حشاىَ تُعـارُ
ولَيتَ الزمانَ المطـــربى بآقترابكم … كما زال سُكْرٌ منـــه زال خُمارُ
يكاد نزاعى نحوكم أن يطـــيرَ بى … وهـــل لقصيص فى السماءِ مطـارُ
وأُطمِعَ قـــومٌ بعدكم فى تهضُّمى … فشـــنُّوا على أحسابكم وأغاروا

---

(١) هذه الكلمة ليست فى الأصل. (٢) فى الأصل "الحدود". (٣ ، ٤) هاتان الكلمتان وردتا بالأصل هكذا " بوارد طبه ". (٥) هذه الكلمة وردت فى الأصل هكذا " تباهوا " وقد صحفناها الى تناهوا وتباهوا فوجدنا الأولى أحقّ بتأدية المعنى ومعناها نهى بعضهم بعضا. (٦) فى الأصل هكذا " مواقد نار". (٧) الأوار: حر النار. (٨) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

* أداريه خوف الشامتين بظاهرين * الخ

(٩) فى الأصل " ترى ".

ولم يعلموا مقـــدارَ عَطفةِ جودكم ... علىَّ فــلى نقصٌ بهــم وضِرارُ
اذا حبسوا المـاءَ الذى سُقتموهُ لى ... فمن أين تُســقَى سَرحتى وثِمارُ
وقد علمــوا أن لا ٱرتجاعَ لنَيْلكم ... ولا الثوبُ مما تلبَسون(١) مُعـارُ
عسى اللهُ أن يقتـادَ لى بإيابكم ... فيُدرِكَ من باغى ٱنتقاصِى ثارُ (١٥٧)
بكلِّ عزيزٍ بذلُهـا عنـد قومها ... لهـا مَنصِبٌ مَعْ حُسنِها ونِجارُ
اذا خطَـرتْ بين الرُّواةِ حسبتهم ... يمانينَ فيما يحمِـلون عِطارُ
تنِمُّ بمـا فيها كأنَّ طروسَها ... لطائمُ أهدتْهـا اليـك "صُحَارُ"(٢)
تَضوَّعُ رَندًا "فارسيًّا" لجنسها ... "وللعُرْبِ" فيهـا حَنوةٌ(٣) وعَرارُ(٤)
اذا جُلِيَتْ عَطْـلَى(٥) عليك فَحَلْيُهـا ... عُـلاك وحُسنُ الإستمـاع نِثارُ
على المهرجان وسمـةٌ من جمالها ... "عَرُوبَةُ"(٦) منهـا فاصلٌ وشِيارُ(٧)
لئن قَصَّر المقـدارُ خَطوِىَ عنكمُ ... فـلى غايةٌ فى بعثِها وقُصارُ(٨)

* * *

وقال وقد جَرَتْ نَبوةٌ للصاحب أبى القاسم بن عبـد الرحيم بالحضرة ونُفُورٌ مع سلطانه فى خطاب، فٱقتضت ٱعتزالَه عما كان اليه ولزومَ بيته، ثم عاد أمرُه الى أحسن ما كان عليـه(٩) رتبةً وٱرتقاءً وتمكّنًا من الحضرة وٱنبساطا، وأُفيضت المكارمُ عليه، وضُوعِف الإحسان اليه، وكتب بهـا اليه يُعلِمه بمـا تجدّد، ويذكر التهنئةَ وذِكرَ الحالِ، ويحثُّه على إبانة مسرّته بمـا كان يقول فيها، وأنفذها الى واسط

(١) فى الأصل "يلبسون". (٢) صُحار: قصبةُ عُمَان وهى مدينة ليس على بحر الصين أجلّ منها وهى عامرة ومشهورة بطيب هوائهـا وخيراتها وأسواقها. (٣) الحنوة: نباتٌ طيّب الريح. (٤) العرار: النرجس البرىّ أو هو بهارٌ ناعمٌ أصفرُ طيّبُ النَّكهة. (٥) عطلَى: غير متحلية. (٦) عروبة: اسم ليوم الجمعة تعريب "أَرُبَا" النبطية أو "عَروبَتَا" السُّريانيّة. (٧) شِيار: اسم ليوم السبت، ولعله أراد تشبيه قصائده بيوم الجمعة والسبت لجلال مقامهما عنـد المسلمين وبعض أهل الكتاب. (٨) القُصار: الغاية. (٩) فى الأصل "اليه".

هل تَقبـــلون إنابةَ الدهرِ أم تُنصِتون له الى عُـــذر
أم تَعرفون لقُربِ رَجعتِـــهِ ما كان همَّ بـــه من الغـــدرِ (١)
فلقـــد أتاكم يستظلُّ بكم (٢) من حَرِّ سخطِكُمُ ويَســـتذرى (٣)
متنصِّـــلا من هفوةٍ ، يدُهُ كادت تَشَـــلُّ (٤) بها وما يدرى
خزيانَ يُقسِمُ : لا سـعَى أبدا للمجـــد فى وَهْنٍ ولا عَقْـــرِ
وَسْمُ الندامـــةِ فوق جَبهتِـــه ويداه بالإقـــرارِ فى أسرِ
يَلقَ الجراحـــةَ بالدواملِ (٥) من إقلاعِـــه والكَسْرَ بالجَبْرِ
فاستعملوا البُقيـا التى فُطِرتْ فيها حلومُكُمُ من الصخرِ
وآســـتعبدوه بعفوكم فلكم بالجود من عبـــدٍ لكم حُرِّ
وأنا الزعيمُ لكم بعُهـــدتِه (٦) ووفائِه وشفيعُهُ شِـــعرى
قد كان غمرا لم يجـــد خورا وأظافرا خدشت ولم تفـــرِ
ونوافـــذًا حرِشت (٧) فما لقيت حرِجًا (٨) ولا متقبِّضَ الصَّـــدرِ
أُذُنٌ تمجُّ الهُجْـــرَ تسمعه ولسانُ صِـــدقٍ حاضرُ النَّصرِ
طرفٌ أشمُّ من الرجال أَبَى فى الضيمِ أن يُعزَى الى صَـــبْرِ
ومـــودّةٌ كَمَلتْ فعـــوّرها (٩) نَبْذٌ من الإعراض والهَجْرِ
عتْبٌ تخلّص فى تراجمـــه من عثرة الفحشاءِ والهُجْـــرِ
لم يحترِش (١٠) ضَغَنًا ولا حُنِيتْ عُوجُ الضـــلوعِ له على غِمْـــرِ
مَـــدَّ الوشاةُ له رقابَهُـــمُ يتطلعون عواقبَ المكـــرِ

---

(١) فى الأصل "العذر". (٢) فى الأصل "يستطيل". (٣) يستذرى : يستظل و يلتجى.
(٤) فى الأصل "كانت تسل". (٥) الدوامل جمع داملة وهى ما تُبرئ الجرح. (٦) العهدة : الرجعة الى الإصلاح. (٧) حرشت : خشنت. (٨) الحرِجُ : الضيِّق وفى الأصل "جَرَحًا".
(٩) عوّرها : جعل بها عوارا. (١٠) لم يحترش : لم يَجمَع ، وفى الأصل "تحترس".

يرمون بالأبصار رائـــدةً … أنّى تَصُـــوبُ سحابةُ الشرِّ
ظنّوا اليـــدَ اليمنَى اذا بطَشتْ … قعـــدتْ بيسراها عن النصرِ
والنيّران وإن همـــا آختلفـــا … فالشمسُ لا تُرتابُ بالبـــدرِ
يا خاب سعىُ مرقِّشين (١) مشَوا … بالغشّ بين المـــاء والخمرِ
ومسوِّلين نفوسَهم حسدا … أن القِطارَ تُظنُّ كالبحـــرِ
خبطوا من التمـــويه فى ظُلَمٍ … أســـفرن عن مُستَبْهَمٍ وعرِ
لا يســـتقرُّ به الدليـــلُ على … قصٍّ ولا يحنـــو على السَّفْرِ
قـــد عانقوا فيـــه رحالَهُمُ … من قائفٍ أَثَرًا ومســـتقرِى (٢)
يَغلى الهجيرُ بهـــم اذا آنغمسوا … فى الآل غلْىَ المـــاءِ فى القِـــدرِ
نجواهُمُ فيـــه اذا آشتوَروا : … يا ليتَ لم نركبْكَ من ظَهْرِ
قد طَأمنَتْ فقَعوا لها وضَعوا الـ … جبَهات موجةَ ذلك العِـــبْرِ
وأفاقت الأيّام وآعترفت … بمكانِ جَهلتها على السُّكْرِ
فتساندوا أسفا الى صَـــدَفٍ (٣) … هاوٍ على ممطـــولةِ القـــعرِ
ملســـاءَ لا تجد الاكفُّ بهـــا … عَلَقًا (٤) بأنمـــلةٍ ولا ظُفْـــرِ
عَضُّوا (٥) الحصا إن لان من كمدٍ … لضروسكم وآمشُوا على الجمـــرِ
الله أحسنُ للعـــلا نظـــرا … وأبرُّ بالمعـــروفِ والـــبرِّ
وأشـــدُّ ضَنًّا (٦) بالمحاسن أن … يُقوِينَ من عَيْنٍ ومن أَثْرِ (٧)
أو أن تُعطَّلَ (٨) بالذى زعمـــوا … سُنَنُ الهـــدَى ومواسمُ الشكرِ

١٥٨

(١) مرقّشين : مزوّرين . (٢) القائف والمستقرى : المتتبع الأثر وغيره . (٣) فى الأصل "صدق". (٤) العلق : مصدر بمعنى التعلق . (٥) فى الأصل : "غضّوا". (٦) فى الأصل "صبا" . (٧) يريد "أثَر" وسكنت الثاء للضرورة . (٨) فى الأصل "تعطلى" .

والمُلكُ يعــلم أىّ[(١)] سيفٍ وغًى ... يَمضى وسهمٍ رميــّة يَبرى
وترى الرجالَ وفوتَ[(٢)] بينهــمُ ... مثلَ البِهامِ[(٣)] تُقاس بالغُــرِّ[(٤)]
فيُعدُّ للجُــلَّى أتمُّهــمُ ... باعا وأحفظُهم قُــوَى أسْرِ[(٥)]
وأخفُّهم فى صدر موكبه ... سَرْجا وأثقلُهم على الصــدرِ
ورأوا ظلامَ الأمرِ مذ خبــا ... عنهـــم سراجُ النّهْى والأمرِ
قبضوا الذراعَ الرّحبَ واعتقدوا ... أنّ السماء تُقاس بالفِــتْرِ
واستصغروا عفوَ اللبيب فما استغنَوا بجهــل الغافل الغَــمْرِ
حتى اذا أبّت[(٦)] حلومُهــمُ ... فرًّا طليعــةَ رأيهـــم تَسرى ،
عادوا وقــد خَفَّ البُغاثُ بهم ... يستطعمون مخالبَ النَّسرِ
فأقــلْ عِثــارَهُمُ فإنهــمُ ... رجعوا اليك رجــوعَ مضْطَرِّ
واحملْ – كما عوّدتَ – ثقلَهُمُ ... وانهض لهم بالنفع والضرِّ
وأعــدْ مناكبهم كما ألِفتْ ... بك من ثياب العزّ والفخــرِ
وتمــلَّ ما أُلبِستَ من نعَمٍ ... تكسو الزمانَ بهــا ولا تعرى
هذى ثمــارُ الحلمِ مُجلَبَــةٌ[(٧)] ... فتهنَّها ونتيجــةُ الصَّـــبْرِ
وعواقبُ الحسنى ، وواحدة الـ ... حسنات عنــد الله بالعَشْرِ[(٨)]
قد كايلوك بقــدر وُسعهمُ ... من رفع منزلةٍ ومن قــدرِ
فاقنع ولا تُخجِلْ مَكارمَهــم ... بظـــلالِ عالٍ مالُهُ يَجــرِى[(٩)]
ومتى ترمْ ما تستحقُّ فقــد ... كلَّفتُمُ ما ليس فى الدَّهرِ

(١) فى الأصل "أن" . (٢) فى الاصل "وقوت" . (٣) البهام : السود .
(٤) الغرّ جمع أغرّ أو غرّاء ، وفى الأصل "العر" . (٥) الأسر : شدّة الخلق .
(٦) أبّت : تهيّأت للسير وتجهّزت ، وفى الأصل "أنت" . (٧) مجلبة : مجموعة . (٨) يشير الى قوله تعالى (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها) . (٩) فى الأصل "تجرى" .

شمخَتْ بأنفك عِزّةٌ قَعَسَتْ (١) أن تستقادَ بِخِطامِ القَسرِ (٢)
صَمّاءُ من "عبد الرحيم" لها عِرقٌ يمُدُّ إلى "مَنُوجِهْرِ" (٣)
دَرَجَ القرونُ و بيتُ مَفخَرِها عالى العمادِ مخلَّدُ الذِّكرِ
طابت أحاديثُ (٤) الملوكِ ولا كالعَرْفِ من آبائك الغُرِّ
الناضلين بكل صائبةٍ فى الرأى ضافيةٍ (٥) على النَّفْرِ (٦)
سيّارةٍ فى الأرض سنّتُها بالعدل سيرَ (٧) الأنجمِ الزُّهْرِ
والباسطين لمنع جانبهم بُوعا تطولُ على القنا السُّمرِ
واذا الكماة دُعُوا فصدَّهُمُ حَيَنٌ يُغالَطُ عنه بالوَقْرِ
شدُّوا الفِجاجَ الى صريخِهِمُ (٨) يتكاثرون تكاثُرَ القَطْرِ
لهم الجفانُ البيضُ ضاحكة تحت الليالى الكُلّحِ الغُبْرِ
يتنازعون على الحديث، بها يَقوَى مقلُّهُمُ على المُثرِى
كرماء معترفُون إن طرقَتْ أمُّ السنينَ بحادثٍ نُكْرِ
صبروا على البؤسى تعمُّهُمُ فكأنّهم أثرَوْا من الفقرِ
أنشرتَهم بعد الدُّثور كما ولدوك بعد الطىِّ والنشرِ
بك أورقت للمجد دوحتُهُ واهتزّ فى أفنانه الخُضْرِ
وأضاء للأقوال مسلكُها فمضى النجاحُ بركبها يَسرِى
حلفَ السماحُ عليك : لا وَصَلَ ا لـ أسبابَ بين يديك بالوَفْرِ

---

(١) قعست : علت وعزّت . (٢) المخطم : حبل يقتاد به البعير و يثنى على خطمه أى أنفه .
(٣) منوجهر : أحد ملوك الفرس . (٤) فى الأصل "أحادث" . (٥) ضافية : سابغة تقوم مقام الدرع، وفى الأصل "صافية" . (٦) النفر : القوم ينفرون معك و يتنافرون فى القتال . (٧) فى الأصل " بالعدّ " . (٨) فى الأصل " ضريحهم " .

ومن العجائب أن تطيعَك فى ... قَبْضٍ[1] يدٌ هى جدولٌ يجـــرى
أنا ذلك المـــولى المقيمُ على ... صدقِ الهوى وسلامةِ الصدرِ
محفوظةٌ عنـــدى ودائعُكم ... فى الودّ حفظَ نفائسِ الذّخر
خَـــلّى الأقاربُ عنكمُ ويدى ... معصومةٌ بكُمُ الى الحشـــرِ ١٥٩
لا نبـــوةُ الدنيـــا تغـــيّرنى ... عنكم ولا متغـــيّرُ الأمرِ
ناديكمُ ظِـــلّى ودولتُكـم ... عِزّى وعمرُ سعودِكم عمـــرى
جاهرتُ فيكم بالعـــداوةِ مَنْ ... تُخشَى العـــداوةُ منه فى السّرّ
ولقيتُ قـــوما دونكم كرهوا ... أيّامَكم بقـــواصم الظهـــرِ
كم قـــولةٍ جَرَّعتُ قائلَهـــا ... غُصصا بتـــكذيبٍ له مُرِّ
وحملتُ أخرَى خفتُ صاحبَها ... أطوِى الجناحَ له على الكَسْرِ
حتى تَسرَّى الخطبُ وآنفرجتْ ... كُرَبُ الدُّجى بتبلُّج الفجـــرِ
فالان يانفسى لهـــا آنفسحى ... جَذَلا وياعينى لهـــا قَـــرِّى
وانهض بجهدك يالسانىَ فى الـ ... ـبُشرَى لهـــا وتَصَفَّ يافكرى
وآبعث ضوارعَ[2] عنك نائبـــةً ... إن أخَّرتْك عـــوائقُ الدهرِ
ولّاجَةً، تطأ الصـــدورَ بهـــا ... كَلِـــمٌ توسِّعُ ضيقَ العُـــذرِ
نفّـــاثةَ العُقَـــداتِ تحسبُهـــا ... هبطتْ الى "هاروتَ" بالسحرِ
وكأنمـــا نَفَضَ التّجارُ بهـــا ... بين البيوت حقائبَ العطـــرِ
يَشقَى بهـــا المتحرِّشـــون[3] كما ... تشقَى يدُ المشتـــارِ[4] بالدّبْـــرِ[5]
فاستقبـــلوا غُـــرَرا مُوَحَّـــدةً ... سيقتْ لكم من واحدِ العصرِ

(١) فى الأصل " قض ". (٢) ضوارع : مبتهلات، وفى الأصـــل " صوادع ".
(٣) المتحرشون : المتعرضون، وقد وردت هـــذه الكلمة فى الأصـــل هكذا " المحوسون ".
(٤) المشتار : جانى العسل. (٥) الدبر : جماعة النحل.

وتمسّكوا منّى بجوهرة الـ غوّاص وٱحموا معـدِن التبرِ
وٱقضوا نذورَ الشّعر فِىّ فقد قَضَّيْتُ فيكم شاكرا نَذْرى

***

وقال وكتب بها إلى أبى المعالى فى النيروز

اذا رُفعتْ من "شَرافَ" الخدورُ فصبرَك إن قلتَ : إنى صبورُ
ستعلمُ كيف يُطَلُّ القتيـ ـلُ بعد النوى ويُذَلُّ الأسيرُ
فإن كنتَ منتصِرا فاستقدْ بثأرك والعيسُ عَجْلَى تثورُ
وإلّا فَلِنْ جانبا للفراقِ فما كنتَ أوّلَ جَلْدٍ يخورُ
ألا تُسعدانى بعينيْكما وما كنتُ قبل الهوى أستعيرُ
فقد حار لحظِىَ بين ٱثنتين : هوًى منجِدٍ وخليط يغورُ
ترى العينُ ما لا يراه الفؤادُ فيقصِدُ قلبى وطرفى يجورُ (١)
وقفتُ وقد فاتنى بالحُمو لِ غضبانُ ليلٍ سراه قصيرُ
عنيفٌ اذا ساقَ لم يلتفتْ لساقٍ تَطيحُ ومخٍّ يَريرُ (٢)
كفاه مع العيس حسنَ النشاط حنينىَ فى إثرها والزفيرُ
ولما تعيَّفتُ فاستعجمت مَيامنُ كانت بخيرٍ تطيرُ
ولم ادرِ والشكُّ يَنفِى اليَقينَ (٣) إلى أىّ شِقّىَّ طريقى أصيرُ
تَنَبَّهَ، من هاجعاتِ الرياحِ فدلَّ عليكم، نَسيمٌ عطيرُ
وخاطَفَ عينىَ برقٌ تُشا مُ فى حافَتيْه الطُّلَى والنحورُ
وفى الظُّعْن مشتبِهاتُ (٤) الجَما لِ تَشقَى بأعجازهنّ الصدورُ

(١) فى الأصل "يحور" . (٢) يرير : يذوب . (٣) فى الأصل "يأتى" .
(٤) فى الأصل "مشبهات" والبيت بها لا يتّزن .

حملنَ الى قتلنـا فى الجفون ... سـيوفا حمائلهن الشعورُ
وقُلّدنَ دُرًّا تحـدَّيْنَ عنه ... كأنّ قـلائدَهنَّ النحـورُ
بكيتُ دمًا يوم "سفحِ الغويرِ" ... وذاك لهم ــ وهو جهدى ــ يسيرُ
ومن عجبِ الحبّ قَطْرُ الدما ... ءِ من مقلتى وفؤادى العقيرُ
وليـلٍ تعلَّق فيـه الصباحُ ... فما يستَسِرُّ وما يستنـيرُ
يعـود بأوّل نِصفيْـه لى ... اذا قلتُ : كاد وجاء الأخيرُ
كأنّ سـنا الفجرِ حيرانَ فيـ ... ـه أعمَى تقاعدَ عنه بصيرُ
نسـيرُ به ونحطُّ الركابَ(١) ... وغيهبُـه جانحٌ لا يسـيرُ
كأنّ الـثريّا على جنحه ... يدِى من مَقام الهوى تستجيرُ(٢)
سريتُ أشاورُ فيـه النجومَ ... ومالِىَ بالصبح فيها بشـيرُ
إلى حاجةٍ فى العـلا همّتى ... إليها تطول وحظّى قصـيرُ
وهـل ينفعُ الرمحَ ، ما لم يُنَطْ ... بكفٍّ تُطاعِنُ ، نصلٌ طريرُ ١٦٠
عَذيرِىَ من وجه دهرى الوَقاحِ ... وأين من المتجنِّى عَـذيرُ
ومن غَـدرِ(٣) أيّامه العادياتِ ... على ما أذمَّتْ عليـه تُغـيرُ(٤)
ألم يكفِهـا أنّ غصنَ الصِّبا ... ذوَى وآسـتردَّ الشبابَ المعيرُ
ولو نظـرَتْ حسَنا لم تَمِـلْ ... علىَّ ومالِىَ فيهـا نظـيرُ
ومولًى اذا أنا قلتُ : آحتكم ... تفاحشَ يحبِسنى(٥) أو يجـورُ(٦)
رمانى وقال: آحترِسْ من سواىَ ... ليشعَبَ قلبىَ منه الفُطـورُ

---

(١) فى الأصل " يسير به و يحطّ الركاب " . (٢) معناه أن أنجم الثريا تشبه يده حين يرفعها مستعيذا من الحبّ . (٣) فى الأصل "عذر" . (٤) فى الأصل " تعير" . (٥) فى الأصل يحسنى . (٦) فى الأصل "يحور" .

ألم يأته أنّه لا يُجَسّ (١) غَورى ولا يطّبينى الغؤور (٢)
وأن حِمى ”هبةِ الله“ نى من الضيم لو رام ضيمى مجيرُ
ومن يعتصم بمعالى ”أبى الـ ـمعالى“ يبِتْ كوكبا لا يغورُ
يبِتْ للغزالةِ من دونه ذراعٌ قصيرٌ وطرفٌ حسيرُ
حَمَى سَرحَ سؤدَدِه أن يرا عَ أشوسُ دون حِماه هصورُ
وقام بنُصرة إحسانه فتًى لا يُخذِّلُ وهو النصيرُ
طليقُ المحيا اذا ياسروه وجَهمٌ اذا حاربوه عسيرُ
له خُلُقانِ من الماء ذا كَ ملحٌ وهذا فُراتٌ نميرُ
وطعمانِ إن طَمِعَ الحلوفيـ ـه قام يدافعُ عنه المريرُ
اذا انتُهكتْ للعلا حُرمةٌ تمّرَ منه أبِىٌّ غيورُ
وإن جئتَ محتلبا كفَّه سقى من أوامك ضرعٌ دَرورُ
وفَى بالسيادة لَدْنَ القضيبِ (٣) ولم تتعاقبْ عليه العصورُ
ورُشِّح عاتقُه للنِّجاد ولم تُلْقَ أحرازُه والسيورُ
حمولٌ قويمٌ قناةِ الفَقار (٤) اذا ركعتْ للخطوبِ الظهورُ
رحيبُ الأضالع ثَبْتٌ اذا تنفّس من ضِيقهن الضَّجورُ
غنىٌّ بأولِ آرائه اذا ما استبدَّ فما يستشيرُ
سماتُ ابنِ عشرين فى وجهه وفى حلمه عشَراتٌ كثيرُ
كريمٌ تفرَّع من أكرميـ ـن، كَوْرُ (٥) نجارِهم لا يحورُ (٦)

(١) فى الأصل ”يحس“ . (٢) الغؤور : الدخول فى الشىء . (٣) لدن القضيب : كناية عن غضارته وصغر سنه . (٤) قناة الفَقار : كناية عن العمود الفقرىّ . (٥) الكَوْر : الزيادة .
(٦) لا يحور : لا ينقُص ، ومنه الحديث ”نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر“ ، وفى الأصل ”لا يخور“ .

وُسُومُهُمُ فى جباهِ الدهـــو ... ر بالعـــزّ تبقَى وتَفنَى الدهورُ
اذا مات منهـــم فتًى فابنُــــه ... حيـاةٌ لسؤدُده أو نشــورُ
بنَى البيتَ لا ترتقى الفاحشاتُ ... اليــهِ ولو حَمَلتْهـا النُّســورُ
رفيـعُ العمادِ تـــرى بيتَــه ... مكانَ ٱبتنى منكبيْــه "ثَبيرُ"(١)
تَزَالَقُ عنـــه لحـاظُ العيونِ ... فترجعُ عن أفْقِــهِ وهْى زُورُ(٢)
ولو لم يكنْ فى العلوِّ السماءَ ... لمـا طلَعتْ منه هذى البدورُ
لنـــيرانهـم فى مُتونِ اليَفَاعِ ... لحـاظٌ الى طارق الليل صُورُ(٣)
مواقـــدُ تُضرَمُ بالمنـــدلىّ(٤) ... وتُنحـرُ من حولهنَّ البُـــدورُ
عُلًا شادَها مجدُ "عبدِ الرحيم" ... على خُطّةٍ خطَّها "أرْدَشيرُ"
فروعٌ لهـــمْ قَـلَمُ المُلك من ... أصـولٍ لهـــم تاجُهُ والسريرُ
فـــداكم شقىٌّ بنُعماكُمُ ... تلمَّ عَجْـــزا وأنتم سُــفورُ
له حين يبطُشُ باعٌ أشـــلُّ ... من دونكم وجَنــاحٌ كسيرُ
ضعيفُ جناحِ الحشا بائحُ اللـ ... ـسان بمـا ضمَّ منه الضمـــيرُ
يغيض بأذرعكم فِــترُه ... وكيف ينـالُ الطويلَ القصيرُ
تدورُ عليـــه رَحى غيظِـــهِ ... بكم وعليكم تدورُ الأمـــورُ
على صـــدره حسَدٌ أن غَدَتْ ... بأوجهكم(٥) تستنيرُ الصـــدورُ
لكم كلّ يـــومٍ بمـا ساءه ... بشــيرٌ ومنكم اليـــه نذيرُ

---

(١) ثبير: اسم جبل، وفى الأصل "تبير" وهو تحريف. (٢) زور: جمع زوراء وهى المائلة فى عوجٍ وفى الأصل "صور". (٣) صور، مائلات. (٤) المندلىّ: العود أو هو المنسوب الى مَنْدَل وهى بلدة بالهنـد. (٥) فى الأصل "بأوجهك"

فللسيف والسَّرج منكم فتًى … أمـيرٌ وللدّست منكم وزيرُ
وليس له غـيرَ عضِّ البنـان … وذمّ الزمان عليكم ظهـيرُ
بكم وضَحتْ سبُل المكُرماتِ … وبات سِراجُ الأمانى يُنـيرُ
ومالتْ الىَّ رقابُ المـديـ … ـحِ تُصحِبُ(١) وهى عَواصٍ(٢) نُفُورُ
وكان جبانا لسانُ السـؤالِ … فأصبح وهو جرىءٌ جسـورُ ١٦٠
ملكتم نواصِىَ هـذا الكلام … فليس بهنّ سواكم يطـورُ(٣)
لذاك وأنتم فحـولُ الرجا … ل يهواكم الشعرُ والشعر زِيرُ(٤)
وهَبْتُ لسـانى وقلبى لكم … فيوما ودادٌ ويوما شُكـورُ
وأصبحتُ منكم فمن رامنى … سـواكم فذاك مَرامٌ عسـيرُ
لك الخيرُ، إنى فتًى منك شِمْتُ … نداك فأسـبَلَ نـوءٌ غزيرُ
وجوهرة، لم تـلِدْ مثلَها … على طول غوصِىَ فيها البحورُ
وربَّ ندًى لك مسـتملَحٌ … صغيرُك عنـدِىَ فيه كبيرُ
يطيبُ فأبصرتَ منه مكانَ … رضاى وغيرُك عنـه صبورُ
لئن قمتَ فيـه بشرط الوفاء … على فَـوْرةٍ لم يعقها فتـورُ،
فما كان أوّلَ ما يعجزو … ن عنـه وأنت عليـه قديرُ
وكم أملٍ لى حَصيصٍ(٥) وثقتُ … بأنّ جناحك فيـه يطـيرُ
وعنـدىَ من أمّهات الجزاءِ … وَلودٌ وأمُّ القـوافى نَزورُ
تزورك فى كلّ يومٍ أغرَّ … بحقٍّ من المدحِ ما فيـه زُورُ

(١) تصحب : تذلّ وتنقاد . (٢) فى الأصل " عواض " . (٣) يطور : يحيط .
(٤) الزير: الرجل الغزِلُ الذى يحب مجالسة النساءِ ومحادثتهنّ . (٥) الحصيص : القليل الشعر، وفى الأصل " حضيض " .

أوانسُ، جـــودُك من كفئها إذا أبرزتْها اليك الخـــدورُ
وأمـــدحُ قوما ولكننى اليك بمـا قلتُ فيهـــم أُشيرُ

* * *

وكتب اليه فى النيروز

لِمَن الطُلولُ تراقصتْ؟[1] نَجْـوَى حشاكَ قِفارُها!
قفـــرٌ نبـا بك ودُّها وتعلَّقتـــك ديارُها
إن كنتَ أعينَهـا عدمـ ـتَ فهـــذه آثارُها
دِمَنٌ كسـحبة الأزمّـ ـة مُســحلا إمرارُها
ماتت حقائقُهـا وخُـ ـلِّدَ زُورها ومُعـارُها
وآمتدَّ ليـــلُ السافيا تِ بجـــوِّها ونَهـارُها
عندى لها إن أجدبتْ وَكَّافـــةٌ تمتـارُها
أَنِستْ بإسبال الدمو عِ كأنهـا أشـــفارُها
ونعم بكيت، فهل تبـ ـدَّلك سائلا أخبـارُها؟
واهًا لها من حاجةٍ لو قُضِّيَتْ أوطـارُها
يا دارُ تُرْبُكِ والهجـ ـيرُ وأضلعى وأُوارُها
حفظا "برملةَ" إن ألـ ـطَّ[2] بذمـــةٍ غـــدَّارُها
لا ضاع ما بينى وبيـ ـنك عهـدُها وذِمارُها
خلَتِ الليـالى من بدو رِكِ تِمِّـهـا وسِرارُها
حتى كأنّ معيشـــةً لم يحـلُ فيك مُرارُها
ومآربا بربابِكِ ما آسـ ـترختْ لنـا أستارُها

(١) تراقصتْ : ظهرت كأنها ترقص مع بعضها البعض لفعل السراب بها إذ يبينُ طللا ويُخفى آخرَ وهو من قولهم : ترقّصت المفازة أى آرتفعت وآنخفضت من فعل السراب بها . (٢) ألطّ : جحد وأنكر .

إذ كلُّ ذى هَدفين فيـ ـك كِناسُها وصُوارُها (١)
ومسائح الأيام بقـ ـلٌ أخضرٌ وعِذارها (٢)
وجهيرة فى الحسن تُكـ ـتَمُ فى الهوى أسرارُها
كثرت ضرائرها وقـ ـلَّ بذلك آستضرارُها (٣)
بلهاء يَرتبِطُ الحليـ ـمَ من الرجال إسارُها
خبثت أحاديث الوشا ةِ بها وطاب إزارُها
خُلِقَتْ معطَّرةً نخُـ ـيِّـ ـبَ كاسدا عطَّارُها
وتَذَكَّرَتْ أَلفاظُها فثنَى اللثامَ خِمارُها
يا صاحبى، والعينُ تغـ ـنَمُ أو يُظَنَّ غُرارُها (٤)
والليلة الطولى يُخَـ ـوَّضُ بالجفون غمارُها
طرقَتْ "زميلةُ" تجتلى ظلمَ "اللِّوى" أنوارُها
وعلى الرحال مُمَلْمَلو نَ وسادُهم أكوارُها (٥)
فى ليلهٍ لم يَنْثُ غـ ـيرَ حديثها سُمّارُها (٦)
عجبا لها نُفِضتْ إلى سحيقةً أقطارُها (٧)
"بالغوطتين" جبالُها و"ببطن وجرة" دارُها
باتت تعاطينى "بنحـ ـلةَ" نحلةٌ أشتارُها (٨) (٩)

---

(١) الصوار: القطيع من البقر. (٢) المسائح جمع مسيحة وهى ما بين الصدغين الى الجبهة، وفى الأصل "مسابح". (٣) فى الأصل "كبِرَتْ" وهو تحريف يعينه قوله "قلَّ". (٤) الغُرار: الإثم والجناية. (٥) مململون: متقلبون. (٦) ينثُ: يُذِعْ، وقد ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا * فى ليلة بدء غير * الخ (٧) فى الأصل "سحيقة".

(٨) نحلة: إسم قرية بينها وبين بعلبك ثلاثة أميال، وفيها يقول المتنبى

ما مقامى بدار "نحلة" إلا * كمقام المسيح بين اليهود

(٩) أشتارها: أجنيها وفى الأصل "أستارها".

وتبسَّمت عن بَرقـــة عسلُ الرُّضاب قِطارُها
جمــدَ الحيـا بَرَدًا[1] بها وجرَتْ يذوبُ عُقارها
لم يألُ ناظمُ عِقــدِها نَصحا ولا خَمَّــارُها
طرقَتْ بسهلٍ والمسـا لكُ صـعبةٌ أخطارُها
حَلَبَ البكيَّـة ثم جَــدَّ من الصباحِ نِفارُها
فإذا يدى لم تعتـلِقْ بسـوى المنَى أظفارُها
ولقــد رفعتُ طلائحا جُرْدُ[2] البطون قِصارُها
ضاقت مباركها وجا لت فوقَها أســتارُها
"نجدا" تُغرِّبُ، والهوَى "بمحجَّــرٍ" أمّارُها
وعلى الربيئــة أشعثٌ سَدٌّ عليــه غُبـارُها
ذو شَمْـلةٍ سَمَـلٍ[3] يُخا لِطُ جــلدَهُ أطارُها
طابتْ [له][4] صحراءُ "صا رةَ"[5] أثلُهـا وعَرارُها
يرعى قلائصَ تُنتَــقَ وحصَى "الأُبَيرِقِ"[6] دارُها
إن ما طلبتــه بغُزرِها[7] نهضت بهِ أعيـارُها[8]
نظـر الربيعَ بجُهَّــدٍ لبقــوله[9] أوتارُهـا
يا راعىَ البَكَرات[10] ما "نجدٌ" وما أخبـارُها؟
أوقِدْ بذى السَّمُرات[11] لى فقــد آستغمَّ منـارُها

---

(١) فى الأصل "بردائها" وهو تحريف. (٢) فى الأصل "حرر". (٣) سمل: بالية.
(٤) ليست موجودة بالأصل ويقتضيها المعنى والوزن. (٥) صارة: اسم جبل فى ديار بنى أسد.
(٦) فى الأصـل "حصى" بغير واو. (٧) الغزر: النياق ذوات الدَّر. (٨) أعيار جمع عيْر وهو الحمار. (٩) بالأصل "لبعوله". (١٠) البكرات جمع بكرة وهى الفتيّة من الإبل.
(١١) ذى السمرات: ناحية من نواحى العقيق. والسَّمُر لغة: العضاه.

ولو أنها بضلوعِيَ الـ ـعوجاءِ تُذكَى نارُها
إن ينتقِضْ كرُّ الخطو بِ قُواى وآستمرارُها،
ويردّنى نقدُ العيو نِ تصادفَتْ أبصارُها،
وتقومُ لى بيدَىْ مشيـ ـبِ مَفارِقى أعذارُها،(١)
فلربَّ نَضرةِ(٢) عيشةٍ لى صفوُها ونُضارُها
وعَزيبةٍ(٣) من لذَّةٍ راحتْ علىَّ عِشارُها
وقضيَّةٍ فى الحبِّ لم يُملَلْ علىَّ خِيارُها
وصقيلةِ الأنيابِ(٤) تُشـ ـرَبُ حُلوةً أسآرُها
تقع الأمانى دون ما تَثنِي به أسحارُها(٥)
بانت(٦) وذِكرِى طيِّبا دونَ الفراشِ شِعارُها
عرَّجتُ عنها مُعرِضا وقد آستقام مَزارُها
وسلافةٍ كدمِ الغزا لِ تُخال مِسكًا فارُها
ممّا أعانَ عليه "طِيـ ـبةَ بابلٍ" أنهارُها
غالَى بها السابونَ وآفـ ـتقدَ(٧) البُدورَ(٨) تجارُها
فى بيتِ نَصرانيّةٍ باسم "المسيح" عِيارُها(٩)

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

ويقوبى بيدى بشيـ * ـب مفارقى أعذارها

(٢) فى الأصل "نظارة". (٣) هذه الكلمة بالأصل هكذا "وعرسة". (٤) فى الأصل "الأنبات". (٥) أسحار جمع سَحْر وهو الرئة ويراد بها الصدر. (٦) فى الأصل "بانت".

(٧) فى الأصل "واقتعد". (٨) البدور جمع بَدْرة وهى جلد السخلة يسعُ عشرةَ آلاف درهم.

(٩) العيار: ما جُعل نظاما للشىء يقاس به ويسوّى ويقدّر، وفى الأصل "عبار".

وكَتِ القِرافَ بحِجرِها[(١)(٢)] ووِكاؤُهـا زُنّارُهـا
ما كستْ كفَّ مديرِها وعلى هواى مَـدارُها
لمـا حلَتْ رشَفاتُهـا لم تحـلُ لى أوزارُها
وسـواىَ واثِبُ[(٣)] لذّةٍ تفـنَى ويبـقَى عارُها
ما للرجال تروم أشـ ـواطِى الطِّوالَ قِصارُها
أحفيتُ[(٤)] رُسغَ جيادِها وتنـوءُ بى[(٥)] أعيـارُها
سـل ناخسـا إبلى بأ ىِّ تدنُّس عَـوّارُها
وحِمى بنى "عبد الرحيـ ـم" يحوطُها وجِوارُها
فاذا ذراهم نُزْلُهـا مرحـولة وبِكارُها
أَهوِنْ بباغى ضيمِها[(٦)] يوما وهـم أنصارُها
والهضـبةُ الملسـاءُ تَمْـ ـنعُ أن يداسَ خَبارُها[(٧)]
والدوحـةُ العينـاءُ[(٨)] تحـ ـلو للجُناة ثِمـارُهـا
ما بات يُفقِرها الندَى إلا "وثَمَّ[(٩)]" يَسـارُهـا
لولا تُـقَى سُـؤّالهـا لاستُهوِنَتْ أعمـارُها
حلمـاء والكلِمُ القـوا ذِعُ[(١٠)] مُغضِبٌ عـوّارُها

---

(١) وكت كأوكت بمعنى شـدّت بالوكاء فم القربة ، والوكاء : رباط القربة ، وفى الأصـل هكذا "رس". (٢) فى الأصل "الفراق" ولما كانت هذه الكلمة لا تؤدّى معنى اضطررنا الى تحويرها فلم نجد ما يحكيها فى حروفها إلا "القراف" وهى أوعية من جلود واحدها قَرْفٌ و إلا "الغراف" وهو المكيال العظيم الضخم ، وكلاهما يؤدّى معنًى لا بأس به فى السياق . (٣) فى الأصل "وأبث" .

(٤) فى الأصل "أخفيت". (٥) فى الأصل هكذا "ولوى" . (٦) فى الأصل "ضمها".

(٧) الخبار : ما لان من الأرض . (٨) العيناء : الخضراء . (٩) فى الأصل "وتم" .

(١٠) القواذع : الكلمات التى فيها فحش وشتيمة .

ومغامرون إذا الكما ةُ تواكلتْ أغمارُها
عُرْبُ[1] الأكفِّ نمتهمُ من "فارسٍ" أحرارُها
سالت أناملهم وشا لت أنفسٌ[2] ونجارُها
فَحَّاكَ[3] آفاقُ المعا لى منهُمُ وبحارُها
طاروا بمجدهمُ وقدْ مر بالنجوم مَطارُها
ركبَ الصعابَ من ابنهم ركَّاضُها مِغوارُها
وحَمَى حقيقةَ مجدهم سَلِسُ القَناةِ مُمارُها[4]
لاتستباحُ مصونةٌ "وأبو المعالى" جارُها
يقظانُ أسهره اذا ذَكَرَ العيوبَ حِذارُها
قَلِقُ العزيمةِ إن حَمِى[5] صِغَرَ النفوسِ قرارُها
حمَّالُ ألويةِ السيا دةِ ثَبَتُها صَبَّارُها
سبقَ الكهولَ وسِنُّه ما آستُذْرِعتْ أَشبارُها[6]
وجَرَى فقدَّمه على أقرانِه إقرارُها
عجِبوا — وقد لفَّ الجيا دَ الى المدى مِضمارُها — ،
أنّ القوارحَ أُخِّرتْ وتقدّمتْ أمهارُها
لا تعجبنَّ فإنّه امضى النصولِ طِرارُها!
أعلى الكواكبِ فى المنا زلِ والعيونِ صِغارُها
هى دوحةُ المجدِ التى لا يُخلِفُ آستثمارُها

---

(١) فى الأصل "غرب". (٢) شالت: ارتفعت، وفى الأصل "سالت".
(٣) فى الأصل "بخال". (٤) الممار: المتردّد فى المطعون. (٥) فى الأصل "حكي".
(٦) فى الأصل "أستارها".

غدت الرياسةُ مِعصما   فيهـا وأنتَ سِـوارُها
هى خيرُ أهلِ زمانِهـا   بيتـا وأنتَ خِيـارُها
إن السماء اذا سـرتْ   معـدودةً أنوارُهـا
كثُرَتْ كواكبهـا وليـ   ـسَ كثيرةً أقمـارُها[1]
بك عمّ وَدْقُ سحابِهـا   جـودا وتمّ[2] نِجارُهـا
وتشبّثتْ[3] غيظـا بأعـ   ـناقِ العـداة شفارُها
قادحتَها[4] بمحاسنٍ   ما أصلدتْ[5] أيسارُها[6]
وخـلائقٍ مَلَكَ الهوى   لك باقيـا سَحّارُهـا[7]
شقّتْ قلوبَ الحاسدين   وما يُشَـقُّ غبارُهـا
كم من يدٍ لك كالغما   م وكالسحابِ غِزارُها
تُرْوَى بهـا حالى ويُد   رَكُ من زمانى ثارُها
وحصينةٍ من حسن رأ   يك لا يُقَصُّ صِدارُها
تضــفُو علىّ ذيولُها   وتضــمُّنى أزرارُهـا
ولطيفــةٍ باتت وقــد   خفِىَ النــدى آثارُها
أعيتْ إصابتُهـا وإنْ   لم يُعيِــنى إكثارُهـا
والأعطياتُ جمالُها الـ   ـمشكورُ لا أقـدارُها ١٦٣
ففداك مُعْطٍ يبذُلُ الـ   ـنُّعمَى ولا يختارُهـا

---

(١) فى الأصل هكذا
كبرت كواكبها وليـــس كبيرة أقمارها
وهو تحريف يدلّ عليه البيت الذى قبله . (٢) فى الأصل "ثم" . (٣) وتشبثت : تعلقت ، وفى الأصل هكذا "وبسست عيظا" . (٤) فى الأصل "فادحتها" . (٥) ما أصلدت : "ما صلبت" . (٦) الأيسار جمع ياسر أو يَسَر وهو السهلُ الليّن . (٧) فى الأصل "سخّارها" .

ووقتك ريبَ الدهرِ أيـ ـدٍ عُرفُهـا إنكارُها
دينـارُ جودِكِ أو ودا دك لى ولا قِنطارُهـا
وآستأنفت لك عُونهـا ما أسـلفَتْ أبكارُها
تطوِى البـلاد ولم تَرِمْ(١) فقطينُهـا سُـفَّارُهـا
من كلّ طائرةِ الشُّعا عِ اذا آستطار شَرارُها
تصـلُ الكبيرَ ولا يخا ف مـلالةً زَوَّارُهـا
عذراء يُخلَع فى هـوا ك معَ العـفاف عِذارُها
فى أىّ بيتٍ شئتَ منـ ـها قلتَ : ذا سيَّارُها
سعتِ القوافى خلفَهـا وعنَا لهـا جبَّارُهـا
لو ما تقـدّم عصرُهـا وتردَّدتْ أدوارُهـا
ودَّتْ فحـولُ الجاهلـ ـيَّـةِ أنّهـا أشـعارُهـا
لو أُنصِفَتْ فوق الطُّرو سِ لأُذهِبتْ(٢) أعشارُها
فى كلّ يـومٍ هـديّةٌ مستحسَنٌ تَكرارُها
يُروَى لكم بفم التهـا نِئ صفوُها وخيـارُها

⁂

وقال فى غرض له

يالنـوازِى كبدٍ هاجها «بالبان» من «خنساءَ» تَذكارُ
عاد لهـا من بعـد إقلاعها دينٌ من الحبِّ وإصرارُ
يا قـوم، لى من أسرتى قاتلٌ مَنْ لقتيـلٍ ما له ثارُ؟

---

(١) تَرِمْ : تفارق : (٢) لأُذهِبت : لذُهِّبَت .

أرى دَمِى يقطُـــرُ من أنمُـلٍ شـفارُها مُؤْقُ(١) وأشـــفارُ(٢)
ظَبْىٌ رخيمٌ، لفظـــهُ ناسكٌ وطرفُـــه الفـاتكُ عَيَّـارُ(٣)
ضَعُفتُ تحت الغمز من عاجمٍ يصرَعُ لبِّى وهـــو خَـــوَّارُ
أصبحتُ عبـدا بٱختيارى له "وفارسٌ" قومىَ أحـــرارُ
ياموتُ نفسى لك إن أعرضتْ "خنساءُ" أو شطّت بها الدارُ
خوَّفنى بالنـارِ فى وصلهـــا قـــومٌ وفى هجـــرانها النـارُ

⁂

وكتب الى صــديق له من الكُتَّاب يشكره على موقفٍ وقفه فى حاجةٍ له رضىَ سعيَه فيها، ويتألَّم لفقد جماعةٍ من إخوانه، ويهنئه بالمهرجان

حيِّهـا أوجُهًا على "السَّفحِ" غُرًّا وقِبابا بيضـا ونُوقا حُمْـــرا
ورماحا دون الحبائب يهـــززْ نَ ويحطمنَ فى الكتائبِ كسرا
وسراحينَ(٤) كالحصونِ جيـادا تملأ الحُـــزْمَ(٥) مُهرةً أو مُهْـــرا
يتمارحنَ فى الحبـالِ فينقُضْـ ـنَ فتيلًا(٦) منهـا ويقطعنَ شَزْرا(٧)
وقِرًى بعضُـــه الوصالُ اذا أمْـ ـسى طها جَفنـــةً وزجّرَ قِـدْرا
آهِ للشـــوقِ(٨) ما تأوّهتُ منـــه لليـالٍ "بالسفح" لوعُدْنَ أخرى
كنَّ دُهمـا من الدآدى وقد كُنَّ بتلك الوجـــوه دُرْعا(٩) وقُمْـــرا(١٠)

---

(١) مؤق جمع مأق وهو مجرى الدمع من العين أو طرفها مما يلى الأنف . (٢) أشفار جمع شَفر وهو أصل منبت الشعر فى حرف الجفن . (٣) العيَّار : الذى يخلِّى نفسه وهواها لا يروِّعها ولا يزجرها . (٤) السراحين : الذئاب واحدها سرحان وتشبَّه بها الخيل فى سُرعة العـدْو . (٥) الحُزْم جمع حِزام . (٦) فى الأصل "فينقصن". (٧) الشزر : فتل الحبل عن اليسار وهو أشدّ لفتله . (٨) فى الأصل "الشوق" : (٩) الدرع جمع الدرعاء وهى الليلة يطلع قمرها عند الصبح . (١٠) القمر جمع قمراء وهى الليلة المقمرة .

حيثُ لا تظفَــرُ الوشاةُ بأسرا ... رِى اذا ما الصــباحُ أعلنَ سِرَّا
فاذا ما العــذولُ قال : عِقـابًا ... فى ذنوبى، قال الصِّبا : بل غَفْرا
أجتنيهـا رَيْحـانةَ العيشِ خضرا ... ءَ وتُمسى فيهـا المُــنَى لِىَ خُضْرا
يا مَغانِى "الحمى" سُقيتِ، وما ينـ ... ـفعُنى الغيثُ أن يجــودَكِ قَفْرا
أىُّ عين أصابتِ الدارَ؟ أقذَى ... اللهُ بعــدِى أجفانَهـا وأضرَّا
عَرِيَتْ من ظبائها [الآنساتِ الـ ... ـبِيضِ] وآعتاضتِ الظِّبـاءَ العُفْرا (١)
لا تراها تُطــيلُ بعد النوى غصـ ... ـنًا ولا جــوُّها يُتمِّمُ بـدرا (٢)
غيرَ حُمٍّ (٣) من القطا جاثماتٍ ... كنَّ جُونًا (٤) فعدنَ بالرَّهْجِ (٥) كُدْرا (٦)
وبقـايا مواقفٍ تصــفُ الجو ... دَ أباديدَ (٧) فى يدِ الريحِ يُذْرِى (٨)
قَلِّبــوا ذلك الرَّمادَ تُصيبوا ... فيــه قلبى إن لم تُصيبوا الجمــرا
ما لدهرى قضَى الفــراقَ عليها ! ... عــذَّبَ اللهُ بالفــراقِ الدهرا
أُنظرا لى ــ وقبلُ كنت بصيرا ــ ... يا خليلَّى بين "جوّ" و"بُصْرِى" (٩)
أوميضٌ سَرَى فشــقَّ قميصَ الـ ... ـليلِ أم [ذاكِ] (١٠) طيفُ "سُعْدَى" تَسَرَّى ؟
زار وهْنا ــ لا يُصغِرِ اللهُ ممشا ... هُ ــ وحَيَّـا فــزاده الله بِرَّا
بشَّرتنى مقــدّماتٌ بـــه يحـ ... ـملُ فيهـا ذيلُ النسيمِ العِطــرا
وآعتنقنا وليس همِّى سوى مسـ ... ـألةِ الليــلِ أن يُميتَ الفجرا

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا
عريت من ظبائهـا الأُ نُـ ـس وآعتاضت الظباء العفرا
وقد آحتفظنا بمعناه حين آضطررنا الى آتزانه . (٢) فى الأصل "نذرا" . (٣) حمّ جمع حمّاء وهى السوداء . (٤) جونا : بيضا . (٥) الرهج : الغبار . (٦) كدر جمع كدراء وهى التى بها غبرة . (٧) أباديد : متفرقا : يذرى : يبدّد، وفى الأصل "نذرا" . (٨) جوّ : اسم لناحية اليمامة . (٩) بصرى : من قرى بغداد قرب عكبراء، وفى الأصل "بين جوّ بصرى" .
(١٠) هذه الكلمة ليست فى الأصل .

(١٦٤)

زورة لم تكن بخطّ(١) بنانى ... فى كتاب الآمال إلا سطرا
سَرَقتها لِىَ الحظوظُ "وخنسا ... ءُ" آستلابا من الزمان وطَرًّا(٢)
وأبيها ما حفظَها الدهرَ أنكر ... تُ ولكن أنكرتُ بُعدَ المَسرَى
جشَّمتْها الأشواقُ فى ساعةٍ شُ ... قَّةَ ما تخبِطُ السحائبُ شهرا
فرحةٌ طار لى غرابا بها اللي ... لُ وطارت عنّى مع الصبح نَسرا
ارتجِعْها يا دهرُ لا زلتَ تسترْ ... جِعُ لؤما(٣) ما كنتَ أعطيتَ نَزْرا
وتعلَّمْ أنّى بمكرك لا أحـ ... ـفِلُ ممّا ألفتُ منك المكرا
أنكرَ الغدرَ مرّةً منك قلبى ... ثمّ صارت سجيّةً فاستمرّا
لا حَمَى اللهُ حازما غرّه منـ ... ـك سرابٌ شعشعتَه فاغترّا(٤)
كُلْ بنابيْك ملءَ جنبيك لحمى(٥) ... وتخذَّلْ عنّى متى قلتُ: نصرا
قلَّ صبرى على آقتنائىَ للجـ ... ـد وأمّا عنك الغداةَ فصبرا
أنت ذاك الذى أمتَّ شبابى ... عَبطةً(٦) وهو ما تملَّى العمرا
ورددتَ العيونَ عنّى وقد كنـ ... ـتُ لها الكحلَ حائصاتٍ(٧) خُزْرا(٨)
صار عهنًا تحتَ المراحل ينقا ... دُ وقد كان عاصىَ النّبت شَعْرا
ومشيتَ الضَّرَاءَ(٩) كيدا لأحبا ... بى فريعُوا فى الأرض شَلًّا(١٠) ونَفْرا(١١)
صُدِعُوا مَطرحَ الزُّجاج تَشَظّى ... وتداعَوْا عطَّ(١٢) الأديم(١٣) تَفَرَّى(١٤)

---

(١) فى الأصل "يكن يخط". (٢) الطرّ: السوق الشديد. (٣) فى الأصل "لوما". (٤) فى الأصل "فاعتمرا". (٥) فى الأصل "تحمى". (٦) عَبطة: نحرا من غير علّة، وفى الأصل "غبطة". (٧) حائصات: حائدات ما ئلات، وفى الأصل "خائضات". (٨) خزرا جمع خزراء وهى العين بها صغر وضيق. (٩) الضراء: الآستخفاء، من قولهم للرجل يختل صاحبه: هو يدب له الضَّرَاء ويمشى له الخَمَر. (١٠) الشلّ: الطرد، وفى الأصل "سلّا". (١١) النفر: النفور. (١٢) العطّ: الشقّ. (١٣) الأديم: الجلد. (١٤) تفرّى: انشقّ.

قَسمتْهم يــدُ الشتاتِ فشطرا للتنائى وللنــوائبِ شطــرا
فكأنّ الأرضَ الحَمولَ أبتْ أن يجِــدوا(١) فوقَها لِرجلٍ مَقَــرَّا
خولسوا من يدِى غصونا رطيبا تٍ وغابوا عنّى كواكبَ زُهْرا
أَقتضيهــم مطلَ الإيابِ وقــد وفَّى الفــراقُ الوشيكُ فيهــم نَذْرا
صحِبَ اللهُ راكبين الى العـ ـزّ طريقــا من المخافةِ وَعْرا
سمعــوا هَتفةَ الخُمُــول فطاروا يأخذون الأرزاقَ بالسـيف قهـرا
شربوا الموتَ فى الكريهــة حُلوًا خوفَ يومٍ أن يشربوا الضيمَ مُرَّا
طَرَحوا حاجَهــم وراءَ متــونِ الـ ـخيلِ ركضا والسـمهريَّةِ(٢) جَرَّا(٣)
كلُّ عجــلانَ خَطُّهُ لأَخيــه : العَــلاءَ العــلاءَ إن كنتَ حُرَّا
يمــلاون الحَبـا جُلوسًــا فإن ثا روا ملأتَ الفضاءَ(٤) بِيضا وسُمرا
واذا آســتُصرخوا لعضَّـةِ عامٍ ركبوا الجودَ يطـردون الفقــرا
لا يبالى الحـيرانُ ما أَطلقوا الأيـ ـمانَ(٥) أَن تُمسكَ السماءُ القَطــرا
إخوتى من بنى الوفاء ورهطى ـيومَ أغزوــالملوكُ من آلِ "كسرَى"
غادرونى فــردا ومرُّوا مع الأ يـ ـام ، والحظُّ بعدَهم أن أمُرَّا
أتشكَّى القــذَى بمقــلةِ حيرا نَ عليهــم الى ضــلوعٍ حَرَّى
ليتَ شِعرى بمـن أُعوَّضُ عنكم يومَ آبى ضيمــا وأدفعُ عُســرا ؟
فسـدَ الناسُ بعدكم فآستوى فى الـ ـعيش مَن سرَّنى نفاقا وضَرَّا
ونجا بىــما شئتُــيأسِىَ منهم ، نال خيرا من ظنَّ بالنــاس شرَّا
وبلى ! قــد أفادنى الدهرُ خِلَّا لَمَّ شَــعثِى وشَــدَّ منِّىَ أَزْرا

(١) فى الأصل "تجدوا" . (٢) السمهريّة : الرماح . (٣) فى الأصل "حرًّا" .
(٤) فى الأصل "الفضل" . (٥) الأيمان جمع اليمين من الأيدى . وفى الأصل "ما أطلقوا أيمان" .

واحـــدا أعلقتْ يدى غلطةُ الأ يـ ـام منـــه حبـــلَ الوفاءِ المُمَـرَّا[١]
أَلمعيـا رأى بعـــينِ ٱبنِ ليــلٍ[٢] خافيًـا من مَحاسنى مستسِـــرًّا[٣]
فاقتنـانى تغنُّما وٱفــتراطا وٱستبـانى قـــولا لطيفـا وبِرًّا
وتحـــرَّى تفضُّلا أن يرى الفضـ[٤] ـلَ مضاعا، والحرُّ من يتحرَّى
صدَقَتْ فى "أبى طريفٍ" مياميـ ـنُ ظنونى وقـــد تعيّفن زَجْرا
وتجلَّت غشـاوةُ الدهرِ عن قلـ ـبى وفكَّتْ عنِّى الليـالى الحَجْــرا
وأتانى يتـــوبُ من ذنبـه الدهـ ـرُ ٱحتشـاما له وكان مُصِـــرًّا
ألحقَتْنى به غـريبـا من ٱلآ مال قُــربَى تُعَـــدُّ صِنْوا وصِهرا
فتحـــنَّى لهـا ورقَّ عليهـا ورأى الدهرَ عقَّ فيهـا فـــبرَّا
وَصَــلَ الــودَّ لى بآخيّـة الجا[٥] ه فكانا عُجَالةً[٦] لى[٧] وذُخْــرا
وأتاه صـــوتى فنبَّـــه منـــه "عُمَرًا" حين نبَّهَ الناسُ "عَمْرا"
شيمةٌ منك يابن "باسِلَ" فى السؤ دُدِ لم تُعتَسَـــفْ عليهـا قَسرا
وعروقٌ زَكَى ثراهنّ فى المجـ ـدِ فأرعَى نباتُهن وأثْـــرى
طاب مَجْنـاكَ فٱهتصرتُك وَرْدا لـــيِّنَ الغصنِ وٱعتصرتُك خَمـرا
كان نصرى عليـك دَيْنا فما كنـ ـتَ بغـــير القضاء منـــه لتَـبرا[٨]
نَدبتْـــك العُـــلا له فتجـــرّدْ تَ حسـاما فيه وقمتَ هِزَبرا[٩]

---

(١) الممرّ : الحبل المفتول فتلا شديدا . (٢) ابن ليل : تقوله العرب لصاحب الغارات وللذى يسير الليل ولا يهوله لقوته وجسارته ، قال الراجز

ما ذا يرينى الليل من أهواله ✻ إنى أنا ٱبن الليل وٱبن خاله

وله معان كثيرة غير ما ذكرناه لا تناسب السياق .

(٣) مستسرا : متواريا . (٤) فى الأصل "برى" . (٥) الآخية : العروة ومن معانيها أيضا : الحرمة والذمة . (٦) يريد بهذه التثنية : الود والجاه . (٧) العجالة : ما يتزوده الراكب مما لا يتعبه أكله وهو هنا مجاز . (٨) يريد لتبرأ . (٩) الهزبر : الأسد .

١٦٥

مِـلّةٌ فى الـوفاء ضيّعهـا النـا ... سُ وأحييتَهـا سَنـاءً[(١)] ونخـرا[(٢)]
ولسـانٌ فى الحمـد كان عقيما ... قبـلُ أولدتَهُ ثنـاءً وشُكـرا
فتأهّبْ لوافـداتِ القـوافى ... يعتملنَ الدُّجى وما كُنَّ سَفْـرا
ضاربات فى الأرض طولا وعرضا ... وهى لم تـلقَ جانبا مغـبرّا
حاملاتٍ لحُـرِّ عرضك من بحـ ... ـر ضمـيرى ملءَ الحقائب دُرّا
كلّ غراءَ تجتليها علـى شـ ... ـطك فى الحسن ثيّباً أو بِكرا
لم أُكلِّفك أن تسـوقَ مع الرغـ ... ـبة فيهـا سوى المودةِ مَهـرا
وبحقٍّ لم ينشرح لك صـدرى ... بـمديحٍ حتى ملأت الصـدرا
ورآك الشِّعرُ العـزيزُ على غيـ ... ـرك كُفئاً فـلانَ شـيئا وقَـرّا
كم عظيمٍ أبَى عليـه وجبّا ... رٍ ثنَى عنـه جيـدَه وأمرّا
فتهنَّ انقيـادَه لك واعـلمْ ... أىّ طِرْفٍ جعلتَهُ[(٣)] لك ظَهـرا
والبس المهـرجانَ حُـلّةَ عزٍّ ... لستَ من لُبسِها مدى الدهر تعرَى
طاعنا فى السـنين تطوى عليـ ... ـنّ [طوالَ][(٤)] السنين عصرا فعصرا
واعلُ حـتى أراكَ أشرفَ كعبًا ... من مكان السُّهى وأنبـهَ ذِكرا

⁂

وقال وقد بلغه عن الرئيس أبى القاسم هبةِ الله بن علىّ بن ما كولا ذكرٌ جميلٌ، وتقريظٌ لشعره، وتشوّقٌ الى رؤيته، وكان مقيما بالبَطيحة، يتقلّدها وواسطَ حَرْبا وخراجا، وكتب بها اليه

"بالغور" ما شاء المطايا والمطـرْ ... بقـلٌ ثخـينٌ ونمـيرٌ منهمـرْ
وسـرحةٌ ضـاحكةٌ وبانةٌ ... غنّى الربيعُ شأنَهـا قبـلَ السَّحَرْ

(١) السناء: الرفعة والعلو، وفى الأصل "شناء". (٢) فى الأصل "بخرا". (٣) فى الأصل "جلعته". (٤) هذه الكلمة ليست فى الاصل.

وَأَثَرٌ من ظاعنــين أَحمــدوا ... من عيشهم على "الأُثَيلات" الأَثَرْ
فَــراخِ من حبالهـا وخلّهـا ... تأخــذُ من هــذا اللُّبَاخِ (١) وتَذَرْ
كم المنى تُرعَى لهـا وكم تُــرَى ... يمُسِك من أرماقهـا رجعُ الجِــرر (٢)
أمَا تُجَــمُّ (٣) لمسـاقــطٍ لهـا ... يطرحُهنّ بالفــلا طــول السفَرْ
اللهَ فيهـا (٤) إنهـا طُــرْق العـــلا ... وعُــدَّةُ المــرء لخــيرٍ ولشــرّْ
ظهــورُها العــزُّ وفى بطــونهـا ... كنزٌ لليـــل الطارقــين مــدَّخَرْ
نعــم لقــد طاولها مِطـالُنـا ... وحان أن يُعقبَهـا الصــبرُ الظفَرْ
"فالغورَ" يا راكبها (٥) "الغورَ" إذنْ ... إنْ صــدق الرائدُ (٦) فى هــذا الخبرْ
لسًّا (٧) وخضما (٨) أو يعــودَ تامكا ... الغاربُ التـامك (٩) والجنب المُعَــرّْ
وإن حننتَ "للحمى" وروضِه ... "فبالغضا" ماءٌ وروضاتٌ أُخَرْ (١٠)
هل "نجــدُ" إلا منزلٌ مفــارَقٌ ... ووطنٌ فى غــيره يُقضى الوطَــرْ
وحاجةٌ كامنــةٌ بين الحشـا ... والصــدر إن ينبِضْ لهـا البرقُ تُثِرْ
يادِين قلبي من صَبًا نجــديّةٍ ... تجــرى بأنفاس العِشاءِ والسَّحَرْ
اذا نَسيتُ أو تنـاسيتُ جَنَتْ ... عــليَّ "بالغور" جنـاياتُ الذِّكَرْ

---

(١) اللباخ بضم أوّله : شجر عظيم معروف باللبخ . (٢) الجرر جمع جرّة وهى ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه . (٣) تجم : تُترك ولا تُركَب لتقوى . (٤) الله فيها بمعنى اتقوا الله فيها . (٥) فى الأصل "يا راكبنا" . (٦) الرائد : الرسول الذى يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه ، ومنــه قولهم : "الرائد لا يكذب أهله" . (٧) اللّس ، أن تأخذ الدابة الكلأ بطرف لسانها . (٨) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . (٩) التامك الأولى : بمعنى الناقة العظيمة السنام ، والتامك الثانية بمعنى السنام والغارب هنا بمعنى الغائر أو الذاهب ، والجنب المعر : الذى أصابه العر وهو الجرب ؛ فيكون معنى البيت أنّ الذى ذهب سنامه لهزاله والذى أصابه العرّ من طول السفر اذا وصل الى الغور أكب على اللس والخضم لكثرة المرعى به فيعود عظيم السنام بعد هزاله (١٠) فى الأصل "أحر" .

آهِ لتلك الأوجـهِ البيضِ علـى ... "رامةَ" فى تلك القُبيْباتِ الحُمُرْ
يـنزو بجنبيَّ متى غـنَّى بها ... قلبٌ متى ما شربَ الذكرى سَكِرْ (١)
كنّا وكانت والليالى رطبةٌ ... بوصلنا والدهرُ مقبولُ الغِيَرْ
أيّام لا تُدفع فى صدرى يدٌ ... ولا يُطاع بى أميرٌ إن أمَرْ
وعاطفُ العيون لى وشافعى (٢) ... ذنبى اليها اليومَ من هذا الشَّعَرْ
وَسْما رجعتُ مهمِلا غَفلاتِه ... اذا البهامُ نصَّعتْهنَّ الغُرَرْ (٣)
ما خِيلَ (٤) لى أن الدرارى (٥) قبله ... يُنكرها سارى الظلام المعتكِرْ
قالوا : تجمَّلتَ (٦) بها غديرةً ... مَردَعةً عن الخنا ومُزدَجَرْ
رُدُّوا سفاهى وخذوا وقارَها ... بيْعَ الرضا، وندَما لمن خَسِرْ
رحتُ بها بين البيوتِ أَزْوَراً (٧) ... مواريا شخصِىَ من غيرِ خَفَرْ
أحملُ منها بقلةً ذاويةً ... بالعيش كانت أمسِ ريحانَ العُمُرْ
ياقَصُرتْ يدُ الزمان شدَّما ... تطول فى ثَلْمى وفى نقضِ المِرَرْ (٨)
عَصًا شظايَا ومشيبٌ عَنِتٌ ... ومنزلٌ نابٍ وأحبابٌ غُدُرْ
وصاحبٌ كالداء إن أبديتُه ... عَوَّرَ وهو قاتل اذا أُسِرّْ (٩)
أحملُه حَمْلَ الشَّغا (١٠) نقيصةً ... وقلَّةً ما زاد أَلَّا (١١) وكثُرْ
يُبرزه النفاقُ لى فى حُلَّةٍ ... حبيرةٍ من تحتها جِلدُ نَمِرْ

(١٦٦)

(١) فى الأصل "شكر". (٢) يشير بذلك الى سواد شعره وهو فتىّ. (٣) نصّعتهن : جعلتهن نواصع، وفى الأصل "تضعتهن". (٤) فى الأصل "حيل". (٥) فى الأصل "التشاكى" ولا معنى لها هنا مطلقا وهو من تشويه النسخ، وقد رجحنا كلمة "الدرارى" لأن الشاعر يريد تشبيه ما ابيضّ من شعره بالنجوم فى الظلام الدامس، وكثيرا ما طرق هو وغيره من الشعراء هذا المعنى. (٦) فى الأصل "تحملت". (٧) الأزور : المائل، وفى الأصل "أزوزا". (٨) المرر جمع مِرّة وهى طاقة الحبل. (٩) فى الأصل "سر". (١٠) الشغا : الزيادة فى الأسنان. (١١) ألَّا : صفاءً وبريقا.

مبتسمٌ والشــرُّ فى حِمــلاقِــهِ ... خَفْ كيف شئت أرقمًا اذا كشَرْ

لأنفضنَّ النــاسَ عن ظهــرى كما ... قَطَّرَ(١) بالراكبِ مجــلوبٌ عُقِــرْ

فَرْدًا شِــعارى لا مساسَ بينهــم ... منفرِدَ الليثِ وإن شئتَ القمــرْ

نفسى حبيــبى وأخى تقنُّــعى ... وربّمـا طــرَّفتِ الدنيـا بحُــرّ

إن يكُ يأسٌ فعسى غائبــةٌ ... تَظهرُ، والنارُ كمينٌ فى الحجــرْ

قــد بشَّــرتنى بكريم هَبَّــةٌ ... بمثلها ريحُ الجَنــوبِ لم تَــثُرْ

تقـول لى بصوتهـا الأعـلى ضُحًى ... وبالنسيمِ فى الدُّجى الحــلوِ العَطِرْ:

إنَّ فَــتَى "مَيسانَ" دون دارِه ... [قد](٢) بَقِيَ المجـدُ وحيدا وغَــبَرْ

يعرفُ ما قــد أنكر الناسُ من الـ ... ـفضــل ويُحيِي فى العلا ما قد دَثَرْ

وأنه — جرى بخيرٍ ذكرُهُ — ... حنّ وقــد عُرِّض باسمى وذُكِرْ

وعَلِقَتْ بقلبــه ناشــطةٌ ... مرَّت عليــه من بُنَيَّاتِ الفكْرْ(٣)

فمن هــو الراكبُ ملسـاءَ القَرا(٤) ... مُصْمَتَةَ الظهــر ببطنٍ منقعرْ؟(٥)

رفِّعْ ذُناباها وخفِّضْ صــدرَها ... مُشرِفــةَ الحارِكِ(٦) وقَصـاءَ(٧) القَصَرِ(٨)

تحــدو بهـا أربعــةٌ خاطفــةٌ ... تُنحى عليهـا أربعٌ منهـا أُخَــرْ(٩)

اذا المطـايا خِفنَ إظماءَ السُّرى ... فرِيُّهـا من شَرَقٍ على حــذَرْ

يعــدُّ أبــراجَ السماء عَنَقًـا ... فى مثلهـا تصــعُّدا ومنحــدَرْ

يرفعُ عنهـا حدَبَ الموج اذا آسـ ... ـتنّت(١٠) صناعُ الرِّجْل(١١) فى خوضِ الغمَرْ

---

(١) قطّر : ألقى ، وفى الأصل "فطر" . (٢) ليست بالأصل . (٣) بنيّات الفكر : الخواطر . (٤) القرا : الظهر . (٥) يشير بذلك الى السفينة . (٦) الحارك : أعلى الكاهل . (٧) الوقصاء : القصيرة وهو وصف خاص بالعنق . (٨) القصر : أصل العنق اذا غلظت . (٩) يشير بذلك الى المجاديف . (١٠) استنّت : اضطربت . (١١) صناع الرجل : الحاذق فى العمل برجله و يقابلها "صناع اليد"، وفى الأصل "صناع الرخل" .

لو لم يلاطفها على اعتسافه | بخدعةٍ من الليان لم تسِر:
اسلَمْ وسِرْ وليس إلا سالما | مَن راح فى حاجةٍ مثلى أو بَكَرْ
قُلْ "لأبى القاسم" : يا أكرَمَ مَنْ | طُوِى اليه دَرْجُ أرضٍ أو نُشِرْ
وخيرَ من مُوطِلَ جفنٌ بكَرى | فى مدحه فلم يضِعْ فيه السَّهرْ
وابنَ الذى قيل : إذا ولَّى عن الـ | ـدنيا تولَّتْ بعده على الأثَرْ
واستشرفَ الملوكُ من عطائه | والخلفاءُ ما استعَزَّ واحتقَرْ
ومَنْ تكونُ "الكَرَجُ"(١) الدنيا بأن | أُوطنَها "وعِجْلُ"(٢) ساداتُ البَشَرْ
لو لم يكن إلا "ابنُ عيسى"(٣) لكُمُ | فخرا كفى ملء لسان المفتخِرْ
ساقِى العوالى من دمٍ ما رَوِيَتْ | وعاقِرُ البُدْنِ وعاقِرُ البِدَرْ
ناصبتم الشمسَ بحدِّ سيفه | ودسُتُمُ بسعيه حدَّ القمَرْ
وصارت الشمسُ تُسمِّيكم به | أنجادَ "عدنانَ" وأجوادَ "مُضَرْ"
مضى وبقَّى سؤرةَ(٤) المجد لكم | ملآى(٥) اذا ما شرب الناس السُّؤَرْ
لكرماءَ التقموا طريقَه(٦) | وألقوا بينهُمُ تلك السِّيَرْ
وشغَلوا مكانَهُ من بعده | كالشمس سدَّ جوَّها الشُّهْبُ الزُّهُرْ

---

(١) الكرج : مدينة بين همذان وأصبهان وأول من مصّرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلىّ وجعلها وطنه وكان قائدا فى عهد المعتصم كريما ممدَّحا مشهورا بالسماحة والشجاعة وله مكان فى الشعر والغناء وهو الذى قال فيه علىّ بن جبلة

إنما الدنيا أبو دلف * بين مغزاه ومحتضرِهْ
فاذا ولّى أبو دلف * ولَّت الدنيا على أثرِهْ

والى هذه الصفات يشير مهيار فى الأبيات التالية كما أشار الى هذين البيتين فى قوله .

وابن الذى قيل : اذا ولّى عن الـ * ـدنيا تولت بعده على الأثر.

(٢) عجل : اسم قبيلة . (٣) ابن عيسى : أبو دلف المارّ ذكره . (٤) السؤرة : البقيّة .
(٥) فى الأصل "ملى" . (٦) التقموا طريقه : نهجوا منهاجه .

زكيَّة طينتهم، حديدة شوكتهم، طاب حصاهم وكثُرْ
لا يمشّون الضَّرَاء(١) غيلةً لجارهم ولا يدبّون الخَمَرْ(٢)
كلُّ غلام ذاهبٌ بنفسه مع العَلاء إن بدا(٣) وإن حضَرْ
إمّا زعيمُ فيلقٍ يطرحهم فى لهَوات الظلم حتى ينتصِرْ،
مغامرٌ مسلَّطٌ بسيفه على الردى منتصِفٌ من القَدَرْ،
أو تاركٌ لفضله من دِينه ما عزَّ من سلطانِه وما قَهَرْ
عفَّ عن الدنيا وقد تزخرفتْ ممكنةً وعافها وقد قَدَرْ
محكِّمٌ فى الناس يقضِى بينهم بمُحكَم الآىِ ومنصوصِ السُّوَرْ
(١٦٧) فكلّكم إمّا ابن عزٍّ حاضرٍ بسبقه(٤) أو ابن عزٍّ مدَّخَرْ
وحسبُكم شهادةً "لقاسمٍ" مجدُ "أبى القاسم" عينًا بأثَرْ
حدَّثَ عنه مثلَ ما تحدَّثتْ عن كرم الأغصانِ حَلواءُ الثَّمَرْ
مواهبٌ فى "هبةِ الله" لكم أوفَى بها على مناكم وأبَرّْ
يا مسلفى تبرعًا من ودِّه سلافةَ الخمرِ ووسمىَّ(٥) المطَرْ
ومُنزِلى من شُرُفاتِ رأيه مكانَ يحطُّ السهى وينحدِرْ
لبّيك قد أسمعتنى وإن يغبْ سمعِى(٦) عنك ففؤادى قد حضَرْ
عوائدٌ من الكرامِ عاد لى مِيتَهُن بعلاك ونُشِرْ
كم فىّ من جُرحٍ قد التحمتَهُ بها ومن كَسرٍ عَصَبتَ فجُبِرْ
ملكتَ رقِّى وهواى فاحتكِمْ مِلكَ اليمين لم أَهَبْ ولم أُعِرْ
لثَمتُ ما خطَّت يدُ الكاتب من وصفِك لى لثمَ المطيفين الحجَرْ

(١) الضراء : الاستخفاء . (٢) الخمر : الخفية ، يقال : "هو يدبّ له الضراء ويمشى له الخمر" لمن يختل صاحبه . (٣) بدا وحضر : أقام فى البادية أو فى الحضر . (٤) فى الأصل "بسيفه" . (٥) الوسمىّ : أول مطر الربيع أو مطر أول الربيع . (٦) فى الأصل : "فغوادى" .

وقلتُ : يا كامنَ شوقي ثُرْ ، ويا قلبِيَ إمَّا واقعاً كنتَ فَطِرْ
وياظمائى هذه شريعةٌ يدعو اليها الواردين من صَدَرْ
فلو علِقتُ بجناحِ نهضةٍ حوَّمَ بى عليك سعىٌ مبتدَرْ
ولرأيتَ معَ فرط حشمتى وجهى عليك طالعا قبلَ خَبَرْ
لكنَّها عزيمةٌ معقولةٌ (١) تئنُّ من ضغط الخطوبِ والغِيَرْ
وهمةٌ عاليةٌ يحطُّها أسْرُ القضاء لا يفكُّ من أَسَرْ
وربَّما تلتفتُ الأيَّام عن لحاجها أو يُقلعُ الدهرُ المُصِرّ
وإن أُقِمْ فسائراتٌ شُرَّدٌ يَزُرنَ عنِّى أبدا من لم أَزُرْ
قواطعٌ (٢) اذا الجيادُ حَبَسَتْ اليك أمراسَ (٣) الحبالِ والعُذَرْ (٤)
كلُّ ركوبٍ رأسَها الى المدى لم تزجُرِ الطيرَ ولمَّا تستشِرْ
نهارُها مختلطٌ بليلها ترمِى العشيّاتُ بها على البُكَرْ
تحمِلُ من مدحكُمُ بضائعاً يمسى الغبينَ فى سواها من تَجَرْ (٥)
كأنَّما حلَّ "اليمانون" بها عِطارَ "دارين" وأفواقَ "هَجَرْ"
لم يمضِ من قبلى فمٌ لأُذُنٍ بمثلهنّ موعَبًا ولم يَطِرْ
سلَّمها لحولُ هذا الشعر لى ضرورةً ، ما سلَّموها عن خِيَرْ
شُهْدٌ لمن أحبكم وأَقِطٌ (٦) وفى أعاديكم سِمامٌ وصَبِرْ
لتعلموا أن قد أصاب طَوْلَكم (٧) مَن عرفَ النعمةَ فيه فشَكَرْ

---

(١) معقولة : محبوسة مشدودة بالعقال . (٢) قواطع : تقطع البلاد وتجتازها كالطيور القواطع . (٣) أمراس جمع مَرَس (جمع مَرَسة) وهى الحبل . (٤) العذر جمع عذار وهو اللجام . (٥) تجر : باع واشترى ، وفى الأصل "نحر" . (٦) الأقط : شيء يتخذ من اللبن المخيض ، يطبخ حتى يَمْصُل . (٧) الطول : العطاء .

* * *

وقال يرثى الصاحب أبا القاسم بن عبد الرحيم ، وقد قتل محبوسا بعد طول الأسر فى قرية على شاطئ الفرات من أعمال هِيت (١)

مَنْ حاكمٌ وخصومىَ الأقــدارُ؟ كثُر العــدوُّ وقلّت الأنصارُ !

أشْجَى من الدنيا بحبِّ مقلِّبٍ وجهين ، عُرفُ وفائه إنكارُ

ســوْمَ الدعىِّ اذا تضرَّع ردَّه للؤم عرقُ الهُجنــةِ (٢) النّعّارُ (٣)

واذا وَفَى لمنــاىَ يــومٌ حاضرٌ فأجارَ أسـلمنى غدٌ غــدّارُ

أفصخرةٌ يا دهرُ هــذا القلبُ أم هو للهمــوم الساريات قرارُ؟

فى كلِّ يــومٍ للنوائبِ شـلّةٌ (٤) من جانبىَّ وللهمــومِ غِوارُ (٥)

ومصائبٌ متحكّماتٌ ليس لى معهنّ فى بيع النفــوس خِيارُ

تُحِيى فأحملُها ثِقالا مُكْرَها وكأننى بتجــلُّدى مختارُ

جُرحٌ على جُــرْحٍ ولكن جائفٌ (٦) ضــلَّ الفتائلُ (٧) فيــه والمِسبارُ (٨)

نَخَرَتْ عمائقُه العروقَ وغادرتْ قَصِبَ (٩) العظامِ وهنَّ مُخٌّ رارُ (١٠)

فاغمــزْ قناتى يا زمانُ فإنّه ذاك المماكِسُ طائحٌ خــوّارُ

كُشِفَتْ لنَبْلك غامضاتُ مَقاتلى وترفّعتْ عن صَفحتىِ الأستارُ

وأكلتُ لا خَلَفٌ يردُّ سـلامتى ذلّا ولا يحمى حمــاىَ جِــوارُ

---

(١) هيت : بلدة على الفرات من نواحى بغداد . (٢) الهجنة : عدم الإعراق . (٣) النعّار : المصوّت . (٤) الشلّة : المرة من الشلّ وهو الطرد ، يقال : فلان يشلُّهم بالسيف أى يطردهم ويكسعهم ، وفى الأصل ''سلة'' . (٥) الغِوار : الغارة . (٦) الجائف : الطعن أو الداء بلغ الجوف ، وفى الأصل ''طارف'' . (٧) الفتائل جمع فتيلة وهى الخرقة تفتل وتزاتُ ، وفى الأصل ''القبائل'' . (٨) المسبار : الآلة يجسّ بها الجرح . (٩) فى الأصل ''فصب'' .
(١٠) الرار : الذائب .

ذهب الذى كانت تجاملنى له الد نيا وتسقط دونىَ الأخطارُ
ويرُدُّ فارسةَ الخطوبِ نواصلًا (١) منّى مخالبهنَّ والأظفارُ (١٦٨)
من يشترينى بالنفائس مُغليًا بعدَ "الحسينِ" ومَنْ علىَّ يغارُ؟
ويُظلّنى واليومُ أغبرُ مشمسٌ (٢) أتجلّلُ النكباتِ وهى أوارُ
أم من يضمُّ بدائدَ الآمال لى ويُفَلُّ عنى بآسمه الإقتارُ (٣)
واذا آقشعرّتْ (٤) أرضىَ آستصرختُه فاذا لجينٌ تربُها ونضارُ
المِخذَمُ (٥) البتّارُ أُسقِطَ من يدى والغيثُ أقلعَ عنّىَ المدرارُ
والصاحب آنتُزِعَتْ قوادمُ أسرتى منهُ وهِيضَ جَناحُها الطيّارُ
فاليوم لا أبتِ الصَّغارَ ولا آعتزتْ إلا عبيدًا "فارسُ" الأحرارُ
وتطأطأتْ ذلًّا فطالت ما آشتهتْ شرفا عليها "يَعرُبٌ" "ونزارُ"
كنّا وإن كَرُمتْ نفاخرُها [به] (٦) فالآنَ ما بعدَ "الحسين" نخارُ
لا خفتُ بعدُ ولا رجوتُ وقد ثوى فى التُّرب منه النافعُ الضرّارُ
سائلْ بهذا الذَّودِ (٧) يرغو (٨) بكرُه (٩) فى الحىّ: أين المُقرمُ (١٠) الهدّارُ
ومتى أخلَّ أبو الشبول بغيله فتناهقتْ من حوله الأعيارُ
يا مُدرَجا فردا تُسَدّى (١١) فوقه بالقاع أرديةُ الثرى وتُنارُ (١٢)

(١) فى الأصل "فارسه". (٢) ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا

* ويظل من واليوم مشمس أغبر *

وتصحيحه بما رجّحناه لا يخفى على أهل الأدب واللغة. (٣) الإقتار: قلّة المال والآفتقار.
(٤) اقشعرّت: أجدبت. (٥) المخذم: السيف. (٦) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل.
(٧) الذود: من الإبل ما بين الثلاثة الى التسعة وهو واحد وجمع كالفُلك. (٨) فى الأصل "يرعوا".
(٩) البكر: الفتىّ من الإبل. (١٠) المقرم: الفحل يترك عن الركوب والعمل للفحلة.
(١١) تسدّى: يجعل لها سَدًى وهو ما مُدَّ من خيوط الثوب بخلاف لُحمته. (١٢) تنار: يجعل لها نير وهو آجتماع الخيوط بخلاف السدى، وفى الأصل "تثار".

مُلقىً وراءَ نســـيَّةٍ ومَضـــلَّةٍ　　　تُخفى ضريحَك والقبـــورُ تُزارُ
أذللتَ قلـــبى للأسى وتركتنى　　　أتبرَّدُ الزفـــراتِ وهى حِرارُ
وحطمتَ آمالى فهنّ ضعائفٌ　　　وقَصَرتَ من هممى فهنّ صِغارُ
أنا من شِفار القاتليك متى ٱلتقتْ　　　من مقلَـــتىَّ مع الكرى الأشفارُ
أو قاتُ معتاضا بجارٍ مثـــله　　　جارٌ ولا بالدار بعـــدك دارُ
ومتى صحبتُ العيشَ بعدك باردا　　　والنـاسُ صاروا بى الى ما صاروا
نبـــذوا عهودَك آنفا وتقسَّموا　　　رُمَمًا بحبـــل الخُلف وهو مُغارُ
ظنُّوا بفقـــدِك أن يَلُمُّـوا شعثَها　　　يا رُبَّ نقضٍ جَـــرَّه الإمرارُ
ورجَوْا بهُلكك أن يخلّد ملكُهم　　　فاذا سلامتُهـــم بذاك بَـــوارُ
فعلامَ لم تُشْكَمْ (١) وقـــد فغرتْ لهم　　　فلجاءُ (٢) يُنكـــرنا بهـا الفـــرّارُ
وتفجَّرتْ بالشرّ بعـــدك والأذى　　　جنباتُهـا وتداعت الأقطـارُ (٣)
حذِروا السجالَ (٤) يخابطون قَليبهـا (٥)　　　والحبـــلُ (٦) واهٍ والجَبا (٧) منهارُ
ودّوا لو ٱنك حاضرٌ فكفيتَهـا　　　لمـا تـــولَّى أمرَها الأغمـارُ
ورعَى النـــدامةَ حيث لم يشبع بها　　　غاوٍ رماك وآخرون أشاروا
ولَّى يفِـــرُّ ولم يعفْها سُـــبَّةً　　　تَسرى وليس من الحِمامِ فرارُ
سرعانَ ما ٱستعروا بجمـــرةِ بغيهم　　　ولربَّ باغٍ غـــرَّه الأنصـارُ
طرحوا الفراتَ الى الفراتِ فمادرى　　　مُلقـــوك أيُّهمـا له التيَّـارُ (٨)

---

(١) تشكم : توضع فيها الشكيمة وهى حديدة اللجام . (٢) الفلجاء : المتباعدة ما بين الأسنان ويريد بها هنا الوزارة من باب المجاز . (٣) الأقطار جمع قطر وهو الجانب . (٤) السِّجال جمع سَجل وهو الدَّلو . (٥) القليب : البئر (٦) فى الأصل " والحال " . (٧) الجَبا : نثيلة البئر وهي التراب الذى حولها تراه من بعيد ، وفى الأصل " الحيا " . (٨) فى الأصل " البتار " .

وتعاظموا أن يَقبُروك ومن رأى ليثا يُخَـط [له الثرى] مِحفارُ (1) (2)
"وأبى العلا" ما كنتُ أعلم قبلَها أنّ البحورَ قبورُهنَّ بحارُ
ذلًّا لبيض الهند بعدك شدّ ما غدَرتْ ولا سَلِمَ القنا الخطّارُ
ما كان أنكلهنّ عنك لو آنه عند السلاح حفيظةٌ وذِمارُ
قتلوك محصورا غريبا لا ترى مولًى يَعِزُّ ولا بجنبك جارُ
من خلْفِ ضيِّقةِ السماء بهيمةٍ ينزو بقلبك بابُها الصَّرّارُ
حفروا الزبى (3) لك فارتديت وإنما سلطانُ ليث الغابة الإصحارُ (4)
هلا وفيك الى وثوبٍ نهضةٌ ولديك مُنتَفَدٌ (5) وعندك زارُ (6)
وخطاك واسعةُ المَدى تحت الظُّبا لا الخيطُ يحبسها ولا المِسمارُ (7)
أعزِزْ عليَّ بأن تصابَ غنيمةً فى القِدِّ (8) يجمعُ ساعديك إسارُ
فى حيث لا يُروَى على عاداته بيديك نَصلٌ حائمٌ وغِرارُ (9)
وبمصرعٍ لك لم تثابر دونه فوق الأكفّ صوارمٌ وشِفارُ
والخيل صائمةٌ على أشطانها قَرْحَى (10) تقامَصُ خلفَها الأمهارُ
بشِياتها لم يُختَضبْ بدمٍ لها عُرُفٌ ولم يُبلَلْ عليك عِذارُ
أو أن يكون الجوُّ بعدك ساكنا واليومُ أبيضُ ما عليه غبارُ
ووراء ثأرك غِلمةٌ لسيوفهم فى الرَّوع من مهج العدا ما آختاروا
يتهافتون على المنون كأنّهم حِرصًا فَراشٌ والمنيَّةُ نارُ

(١٦٩)

(١) هاتان الكلمتان ليستا فى الأصل . (٢) المحفار : الآلة يحفر بها . (٣) الزبى جمع زبية وهى الحفرة ، وفى الأصل "الربى" . (٤) الإصحار : البروز للصحراء . (٥) المنتفد : السعة ، وفى الأصل "منتقد" . (٦) يريد زأر فسهّلت الهمزة . (٧) يشير بذلك الى القيد كما يدلّ عليه البيت التالى . (٨) القدّ : سير من جلد يقيّد به الأسير . (٩) الغرار : حدّ الرمح والسهم والسيف . (١٠) فى الأصل "مرحى" .

*

حلماءُ فى الحُلَّى فإن هم أُغضِبوا طاشــوا لخَنّت فيهم الاوتارُ (١)
لوصحتَ تُسمعهم وصوتُك فى الثرى لخصوا عليك وفى السماء لطاروا
خذلوك مضْطَرّين فيك وجمجموا من بعد ما فَصُحت بك الأخبارُ
وتناذروا أن ينــدبوك تقيّــةً (٢) فالحزنُ بينهُــمُ عليك سِرارُ
إن يُمسكوا فيضَ الدموع فربّما فاضت عيونٌ فى الصدور غِزارُ
أو يجلسوا نظــرا ليوم تشاورٍ فالريثُ أحزمُ ما أرابَ بِــدارُ
ولربّما نام الطّلوبُ بثأره لغــدٍ ولكن لا ينام الثارُ
وقد آشتفى بعد البسوس "مهلهل" زمنا وما نَسِىَ الدَّمَ "المَــرّارُ"
وعلى "الطّفوف" دمٌ أطيلَ مِطالُه حتى تقاضَى دَيْنــه "المختارُ" (٣)
لا بدّ من يــومٍ مريضٍ جوُّه للخيلِ فيــه بالرءوس عِثارُ
متورِّدِ الطرفين يكفُرُ شمسَــهُ دَجْنٌ له عَــلَقُ الكماة قِطارُ
تَصــلاه بِاسمك آخذين بحقّهــم عُصَبٌ لهم "عبدُ الرحيم" شِعارُ
فهنــاك يعــلم قاتلوك بأنه ما عُــقَّ مَن أبناؤه أبرارُ
• ويرى عدوُّك — والبقاءُ لغيره — أنّ البقــاءَ وإن أطيــلَ مُعــارُ
وإن آشــتفى وحَلا بفيه غدرُهُ أنَّ آعتقابَ حلاوتيــه مُرارُ
ولقــد يُشــاكُ (٤) المجتنِى بمكان ما عجِلتْ يداه ويُــلدغُ المشتــارُ
ولّى بها شــنعاء تَذهبُ نفسُــهُ فيها ويَبــقَى لومُها والعــارُ

(١) لخنت : فصوّتت ، والأوتار جمع وتَر وهو شرعة القوس ومعلّقها . (٢) تقيّة : اتقاء وخوفا . (٣) الطفوف : يراد به الطفّ وهو موضع قرب الكوفة قُتل به الإمامُ الحسين رضى الله عنه والمختارُ هو آبن عبيد الثقفىّ وقد قام بأخذ الثأر من قَتَــلة الحسين فدعا الناس الى محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنه المعروف بابن الحنفيّة . (٤) فى الأصل "يشال" .

درستْ بك السُّنن الحميدةُ وٱغتدى ... نقْــدُ المكارم وهو منك ضِمارُ (١)

هل سائلٌ بك بعـدها أو قائلٌ ؟ ... هيهات لا خَــبرٌ ولا ٱستخبارُ !

حتى كأنك لم تقُــدْ ملمــومةً (٢) ... يُومَى اليــك أمامَها ويُشارُ

خرساءَ إلا ما تكلَّم صارمٌ ... فى قَوْنسٍ (٣) أو طَنَّ عنــه فقَارُ

تهفــو عليك عُقابها (٤) ويضمُّها ... منشــورةً لفنائك التَّكرارُ

وكأنَّ رأيك لم يلُحْ قبسًا اذا ... عَميتْ عشايا الرأى والأسحارُ

واذا خِلاط الأمرِ سُــدَّ طريقُه ... فلديك واضحــةٌ له وقــرارُ

وكأنَّ بابَك لم يكن لعُفاته ... حَرَما يُجــير ولا حمًى يُمتارُ

يأوى اليــه المسنتون (٥) ويلتــق ... بفِنائه السُّفَّارُ والحُضَّارُ

وتبيت تَلْغَــطُ من وصائلِ ناقةٍ ... عُشَرَاءَ عنــدك بُرمةٌ (٦) أعشارُ

تُصفِى كرائمَها الضيوفَ وتكتفى ... فيما يليك بما ٱنتــقَى (٧) الجزَّارُ

وكأنّ كفّك لم تبِن فى ظهرها ... قُبَــلُ الملوكِ وتشــهدُ الآثارُ

ويخفُّ بين بنانها إن حُمِّلَتْ ... ضــبطُ الحسامِ ويثقلُ الدينارُ

بالكره منــك وبالمَســاءة روَّحَت ... لسوى العُقور على البيوت عِشارُ

وتراجعتْ وخــدودُها ملطومةٌ ... بُزْلٌ لقصــدك وُجِّهَتْ وبِكارُ

وغفلتَ لم تسأل ــولستَ بغافلٍــ (٨) ... أنَّى تنكَّب بابَك الزُّوَّارُ

وتسلَّبتْ من فارسٍ أو راكبٍ ... تلك السروجُ اليــك والأكوارُ

---

(١) الضمار : الوعد المسوّف . (٢) الملمومة : الكتيبة . (٣) القونس : مقدّم الرأس أو العظم الناتئ بين الأذنين . (٤) العقاب : الراية وكانت راية النبيّ صلى الله عليه وسلم تسمى "العقاب" . (٥) المسنتون : المجدبون . (٦) البرمة : القِدر . (٧) انتقى : استخرجِ النِّقْيَ وهو مخ العظام . (٧) فى الأصل هكذا

* وعقلت لم تسأل ولست بعاقل *

ومـــتى أرمَّ(١) المادحون وأكسدتْ ... من بعـــد ما نفقتْ بك الأشعـــارُ
أو أن أقولَ فلا تصيخ لقـــولتى ... لو كـــنتَ متروكا وما تختـــارُ(٢)
وترى الزمانَ يَضيمنى(٣) فيفوتنى ... من راحتيك حميَّـــةٌ وغِيـــارُ(٤)
قد كنتَ حصنا من ورایَ وكان لى ... بك من أمامى جُنَّةٌ وصِـــدارُ
أيامَ شـــيبى تحت ظلِّك نضرةٌ(٥) ... وصِبًا وليـــلِى فى ذَراك نهـــارُ
وعلىَّ من نُعمَى يديك طلاوةٌ ... أمشى ونتبعنى لهـــا الأبصارُ
قد كنتُ أحسبُ أن بأسَك هضبةٌ ... لا يســـتطيع رُقِيَّها المِقـــدارُ
وأقولُ أنّ(٦) لسقف بيتك فى العلا ... عَمَـــدًا حبالُ الموت عنـــه قصارُ
و إخالُ جودَك نَثْـــلةً دون الردى ... حصـــداءَ تمنع فَرْجَهـــا الأزرارُ(٧)
فاذا الشجاعةُ والسماحـــةُ مَتجرٌ ... تزكو بـــه الأعمـــالُ والأعمارُ ١٧٠
غـــدرا من الأيّام تُفْتِـــقُ(٨) شمسُها ... والأرضِ تورقُ فوقَها الأشجـــارُ
ومذلَّة فى السُّحبِ وهى صواحب ... ليديك تَنزِل بعـــدك الأمطارُ
كم قـــد تعلَّلتِ المنى بك ، تارةً ... أمنٌ وطورا خِيفـــةٌ وحِذارُ
وتخالفتْ فيك الرُّواةُ فسرَّنى ... وتلوّنت بحـــديثك الأخبـــارُ
ولقـــد ظننتُ بهـــا وراءَ لثامها ... خـــيرًا فكشَّفَ قُبْحَها(٩) الإسفارُ(١٠)
إن تفتقدْ عينى مِثالَك فى العـــلا ... فبنوك من عَين العـــلا آثارُ

(١) أرمّ : سكت . (٢) فى الأصـــل "تحتار" . (٣) فى الأصـــل "يضمّنى" .
(٤) الغيار : الغيرة من الحميّة والأنفة ، وفى الأصل "عثار" . (٥) فى الأصل "نصرة" .
(٦) أقول هنا بمعنى أظنّ . (٧) فى الأصل "الإزار" . (٨) يقال : أفتق قرن الشمس بمعنى أصاب فتقا من السحاب فبدا منه . (٩) فى الأصل "فتحها" . (١٠) فى الأصل "الأشفار" .

سدُّوا مكانَك والشموسُ اذا هوتْ ... مــلأت مَطارحَ نورِها الأقمــارُ
طِبْ فى الثرى نفسًا فكلُّ منهــمُ ... ثَمَّ ٱقــتراحُك فيــه والإيثارُ
هم، أنفسا تُدوِى(١) عداك وألسنا، ... ءن جمــرتيك ســلائطٌ وشَرارُ
كانوا السَّراةَ وقد عدِمتَ وبعضُهم ... لأبيــه إن طــرَقَ الحِمــامُ عَوارُ
متلاحقين الى العــلاء كأنّهــم ... مُجــرَوْنَ يجمعُ بينهــم مِضمارُ
الوفــدُ وفدُك طائفٌ ببيوتهــم ... والحــامــلُ العبقــاتِ والسُّمّارُ
تُتلَى عليهم فيــك كلُّ فضيــلةٍ ... للميْتِ فيهــا النشرُ والتَّــذكارُ
أيدٍ طُبعنَ على السماح وأوجــهٌ ... فى عتقهــا من دوحيتــك نِجارُ
هم ما همُ! ويزينُ مجــدَ أبيهمُ ... خالٌ لزَنْدِ المجــدِ منــه سِــوارُ
ما غِبتَ عنهم وهو شاهدُ أمرهم ... لك منه فيهــم كافلٌ وظَــوارُ
فليبــقَ وليبقــوا له ما طبّق الـ ... ـآفاق طِيبُ ثنــائك الســيّارُ
واذا العــزاءُ أتى فــذَلَّ لهم به ... فيك العزيزُ وأسهــلَ المِعسارُ
ولقــد أُسلِّيهــم(٢) وفى عِطفى لهم ... جَزَعٌ ورَجْع كلامِيَ ٱستعبــارُ
ساهمتُهــم عِبءَ المصابِ وكلُّنــا ... تحت التجمُّــل حامــلٌ صبّــارُ
لا تبعُــدَنّ بِلًى، فقــد فات البلى ... بك أن يُظَــنَّ تقــاربٌ ومَزارُ
وسقاكَ ـ إن عطِش القليبُ وماؤه ـ ... متبجِّسٌ(٣) وقَــرارُهُ خَــرّارُ(٤)

---

(١) تدوى: تُمرض. (٢) فى الأصل "أسليهم". (٣) متبجّس: متفجّر، وفى الأصل "متنحس". (٤) خرّار: له خرير وهو صوت الماء، وفي الأصل "جرّار".

متهـــدِّلُ الأطرافِ يَمسَحُ بالثرى ... ممـا ترا كَمَ ذيـــلُهُ الجَـــرَّارُ
صَخِبُ الُّرعودِ تَهيـــجُ فى جَنباتِهِ ... للعـاصفـاتِ جَراجِرٌ(١) وخُـــوارُ
بخـــرى يجلِّلُ بالحيـا حِيطـانَهُ ... حتى الجـــداولُ تحتهـا أنهـارُ
يَسقِى بأعذب ماسَقَى حيث ٱلتقتْ ... فِلقُ الصفيحِ عليـــكَ والأحجـارُ
حتى يُظنَّ ثراكَ نَشـــوانا به ... دارت عليـــه من السحابِ عُقارُ
ويضوعَ منك بطيبِ مافى ضمنه ... فكأنّ ضارجَ تُربه عطَّـارُ
ونزلتَ حيث تُحَطُّ أملاكُ العــلا ... شـــوقا اليـــك وتُرفَعُ الأوزارُ

تم الجـــزء الأوّل

ويليه الجزء الثـانى ، أوّله قصيدة مطلعها

رعَتْ بين ”حاجرَ“ والنعفِ ”شهرا“ ... جَمـــيمًا(١) وعبَّتْ(٢) شآبيبَ غُـــزْرَا

---

(١) الجراجر : الأصوات . (٢) الجميم : النبات الكثير . (٣) عبّت : شربت وجرعت ، فى الأصل ” غبّت “ .

إصـــلاح خطأ

وقعت فى هذا الجزء أغلاطٌ قليلة نرجو تصحيحَها فى صُحُفِها وهى :

صحيفة	سطر	خطـأ	صـواب
١	١١	وقَذاءُ	وقَذاةُ
٢٧	١٢	المزاح	المِراح
٢٧	٢٠	(٤) الجُرُبُ جمع أجرب	(٤) الجَرِبُ : الأجربُ
٢٨	٢٢	(٩) الأُهَبُ جمع أُهبة وهى العدّة	(٩) الأُهُبُ جمع إهاب وهو الجلد
٣٠	٦	كاثُرُوا	كاثَرُوا
٤٤	١٥	الزُّنْجِىّ	الزَّنْجِىّ
٤٥	٢١	حجراتهم	حجزاتهم
٤٧	٧	رافدتْ	رادفتْ
٤٧	٩	تُدْمَل	تَدْمَل
٤٧	١٦	شبهُهُ الأيّامَ	شبهةَ الأيّامِ
٤٨	٢	حُسنَها	خِمْسَها
٤٨	١٠	رأَمَتْ أبواءَها	رُئِمتْ أبواؤُها
٤٩	٩	مخداجُها	مخداجُرا
٥٠	١٧	دُبو بها	دَبو بها
٥٠	٢٢	(٩) ترَنّم : تصوّتُ	(٩) تُرِمُّ : تَسكُتُ
٨٨	٨	أبى الحسين	أبى الحسن
١٥٥	٢٠	(٣) الحِرّة : الحجارة السود	(٣) الحَرَّة : الأرض ذات الحجارة السود
١٥٧	٢١	(٦) لأذَمّتْ : لأعيت	(٦) لأرمّتْ : لسكتَتْ
١٧٥	١٧	وُرقاء	وَرقاء

(مطبعة الدار ٩٢/١٩٢٤/٣٠٠٠)